

المملكة العربية السعودية

جامعة أم القرى

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

قسم الدراسات العليا الشرعية

فرع الكتاب والسنة

مكة المكرمة



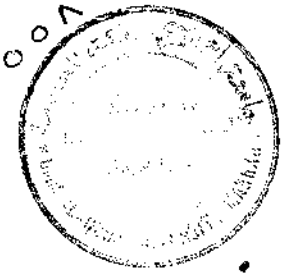
٣٠١٠٢٠٠٠٠٠٥٥٨

٢٠٠٢٥٦٥

القِسْمَةُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

رسالة مقدمة إلى قسم الدراسات العليا الشرعية
فرع الكتاب والسنة لنيل درجة التخصص الأولى

(الماجستير)



رؤس: خالد سيف الله سيفي

بإشراف: الأستاذ الدكتور / محمد عبد المنعم الفيبي

١٤٠٢ — ١٤٠٣ هـ

١٩٨٢ — ١٩٨٣ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِحمدك اللهم نستعين وبإصلاة على
نبيك نستأجرم التوفيق لما يقضيه الدين،
أما بعد! فقد قال العماد الأصفهاني:
إنني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتابا في
يومه إلا قال في غده: لو غير هذا كان أحسنه
ولو زيد كذا كان يستحسن، ولو قدم
لهذا كان أفضل، ولو ترك هذا كان أجمل،
وهذا من أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء
النقص على جملة البشر.

(معجم الأدباء: لياقون الحموي)

شكر وتقدير

الحمد لله الذي علم بالقلم ، علم الانعام ما لم يعلم ، احمده على جنس
نعمه ووفاء عطائه أن جعلنا ممن يتعلم القرآن ونسأله سبحانه أن يجعلنا من العاملين
بسه المهتدين بهديه ، الواقفين عند حدوده ، الممثلين لأوامره المجتنبين لنواهيه
المقتفين آثارا لعلما الذين وقفوا حياتهم عن الفحش وراء معانيه وادراك مراميه ،
وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيد ولد آدم الصموت رحمة للعالمين الهادي الى
صراط الله المستقيم وعلى آله وصحبه ومن تأسى به واتبع هداه وسار على نهجه السني
يوم الدين ، محمد .

فعملا بقوله صلى الله عليه وسلم (لا يشكر الله من لا يشكر الناس) (١) فانسى
أزجي خالص شكرى وتقديرى للقائمين على ادارة جامعة أم القرى بمكة المكرمة
(حرصها الله) فقد أحسنوا استقبالنا وأكرموا وفادتنا وأحاطونا بالرعاية وحسن التوجيه
فجزاهم الله هذا خيرا الجزاء .

وأحرافا بالفضل لأهله ووفاء للبدل والمطاء وعرفانا بالجميل أتقدم بخالص
الشكر الى اساتذتي الأفاضل الذين أهدت منهم ، وأخص استاذى الدكتور
محمد عبد المنعم القيمى الذى اقترح على موضوع هذا البحث ثم رطه منذ أن كان
فكرة الى أن امتوى على سوقه ، والذى لستمنت بكثير من آرائه وتوجيهاته في
انجاز هذا البحث ، فجزاه الله خيرا وبارك في عمره ونفع بعلمه ،

كما أشكر اخواني الذين كان لهم جهد مبارك ، سواء كان ذلك في الكتابة
لسى عن معلومات سألتهم عنها تتعلق بالرسالة ، أو تفضلوا بالتوجيه والنصح
والارشاد أو بالمساعدة في عملية الطباعة وما تحتاجه من تصحيح وتنظيم ، والله
أسأل أن يجزل الثواب للجميع وأن يتقبل منا ومنهم صالح الاعمال ، صلى الله
وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين .

(١) أخرجه الترمذى في جامعه : ٣٨- كتاب البر والصلة ، ٣٥- باب ماجاء
في الشكر لمن أحسن اليك ، حديث ١٩٥٤ وقال هذا حديث حسن صحيح .
(٣٣٩ / ٤) ، وأبو داود في سننه : ٣٥ - كتاب الأدب ١٢٥ - باب
شكر المعروف ، حديث : ٤٨١١ ، والامام احمد في مسنده ٢٥٨ / ٢ ،
وابن حبان في صحيحه ، انظر موارد الظمان للهيتمي ص ٥٥٦ ،
٣٣ - كتاب البر والصلة ، ٧ - باب شكر المعروف ، حديث : ٢٠٧٠ ،
صحيحه ، كلهم عن أبي هريرة .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(رَبِّ يَصْرُ وَأَعْنِ بِرَحْمَتِكَ)

ان الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغديه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور
أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له
وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، صلوات
الله وسلامه عليه وعلى جميع الأنبياء والمرسلين ، ومن تيممهم باحسان الى يوم
الدين .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته
ولا تموتن الا وأنتم مسلمون) (١) (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس
واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ، واتقوا الله الذي تماثلون
بسه ، والأرحام ، ان الله كان عليكم رقيبا) (٢) ، (يا أيها الذين آمنوا اتقوا
الله وقولوا قولا سديدا ، يصلح لكم أعمالكم ، ويغفر لكم ذنوبكم ، ومن يطع
الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما) (٣) .

أما بعد : فاني رأيت أفضل علم صرفت اليه ألبهم وتمت فيه الخواطر وسارع اليه
ذوو العقول علم كتاب الله تعالى ، وحاجة الأمة ماسة الى فهم هذا الكتاب
الذي هو حبل الله المتين والذكر الحكيم والهادي الى الصراط المستقيم ، قال
تعالى : (فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ، ومن أعرض
عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى ، قال رب لم حشرتني أعمى
وقد كنت بصيرا ، قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى) (٤)
وقال تعالى : (يا أيها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور ،
هدى ورحمة للمؤمنين) (٥)

(١) آل عمران : ١٠٢ (٢) النساء : ١ (٣) الأحزاب : ٧٠
(٤) طه : ١٢٣ - ١٢٦ (٥) يونس : ٥٧

قال تعالى : (٠٠٠) قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله
من اتبع رضوانه سبل السلام وخرجهم من الظلمات الى النور باذنه و يهديهم
الى صراط مستقيم (١) .

فالقرآن هو كتاب الله الخالد وقانونه الدائم وتشريعہ القائم ، ومعجزة الرسول
صلى الله عليه وسلم الكبرى وآيته العظمى ، ومنبع الهداية ومورد السعادة ، منه تستنبط
المبادات وتتوخذ الأحكام ، وبه يعرف الحلال من الحرام لا تنقض عجائبه ولا تنتهي
غرائبہ (كتاب أحکمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير) (٢) فليس المقصود من
القرآن مجرد التلاوة أو التماس البركة وهو مبارك حقا ، ولكن بركته الكبرى في تدبره
وتفهم معانيه ومقاصده ثم تحقيقها في الاعمال الدينية والمدنيّة على السواء ،
ولهذا كانت الحاجة ماسة الى التفسير المفهم الذي تتضح به المعاني والمقاصد
بحسب مدارك البشر وما تتسع له عقولهم ، وان كان القرآن في الحقيقة قد يسره الله
للناس تيسيرا عجيبا ، (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) (٣) ،
(فانما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتذريه قوما لدا) (٤) ولكنه بمد
تبلبل الالسنه ونشو اللحن وانتشار العامية والهمد عن الفصحى صار للناس
في حاجة الى تفسير الالفاظ والتراكيب التي قد يخيب معناها عن أدهانهم أو يخفى
مدلولها عن ادراكهم ، لذلك كله كان لهذا الكتاب العظيم منزلة رفيعة في
قلوب المسلمين وكان موضع عنايتهم منذ عصر الرسول صلى الله عليه وسلم الى يومنا
هذا ولقد عكف علماء الامة في عصورها المتوالية على دراسة هذا الكتاب واستلها
معانيه والتعرف عن أغراضه ومرامييه وألغوا فيه المؤلفات الكثيرة على اختلاف أنواعها
وكان لكل منهم منهجه في الشرح والتأويل ومذهبه من الكشف والبيان فمنهم من رجح
الى لفظه ورويه وكتابه وقراءته وتجوّده ومنهم من عمد الى التوجيه الاعرابي
الى اسلمه ونظمه وأعجازه أو الى ترتيبه ومناسباته ومنهم من أفرد في التوجيه الاعرابي
أو البلاغي ومنهم من قصد الى النظر في مفرداته أو مجازه أو مشكله أو غريبه ، ومنهم

(١) المائدة : ١٥ - ١٦ (٢) هود : ١ (٣) القمر : ١٤

(٤) مريم : ٩٧

من استنبط التشريع والاحكام وبين ناسخه ومنسوخه وأسباب نزوله ومنهم من رام معرفة أقسامه وأمثاله وجدله وقصصه وحقيقته وبجازه الى غير ذلك من النواحي مما لا أذكره هنا على وجه الاحصاء ، ثم ان منهم من ألف في هذه الأنواع وغيرها استقلا لا ، ومنهم من أدرجها ضمن كتابه في التفسير وكل هو "لا" وقموا منه على البحر الزاخر والكنز الملىء بالجواهر ، وهكذا أصبح بأيدينا الآن مصنفات متنوعة وموسوعات قيمة تناولت بحث القرآن الكريم من نواح كثيرة هامة ، وتمتبر بحق أروع مظهر عرفه التاريخ البشرى لحراسة كتاب . ولا رب فانه كتاب رب العالمين الذي حفظه من أن تنال منه أيدي المفرضين ، (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) (١) ، وما يجسروا منصف على أن يجحد فضل أحد من هو "لا" جميعا ، وهم الذين بذلوا في خدمة القرآن جهودا جلية ، وتركوا آثارهم من بعدهم شاهدة بمقدار ما عانوا ولكن بالرغم من هذه الجهود التي بذلت ظل القرآن الكريم مليئا بالموضوعات التي تحتاج الى دراستها دراسة منهجية موضوعية ، كما ظل التفسير باعترافهم من علم العربية التي لم تنضج بعد ، فاستدعى ذلك الى التفسير الموضوعي أو البياني للقرآن الكريم ، وصار التركيز على دراسة جامعة للموضوع الواحد موضع اهتمام العلماء في هذا العصر ، لأنها تمين على استيعاب الموضوع بأكمله ، وتكشف عن جوانبه المختلفة ، وتمكن الباحث من الاطاحة بالموضوع على حقيقته ، وتجعله يدرك أهدافه ومقاصده بسهولة وسر ، دون تناقض أو تعارض أو اختلاف ، وهو منهج يختلف تماما عن الطريقة المألوفة في تفسير القرآن حسب وجود الآيات في المصحف ، يؤخذ اللفظ أو الآية فيه مقتطعا من سياقه العام في القرآن كله مما لا سبيل معه الى الاهتداء الى معرفة حقيقة المراد على وجه صحيح ، ولا رب في أن التخصص فكرة قديمة في تاريخنا الاسلامي قدم وجوده ، فقد أشار الى ذلك نبينا صلى الله عليه وسلم في قوله : (أرحم أمتي بأمتي ، أبو بكر وأشداهم في دين الله عمر ، وأصدقهم حياء عثمان ، وأقضاهم على بن أبي طالب ، وأقروهم

لكتاب الله أبي بن كعب ، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل وأقرضهم زيد بن ثابت ، ألا وإن لكل أمة أميناً وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح (١) أو كما قال عليه الصلاة والسلام ففي هذا إشارة أكيدة الى فكرة التخصص هذه مع الالمام الحسن بشتى فروع علم الشريعة الاسلامية .

ومعد ، فقد كان يراودني أمل كبير في أن أقوم بعمل يتصل بكتاب الله عز وجل ، ويخدم جانبها من جوانب علومه وكنت في حيرة من أمرى حتى أشار علىّ مشرفي سمادة الدكتور محمد عبد المنعم القيمي أن أختار (القسم في القرآن الكريم) موضوعاً لرسالتى في الماجستير ففكرت ملياً واستخرت الله سبحانه حتى انشرح صدرى وبدأت أقرأ القرآن من جديد ، معنياً أكثر غاياتى بالقسم وما يحفه . فاستوقفتنى ما ورد فيه من كثره القسم فتيقن لدى أنه موضوع جدير بالمعناية والدراسة طالما قد اعتنى القرآن به وأكثر منه الى حد يلفت النظر ويشير الانتباه ، وهذه الأقسام منها الصريحة التى يعلمها الجميع ، ومنها المضمرة التى لا يدركها الا المتخصصون ، ورأيتُه سبحانه يدعو الى التفكير فيها والاستعبارينها فقال عز من قائل : (وانه لقسم لو تعلمون عظيم) (٢) وقال : (هل فى ذلك قسم لذي حجر) (٣) كل ذلك دفعنى لأن أختار هذا البحث موضوعاً لرسالتى وأبحث عن معنى القسم وحكمته ومهامه فى كتاب الله عز وجل ، ولا شك أن الموضوع جد خطير لأنه هول كتاب الله عز وجل ، وما يبذل فى مضامره - مهما غلا ثمنه - قليل بالنسبة لما يجب أن يكون ، وما زاد رغبتى فى الكتابة فى هذا الموضوع أن من أفردته بالبحث والتصنيف من العلماء قليل ، فمن السابقين لم أر من كتب فيه وأفردته بصنف خاص غير الامام ابن قيم الجوزية رحمه الله وسمى كتابه : (التبيان فى أقسام القرآن) ، كما تعرض لكثير من آيات القسم العلامة الفخر الرازى فى التفسير الكبير ومن أتمه رحمهم الله تعالى .

(١) رواه ابن ماجه (الدافع أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني) فى سننه ، المقدمة ، باب فى فضائل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حديث ١٥٤ (٥٥ / ١) بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، وفى مسند أحمد عن ابن عباس قال : (قال عمر رضى الله عنه : على أفضانا وأبى أقرؤنا الخ ٥ / ١١٣) .
(٢) الواقعه : ٧٦ (٣) الفجر ٥

ومن ألف من المحدثين - ممن أطلعت على كتاباتهم - الامام عبد الحميد

الفراهي ، فقد ألف كتابا في هذا الباب سماه (ايمان في اقسام القرآن) والذي
(نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان) واحتمره ^{جسرا} ، واعتبره لذكر الامور الكلية التي يحتاج
الى ايرادها في تفسيره ، لتفنى عن التكرار ، ومع صغر حجم هذا الكتاب أعطانا
صاحبه اصولا تساعد على تقسيم اقسام القرآن الى عدة أنواع ، وعلى فهم معناها
وحكمتها ومقاصدها على وجه صحيح ، كما اطلعت على كتاب (القسم والشرط في
القرآن الكريم) للدكتور عبد العزيز اللبيب ، وهو رسالة دكتوراة ، وكتاب (أساليب
القسم في اللغة العربية) للاستاذ الفاضل كاظم فتحى الراوى ، والاثنان تناولا دراسة
القسم من الناحية اللغوية والنحوية ، وما كتبا يشهد لهما ببذل الجهد ، وقد
استفدت منهما وأثبت في رسالتي مواضع الاستفادة منهما ، وهناك من العلماء من كتب
عن بعض جوانب القسم في القرآن الكريم مثل الامام الزركشي في كتابه (البرهان في
علم القرآن) والحافظ السيوطى في كتابه (الاتقان في علم القرآن) والشيخ محمد
عمده في تفسيره لجزء (عم) والدكتورة بنت الشاطي في كتابها (التفسير البياني)
والشيخ مناع القطان في كتابه (علم القرآن) والدكتور بكرى شيخ أمين في كتابه
(التعبير الفني في القرآن) والدكتور احمد غلوش في كتابه (الدعوة الاسلامية :
القسم وسيلة للدعوة) وغيرهم من العلماء الافاضل .

ومعد الاطلاع على كتب هؤلاء وجدت أن الموضوع لم يزل محتاجا الى دراسة
موضوعية لاستدراك ما فاتهم ولف ما نشره ، ولم ما شئتوه وتحقيق ما لم يحققوه كما
رأيت أن المجال متسع لنقاش بعض آراءهم ورفض بعض أقوالهم ، فهذا فسح
لى العذر حين تقدمت الى اتمام ما لم يستوفوه في كتبهم فدلت بدلولي في هذا
الميدان الذى لا ادعى لنفسى أننى من أترائه ، ولكنها الرغبة في أن أنال من فضل
الله الواسع وأن أقدم لنفسى من الصل ما ينفعها (يوم تجد كل نفس ما عملت من خير
محصرا) (١) وحسبى في ذلك أن الله تعالى يتقبل من عمل الخير ما خلصت فيه النية
واستقام به القصد (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره) (٢) ومن يحمل من الصالحات
وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما) (٣) .

وأهم صادري في هذا البحث كتب التفسير التي استعملتها في فهم معاني الآيات وتفسيرها وأطلعت من خلال دراستها على اختلاف العلماء واستمدت منها دلائل لترجيح رأي على آخر . كما رجعت الى كثير من الكتب لأئمة اللغة وعلامها والتي ألفوها في موضوعات مختلفة في المعاني والاعراب والفريش والمشكل والمجاز ، ورجعت الى كتب هؤلاء لفهم معاني كثير من الآيات القرآنية وأعرابها وللموازنة والاستشهاد ، اذ بمعرفة حقائق الاعراب يعرف أكثر المعاني ونجلى الاشكال وفهم الخطاب وتسهل معرفة حقيقة المراد على وجه صحيح .

وأما القراءات ففي هذه الرسالة منها قسط وافر ، وذلك لأنها من القرآن ولأنها حجة الفقهاء والنحاة في استنباط الاحكام وتأسيس القواعد فان باختلاف القراءات يظهر اختلاف الاحكام ، والنسبة لموضوعي فان كثيراً من الاقسام لا يثبت الا بقراءات دون الاخرى ، مثال ذلك قوله تعالى : (واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة) الآية (١) قرأ حمزة (لما) بكسر اللام على أنها لام الجر للتمليل ، وقراءة الباقيين بفتح اللام ، ولا يمكن كونها موطئة لجواب القسم الا على قراءة الفتح . وقوله تعالى : (كتب ربكم على نفسه الرحمة انه من عمل منكم سوءاً بجهالة ثم تاب من بعده فانه غفور رحيم) (٢) ، قرأ عاصم وابن عامر الآية بفتح المهمزتين في (انه) ونافع يفتح الهمزة الاولى فقط والباقيون بكسرها ، قال الزجاج : ان كسرهمزة (ان) انما هو لئكان القسم لان (كتب) بمعنى اوجب ، فنزلت منزلة القسم وأجبت بجوابه ، (٣)

وكذلك قوله سبحانه : (ولا نكتم شهادة الله ، انا اذا لمن الاتمين) (٤) قرئ بالوقف على (شهادة) وابتدى بلفظ الجلالة على أنه مقسم به ، وحذف حرف القسم وعض عنه همزة الاستفهام أو همزة القطع ، والقراءة فيها منسوبة الى الشمي ووجهها ابن جنى في (المحتسب) وهي قراءة شاذة الا أنه يجوز الاستدلال

(١) آل عمران : ٨١ (٢) الانعام : ٥٤

(٣) اعراب القرآن المنسوب الى الزجاج : ١٥٨/٣ - ١٦٠

(٤) المائدة : ١٠٦

بها في اللفظة ، الى غير ذلك من الآيات التي تعرضت لها في هذه الرسالة وقد حرصت على اثبات ما لا يتعلق بموضوع القسم من القراءات في الحاشية تكميلاً للفائدة وانسجاماً مع طبيعة البحث العلمي .

خطة البحث:

وقد استدعت طبيعة الرسالة أن أجعلها في با بين تسبقهما مقدمة وتمهيد وتلوهما خاتمة .

أما التمهيد ، فتكلمت فيه عن تاريخ القسم وحاجة الناس اليه وطرقه المختلفة والدلالة على حقيقة معناه في أول الأمر .

وأما الباب الأول فقسمته الى ثلاثة فصول . أما الفصل الأول فأفردته للكلام

عن القسم عامة وجعلته في ستة محاور :

- * (المبحث الاول) : في تعريف القسم لغة واصطلاحاً .
 - * (المبحث الثاني) : في ذكر ألفاظ كثر استعمالها للقسم .
 - * (المبحث الثالث) : في بيان خلاف العلماء حول القسم أهو خير أم انشاء ؟
 - * (المبحث الرابع) : في مقاصد القسم وأغراضه .
 - * (المبحث الخامس) : في جمل القسم : الاسمية منها والفعلية .
 - * (المبحث السادس) : في أحوال القسم اذا نقله المتكلم عن غيره .
- وتكلمت في الفصل الثاني عن أركان القسم ، وفيه أربعة محاور :
- * (المبحث الاول) : في أدوات القسم وهي الباء والواو والتاء ، وحوى كل أداة من هذه الأدوات مسائل متفرقة .
 - * (المبحث الثاني) : المقسم في القرآن وقد ورد على ستة أنحاء :
 - * (١) أقسام صدرت من الله تعالى ابتداءً وانشأً .
 - * (٢) أقسام علمها الله رسوله وأمره بأن يقسم بها .
 - * (٣) أقسام حكاهها القرآن عن الأنبياء والمؤمنين .
 - * (٤) أقسام تشريعية .
 - * (٥) أقسام حكاهها القرآن عن إبليس .
 - * (٦) أقسام حكاهها القرآن عن المنافقين والكافرين .

* (المبحث الثالث) : المقسم به في القرآن الكريم وهو على عشرة أنحاء :

* (١) القسم بذات الله تعالى أو صفاته المقدسة .

* (٢) القسم بالرسول عليه الصلاة والسلام .

* (٣) القسم بالقرآن الكريم .

* (٤) القسم بالملائكة .

* (٥) القسم بيوم القيامة .

* (٦) القسم بالآزمنة .

* (٧) القسم بالامكان .

* (٨) القسم بآيات الله الدالة على عظيم خلقه وديع صنعه والناطقة بوجوده

وورحديته .

* (٩) القسم بالحروف المقطعة في قول بعض العلماء .

* (١٠) القسم بالموجودات كلها ما ندرکه منها وما لا ندرکه ، في قوله تعالى :

(فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون) (١)

* (المبحث الرابع) : المقسم عليه في القرآن الكريم ، وقد أقسم سبحانه

في كتابه على ستة أشياء :

* (١) القسم على التوحيد .

* (٢) القسم على صدق النبوة وصحة الرسالة .

* (٣) القسم على صدق القرآن وكونه حقاً من عند الله تعالى .

* (٤) القسم على الوعد والوعد والمعاد والجزاء .

* (٥) القسم على أحوال الانسان المتمددة ، وهذا النوع متفرع من القسم

على الجزاء ، وليس على انفراده .

* (٦) القسم على عدم ايمان الخلق حتى يحكموا الرسول فيما شجر بينهم ،

وأما الفصل الثالث ، فيتناول القسم بتوحيه الصريح وغير الصريح ،

أما الصريح فعلى ضربين : (أ) قسم الاخبار

(ب) قسم الصوال والاستعطاف .

وأما المضمرفعلى نوعين :

* (النوع الاول) : ما دللت عليه اللام ، وهو على ثلاثة أضرب :

(أ) ما دلت عليه اللام الموطئة للقسم وهي الداخلة على (ان) الشرطية

غالبًا وقد تدخل على (من) و (ما) الشرطيتين .

(ب) ما دلت عليه اللام المقتربة ب (قد) .

(ج) ما دلت عليه اللام المقتربة بالفعل المضارع المتصل بنون التوكيد .

* (النوع الثاني) : وهو على ضربين :

(أ) ألفاظ جرت في القرآن الكريم مجرى القسم وأجيب بجوابه .

(ب) القسم الذي دل عليه المعنى .

* * *

* وأما الباب الثاني : من الرسالة فتكلمت فيها عن أقسام القرآن لا سيما

ما يتعلق منها بالمخلوقات وعن الشبهات الواردة حولها والجواب عنها ، وشتمل

على ثلاثة فصول :

* أما الفصل الأول : فيتناول النقاط التالية :

* شبهات حول أقسام القرآن .

* طرق العلماء في الجواب عن هذه الشبهات .

* طريق الامام محمد فخر الدين الرازي .

* طريق الامام ابن قيم الجوزية .

* الرأي الصائب لدى طممة العلماء والمفسرين في أقسام القرآن .

* طريق الامام عبد الحميد الفراهي في تأويل أقسام القرآن .

* أدلته رحمه الله من القرآن على الاقسام الاستدلالية .

* بعض أسباب خفاء الوجه الصحيح في تأويل أقسام القرآن .

* الفرق بين ما يحسن وما لا يحسن من القسم .

* منهجي في تأويل أقسام القرآن .

وأما (الفصل الثاني) فيحوى على تتبع الاقسام الصريحة في القرآن

الكريم التي هي مورد للشبهات وبيان وجه الاستدلال بالمقسم به على المقسم عليه ،

وجعلته في بحثين :

* (المبحث الأول) : القسم بالقرآن الكريم .

* (المبحث الثاني) : القسم بالمخلوقات .

وأما (الفصل الثالث) فذكرت فيه بعض ما في اقسام القرآن من أبواب البلاغة

ولطائفها ، ثم ذيلت بحثي هذا بخاتمة تحوى بيانا للنتائج التي توصلت اليها

من خلال هذا البحث .

أما منهجى في هذه الرسالة فهو كالتالى : إنى قمت أولا بجمع آيات القرآن التى تتعلق بالقسم بتوعيه الصريح والمضمر ، وقسمت هذه الآيات حسب خطة البحث التى ذكرتها آنفا. ثم بدأت أجمع المواد من مختلف مظانها ، وحاولت أن أطلع فى كل آية من هذه الآيات ما دون فى كتب التفسير وعلم القرآن ، والصادر النحوية واللغوية ، واستمعت أيضا بأشعار العرب ، ودواوينها والصادر الأدبية للاستشهاد إذا اقتضت الحاجة إليها ، كما رجعت إلى كتب القراءات لتخريج القراءات وتوجيهها من مظانها الأصلية وما التزمت فى هذا المنهج أنى قمت بتخريج الأحاديث التى وردت فى هذا البحث - على قلتها - كما أحلت القارىء على أرقام الآيات التى وردت فى صلب الموضوع أو للاستشهاد والمناسبات - وما أكثرها - مع ذكر السور التى وردت فيها ، وما التزمته أيضا أنى لم أغفل عن سبب النزول إذا وجدت - يمين على فهم المراد من الآية ، كما تعرضت لأعراب كثير من الآيات إذ بمعرفة حقائق الأعراب يعرف أكثر المعاني وتعيين المراد ، كما حرصت أيضا على ذكر بعض معاني المفردات التى خشيت أن لا تكون معلومة لدى القارىء وكذلك شرح بعض الآيات .

وما التزمته أيضا أنى قمت بترجمة معظم الاعلام الواردة فى هذه الرسالة وقد ترجمت لكل علم عند أول ذكره فى الرسالة ، وقد أثبت كل ذلك فى هوامش الصفحات ، وربما يمر الشئ غير مشبع فى الباب الاول فيتوهم القارىء أن ذلك لا يقال ، وإنما هو لأن له موضعا فى الباب الثانى ، فلا بد من مراعاة ذلك .
وأنتهيت هذه الرسالة بخاتمته ، وفيها خلاصة البحث وأهم النتائج التى توصلت إليها ، كما أنى جعلت فهرسا لتعديد مواضع تراجم الاعلام الواردة فى صلب الرسالة ، وفهرسا للمراجع وربطتهما على الأحرف الهجائية ، وأثبت مسردا للموضوعات فى آخر الرسالة .

ومد فانى إذ أقدم هذه الرسالة لأدعى لنفسى أننى أحطت أسرار كلام الله تعالى فى هذا الباب ، أو أحطت بما لم يحط به غيرى ، ولكنهما الرغبة فى أن أنال من فضل الله الواسع وأن أعيش فى ظلال هذا القرآن

وأحيا في رحابه ، فحاولت واجتهدت وأرجو أن أكون قد قاربت ، فان أصبت
فمن الله ، وان أخطأت فمن نفسي ومن الشيطان .

وفي الختام احمد الله سبحانه وأشكره كما بدأت به على أن وفقني
لانجاز هذا العمل المتواضع ، وأضع اليه سبحانه أن يتقبله مني بقبول
حسن وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم وأن ينفع به المسلمين ، انه
سميع مجيب ، صلى الله وبارك على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه
أجمعين والحمد لله رب العالمين .

غرة جمادى الثانية : ١٤٠٣ هـ

خالد سيف الله سيفي

تهييد :

تاريخ القسم وحاجة الناس اليه وطرقه المختلفة

ان أسلوب القسم من أقدم ^{أساليب الكلام} ~~أساليب في تاريخ اللغات البشرية~~ ، يدل على ذلك الحوار الذي دار بين الله سبحانه وتعالى وبين إبليس لعنه الله ، ولقد قص علينا القرآن الكريم هذا الحوار في سور مختلفة ، فمنه ما جاء في سورة (ص) (ان قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من طين ، فاذا سوته ونفخت فيه من روحي فقموا له ساجدين ، فسجد الملائكة كلهم أجمعون الا إبليس استكبر وكان من الكافرين ، قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي استكبرت أم كنت من العالين ، قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ، قال فاخرج منها فانك رجيم ، وان عليك لعنتي الى يوم الدين ، قال رب فانظرني الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم ، قال فمترك لأغوينهم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين ، قال فالحق أقول ^{والحق} لا ملأ جهم منك ومن تبعك منهم أجمعين) (١)

فواضح من هذا الحوار صدور القسم من الطرفين من جانب إبليس حين استكف عن السجود لآدم عليه السلام وخاصم به عز وجل فيه وادعى أنه خير من آدم لأنه مخلوق من نار وآدم خلق من طين فكفر بذلك وأبغده الله عز وجل عن رحمته ، فسأله جل وعلا النظرة الى يوم البعث فأنظره الحليم فلما أمن الهلاك الى يوم القيامة تمرد وطفى وقال : (فمترك لأغوينهم أجمعين) (٢) وكذلك قوله في سورة النعام : (وقال لا تأخذن من عبادك نصيبا مفروضا ولا تأمنهم ولا تأمنهم فليبتكن آذان الأنعام ولا تأمنهم فليخبرن خلق الله) (٣) وقوله في الاعراف :

(١) سورة ص : ٧١ - ٨٥

(٢) سورة ص : ٨٢

(٣) سورة النعام : ١١٦

(قال فما أَغْوَيْتَنِي لَأُقَدِّمَنَّهُمْ لِيَهْمَ صِرَاطِكَ الْمُسْتَقِيمَ ، ثُمَّ لَا تَجِدُهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ
وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ) (١) ، وَمَا قَالَ فِي
سُورَةِ الْحَجْرِ : (قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا أَغْوِيَهُمْ أَجْمَعِينَ)
وَقَوْلِهِ فِي سُورَةِ الْأَسْرَاءِ : (قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرِهْتَ عَلَىٰ لَثَمَ أُخْتِ رَدِفَتِ الْأُخْتِ الْفَارِغَةَ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَأُحْتَكِنَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا) (٢) .

كُلُّ ذَلِكَ إِيمَانٌ مِنْ إِبْلِيسَ لَمَنْعِهِ اللَّهُ عَلَىٰ أَغْوَاءِ بَنِي آدَمَ ، وَقَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى :
(فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ) قَسَمٌ مِنْهُ سُبْحَانَهُ ، جَوَابُهُ : (لَا مَلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمَنْ
تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ) (٤) كَمَا أَقْسَمَ عَلَىٰ ذَلِكَ فِي آيَةِ أُخْرَى : (وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ
مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ) (٥)

ثُمَّ تَنْفِيزُ إِبْلِيسَ مَا قَطَعَهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ مِنَ الْمَهْدِ بِأَغْوَاءِ آدَمَ وَحَوَاءِ فَمَا حَكِيَ اللَّهُ
تَعَالَى بِقَوْلِهِ : (فَوَسَّسَ لَهَا الشَّيْطَانُ لِيَدِيَ لَهَا مَا وَوَرَىٰ عَنَّا مِنْ سَوَاءٍ تَهْمَا
وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكُوتًا أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ، وَقَاسَمَهُمَا
أَنِي لَكُمَا لِنِ النَّاصِحِينَ) (٦)

كُلُّ ذَلِكَ يَدُلُّ عَلَىٰ صِلَةِ الْقَسَمِ بِبَدَنِ الْخَلِيقَةِ ، وَانَّهُ أَقْدَمُ مِنْ أَنْ يَكُونَ مِمَّنْ
الْأَسَالِيبِ الَّتِي ابْتَكَرَهَا الْبَشَرُ فِي تَخَاطُبِهِمْ وَتَعَامُلِهِمْ عِبَلِ الصَّحِيحِ أَنَّهُ مِنْ حِكْمَةِ
خَالِقِ الْبَشَرِ وَرَادَتِهِ وَتَعْلِيمِهِ .

ثُمَّ أَنَّ هُنَا الْإِيمَانَ عَلَىٰ الْحَلْفِ بِمَا يَحْظُمُهُ الْحَافِلُ وَيَتَحَرَّزُ مِنَ الْحَنْثِ عَدِ
الْحَلْفِ بِهِ ، فَأَهْلُ كُلِّ مِلَّةٍ يَحْلِفُونَ بِمَا هُوَ عَظِيمٌ لَدَيْهِمْ فِي حُكْمِ دِيَانَتِهِمْ ، وَلَا خُفَاءَ
فِي أَنْ كُلٌّ مَحْتَرَفٌ لِلَّهِ تَعَالَى بِالرَّبِّيَّةِ مِنْ أَهْلِ الدِّيَانَاتِ يَحْلِفُ بِهِ ، سِوَا كَمَا
مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أَوْ مُشْرِكًا ضَرُورَةً اعْتَرَفَهُمْ بِالْوَهَيْتِهِ تَعَالَى وَلَا نَقِيَادَ إِلَىٰ رُبُوبِيَّتِهِ .
(٧)

(١) الْأَعْرَافُ : ١٧ (٢) الْحَجْرُ : ٢٩
(٣) الْأَسْرَاءُ : ٦٢ (٤) سُورَةُ ص : ٨٤ - ٨٥
(٥) السَّجْدَةُ : ١٣ (٦) الْأَعْرَافُ : ٢٠ - ٢١
(٧) صَبْحُ الْأَهْصَى لِأَبِي الْعِيَّاسِ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيٍّ الْقَلْقَشَنْدِيِّ : ٢٠٣/١٣

ولهذا كان الأصل فيما يقسم به الناس هو الله سبحانه وتعالى وذلك
جاءت الشرائع ، ففي ما حكى القرآن الكريم على لسان إبراهيم عليه الصلاة والسلام
قولسه سبحانه : (تالله لا أكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين) (١)

وجاء في سفر التكوين : (فقال إبراهيم لملك سدوم رفعت يدي إلى الرب إله
الملى مالك السموات والأرض لا آخذن لا خيطا ولا شركا نعل ولا من كل ما هو لك) (٢)
أي أقسمت بالله على ذلك وأشهدته وجاهدته ،

ثم دخل التحريف في الديانات وتبدلت الشرائع وأشرك بالله ما لم ينزل به
سلطانا فتعددت الأقسام بغير الله سبحانه وفيها حكى لنا القرآن منه قول سحره

فرعون قبل أن يؤمنوا : (فآلقوا حمالهم وعصيهم وقالوا بجمرة فرعون أنا لنحن الفضليون) (٣)

ومع انحراف المشركين عن فطرة الله وشركهم بالله ظل القسم بالله هو الأصل في
أقسامهم وإن تعددت أقسامهم بغيره جل وعلا ، كما قال أوس بن حجر : (٤)

والللات والمزى ومن دان دينها والله إن الله منهن أكبر (٥)
وقال عبيد بن الأبرص : (٦)

حلفت بالله إن الله ذو نعم لمن يشاء وذو غم وتصفاح (٧)

(١) الأنبياء : ٥٧

(٢) التكوين : ١٤ : ٢٢ - ٢٣

(٣) الشعراء : ٤٤

(٤) هو أوس بن حجر بن عتاب ، قال أبو عمرو بن العلاء كان أوس فحل مضر حتى
نشأ النابتة وزهير فأخمله ، (الشعر والشعراء لأبي محمد عبد الله بن
مسلم بن قتيبة الدينوري ص ٨٤) .

(٥) ديوان أوس بن حجر : تحقيق وشرح الدكتور محمد يوسف نجم ص ٣٦ ومجموع
البلدان (اللات) - الأصنام ١٧ .

(٦) هو عبيد بن الأبرص بن عوف بن جشم بن عامر بن مالك بن زهير بن مالك بن

الحارث بن ثعلبة بن دودان بن أسد ، وكان شاعرا جاهليا قديما من المعمرين
وشهد مقتل حجر أبي أمية القيس ، الشعر والشعراء ص ١١٩

(٧) ديوان عبيد بن الأبرص : ص ٤٩ (دار بيروت ط ١٣٧٧ هـ) .

وقد جمع أبو اسحاق إبراهيم بن عبد الله النجيري (١) أيمان أهل الجاهلية (٢) في كراسة دعاها (أيمان العرب في الجاهلية) وقد ذكر في مقدمته لها أن العرب كانت في الجاهلية على مذاهب في أيمانها ، وذلك على حسب عقيدتها ودينها ، فكان معظمها من يدين الله ، لذلك كان قسمها بالله تعالى ، والقسم به عدهم أعظم الأيمان ، ولذلك قال النابغة الذبياني : (٣)

(٤)
حلفت فلم أترك لنفسك ريباً وليس وراء الله للمرء مذاهب

ومن ذلك قولهم : عرك الله ومين الله وأمين الله وأيم الله وحرام اللسنة وأقسم بالله ، وما يؤيد قسم المشركين بالله تعالى ما جاء في القرآن : (وأقسموا بالله جهد أيمانهم ،) (٥) .

ولم تكف العرب بالقسم بالله تعالى أو بأصنامها المتعددة كاللات والعزى وناة الثالثة الأخرى بل أحدثت طرقاً وكلمات خاصة للتعبير بها عن عقد أيمانها وأحلافها ، التي يحتاجون إليها في كثير من شؤونهم لا سيما في الأمور المظيضة كالمهادنة بين قوم وقوم أو بين ملك وريسته أو بين أفراد الناس ليكونوا على ثقة بعضهم من بعض فعملوا الموافق من المخالف ويميزوا الولي من المدود .

(١) هو النحوي اللغوي ، أخذ عنه أبو الحسين المهلبى وجنادة اللغوى وجماعات بمصر ، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي ٤١٤/١ .

(٢) وانظر أيضاً في أيمان العرب : المخصص لابن سيدة : ١١٨/١٤ وذييل الأما لي والنوادير للقالى : ص ٥٠ - ٥١ وتخيرا الألفاظ لأحمد بن فارس : ص ٦٨ ، والمزهر للسيوطي : ١٦٨/٢ وصبغ الأضنى للقلشندى : ٢٠٣/١٣ - ٢٠٥ .

(٣) هو زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني وكنى أبا امامة وقال أبا امامة ، يقال كان أحسنهم ديباجة شعر وأكثروهم رونق كلام وأجزلهم بيتا كان شعره كلاما ليس فيه تكلف (الشعر والشعراء ٦١) .

(٤) ديوان النابغة : ٧٦ والشعر والشعراء ٦٢ وانظر أيمان العرب في الجاهلية لأبي اسحاق النجيري ، تحقيق محب الدين الخطيب ص ١٣ .

(٥) أيمان العرب للنجيري : ص ٢٥ ، ٣٤ ، والآية من سورة النور : ٥٣ وخطب : ٤٢

فقد عهروا عن القسم بأخذ اليمين ، وذكر بعض علماء اللغة أن العرب إنما سميت القسم يميناً لأن من عادتها في القسم أنها كانت إذا تحالفت ضرب كل امرئ من المتحالفين يمينه على يمين صاحبه ، أو أنهم كانوا يتماشون بأيمانهم فيتحالفون ومن هنا أطلقوا على القسم اليمين^(١) ، ولذلك قيل : (أعطاه صفقة يمينه على هذا الأمر) ثم سماوا الحلف يميناً على هذا المعنى ، وأثروا اليمين على تأنيث اليد ، فقالوا : حلف يميناً برة ويميناً فاجرة ،^(٢)

وقد ورد ذكر اليمين على لسان زهير بن أبي سلمى^(٣) فقال :
وان الحق مقطعه ثـلاث يمين أو نـفار أو جـلاء^(٤)

وقد جمع هذا البيت طرق أخذ الحق وأثباته عند الجاهليين ، فاما يمين واما منافرة وهي المحاكمة أو تناظر إلى رجل حاكم يتبين حجج الخصم ويحكم بينهم واما الجلاء أي الهيئة التي تجلو الشك والشبهة فتغنى عن اليمين وعن التحاكم ، كما أشهد أبو عبيد لزهير بن أبي سلمى ، ذكروا أنه أقسم فيه بمكة ، وهذا البيت هو :^(٥)
البيت هو :^(٦)

فتجمع أيماننا ونكـم بمقـمة تمور بهـا الدـماء

- (١) الصحاح للجوهري : ٢٢٢١/٦ وتاج السروس للزبيدي : ٣٧٢/٩ .
- (٢) أيمان العرب للنجيري : ص ٣٤ .
- (٣) هو زهير بن ربيعة بن قرظ صاحب المعلقة المشهورة ، والناس ينسبونه إلى مـزينة وإنما نسبته في عطفان ، جاهلي لم يدرك الإسلام ، (الشعر والشعراء : ٥١ - ٥٣) .
- (٤) ديوان زهير بن أبي سلمى : ص ٧٥ والشعر والشعراء لابن قتيبة ٥٢ وانظر أيضاً شرح ديوان زهير صنعة الأعلام الشنتمري : ص ١٣٨ .
- (٥) هو القاسم بن سلام - بتشديد اللام - أبو عبيد ، وكان امام أهل عصره في كل فن من العلم ، وله من التصانيف : فريب القرآن ، فريب الحديث ، معاني القرآن والامثال السائرة وغير ذلك ما تبمكة سنة ثلاث - أو أربع - وعشرين وأربعين عن سبع وستين سنة ، (بنية الوعاة ٢/٢٥٣ - ٢٥٤) .
- (٦) ديوان زهير بن أبي سلمى : ص ٧٨ ، وانظر أيضاً الصحاح ٢٢٢٢/٦ وابعده وتاج السروس ٣٧١/٩ - ٣٧٢ والجنى الداني في حروف المعاني للمرازي ص ٥٣٨ - ٥٣٩ .

قال الجوهري : وان جعلت اليمين ظرفا لم تجمه ، لأن الظرف لا تكاد تجمع

لأنها جهات وأقطار مختلفة الألفاظ .

وقد ذكر علماء اللغة أن (أَيْمَنَ) و (أَيْمَان) جمع (يمين) ، وأن
(أَيْمَنَ اللَّهُ) و (أَيْمُ اللَّهِ) و (أَيْمُ اللَّهِ) و (هَيْمُ اللَّهِ) و (أَيْمُ اللَّهِ)
و (مِ اللَّهِ) و (مِ اللَّهِ) و (مِ اللَّهِ) و (لَيْمُ اللَّهِ) و (لَيْمَنُ اللَّهِ)
من أدوات القسم التي أُتسم بها الجاهليون .

وقد ذكروا فيها عشرين لفظة حكى ابن مالك منها بضع عشرة ، والسبب في كثرة

تصرفهم فيها كثرة الاستعمال ، (١)

ومن اليمين اليمين الفموس وهي اليمين الكاذبة الفاجرة التي تقطع بها

الحقوق ، وعدت من أعظم الكبائر في الاسلام ، وصورتها أن يحلف الرجل وهو يعلم

أنه كاذب ليقطع بها حق غيره ، وقيل : الفموس هي أن يحلف على أمر ما أنه

كان ولم يكن ، (٢) وكانت العرب تحترز عن الايمان الكاذبة وتمتدح أنها تدع الديار

بلا قس ، (٣) والخوف من العاقبة السيئة التي تحل بحالف اليمين الكاذبة ، هي

التي ردت الجاهلين من الحلف كذبا ، ولذلك امتنعوا من الحلف وتجنبوه جهدا

امكانهم ، ويظهر أن الجاهلين كانوا يخافون جدا من القسم لا عقادهم أن الحانث

بالقسم هالك لا محالة ، ان لم يكن عاجلا فآجلا ، ولا زال الأعراب يخشون أداء اليمين

وهم يفضلون خسران قضيتهم على أداء اليمين .

(١) الصحاح للجوهري ٢٢٢١/٦ وما بعد ها والمخصص لابن سيده ١١٤/١٣-١١٥

وكتاب سيده تحقيق عبد السلام هارون ٤٩٩/٣ ٥٠٢/٣ ٥٠٤ ٥٥٠٤ وسر

صناعة الأعراب لابن جنى ١٣٢/١ وشرح ابن يمش للمفصل ٩٢/٩ وجمع

الهوامية - للسيوطي ٢٣٨/٤ .

(٢) ارشاد الساري للقسطلاني ٣٩١/٩ وأيمان العرب ص ٣١ وفي صحيح البخاري :

عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : الكبائر الأشراك بالله

وعقوق الوالدين وقتل النفس واليمين الفموس ، كتاب الأيمان والنذور بحساب

اليمين الفموس .

(٣) تفسير الفخبر الرازي : ١٩٣ / ٢٨ .

ونظرا الى ما للايمان من أهمية ومكانة وقدسية في نظر الحالف والشاهد صاروا اذا أرادوا القسم وأداء اليمين أذوها في مراسم مؤثرة وفي ظروف خاصة وفي مكان ذي قدسية في النفوس وحضور كهان أو أناس لهم منزلة ومكانة حتى يكون للقسم روح وهيبة تتناسبان مع مكانته وقدسيته عدهم .

والغالب عند مستد الايمان عقدها على النار ، ليلقى الروح في نفس الحالف فلا يحلف كذبا ولا يتجرا على الائم بأداء اليمين باطلا ولهذا سموها (نار المهول) أو (نار الهولة) (١) وفي هذا المعنى جاء في قول الشاعر أوس بن حجر : (٢)
اذا استقبلته الشمس صد بوجهه كما صد عن نار المهول حالف (٣)

(١) المفضل في تاريخ العرب قبل الاسلام للدكتور جواد علي : ٥١٨/٥ - ٥١٩

وقال ابن دريد : التهول شيء كان يفعل في زمن الجاهلية اذا أرادوا أن يستحلفوا الرجل أو قدوا نارا وألقوا فيها ملحاً ، والذي يحلف المهول ، انظر المخصص لابن سيده ١١٥/١٣ ، وفي الصحاح : التهول : التفزع وهول القوم على الرجل ، قال أبو عبيدة : كان في الجاهلية لكل قوم نار وعليها سدنة ، فكان اذا وقع بين رجلين خصومة جاء الى النار فيحلف عدها وكان السدنة يطرحون فيها ملحاً من حيث لا يشعر ، يهولون بها عليه ، ثم ذكر بيت أوس بن حجر المذكور ، واسم تلك النار الهولة بالضم ، انظر الصحاح للجوهري ١٨٥٥/٥ .

(٢) هو أوس بن حجر (بفتح الحين) بن معسبد بن حزن بن خلف بن نعيم بن

أسيد بن عمرو بن تميم بن مر التميمي ، كذا في ديوانه ، شاعر جاهلي ذكره أبو عبيدة من الطبقة الثالثة وقرنه بالحطيئة ونابغة بنى جمده .
شرح شواهد المغنى للسيوطي ١١٦/١ .

(٣) ديوان أوس بن حجر ، تحقيق وشرح : الدكتور محمد يوسف نجم ص ٦٩ ،

وهو في الصحاح ١٨٥٥/٥ والبيان والتميين ٧/٣ .

وكانوا في الجاهلية اذا تحالفوا وتعاهدوا أو قدوا نارا على نحو ما ذكرت وتحالفوا
عندها ، فيتصافحون ويقولون : (الدم الدم ، والهدم الهدم) والمعنى دماؤنا
دماؤكم وهدمنا هدمكم ، أى فما هدم لكم من بناء أو شأن فقد هدم لنا ، وما أربى
لكم من دم فقد أربى لنا ، ميلوننا من نصرتكم ما يلزمتنا من نصرة أنفسنا (١)
وكان من شأنهم أحيانا اذا تحالفوا أن يغمسوا أيديهم في الماء اذا كانوا
كثيرين فكانهم أخذ بعضهم يد بعض وأجمعوا أمرهم بما مسهم شيء واحد (٢)
وربما أخذوا عطرا فأقسموه بينهم ومسحوا به أيديهم فراحوا وبعثه بهم
فهو أبقى من الماء وأشهر وأعرف ولذا سموه عرفا وثمرا ، ومن أمثلة هذا الطريق
لمعاهدتهم ما نرى في قصة عطر منشم (٣) وهي أن قوما تحالفوا على أن يقاتلوا عدوهم
وجعلوا آية الحلف تعاطى عطر ابتاعوه من عطارة تسمى منشم ، وقصة هذا الحلف
مشهورة حتى جرى به المثل (٤) قال زهير بن أبي سلمى (٥) :

تداركنا عسا وذبيان بعدد ما تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم
وربما تماقدوا وتعاهدوا وتحالفوا بغمس أيديهم في جفنة مملوءة طيبا كما نرى
ذلك في قصة حلف المطيبين الذي كان قبيل الهجرتة حين أرادت بنو عبد مناف
أن يجمعوا أمرهم فوضعوها جفنة طيب لا حلافهم هدم الكعبة ، فغمس القوم أيديهم

(١) الفصل في تاريخ العرب : ٥١٩/٥

(٢) إمعان في أقسام القرآن للامام عبد الحميد الفراهي ص ١٥ - ١٦ .

(٣) قال الأصمعي : هي امرأة كانت تهيج المطر وكانوا اذا قصدوا الحرب غمسوا
أيديهم في طيبها وتحالفوا بالاستماتة في الحرب ، وقيل غير ذلك ، انظر
كتاب جمهرة الامثال لأبي هلال العسكري ٤٤٥/١ والمستقصى في أمثال

العرب للزهري ١٨٤/١ - ١٨٥ .

(٤) إمعان في أقسام القرآن ص ١٦

(٥) ديوان زهير بن أبي سلمى : ٧٩

ثم مسحوا بها الكعبة توكيدا على أنفسهم فمسوا (المطيين) وعرف الحلف به :
(حلف المطيين) وكان النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضي الله عنه منهم (١)
وكان من شأنهم اذا تحالفوا أن يغمسوا أيديهم في الدم ، كالذي كان من
أمر حلف (لعقة الدم) حيث غزا المتحالفون أصابعهم في جفنة مملوءة دما ثم لمقوها
فمسوا لعقة الدم (٢) ، وروى الطبري (٣) في قصة هدم الكعبة وثناءها من جديد
قال : ٠٠٠ حتى اذا بلغ البنيان موضع الركن اختصوا فيه ، كل قبيلة تريد أن ترفعه
الى موضعه دون الأخرى ، حتى تجاوزوا وتحالفوا وتواعدوا للقتال ، فقويت بينه
بعد الدار جفنة مملوءة دما ، ثم تعاقدوا هم ونو عدي بن كعب على الموت ،
وأدخلوا أيديهم في ذلك الدم في الجفنة فمسوا لعقة الدم بذلك (٤)
وربما ذهبوا بهيمة ورشوا دما على أجسام الفريقين من الحلفاء ، علامة لموالاتهم
الى حد القرابة أو لثباتهم على الحلف حتى يسيلا مهجهم ، وقد تشابهت الأمة
العبرية بالأمة العربية في هذه الطريق من التحالف ، جاء في سفر الخروج :

-
- (١) السيرة النبوة لابن هشام ١٣٠/١-١٣٢ والكامل في التاريخ لابن الاثير ١/٤٥٣-٤٥٤
ولسان العرب ٥٣/٩-٥٤ ، روى الامام احمد في مسنده بسنده
عن عبد الرحمن بن عوف عن النبي صلى الله عليه وسلم قال شهدت حلف المطيين
مع عوفتي وأنا غلام ، فما أحب أن لي حمر النعم واني أتكته ، قال الزهري
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يصب الاسلام حلفا الا زاده شدة ، ولا
حلف في الاسلام ، وقد ألف رسول الله صلى الله عليه وسلم بين قريش
والانصار ١٩٠/١ و ١٩٣ وانظر أيضا مختصر ميرة الرسول للشيخ عبد الله
ابن محمد بن عبد الوهاب ص ١٢ وامتع الاصماع لتقي الدين احمد بن علي
المقريزي ١١/١ ، ٠ ، وأبو بكر هو عبد الله بن همام بن عامر القرشي التميمي أبو
بكر الصديق بن أبي قحافة خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولد بعد الفيل
بستين وستة أشهر وتوفي يوم الاثنين في جمادى الاولى سنة ثلاث عشرة من الهجرة
وهو ابن ثلاث وستين سنة (وفيات الاعيان لابن خلكان ٦٤/٣ والاصابة في تمييز
الصحابة لابن حجر ٣٤١/٢ ، رقم ٤٨١٧) .
- (٢) كتاب الاغانى للأصبهاني ١٥١/٤ و ٢٦/٧
- (٣) هو أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري (٢٢٤-٢٣١هـ)
صاحب تفسير (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) والتاريخ الشهير ، كان اماما في
فنون كثيرة منها التفسير والحديث والفقه والتاريخ (وفيات ١٩١/٤) ، وطبقات
المفسرين للسيوطي ٩٥-٩٧ والاعلام ٦٩/٦) .
- (٤) تاريخ الرسل والملوك لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ٢٨٩/٢-٢٩٠ .

(فجا موسى وحدث الشعب بجميع أقوال الرب وجميع الأحكام ، فأجاب جميع الشعب بصوت واحد ، وقالوا كل الأقوال التي تكلم بها الرب نفعل ، فكتب موسى جميع أقوال الرب ، وكفر في الصباح ونى مذبحا في أسفل الجبل واثنى عشر عبدا لأسياط اسرائيل الاثنى عشر ، وأرسل فتيان بني اسرائيل فأصعدوا محرقات وذبحوا ذبائح سلامة للرب من الثيران ، فأخذ موسى نصف الدم ووضعه في الطموس ونصف الدم رشه على المذبح ، وأخذ كتاب العهد وقرا في سامع الشعب ، فقالوا : كل ما تكلم به الرب نفعل ونسمع له ، وأخذ موسى الدم ووش على الشعب ، وقال هوذا دم العهد الذي قطعه الرب معكم على جميع هذه الأقوال ، (١)

فترى في هذا الحلف أنهم عاهدوا الرب برش الدم على أنفسهم وعلى المذبح نيابة عن الرب ، فصاروا حلفاء للرب ، وهذا كثير ، وجاء في سفر زكريا : (فاني بدم عهدك قد اطلقت أسراك) (٢)

وقد يعقد الحلف في بيت أو في معبد أو يعقدونه على طعام يجتمعون عليه ثم يعمدون الى عقد الحلف بمراسيم خاصة كالذي كان من أمر (حلف الفضول) حيث اجتمعت بطون قرشي ليتحالفوا في دار عبد الله بن جدعان (٣) على رد المظالم بمكة وأن لا يظلم أحد الا ممنوعه وأخذوا للمظلم حقه وهمد أن أكل الحاضرون الطعام عدا الى ماء من ماء زهم فجعلوه في جفنة ثم غسلوا به أركان البيت وجمعوا ماء الفخيل في تلك الجفنة ثم أتوا به فشربه وذلك تم عقد الحلف ، وصاروا جبا على المتحالفين وعرف هذا الحلف بـ (حلف الفضول) (٤)

(١) سفر خروج : ٢٤ : ٣ - ٨

(٢) سفر زكريا : ٩ : ١١

(٣) عبد الله بن جدعان التيمي جد علي بن زيد بن جدعان قرشي مشهور واسم جده عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة ، مات قبل الاسلام وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم شهدت مأدبة في دار ابن جدعان وقد مدحه أمية بن أبي الصلت بأبيات مشهورة وراثه لما مات (الاصابة ٢٨٨/٢) .

(٤) السيرة النبوية لابن هشام ١٣٣/١ - ١٣٥ ، والكامل في التاريخ لابن الاثير :

٤١/٢ - ٤٢ والطبقات لابن سعد ١٢٨/١ .

وربما وصل بعضهم حبله بحبل الآخر فصار من حلفائه حتى صار الحبل
اسما للمهد والذمة وعند الجوار (١) كما جاء في القرآن الكريم : (ضربت
عليهم الذلة أين ما ثقفوا الا بحبل من الله وحبل من الناس) (٢) وقال
امروء القيس : (٣)

اني بحملك واصل جلي وريش نهلك رائش نيلسي (٤)
وذكر الحطيئة (٥) أصل ذلك فقال :

قوم بييت قريو المين جارهم اذا لوى بقوى أطنابهم طنبا (٦)
فهذه طرق تأكيد عقودهم بين فريقين ومن الفريقين ، وربما جعلوا
على أنفسهم : حبا واجبا تبرعا من أنفسهم و عدا على شرط أو حرما عليهم بعض
المشتميات حتى يفعلوا بعض ما أوجسوا على أنفسهم وسموه نذرا ، كما نذر
المهلل (٧) أخوكليب أن لا يشرب الخمر ولا يمس الطيب ولا يرجل شمره حتى

-
- (١) انظر لسان العرب ١١/١٣٥ .
(٢) آل عمران ١١٢
(٣) هو امروء القيس بن حجر بن الحارث بن عمرو بن حجر الكندي ، قال لبيد بن
ربيعة أشعر الناس ذو القروح يعني أمرا القيس (الشعر والشعراء ٣٦) .
(٤) ديوان امرئ القيس : ص ١٥٣
(٥) هو جرول بن أوس من بني قطيعة بن عيس ، ولقب الحطيئة لقصره وقومه من
الأرض وكنى أبا مليكة ، وكان راية زهير ، وهو جاهلي أصلا من أسلم
بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم . (الشعر والشعراء ١٤٨) .
(٦) ذكر هذا البيت في مخطوطتي القاهرة برواية السكري ، ولم يذكر في مخطوطة
عاطف أفندي ، انظر ديوان الحطيئة : ص ١٣٤ بتحقيق ضامن أمين طه .
(٧) هو عدي بن ربيعة أخوكليب وائل وخال امرئ القيس ، الذي هاجمت
بمقتله حرب بكر وتغلب وسمى مهلهلا لأنه هلهل الشعر أي أرقسه
وقال أنه أول من قصد القصائد .
(الشعر والشعراء ١٣٤) .

بأخذ بثأر أخيه ، وكذلك أمر^{فعل} القيس وقال بعد ما حمل نذره :

حلت لى الخمر وكنت امـ^{رأ} عن شوبها في شغل شاغل^(١)

وشبه النذر دعوتهم على أنفسهم أو الزامهم اياها سو^ا ان كانوا كاذبين في خير

أو وعد ، كما قال معدان بن جواس الكندي : (٢)

ان كان ما بلفت عنى فلامنى صديقي وشلت من يدي الانامل

وكفنت وحدي منذرا في ردائه وصادف حوطا من أعادى قاتل^(٣)

وكما قال النابغة الذبياني يعتذر للنممان بن المنذر : (٤)

ماقلت من سي^ء مما أتيت به اذن فلا رفعت سوطي السى يدي

اذن فعاقبنى ريس معاقبة تقر بها عن تأتوك بالحمـ^(٥)

ومثله ما قاله الاشر النخعي : (٦)

بقيت وفرى وانحرفت عن الملى ولقيت أضيافي بوجه عـ^{وس}

(٧)

ان لم أشن على ابن حرب فارة لم تخل يوما من نهاب نفـ^{وس}

(١) ديوان امرى القيس : ص ١٤٩

(٢) هو معدان بن جواس بن فروة بن سلمة بن المنذر بن المضرب المكني ثم الكندي ، شاعر مخضرم ، أدرك الجاهلية والاسلام كان نصرانيا وأسلم في أيام عمر بن الخطاب (الاعلام لخير الدين الزركلي ٢٦٦/٧) .

(٣) ديوان الحماسة لأبي تمام ٢٠/١

(٤) هو النممان بن عمرو بن المنذر الفصاني من ملوك آل غسان في الجاهلية الاعلام للزركلي ٣٨/٨

(٥) ديوان النابغة الذبياني تحقيق شكري فيصل : ص ٢٠ - ٢١ وفيه : ما ان ندبت بشي أنت تكرهه ، وانظر أيضا ديوان النابغة جمع وشرح : محمد الطاهر ابن عاشور ، ص ٨٦ وفيه : " بالفند " مكان " بالحصد " .

(٦) هو مالك بن الحارث بن عبد يفيث النخعي المعروف بالأشتر كان من الشجعان والأبطال المشهورين وهو من خواص أصحاب علي رضي الله عنه وشهد يوم الجمل وأيام صفين معه ، وفاته في الاصلبة سنة ٣٨ هـ .

وفيات الاعيان ١٩٥/٧ الاصلبة : ت ٨٣٤١ ومعجم الشعراء للمزني ٢٨ ، والاعلام للزركلي ٢٥٩/٥ .

(٧) ديوان الحماسة لأبي تمام ٦٨/١ وانظر امعان في أقسام القرآن ص ١٧ - ١٨

وربما كفوا عن شيء من غير شرط وسموه (أليه) ومنه الأيلاء، وهو القسم على ترك المرأة مدة مثل شهر أو سنة أو سنتين أو أكثر لا يقترب في خلالها منها، فيدعها لا أيما ولا ذات بعلم، فلما كان الإسلام جعل ذلك للمسلمين أربعة أشهر، وهو قوله عز وجل: (للذين يؤثرون من نعمائهم ترض أربعة أشهر فإما فاءوا فان الله غفور رحيم، وان عزموا الطلاق فان الله سميع عليم) (١)

وإذا ترك الشخص (اللام) التي هي آلة القسم صار يمينه بمنزلة النفي للفعل كقوله: (ألى فلان يفعل) و (ألى يفعل) و (أليت أفعل) فهو قسم على ترك الفعل، لأن اليمين بمنزلة النفي للفعل حتى يأتي باللام التي هي أداة القسم كقولك: (أليت لأفعلن) و كذلك قولك: والله أفعل وأقسمت أفعل، وهذا ما يخالف به ويجوز على كثير من الناس (٢)

(٣)
وربما استعملوا لام التأكيد وقالوا لأفعلن أو مثله، كقول لبيد بن ربيعة:
ولقد علمت لتأئين مني متى ان المنايا لاتطيش سهامها (٤)

-
- (١) البقرة ٢٢٦ - ٢٢٧ وانظر أيضا كشاف القناع عن متن الإقناع للعلامة منصور بن يونس الههوتي: ٣٥٣ / ٥ .
(٢) إيمان العرب للنجيري ص ٣٨
(٣) هو لبيد بن ربيعة بن مالك، أبو عقيل العامري: أحد الشعراء الفرسان الإشراف في الجاهلية، وهو أحد أصحاب المعلقات، أدرك الإسلام ووفد على النبي صلى الله عليه وسلم (الشعر والشعراء ١٢٣ والأعلام ٢٤٠ / ٥) .
(٤) وجدت في ديوانه هذا البيت هكذا:

صادفن منها غرة فأصبتها ان المنايا لاتطيش سهامها
وروى: صادفن منه، والشطر الأول من هذا البيت مروى عند سيبويه على نحو قريب هكذا: ولقد علمت لتأئين مني الخ، انظر شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري بتحقيق الدكتور احسان عباس ص ٣٠٨ .

قال سيده رحمه الله (١) كأنه قال : (والله لتأتين) (٢) وأنا قال
هذا على طريق التمثيل ، فانه رحمه الله أراد أن ههنا يمينا ،
كما قال في ذكر لام القسم : " ومثل ذلك (لمن تمكك منهم لا ملأن
جهنم منكم أجمعين) (٣) : " انما دخلت اللام على نية اليمين ، والله أعلم (٤)
فلم يرد أن ههنا قسما بشيء بل المراد أن مجرد قوله تعالى : (لا ملأن)
يمين ، وذلك لأن القسم ليس الا التأكيد ، ولا تحتاج الى تقدير المقسم به
في كل موضع ، وعلى هذا الأصل كل ما ترى في القرآن من لام اليمين (٥) .
فهذه طرق الحلف واليمين عند العرب وغيرهم ، وكل ما ذكرت من تعبيراته
المختلفة يدل على أن الأصل في القسم التوكيد والزمام النفس بفعل أمر أو تركه
ولا يشترط أن يكون حلفا بمعظم أو يقصد به تعظيم المقسم به . والله أعلم ،

* * *

-
- (١) هو عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء ، أبو بشر الملقب بسيداه امام النحاة
وأول من بسط علم النحو ، بمسألة الوطاة ٢٢٩/٢ والاعلام ٨١/٥ .
(٢) الكتاب لسيداه ١١٠/٣ (تحقيق عبد السلام هارون) .
(٣) سورة الاعراف : ١٨
(٤) الكتاب لسيداه : ١٠٨/٣
(٥) ايمان في أقسام القرآن ص ١٨ - ١٩

الباب الأول

ويشتمل على ثلاثة فصول:

(الفصل الأول): في تعريف القسم لغة واصطلاحاً

ومقاصده وأحواله .

(الفصل الثاني): في أركان القسم .

(الفصل الثالث): في أنواع القسم .

الباب الاول

أركان القسم وأنواعه

ويشتمل على ثلاثة فصول:

الفصل الاول : القسم في اللقمة : وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول:

تعريف القسم لقمة واصطلاحها :

القسم بالتحريك : اليمين ، وكذلك المقسم وهو الصدر مثل الخُرج ،

والجبع أقسام . وقد أقسم الله واستقسمه به وقاسمه : حلف له ، وتقاسم القوم :

تحالفوا ، وفي التنزيل : (قالوا تقاسموا بالله لنيئته وأهله ثم لنقولن لولييه

ماشهدنا مهلك أهله وأنا لصادقون) (١)

وأقسمت : حلفت (٢)

وأصله من القسامة ، وهي الأيمان تقسم على أولياء القتل إذا ادعوا

دم مقتولهم على ناس اتهموهم به (٣) والقسامة اسم من الاقسام وضع موضع الصدر

(١) سورة النمل : ٤٩

(٢) لسان العرب لابن منظور : مادة قسم : ٤٨١/١٢ والصاح للجوهري

٢٠١٠/٥ - ٢٠١١ .

(٣) انظر معجم مقاييس اللغة لاحمد بن فارس : ٨٦/٥ والصاح للجوهري : ٥/٥

٢٠١٠، وحقيقة القسامة أن يقسم من أولياء الدم خمسون نفرا على استحقاتهم

دم صاحبهم إذا وجدوه قتيلا بين قوم ، ولم يعرف قاتله فان لم يكونوا

خمين أقسم الموجودون خمسين يمينا ، ولا يكون فيهم صبي ولا امرأة ،

ولا مجنون ولا عبد ، أو يقسم بها المتهمون على نفي القتل عنهم ، فان حلف

المدعون استحقا الدية وان حلف المتهمون لم تلزمهم الدية ، انظر النهاية

لابن الاثير ٦٢/٤ وتهذيب اللغة للازهري ٤٢٠/٨ وكتاب جمهرة اللغة

لابن دريد ٤٢/٣ .

ثم يقال للذين يقومون (قسامة) (١)

وقيل في وجه تسمية الأيمان بالقسامة ، لأن استعمال الأيمان مجزأة على أولياء الدم كان مناسباً لأصل مادة (قسم) الدال على التجزئة ، وعلى هذا سميت الأيمان أقساماً واليمين قسماً ، وصار القسم اسماً لكل حلف (٢) وقد أشار إلى هذا ابن يعين (٣) في شرحه حيث قال : وأصله (أى القسم) من القسامة وهي الأيمان ، وقيل لها ذلك لأنها تقسم على الأولياء في الدم ، (٤)

وقال الواحدى (٥) : إنما سمى اليمين بالقسم لأن اليمين موضوعة لتوكيد

الخير الذى يخبر به الانسان اما مثبتاً للشيء واما نافية ولما كان الخير يدخله الصدق والكذب احتاج المخبر الى طريق به يتوصل الى ترجيح جانب الصدق على جانب الكذب ، وذلك هو الحلف ، ولما كانت الحاجة الى ذكر الحلف اسماً

تحصل عند انعام الناس عند سماع ذلك الخبر الى صدق به وكذب به مما

الحلف بالقسم ، ونحو ذلك الصيغة على (أفعل) فقالوا : أقسم فلان يقسم أقساماً ،

(١) لسان العرب : مادة قسم .

(٢) القسم والشرط في القرآن الكريم للدكتور عبد المنيز اللهب ص ٢ .

(٣) هو يعين بن على بن يعين بن أبي العوايا محمد بن على أبو الهيثم مؤسس

الدين الأندلسى المعروف بابن يعين وابن الصائغ من كبار العلماء بالصوية

(٥٥٣ - ٦٤٣ هـ) . بنية الوطاة ٣٥١/٢ - ٣٥٢ والاعلام ٢٠٦/٨

(٤) شرح المفصل لابن يعين : ٩٠/٩

(٥) هو على بن احمد بن محمد بن على بن متوية أبو الحسن الواحدى ، مفسر

علم بالادب ، وله كتاب أسباب النزول ، مات سنة ٤٦٨ هـ .

بنية الوطاة ١٤٥/٢ ، والاعلام ٢٥٥/٤ .

وأرادوا أنه أكد القسم الذي اختاره أو أحال الصدق الى القسم الذي اختاره
بواسطة الحلف واليمين . (١)

وقال الامام عبد الحميد الفراهي (٢) : وأما القسم فهو في أصله للقطع
ومنه قسمت الشيء وقسمته ، والقطع يتمم لنفى الريب والشبهة ولذلك شواهد
كالصريمة والجثم والقول الفصل والابانة والصدع والقطع ، فهذا هو الأصل
ثم اختص القسم من بين هذه الالفاظ بشدة الفصل بالقول ، واستعماله من باب
الافعال لخاصية الهالفة كقولهم (أسفر الصبح) (٣)

ولا يلزمه أن يكون له مقم به سواء كان على خبر أو غد كما قال طرفه (٤)
في معلقته : (٥)

كقنطرة الرومي أقسم وههنا لتكتفن حتى تشاد بقمرمد

(١) تفسير الفخر الرازي ١٣/١٥٠

(٢) هو عبد الحميد الانصارى الفراهي من كبار علماء الهند ، قضى أكثر عمره
في تدبر القرآن والنظر فيه وجمع علومه ، وكان يعتقد أن القرآن مرتب بيان ومنسق
النظام آياته ، وكل ما تقدم وتأخر من سورة وآية بنى على الحكمة والبلاغة ورواية
مقتضى الكلام فلو قدم ما أخروا ، كما قدم ليهطل النظام وضعت بلاغة الكلام ،
خلف من آثار خاطره ونتائج أفكاره علوما لا تفتى ، منها تفسيره الذي سماه
نظام القرآن وتفسير الفرقان بالفرقان (غير كامل) ، ودلائل النظام والتكميل
في أصول التأويل وأساليب القرآن وجمهرة البلاغة وما لم يذكره أكثر مما ذكرت
ولد سنة ١٢٨٠ هـ وتوفي سنة ١٣٤٩ هـ انظر ترجمته في آخر كتابه (ابعان
في أقسام القرآن) .

(٣) لعله أراد رحمه الله أن الفعل اذا جاء من باب الافعال وهو لانم غير متعد
يقصد به الهالفة ، والله أعلم .

(٤) هو طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد ، الهكري الوائلي ، أبو عمرو ، شاعر
جاهلي من الطبقة الاولى ، (نحو ٨٦ - ٦٠ ق هـ) الاعلام ٣/٢٢٥ .

(٥) جمهرة أشعار العرب : ص ١٥١ .

(١) وهذا كثير في كلام العرب ، قالت جنوب اخت عمرو ذى الكلب الهذلية
في مرثيتها المشهورة : (٢)

فأقسمت يا عمرو لو نههـاك اذا نهها منك أمرا عـسالا
وقالت خرنق : (٣)

(٤)
ألا أقسمت آسى بعد بشر على حى يموت ولا صديـق
(٥)
وجاء في القرآن الكريم : (أهولاء الذين أقصمت لا ينسالهم الله برحمة)
ومنه قوله تعالى : (وقاسمها انى لكما لمن الناصحين) (٦)

فان قيل ان المقسم به مقدر وهو الله تعالى ، قلنا ان أردت الاحتمال فلا تنكره ،
انما قولنا انه غير لائم ، فلقد رأينا أن القم يكون بالله تعالى وغيره ، وربما يكون
مجردا عن المقسم به ، وحينئذ لا يراد به الا التأكيد والجنم المحض ،
وأما الحلف فمعناه القطع والحدة فيشابه كلمة القم ، يقال : منان حليـف
أى قاطع ولسان حليـف أى حديد ذلق ، وعند الأزهري (٧) هذا مأخوذ من الحلف :

-
- (١) لم يعرف عنها سوى أنها أخت عمرو ذى الكلب ، ولم يؤثر من شعرها سوى قصائد قليلة (موسوعة الشعر العربي ، الشعر الجاهلي ٤ / ٥٢٥) .
 - (٢) ديوان الهذليين ٣ / ١٢١ وانظر أيضا كتاب شرح ديوان الهذليين لأبي سعيد الحسن بن الحسين السكري ٢ / ٥٨٣ .
 - (٣) هي الخرنق بنت بدر بن هفان بن مالك ، من بنى ضبيعة البكرية العدنانية شاعرة ، من الشهيرات في الجاهلية وهي أخت طرفه بن العبد لأمه . الاعلام ٢ / ٣٠٣ ، شاعرات العرب ٩٢ .
 - (٤) انظر معجم البلدان : ٤ / ٣٨٥ وفيه : لقد أقسمت آسى بعد بشر ، وخزانة الأدب : ٢ / ٣٠٧ وفيها : (لا وأبيك آسى بعد بشر) .
 - (٥) الأعراف ٤٩
 - (٦) الأعراف ٢١
 - (٧) هو محمد بن أحمد بن الأزهر بن طلحة بن نجح الهروي ، أبو منصور أحمد الأئمة في اللغة والأدب ، (٢٨٢ - ٣٧٠ هـ) بغية الوعاة ١ / ١٩ - ٢٠ والاعلام ٥ / ٣١١ .

وهو نهايات أطرافه محددة (١) فقولهم : حلف على أمر كقولهم : قطع به ، وهذا هو الأصل ثم اختص مثل القسم بشدة الفصل والجنم في القول ، ولذلك لا يلزمه المقسم به ، إلا ترى أنهم إذا عقدوا المولاة بينهم بأي طريق كانت سموا " حلفاء " وان لم يحلفوا فيها بشيء ، (٢)

فتبين مما ذكرنا أن الحلف مثل القسم ، وربما يكون مجردا عن المقسم به ، وحينئذ لا يراد به إلا الجنم والتأكيد المحض ، ومن ذلك قوله سبحانه : (وليحلفن ان أردنا الا الحسنى) (٣) وقوله : (يحلفون لكم لترضوا عنهم) (٤) وقوله : (ويحلفون على الكذب وهم يعلمون) (٥) وقوله سبحانه : (يوم يمشهم اللسنة جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم) (٦) ومنه قول جميل : (٧)
حلفت يميننا يا بشينة صادقا فان كنت فيها كاذبا فميميت (٨)

(١) تهذيب اللفظة للازهري : ٦٩/٥

(٢) امعان في اقسام القرآن للفراهي ص ٢٠ - ٢١

(٣) التوبة ١٠٧

(٤) النساء ٩٦

(٥) المجادلة ١٤

(٦) المجادلة ١٨

(٧) هو جميل بن عبد الله بن ميمر المذري القاضي ، أبو عمرو ، شاعر من هاشم العرب ، افتتن ببشينة من فتيات قومه ، فتناقل الناس أخبارهما ، مات سنة ٨٢ هـ . الاعلام : ١٣٨/٢ .

(٨) ديوان جميل ببشينة : ص ٩٧ .

المعنى الاصطلاحي للقسم والحلف:

ومعنى القسم في الشرع تحقيق الخبر وتوكيده بذكر اسم الله تعالى أو صفة من صفاته ، أو هو عقد يتقوى بها الحالف على الامتناع من المرهوب وعلى التحصيل في المرغوب . (١)

واليمين والحلف والايلاء والقسم بمعنى واحد ، كثيرا ما يفسر أحدهما بالآخر وقلما تفرق بينهما المعاجم .

البحث الثاني : ألفاظ كثر استعمالها للقسم :

وهناك كلمات كثر استعمالها للقسم وهي في أصلها لم توضع للقسم بالله أو بشعائره أو لشيء آخر ، وهذه الكلمات هي اليمين والنذر واللائية والشهادة .
فأما (اليمين) : فهي اليد المقابلة لليد اليسرى وسمي بها الحلف والقسم لأنهم كانوا إذا تحالفوا أخذ كل يمين صاحبه كما مر ، وقيل : لأنها تحفظ الشيء كما تحفظه اليمين ، لأنها تضمن معنى الضمانة والكفالة كما يظهر في أخذ اليمين للبيعة وصدق اليد في البيع والشراء . (٢)

وقيل اليمين : القوة مقال الله تعالى : (لَأُخَذْنَ مِنْهُ بِالْيَمِينِ) (٣) وقال الشماخ : (٤)

رأيت عرابة الأوس يمسو — الى الخيرات منقطع القريسن
إذا ما راية رفعت لهجد — تلقاها عرابة باليمين (٥)

- (١) كتاب بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع لابي بكر الكاساني ٢/٣
- (٢) انظر الصحاح للجوهري : ٢٢٢١/٦ وتاج المروس ٢٧١/٩ - ٢٧٢ وامعان للفراهي ص ١٥ .
- (٣) الحاقصة : ٤٥
- (٤) هو الشماخ بن حزار بن حملة بن سنان المازني الذبياني الشططاني شاعر مضمحل ، أدرك الجاهلية والاسلام ، وهو من طبقة لبيد والناطقة ، توفي في غزوة موغان ٢٢ هـ ، الاعلام ١٢٥/٣ .
- (٥) ديوان الشماخ ٣٢٥ - ٣٢٦ تحقيق صلاح الدين الهادي ، وانظر الصحاح للجوهري ٢٢٢٠/٦ والامالي الشجرية ١٦٥/٢ .

وفي الشرع : تحقيق الأمر أو توكيده ، بذكر اسم الله تعالى أوصفة من صفاته ،
أو هي عبارة عن عقد يقوى به الحالف عزوه على الفمّل أو الترك (١) ، وسمى هذا
العقد بها لأن العزيمة تتقوى بها ، وهي مشروطة ، لأن الله تعالى أقسم وأمر نبيه
صلى الله عليه وسلم بالقسم فقال : (قل أي وربي انه لحق) (٢) ولأن فيها تمظيم
أسماء الله تعالى وصفاته ، وأقسم عليه الصلاة والسلام (لا أعزّون قريشا) (٣) وقوله
عليه السلام : (اني والله ان شاء الله لأحلف على يمين فأرى غيرها خيرا منها الاكفرت
عن يميني وأتيت الذي هو خير) متفق عليه (٤)

والصحابة رضي الله عنهم كانوا يقسمون فكانت ثابتة بالكتاب والسنة والاجماع ،
واليمين بغير الله تعالى أيضا مشروع وهو تعليق الجزاء بالشرط نحو قولك (ان دخلت
الدار فانت طالق) وهو ليس يمين وضعها وإنما هي يمين عند الفقهاء لحصول معنى
اليمين بالله وهو الحمل أو المنع (أي على المحلوف عليه) .

واليمين بالله تعالى لا يكره ، وتقليله أولى من تكثيره ، واليمين بغيره مكروه
عند الهمض للنهي الوارد فيه (من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت ٠٠٠ الحديث) (٥)

(١) كشف القناع ٢٢٨/٦ وفقه السنة للسيد سابق ٦/٣

(٢) يونس : ٥٣

(٣) رواه أبوداود في سننه عن عكرمة مرفوعا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
والله لا أعزّون قريشا ثلاثا ثم قال ان شاء الله ، كتاب الأيمان ، بسبب
الاستثناء في اليمين بعد السكوت ٢٠٧/٢ .

(٤) صحيح البخاري : كتاب الأيمان والندور ١٥٩/٨ صحيح مسلم كتاب الأيمان
باب من حلف يمينا فرأى غيرها خيرا منها أن يأتي الذي هو خير وكفر عن
يمينه ١٢٦٩/٣ - ١٢٧٤ .

(٥) صحيح البخاري كتاب الأيمان والندور باب لا تحلفوا بأبائكم ١٦٤/٨
صحيح مسلم ، كتاب الأيمان ، باب النهي عن الحلف بغير الله ١٢٦٦/٣ -
١٢٦٧ .

وعد عامتهم لا يكره لأنه يحصل بها الوثيقة لا سيما في زماننا . (١)
وقال الجرجاني : (٢) معناها في الشرع تقوية أحد طرفي الخبر بكسر
الله تعالى أو التعليق ، فان اليمين بخير الله ذكر الشرط والجزاء ، حتى لو حلف
أن لا يحلف وقال : ان دخلت الدار فعبدي حر ، يحنث ، فتحريم الحلال يمين
كقوله تعالى : (لم تحرم ما أحل الله لك ٠٠٠ الى قوله قد فرض الله لكم تحلوة
أيمانكم) (٣)

وأجمعت الأمة على مشروعية اليمين وثبوت أحكامها ووضعها في الأصل لتوكيد
المحلف عليه .

(النذر) : النحب وهو ما ينذره الانسان فيجعله على نفسه نجسا واجسا ،
والنذر مصدر نذرت أنذرت بالضم وكسرها فأنا ناذر (٤) أي أوجب على نفسه شيئا لم يكن
واجبا .

ونذر لله سبحانه وتعالى كذا : أوجبه على نفسه تبرعا من عبادة أو صدقة أو غير
ذلك (٥) أو بلفظ آخر : هو التزام قوة غير لازمة في أصل الشرع بلفظ يشعر بذلك (٦)
أو ايجاب عن الفعل الجاه على نفسه تعظيما لله تعالى (٧) وهذا هو مفهومه
الشرعي وهي الكتاب المميز : (اني نذرت لك ما في بطنى محررا الآية) (٨) قالته
امراة عمران أم مريم عليها السلام .

وأصل معنى الكلمة هو الابداد والتحذير ، ومنه ابعاد الشيء حك وجعله لله تعالى

-
- (١) تبين الحقائق شرح كنز الدقائق للزلمي ١٠٦/٣ والمغنى لابن قدامة مع الشرح
 - (٢) التبرير للرافعي ١٦٠/١١ .
هو علي بن محمد بن علي المعروف بالشريف الجرجاني ، فخره من كبار العلماء
بالعربية (٢٤٠ - ٨١٦ هـ) الاعلام ٧/٥
 - (٣) سورة التحريم ١ - ٢ ، وانظر كتاب التعريفات للجرجاني ص ٢٨٠ - ٢٨١ .
 - (٤) الصحاح للجوهري ٨٢٦/٢ .
 - (٥) تاج المروس للزهدي ٦١/٣ وكشاف القناع ٢٧٣/٦ .
 - (٦) فقه السنة للسيد سابق ٣٣/٣
 - (٧) كتاب التعريفات للجرجاني ص ٢٦٠
 - (٨) آل عمران ٣٥ .

فصار بمعنى التحريم ، ومنه تحريم المشتبهات ثم توسع معناه وصار النذر التزام شيء عن طريق القسم ولذلك سموا النذريين فقال قبيصة بعد ذكر أيقاف النذر: فأصبحت قد حلت يميني وأدركت بنو شعل تهلل وراجعتني شعكري في أبيات ذكرت في الحماسة أي بعد ادراك تهلل حل نذري أي ما حرمته على بالنذر . (٢)

(الأكيسة) : والأكوة والألوة والإلوة والأكيا كله اليمين ، والجمع الأيا قال الشاعر :

قليل الأيا حافظ ليمينه وإن مهقت منه الأكيسة بسرت
والفعل إلى يولى إيلاء : حلف ، وتألّى يتألّى تأليا ، ويحلف يحلف يأتلى
إيتلاء ، وفي التنزيل العزيز : (ولا يأتلأولوا الفضل منكم الآية) (٣)
قال أبو عبيدة (٤) : (ولا يأتل) مجازة : ولا يقتل من أليت : أقصبت ،
وله موضع آخر من ألوت بالواو أي قصرت (٥) . وقال الفراء (٦) : الإيتلاء : الحلف
وقرأ بعض أهل المدينة (٧) : (و لا يتأل) وهي مخالفة للكتاب من تأليست

-
- (١) ديوان الحماسة لأبي تمام ٣٤٤/١
(٢) إمعان في أقسام القرآن للفراهي ص ١٧
(٣) سورة النور ٤٢٢ وانظر الصحاح للجوهري ٦/٢٢٧٠ وما بعدها ولسان العرب :
٤٠/١٤ - ٤١ .
(٤) هو محمد بن المشي التيمي بالولاء البصري ، أبو عبيدة النحوي من أئمة العلم بالأدب
واللغة ، (١١٠ - ٢٠٩ هـ) بغية الوطاة ٢/٢٩٤ - ٢٩٥ والأعلام ٧/٢٧٢
(٥) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/٦٥ .
(٦) هو يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي (وفي بغية الوطاة) عبد الله
ابن مروان بدل منظور) مولى بني أسد ، أبو زكرياء ، المعروف بالفراء ، إمام الكوفيين
وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب بعد الكماثي (١٤٤ - ٢٠٧ هـ) بغية الوطاة :
٢/٣٣٣ والأعلام ٨/١٤٥ .
(٧) وهي قراة أبي جعفر من العشرة المتواترة ، ولا مخالفة فيها للتنزيل والقراة حجة
على اللغة لا العكس ، وانظر النشر لابن الجزري لترى توجيه هذه القراة من
حيث اللغة ومن حيث الرسم أيضا (٣٣١/٢) .

وذلك أن أبا بكر رضي الله عنه حلف أن لا ينفق على مصطح بن أثانة (١) وقوابته
الذين ذكروا طائفة (٢) رضوان الله عليها وكانوا ذوى جهد ، فأُنزل الله (ألا تحبون
أن يغفر الله لكم) (٣) فقال أبو بكر : بلى يارب ، فأُعطاهم الى نفقته (٤)
وقد تأليت وأتليت وآليت على الشيء وآليته على حذف الحرف : أقصمت ، وفي
الحديث : من يتألى على الله يكذبه ، (٥) أى من حكم عليه وحلف بكقولك : والله ليدخل
الله فلانا النار ، ونجحن الله سعى فلان ، وفي الحديث : (ويل للمتأليسين
من أمتي) (٦) يعنى الذين يحكمون على الله ويقولون فلان في الجنة وفلان في النار .

-
- (١) هو مصطح بن أثانة بن عهاد بن المطلب بن عبد مناف بن قصي المطلبى كان
اسمه عوفاً وأما مصطح فهو لقبه واسمه بنت خالة أبي بكر ، مات سنة أربع وثلاثين
في خلافة عثمان ، ويقال عاش الى ثلاثة على وشهد معه صفين ومات في تلك السنة
سنة سبع وثلاثين . (الاصابة ٤٠٩/٣) .
- (٢) هي طائفة بنت أبي بكر الصديق ، وأمها أم رومان بنت عامر بن عويمر الكنانية
ولدت بعد الهمم بأربع سنين أو خمس ، وماتت سنة ثمان وخمسين في ليلة الثلاثاء
لسبع عشرة خلت من رمضان عند الاكبر ، (الاصابة ٣٥٩/٤ - ٣٦١) .
- (٣) الثور : ٢٢
- (٤) معاني القرآن للفراء : ٢٤٨/٢
- (٥) هو قول ابن مسعود رضي الله عنه ، في الفائق : إن أبا جهل قال له :
يا ابن مسعود لا تقتلنك ، فقال : من يتألى على الله يكذبه ، انظر الفائق في غريب الحديث
للنخشى ٥٢/١ والنهاية لابن الاثير ٦٢/١ .
- (٦) تمامه : الذين يقولون فلان في الجنة وفلان في النار ، رواه البخارى في
التاريخ الكبير عن جعفر العبدى مرسلاً ١٩١/٢ وضعفه السيوطي .
انظر الجامع الصغير للسيوطي ٣٥٠/٢ ، كما وضعفه الشيخ الألباني في
ضعيف الجامع الصغير رقم ٦١٥٦ ، وانظر أيضا النهاية لابن الاثير :
٦٢/١ والفائق للنخشى ٥٢/١ .
- (٧) لسان العرب ٤١/١٤ .

وقيل : (الآية) معناها الاقصار عن الامر فيقال الاكلى للمقصر الماجز

عن الشيء ثم جاء لترك الشيء ومنه الايلاء من النساء على وجه القسم (١) ،
كما جاء في القرآن : (للذين يؤولون من نساءهم تربص أربعة أشهر) (٢) وهو
محرم في ظاهر كلامهم لأنه يمين على ترك واجب .

وفي حديث أنس بن مالك (٣) : أن النبي صلى الله عليه وسلم أتى من

نساءه شهرا ، (٤) أي حلف لا يدخل عليهن وإنما عداه ب (من) حملا على المعنى
وهو الامتناع من الدخول وهو متعمد ب (من) (٥) ،

وللايلاء في الفقه أحكام تخصه لا يسمى ايلاءا دونها ثم توسع في معنى الزام الشيء

سواء كان للترك أو الفعل ولكنه أجمر في الزام ما فيه هوب من الضرة فشابه النذر (٦) ،
كما روى عن علي رضي الله عنه (٧) : ليس في الاصلاح ايلاء أي أن الايلاء إنما يكون في

الضرار والفضب لا في النفع والرضا . (٨)

(١) امعان في أقسام القرآن للفراهي ص ٢٠

(٢) البقرة : ٢٢٦

(٣) هو أنس بن مالك بن النضر بن ضميم بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن
قثم بن عدي بن النجار أبو حمزة الانصاري الخزرجي مخادم رسول الله صلى
الله عليه وسلم وأحد الكثيرين من الرواية عنه عمات وهو ابن مائة سنة وثلاث سنين
وقيل مائة وعشر سنين (الاصابة مع الاستيعاب ٧١/١ - ٧٢) .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب الطلاق ، باب قول الله تعالى للذين يؤولون من نساءهم
الخ ٦٤/٧ .

(٥) لسان العرب ٤١/١٤

(٦) امعان : ص ٢٠

(٧) هو علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي
أبو الحسن ، أول الناس اسلاما في قول كثير من أهل العلم ولد قبل البعثة
بمئزر سنين على الصحيح ، وكان قتل على في ليلة السابع عشر من شهر رمضان
سنة أربعين من الهجرة ، وقد خلافته خمس سنين الا ثلاثة أشهر ونصف شهر .
(الاصابة ٥٠٧/٢ - ٥١٠) -

(٨) لسان العرب ٤١/١٤ .

قال ابن زبابة التيمي : (١)

آيت لا أدفن قتلاكم فدخلوا المرء وصواله

ثم توسع استعمالها فصار مرادفا للقسم ، قال عمرو القيس : (٢)

ومما على ظهر الكئيب تمسدت على وأت حلقة لم تحلل

وقال طرفة : (٤)

فآيت لا ينفك كحى بطانة لعضب رقيق الشفرتين مهنس

وقالت غيبة أم حاتم الطائي : (٥)

لمعري لقدما عضي الجوع عضة فآيت إلا أمتع الدهر جائعا

وهذا كثير في كلامهم يقولون: آيت مرادفا لـ (أقسمت) . (٧)

(الشهادة) : خبر قاطع ، تقول منه : شهد الرجل على كذا ، عن الأخفش (٨)

وقولهم : أشهد بكذا ، أى أحلف، والمشاهدة : المعاينة ، وشهده شهيدا

أى حضره فهو شاهد ، وشهد له بكذا شهادة ، أى أدى ما عنده من الشهادة

فهو شاهد ، والجمع شهد ، وجمع الشهد شهود وأشهاد . (٩)

(١) هو عمرو بن لائى وقيل عمرو بن الحارث بن همام من بنى تميم اللات بن ثعلبة ، شاعر

جاهلي من أشرف بكر ، عرف بنسبته إلى أمه زبابة ، ترجم الشعر للمرواني (٢٠٨) (والاعلام ١٤/٥)

(٢) ديوان الحماسة لأبي تمام ٦٦/١ .

(٣) ديوان امرئ القيس : ص ١٢

(٤) جمهرة أشعار العرب : ص ١٥٨ .

(٥) هي غيبة بنت عفيف بن عمرو أم حاتم الطائي (شاعرات العرب ص ٢٩٠) .

(٦) ذيل الامالي لأبي علي القالي ص ٢٤

(٧) امعان في أقسام القرآن للفراهي : ص ١٨ ، ٢٠ .

(٨) هو سعيد بن مسعدة المجاشعي بالولاء البلخي ثم البصري ، أبو الحسن

المصروف بالأخفش الأوسط ونحوى ، عالم باللغة والأدب ، قرأ النحو على

صبيبه ، وكان أسن منه ، وصنف كتابا منها (معاني القرآن) مات سنة عشر

وقال غيره : مات سنة ٥٩٠/١ - ٥٩١ والاعلام ١٠١/٣ - ١٠٢ (٩)

(٩) الصحاح للجوهري ٤٩٤/٢ ولسان العرب ٢٣٩/٣ .

واستعمال هذا الوجه في القسم يرى في قوله تعالى : (لكن الله يشهد بما أنزل اليك لئن لم يعلمه ، والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا) (١) ثم نرى صريح قولهم في أقسامهم : أنا أشهد ، والله يشهد ، والله يعلم ، وهذا في أكثر اللغات ، فإنا نرى الأمم العرب منهم والعجم مع اختلاف كثير في عاداتهم لا يختلفون في أنهم إذا قالوا : (الله شهيد على ذلك) أو ما يشبهه أرادوا به القسم .

وقال سيوطي رحمه الله في ذكر لام اليمين : (وأعلم أن من الأفعال أشياء فيها معنى اليمين يجرى الفعل بعدها مجراها بعد قولك (والله) وذلك قولك (أقسم لا أفعلن وأشهد لا أفعلن) (٢) فصرح بأن (أشهد) معناه اليمين ، وأن قولك أقسم كقولك أشهد ، كما صرح بذلك في موضع آخر فقال : وتكسون أشهد بمنزلة (والله) . (٣)

ويصل هذه القضية ما جاء في القرآن الكريم من التصريح بكون الشهادة والاشهاد يمينا ، حيث قال تعالى : (إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد أنك لرسول الله ، والله يعلم أنك لرسوله والله يشهد أن المنلفقين لكاذبون ، اتخذوا ليمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله ، أنهم ساء ما كانوا يحملون) (٤) .
فسمى الله الشهادة منهم أيضا سبعا .

وكذلك جاء التصريح بكون الشهادة بالله يمينا في قوله سبحانه : (ومدروا عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله أنه لمن الكاذبين) (٥) قال سيوطي :

(١) سورة النساء : ١٦٦

(٢) الكتاب لسبويه : ١٠٤/٣ . (تحقيق عبد السلام هارون)

(٣) الكتاب ١٤٦/٣

(٤) المنافقون : ١ - ٢

(٥) النور : ٨

كأنه قال يحلف بالله انه لمن الصادقين (١) وذلك لأن شهادة الايمان لنفسه
لا تقوم مقام شهادة الفير له بل الدعوى تثبت اما بالشهادة واما باليمين
وإذا انتفى وجود شهود تعين اليمين ، فلعمان الملا عن يمين وليس بشهادة
والله اعلم .

وكذلك قوله تعالى : (وشهد الله على ما في قلبه وهو اذ الخصام)^(٢)
يصرح بكون الاشهاد يمينا ، وقال ابن جرير في قوله تعالى : (يا أيها الذين
آمنوا شهادة بينكم) الآية (٣) انما هي اليمين . (٤)

* * *

(١) الكتاب لسبويه تحقيق عبد السلام هارون : ١٤٧/٣ .

(٢) البقرة ٢٠٤

(٣) المائدة ١٠٦

(٤) تفسير ابن جرير : ١١٨/٧ .

المبحث الثالث: القسم بين الضم والانشاء :

قد اختلفت أنظار العلماء في جملة القسم، أهى جملة خبرية أم انشائية،
ومنا على اختلاف جهة أنظارهم اختلفت نتيجة الحكم، فمنهم من قال : ان القسم
ضرب من ضروب الانشاء غير الطلبي (١) وهو اما أن يكون بجملة فعلية نحو
أقسم بالله أو بجملة اسمية نحو : يمين الله لا أفعلن كذا، أو بأدوات القسم
الجارية لما بعدها، (٢)

وقال ابن جنى (٣) : القسم جملة انشائية يؤكد بها جملة أخرى، فان كانت
خبرية فهو القسم لغير الاستعطاف، وان كانت طلبية فهو الاستعطاف، وبمسئمة
قال ابن مالك (٤) والرضي (٥) وابن هشام (٦) (٧)

(١) الانشاء قول لا يحتمل الصدق والكذب لذاته عكس الضم والانشاء ينقسم الى
نوعين : (أ) الانشاء الطلبي : وهو ما يستدعي مطلقاً غير حاصل وقت الطلب
وشمل صيغ الامر والنهي والتمنى والاستفهام والنداء، (ب) غير الطلبي : وهو
ما لا يستدعي مطلقاً وله صيغ كثيرة منها القسم وأفعال المدح والذم وصيغ المقود
وصيغتا التعجب، انظر المعاني في ضوء أماليب القرآن : للدكتور عبد الفتاح لاشين
ص ١٤٨ .

(٢) الأماليب الانشائية في النحو العربي : لمجد السلام هارون ص ١٦٢

(٣) هو عثمان بن جنى الموصلي، أبو الفتح من أئمة الأدب والنحو تلميذ أبي علي
الفارسي من تصانيفه (رسالة في من نسب الى أمه من الشعراء) والمحتسب في
شواذ القراءات، وصرنا على الاعراب والخصائص، مولده قبل الثلاثين وثلاثمائة
وبات سنة اثنتين وتسمين وثلاثمائة ببغداد . بغية الوطاة ١٣٢/٢ والاعلام
٢٠٤/٤ .

(٤) هو محمد بن عبد الله بن عبد الله بن مالك الطائي الجبائي أبو عبد الله جمال
الدين، نزيل دمشق امام النحاة وحافظ اللغة، وكان اماماً في القراءات وطلبها
أشهر كتبه (الكافية) في النحو وله تسهيل الفوائد وشرحه والكافية الشافية،
(٦٠٠ - ٦٧٢ هـ) بغية الوطاة ١٣٠/١ والاعلام ٢٣٣/٦ .

(٥) هو محمد بن الحسن الرضي الاسترأبادي، نجم الدين، عالم بالعربية، صاحب
شرح الكافية لابن الحاجب في النحو، وله شرح مقدمة ابن الحاجب وهي المصممة
بالشافية في علم الصرف، توفي ٦٨٦ هـ بغية الوطاة ١٦٧/١ والاعلام ٨٦/٦ .

(٦) هو عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن يوسف، أبو محمد جمال الدين ابن
هشام، من أئمة العربية، مولده ووفاته بصر، قال ابن خلدون: ما زلتنا ونحسر
بالمغرب نسمع أنه ظهر عالم بالعربية يقال له ابن هشام أنحى من سيبويه، من
تصانيفه (مغنى اللبيب عن كتب الاعراب) (٧٠٨ - ٧٦١ هـ) بغية الوطاة ٦٨/٢ والاعلام ٢٦٩
والاعلام ١٤٧/٤ . (٧) شرح جمل الزجاجي لابن عصفور الاشبيلي ١/٢٢٧ .

وقيل : القسم جملة توكّد مآتلاها من جملة خبرية غير متعجبة وترتبط أحدهما
بالأخرى ارتباط جملي الشرط والجزاء، وكلتاها اسمية وفعلية ، والمؤكّدة هي
الأولى والمؤكّدة هي الثانية ، وهي التي تسمى جواباً للقسم . (١)
وقد نقل القرافي (٢) الإجماع على أن القسم من أقسام الإنشاء وفائدته تأكيد
الجملة الخبرية وتحقيقها عند السامع (٣)
لكن ابن عصفور (٤) خالف هذا الإجماع حيث قال في كتابه (المقرب) : القسم
هو كل جملة يؤكّد بها جملة أخرى كلتاها خبرية (٥) .
وقد وصف البغدادي (٦) هذا التعريف بالغرابة ، وقال : الصواب أن جملة
القسم انشائية لا جوابية كما قال ابن جنى وغيره ، واخذ رعن ابن عصفور في هذا التعريف
بأن مراده أن الجمليتين إذا اجتمعتا كان منهما كلام محتمل للصدق والكذب (٧)

-
- (١) المساعد شرح التسهيل لابن عقيل : ٣٠٢/٢ وشرح الكافية الشافية ٨٣٤/٢
واللاكي الكمينية في شرح الدرة الثمينية لمحمد الطيب بن اسحاق الانصاري ص ٢٤٢
 - (٢) هو احمد بن ادريس بن عبد الرحمن أبو الميلاس هشباب الدين الصنهاجي
القرافي له مؤلفات جليلة في الفقه والأصول . توفي سنة ٦٨٤ هـ .
(الاعلام ٩٤/١ - ٩٥)
 - (٣) الفروق للقرافي : ٢٧/١
 - (٤) هو علي بن مؤمن بن محمد بن علي الحضرمي الاشبيلي أبو الحسن المعروف
بابن عصفور محامل لواء المربية في زمانه بالاندلس من كتبه المقرب ،
والممتنع وسرقات الشعراء وشرح الحماسة . (٥٩٧ - ٦٦٩ هـ)
(مغنية الوعاة ٢/٢١٠ والاعلام ٢٧/٥)
 - (٥) المقرب لابن عصفور ٢٠١/١
 - (٦) هو عبد القادر بن عبد البغدادي علامة بالأدب والتاريخ والاختار ولد ببغداد
وتوفي في القاهرة وأشهر كتبه (خزانة الأدب) (١٠٣٠ - ١٠٩٣ هـ)
الاعلام ٤١/٤ .
 - (٧) الخزانة للبغدادي ٢١١/٤ .

يعنى أن مراد ابن صفور في تعريفه أن القسم وجوبه مما بمثابة جملة
خيرية تحتمل الصدق والكذب، ومثال ذلك قوله تعالى: (ثم لم تكن فتنتهم الا أن
قالوا والله ربنا ما كنا مشركين ، انظر كيف كذبوا على أنفسهم وضل عنهم ما كانوا
يفترون) (١)

فالكذب في اليمين والصدق فيها انما يتعلق بالمحلف عليه وهو جسواب
القسم، وجملة القسم وحدها لا يتعلق بها صدق أو كذب ، وقد شرح ابن يعقوب
هذه المسئلة فقال رحمه الله : (اذا كان (أى القسم) خيرا والخير جملة جاءت على
ما عليه الجمل في كونها مودة من فعل وفاعل ، مودة من مبتدأ وخبر ، وانما جاز القسم
بما كان على صيغة الخبر ، وذلك أنه وقع موقع ما لا يكون الا قسما من الصيغة المختصة
بسه نحو قولك : والله لأفعلن ، وقد الخبر خلاف عقد القسم ، لانك اذا قلت :
أحلف بالله على سبيل الخبر كان بمنزلة العدة (٢) كأنك متحلف ، وكذلك
اذا قلت : حلفت فانك انما أخبرت أنك قد أقسمت فيما مضى وهو بمنزلة النداء ،
اذا قلت " يا زيد " فأنت مناد غير مخبر ، ولو قلت : أتأدى أو ناديت كان على خلاف
معنى " يا زيد " ، وكذلك هذا في القسم ، فكما أنك اذا قلت أتأدى ونهيت
النداء لم يكن النداء مخبرا ، وكذلك اذا قلت : أحلف بالله أو أقسم ونهيت القسم
كنت مقسما ولم تكن مخبرا الا أنها وان كانت جملة بلفظ الخبر ، والجملة عبارة عن كل كلام
مستقل فان هذه الجملة لا تستقل بنفسها حتى تتبعها بقسم عليه ، نحو : أقسم

أحلف بالله على سبيل الخبر كان بمنزلة العدة (٢) كأنك متحلف ، وكذلك اذا قلت : حلفت فانك انما أخبرت أنك قد أقسمت فيما مضى وهو بمنزلة النداء ، اذا قلت " يا زيد " فأنت مناد غير مخبر ، ولو قلت : أتأدى أو ناديت كان على خلاف معنى " يا زيد " ، وكذلك هذا في القسم ، فكما أنك اذا قلت أتأدى ونهيت النداء لم يكن النداء مخبرا ، وكذلك اذا قلت : أحلف بالله أو أقسم ونهيت القسم كنت مقسما ولم تكن مخبرا الا أنها وان كانت جملة بلفظ الخبر ، والجملة عبارة عن كل كلام مستقل فان هذه الجملة لا تستقل بنفسها حتى تتبعها بقسم عليه ، نحو : أقسم

(١) الانعام: ٢٣ - ٢٤ (٢) العدة : الوعد أو الوعد

هذا الذي هو صيغة القسم من قوله تعالى: (ثم لم تكن فتنتهم الا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين) انظر كيف كذبوا على أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون .
وأيضا قوله تعالى: (ثم لم تكن فتنتهم الا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين) انظر كيف كذبوا على أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون .
وأيضا قوله تعالى: (ثم لم تكن فتنتهم الا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين) انظر كيف كذبوا على أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون .
وأيضا قوله تعالى: (ثم لم تكن فتنتهم الا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين) انظر كيف كذبوا على أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون .

أقسم بالله لا أفعل ، ولو قلت أقسم بالله وسكت لم يجز ، لأنك لم تقصد الإخبار بالحلف فقط وإنما أردت أن تخبر بأمر آخر وهو قولك (لا أفعل) وأكده بقولك (أحلف بالله) ، ونظير ذلك من الجمل : الشرط والجزاء ، فإنها وإن كانت جملة فقد خرجت عن أحكام الجمل من جهة أنها لا تفيد حثاً ينضم إليها الجزاء ، فالجملة الفعلية في القسم قولك أحلف بالله وأقسم بالله ونحوهما . (١)

والذي أرى أن القسم من أقسام الإنشاء باعتبار معناه ، فمن حلف فقد أنشأ اليمين ، ويمكن أن يكون خيراً إذا أخبره كأن أقول : فلان حلف بالله ، فهذه جملة خبرية ، وعليه فلا أرى خلافاً حقيقياً بين المختلفين في هل القسم إنشاء أو إخبار ؟ لأن كلا ينظر إلى جهة غير الجهة التي ينظر إليها الآخر ، فمن لاحظ ما يثرتب على القسم من التقييد به فقد لاحظ الإنشاء ، ومن لاحظ الصيغة (أي أن القسم وجوبه مما بمثابة جملة خبرية تحتمل الصدق والكذب) فقد لاحظ الخبر والله اعلم .

* * *

(١) شرح المفصل لابن عيسى : ٩١/٩

المبحث الرابع : الفرض من القسم :

ان الفرض من القسم تؤكد ما يقسم عليه من نفي أو اثبات لتسهيل الشك عن المخاطب (١) وانما كان جواب القسم نفيا أو اثباتا لأنه خير ، والخير ينقسم قسمين نفيا واثباتا ، وهما اللذان يقع عليهما القسم ، وأعني بالخير ما جاز فيه الصدق والكذب. (٢)

وقال ابن سيدة (٣) : القسم هو يمين يقسم بها الحالف ليؤكد بها شيئا يخبر عنه من ايجاب أو جحد ، وهو جملة يؤكد بها جملة أخرى، (٤)

والى مثل هذا المعنى ذهب سيهويه حيث قال : (اعلم أن القسم تأكيد للكلام) (٥)

وابن القيم (٦) حيث قال : (ان القصد بالقسم تحقيق الخبر وتوكيده) (٧)

- (١) يقصد اراحة الشك عن المخاطب
- (٢) شرح المفصل لابن يمين : ٩٠/٩
- (٣) هو علي بن احمد بن سيدة اللفوي النحوي الا ندلسي أبو الحسن الضرير وقيل : اسم أبيه محمد ، وقيل : اسماعيل ، امام في اللغة وآد ابيه صنف المخصص والمحكم والمحيط الأعظم في اللغة ٣٩٨ - ٤٥٨ هـ (بغية الوعاة ١٤٣/٢ هـ والاعلام ٢٦٣/٤ - ٢٦٤)
- (٤) المخصص لابن سيدة : ١١٠/١٣
- (٥) الكتاب لسيهويه : ٥٣١/١
- (٦) هو محمد بن أبي بكر/أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي أبو عبد الله شمس الدين ، أحد كبار العلماء ، تلميذ لشيخ الاسلام ابن تيمية ، وألف تصانيف كثيرة (٦٩١ - ٧٥١ هـ) (بغية الوعاة ١٢/١ - ١٣ والاعلام ٥٦/٦)
- (٧) التبيان في أقسام القرآن : ص ٣ (تنبيه) : قالوا انما يؤمى بالتأكيد للحاجة لتحرر عن ذكر ما لا فائدة له ، فان كان المخاطب ساذجا ألقى اليه الكلام خاليا عن التأكيد ، وان كان متوردا فيه حسن ثقوته بمؤكد ، وان كان منكرا وجب تأكيد صحراء في القوة والضعف بحسب حال المنكر ، كما في قوله تعالى عن رسل عيسى عليه السلام : (قالوا ربنا يعلم اننا اليكم المرسلون) يس ١٦ ، وذلك أن الكفار نفوا رسالتهم بثلاثة أشياء : (أحدها) قولهم : (ما أنتم الا بشر مثلنا) (والثاني) قولهم : (وما أنزل الرحمن من شيء) (والثالث) قولهم : (ان أنتم الا تكذبون) يس ١٥ ، فقولوا على نظيره بثلاثة أشياء : (أحدها) قول المرسلين : (ربنا يعلم) ووجه التأكيد فيه أنه في معنى القسم ، (والثاني) قوله تعالى : (انما أنزلنا اليكم المرسلون) ، و (الثالث) قوله تعالى : (وما علينا الا البلاغ المبين) يس ١٦ - ١٧ ، انظر البرهان في علم القرآن للزركسي ٣٩٠/٢

كما ذهب إليه الزركشي والسيوطي^(١) (٢) قالا : القصد بالقسم تحقيق الخبر وتوكيده ، حتى جملوا مثل (والله يشهد ان المنافقين لكاذبون) (٣) قسما وان كان فيه اخبار بشهادة ، لانه لما جاء توكيدا للخبر سمى قسما^(٤) وهو ما ارتضاه واختاره أكثر العلماء .

والجملة المؤكدة هي المقسم عليه ، وهي في الغالب جملة خبرية وقد تكون انشائية كما في القسم الاستعطافي^(٥) ، وقد أنكر ابن عصفور كونه قسما حيث قال : فأما قولك : (تالله هل قام زيد) فليس بقسم لانه ليس بخبر ، ألا ترى أن المعنى : أسألك بالله هل قام زيد ؟ ولا يسوغ أن يكون التقدير : أقسم بالله . (٦)

(١) هو محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي أبو عبد الله ، بدر الدين عالم بفقهاء الشافعية والأصول وله تصانيف كثيرة في عدة فنون ، ٧٤٥ - ٧٩٤ هـ ، الإعلام ٦٠/٦ - ٦١

(٢) هو عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الخضير السيوطي ، جلال الدين ، إمام حافظ مؤرخ أديب له نحو ٦٠٠ مصنف (٨٤٩ - ٩١١ هـ) ، حسن المحاضرة للسيوطي ١٨٨/٦ والإعلام ٣٠١/٣ - ٣٠٢ .

(٣) المناقسون : ١

(٤) الهرهان للزركشي ٤٠/٣ والاتقان في علوم القرآن للسيوطي ٤٦/٤ .

(٥) القسم الاستعطافي : هو ما يكون الجواب فيه جملة انشائية لا خبرية ، نحو قول ابن هريرة :

بالله ربك ان دخلت فقل لــــه هذا ابن هريرة واقفا بالباب

انظر الفصل للزمخشري ص ٣٤٦ ، وكقول المجنون :

بربك هل ضمت اليك ليلــــى قهيل الصبح أو قبلت فاهــــا

انظر المعنى لابن هشام ٦٤٦/٢ .

(٦) المقرب لابن عصفور ٢٠١/١ .

وقد قيل: ما معنى القسم منه سبحانه؟ فانه ان كان لأجل المؤمن فالمؤمن
مصدق بمجرد الاخبار من غير قسم، وان كان لأجل الكافر فلا يفيد، وأجيب
بأن القرآن نزل بلفظة العرب، ومن عاداتها القسم اذا أرادت أن تؤكد أمراً.
وأجاب أبو القاسم القشيري^(١) بأن الله ذكر القسم لكمال الحجة وتأكيد هاه
وذلك أن الحكم يفصل باثنين: اما بالشهادة واما بالقسم، فذكر تعالى في كتابه
التوحيين حتى لا يبقى لهم حجة، فقال: شهد الله أن لا اله الا هو، والملائكة
وأولو العلم قائماً بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم^(٢) وقال: (قل إني ورسلي
انه لحق)^(٣).

قد تبين من خلال ما ذكرت في هذا البحث أن القسم ليس الا التأكيد
أى تأكيد ما يقسم عليه، فلا يلزمه المقسم به^(٤) حتى نحتاج الى تقديمه كلما لم
يذكر فضلاً عن تعظيمه كما ظن كثير من الناس، وانما اختلط به معنى التعظيم
من جهة المقسم به أى اذا كان القسم بالله وشعائره، والله اعلم.

* * *

(١) هو عهد الكرم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة النخعي القشيري، من
بنى قشير بن كعب، وأبو القاسم زين الاسلام شيخ خراسان في عصره زهداً
وعلماً بالدين، من كتبه لطائف الاشارات في التفسير والرسالة القشيرية،
(٣٧٦ - ٤٦٥ هـ) (الاعلام ٥٧/٤).

(٢) آل عمران ١٨

(٣) يونس ٥٣ وانظر كلام القشيري في البرهان للنزكسي ٤١/٣ والاتقان
للسيوطي ٤٦/٤.

(٤) مثل قوله سبحانه (يحلفون لكم لترضوا عنهم) التوبة ٩٦ وانظر أيضاً
الآيات: التوبة ١٠٧ والمجادلة ١٤، ١٨.

المبحث الخامس : جملة القسم :

وهي اما فعلية أو اسمية تؤكد بها جملة موجبة أو منفية (١) فالجملة الفعلية في القسم قولك: أحلف بالله وأقسم بالله ونحوها ، أي ما استعملته العرب نصا في القسم فيفهم القسم من لفظه لا من ضمنه ، نحو قوله سبحانه : (وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت) (٢) وقوله : (يحلفون بالله ما قالوا) الآية (٣) .

وأما الجملة الاسمية فقولك: لعمرك ويمين الله وأمين الله ، ويقصد بها الجملة المفتوحة باسم مفهم للقسم بمجرد النطق به ، فعمرك مبتدأ واللام فيها لام الابتداء والخبر محذوف وتقديره قسمي ، وحذوفه لطول الكلام . (٤)
قال الله تعالى : (لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون) (٥)

* * *

-
- (١) شرح الرضي : ٣٣٨/٢ وشرح الفصل لابن يمين ٩٠/٩ - ٩١ .
 - (٢) كتاب سيويه ٥٠٢/٣ تحقيق عبد السلام هارون وآلية من النحل ٣٨
 - (٣) التمهة ١٢٤
 - (٤) جملة القسم الاسمية ضريان : الضرب الاول : ما صدر بلفظ خاص بالقسم لا يكون في غيره ، كأمين الله ولعمرك ، وهذا يجب حذف خبره ، والثاني ما صدر بلفظ غير خاص بالقسم كأمانة الله وعهد الله ، وهذا يجوز حذف خبره وأثباته ، انظر الاساليب الانشائية في النحو العمومي لمحمد السلام هارون ص ١٦٦ .
 - (٥) الحجر : ٢٢ -

المبحث السادس : حال القسم اذا نقله المتكلم عن غيره :

قال سيهويه رحمه الله : واعلم أنك اذا أخبرت عن غيرك أنه أكد على نفسه أو على غيره فالفعل يجري مجراه حيث حلفت أنت وذلك قولك : أقسم ليفعلن وذلك أنه أعطاه من نفسه في هذا الموضع مثل ما أعطيت أنت من نفسك حين حلفت كأنك قلت ، حين قلت أقسم ليفعلن ، قال والله ليفعلن ، وحين قلت استحلفه ليفعلن قال له والله ليفعلن ، ومثل ذلك قوله تعالى جده : (واذ أخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الا الله) (١) .

وقال الصيمرى (٢) : واعلم أنك اذا أخبرت عن يمين حلف بها فلك في ذكر ذلك ثلاثة أوجه :

- (أحدها) : أن تأتي بلفظ الغائب لأنك تخبر عن شيء كان وتقتضي .
- (والثاني) : أن تأتي بلفظ المستحلف تريد بذلك اللفظ الذي قيل له في تلك الحال .
- (والثالث) : أن تأتي بلفظ الحالف فتقول استحلفه ليقوم ، على لفظ الغائب ، واستحلفه لتقوم على لفظ المخاطب ، كأنك قلت : قال له لتقوم ، واستحلفه لا تقوم بلفظ الحالف كأنك قلت : استحلفه فقال له : قل لا تقوم .

(٣)
ومن هذا قوله عز وجل : (واذ أخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الا الله) و (لا تعبدون الا الله) بالياء على الاخبار عن الغائب ، (وهي قراءة ابن كثير وحمزة والكسائي) ، والياء على لفظ ما قيل لهم ، كأنه قيل لهم : والله لا تعبدون

(١) البقرة : ٨٣ وانظر كتاب سيهويه تحقيق عهد السلام هارون ١٠٦/٣ .
(٢) هو أبو محمد عبد الله بن علي بن اسحاق الصيمرى ، ولم يذكر المترجمون له تاريخ ميلاد أو تاريخ وفاة ، وله كتاب في النحو جليل سماه (التبصرة) أكثر أبي حيان من النقل عنه ، (انهاء الرواء للقطبي ١٢٣/٢ وخية الرواة ٤٩/٢) .
(٣) البقرة ٨٣ .

الا لله كما تقول : والله لتقرن ، ولو كان في غير القرآن لجاز فيه لفظ المتكلم :
لا نعبد الا الله أى قالوا : لانعبد الا الله ، (١)

وكذلك قوله تعالى : (قالوا تقاسموا بالله لنتيته وأهله) (٢) يجوز فيه

ثلاثة أوجه : (لنتيته) بالنون (وهي قراءة الجمهور) على لفظ المتكلم ،
كأنه قال : (قالوا له : لنتيته) .

و (لنتيته) بالياء (وهي قراءة حمزة والكسائي) (٣) على لفظ ما قبل

لهم ، كأنه قيل : قال بعضهم لبعض لنتيته ، أى قال كل فريق منهم للآخر
هذا .

و (لنتيته) بالياء على لفظ الغائب (٥) لأنه اخبار عن الغائب ، فأعرف

ذلك ان شاء الله . (٦)

* * *

(١) كتاب السبعة لابن مجاهد ص ١٦٢ والتيسير لابن عمرو الداني ١٧٤ وإبراز
المعاني لابن شامة ٢٣٥ - ٢٣٦ والبحر المحيط ٢٨٢/١ - ٢٨٣ والنشر لابن
الجزري ٢١٨/٢ والاتحاف : ١٦٩ وحجة القراءات لابن خالويه ٨٣ والكشف
لمكي بن أبي طالب : ٢٤٩/١ - ٢٥٠ .

(٢) النمل ٤٩ -

(٣) هو حمزة بن حبيب بن عارة بن اسماعيل الامام الحمر ، أبو عارة الكوفي التيمي
مولاهم الزيات أحد القراء السبعة ، ولد سنة ثمانين وتوفي سنة ست وخمسين
ورائة . (غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري ٢٦١/١ - ٢٦٣)

(٤) هو علي بن حمزة بن عبد الله بن بهيمن بن فيروز الأسدي مولاهم أبو الحسن
الكسائي ، أحد القراء السبعة ، والامام الذي انتهت إليه رئاسة الاقراء بالكوفة
بعد حمزة الزيات . توفي سنة تسع وثمانين وائة عن عرسبعين سنة .
(غاية النهاية ٥٣٥/١ - ٥٤٠) .

(٥) وهي قراءة مجاهد وابن وثاب وطلحة والاعشى ، كتاب السبعة ص ١٤٨٣ والتيسير
ص ١٦٨ وشوان ابن خالوية ١١٠ وإبراز المعاني من حوز الاماني لابن شامة
ص ٤٢٥ والبحر المحيط ٨٤/٧ والنشر لابن الجزري ٢٣٨/٢ والاتحاف ص
٤١٠ .

(٦) التبصرة والتذكرة لابن محمد عبد الله بن علي بن اسحاق العيبري ١/١٥٤ -
٤٥٥ .

الفصل الثاني

في أركان القسم

ان للقسم أربعة أركان ، وهي أدوات القسم والمقسم والقسم به والقسم عليه (١) وستتناولها على التوالي :

المبحث الاول : في أدوات القسم :

وللقسم أدوات تضيف معنى الحلف الى المحلوف به والذي يميننا منها ما ورد في القرآن الكريم ، وهي الباء والواو والتاء .

١- الباء المفردة : وفيها ست مماثل :

(١) ان الباء المفردة لا تكون في كلام العرب الا جارة لا غير ، تخفضا بعدها على كل حال ، وهي على ثلاثة أقسام : قسم لا يمكن أن تكون زائدة قطما ، وقسم لا تكون الا زائدة (٢) ، وقسم يحتمل أن تكون زائدة وأن لا تكون . (٣)

والباء اذا جاءت للقسم لا يمكن أن تكون زائدة قطما ، وذهب أكثر النحاة

(١) المقرب لابن عصفور : ٢٠٤/١

(٢) أعني بالزائد الذي دخوله كخروجه أو الذي يستقيم الكلام مع عدمه كاستقامته معه .

(٣) انظر تفصيل ذلك في سر صناعة الاعراب لابن جنى : ١٣٥/١ - ١٣٦ ، والجنى الداني في حروف المماني للمراذى ٣٦ ، ووصف الباني فسي حروف المماني للمالقي ص ١٤٢ .

الى أن الباء أصل حروف القسم (١) لأنها الأصل في التعدية ، ولأن معناها
الاصاق فهي تلتصق فعمل القسم بالمقسم به ، وتضيفه اليه ، ولذلك خصت بحجواز
ذكر الفعل معها ، نحو قوله سبحانه : (وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم
آية ليوثنن بها ، الآية) (٢) ودخولها على الضمير نحو : (بك لا فعلن) وفي
حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ان الله تعالى
قال : لقد خلقت خلقا أمنتهم أحلى من العسل وقلوبهم أمر من الصبر ، فهي حلفت
لأشحنهم فتنة تدع الحليم منهم حيران ، فهي يفترون أم على يجتروون ؟ (٣)
كذلك خصت الباء باستعمالها في القسم الاستعطافي ، نحو : بالله هل قام زيد ؟
أى أسألك بالله مستحلفا .

(١) قيل ليس للقسم في الأصل حرف أصلا ، لكن الباء والواو استعملتا فيه لمعنى
عارض ، وذلك لأن الباء في أصل القسم هي الباء التي للأصاق والاستعانة
فكما يقول القائل : استعنت بالله يقول : أقسمت بالله ، وكما يقول أقسم
بمؤمن الله على المدو ، يقول : أقسم بحق الله ، فالباء في الحقيقة ليست
للقسم ، غير أن القسم كثر في الكلام فاستغنى عن ذكره ، وهو لم يكثر فلم
يستغن عنه ، فلما صار الحذف في القسم للشبهة والاستغناء قيل الباء للقسم
لهذا المعنى العارض (انظر الكلام مفصلا في تفسير الفخر الرازي ٢٨٨/٢٨) ،
وهذا ما يبدو من كلام الخليل حيث قال : انما تجيء بهذه الحروف ، لأنك
تضيف حلفك الى المحلوف به كما تضيف (مروت به) بالباء ، لا أن الفعل
يجيء مضمرا في هذا الباب (أي باب القسم) . (الكتاب لسبويه تحقيق
عبد السلام هارون ، ٤٩٢/٣) وهو ما صرح به سبويه حيث قال : (وأما الباء
وما أشبهها فليست بظروف ولا أسماء ، ولكنها يضاف بها الى الاسم ما قبله
أو ما بعده وإذا قلت : بالله و بالله و تالله فأنما أضفت الحلف الى
الله سبحانه ، كما أضفت النداء باللام الى بكر حين قلت يا بكر) انظر الكتاب
تحقيق عبد السلام هارون ٤٢٠/١ - ٤٢١ . فالباء في الحقيقة ليست للقسم
غير أن فعل القسم لما كثر في الكلام استغنى عن ذكره اكتفاء بصلته وهي الباء .
وأطلق عليها باء القسم لهذا المعنى العارض .

(٢) الانعام : ١٠٩

(٣) سنن الترمذي ٣٧ - كتاب الزهد باب ٥٩ الحديث رقم ٢٤٠٥ قال أبو عيسى
الترمذي : هذا حديث حسن غريب من حديث ابن عمر ، لا نعرفه الا من هذا الوجه ،
وقد حسنه الشيخ عبد القادر الأرنؤوط في تخرجه لجامع الاصول لابن الأثير ١/٤
٥٤٥ هـ ، يروى الترمذي أيضا بسنده عن أبي هريرة ، وما حكم على الاستاد وضعفه
الألباني .

قد بينت أن الأصل في حروف القسم الباء وهي أكثرها استعمالا في القسم بعد الواو (١) وذلك أن فعل القسم إنما هو أقسم أو أحلف، وهما لا يصلان إلا بالباء. فدل ذلك على أن الباء هي الأصل. وقد ذكرت أنها أختصت من بين حروف القسم بأمور نلخصها فيما يلي :

(٢) خصائص الـباء :

(أولا) : أن فعل القسم لا يظهر إلا معها دون غيرها، نحو قوله سبحانه :

(وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت) (٢)

(ثانيا) : أنها تدخل على كل محلوف به من ظاهر أو ضمير، فيقال : أقسم

بالله وسه أقسم (٣) ومن دخول الباء على الضمير قول الشاعر :

رأى برقاً فأوضع فوق بكر فلاك ما أسأل ولا أقامسا (٤)

(ثالثا) : تكون الباء هي الأصل اختص بها الطلب والاستعطاف، فلا يقسم فيها بخير

الباء (٥) وزاد بعضهم رابعا، وهو أن الباء تكون جارة في القسم وغيرها بخلاف واو القسم

وتائه فإنها لا تجران إلا في القسم . (٦)

(١) الكتاب لمسيويه تحقيق عبد السلام هارون ٤٩٦/٣

(٢) النحل : ٣٨

(٣) انظر المقتضب ٣١٨/٢ وشرح الكافية للرضي ٢٣٤/٢ وشرح جمل الزجاجي لابن عصفور ص ٥٢٣ وكتاب اللمع في العربية لابن جنى ١٨٣ وشرح المفصل لابن يعيش ٣٣/٨

(٤) من أبيات لممرو بن يوسع ابن حنظلة (جاهلي) ومعنى أوضع : أسرع في السير،

البكر : الفتى من الأبل، يدعو لذيوار أهلها بأن تسلم من أذى البرق والسيل

وقسم بحياتها أنه لن يكون مع هذا البرق فهم ولا سيل يوم ذيان، وقد ورد البيت

في شرح جمل الزجاجي لابن عصفور ص ٥٢٣ والنوادر ١٤٦، وسبط اللاكسي

٧٠٢ والحيوان ١٨٦/١ وجمهرة اللغة ١٥٢/٣ والمخصص ٥٢/١٤ والخصائص

١٩/٢ ورسائل ابن جنى ١١٧/١ ١٥٩٥

(٥) انظر خصائص الـباء في معنى اللبيب لابن هشام ص ١٠٦ والمخصص لابن سيدة :

١١٩/١٣ وشرح ابن يعيش ٣٢/٨ ١٣٨٥ و ١٠٠/٩ ومعجم الهوامع

للسيوطي ٢٣٢/٤

(٦) الجنى الداني في حروف المعاني للمرادى ص ٤٥

(٣) إضافة فعل القسم الى المقسم به بواسطة الياء :

قد سبق أن الياء هي المعدية لفعل القسم الى المقسم به ، ولذلك قل
أن يأتي القسم بالياء الا مصحوا بفعل القسم ، ولا يكون ذلك في الواو والتاء
واستقصى فيما يلي الآيات التي صرح فيها بفعل القسم، تارة بلفظ (أقسم) ،
وتارة بلفظ (حلف) مقرونا بالياء .

فقد جاء التصريح بلفظ القسم مع ذكر المقسم به في ستة مواضع حكاه

لقسمهم ، وذلك في قوله سبحانه :

- (١) ويقول الذين آمنوا أهولاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم انهم لمحكمه
الآية . (١)
- (٢) وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها الآية . (٢)
- (٣) وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يسمعت الله من يموت ، الآية . (٣)
- (٤) وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن أمرتهم ليخرجن ، قل لا تقسموا، الآية . (٤)
- (٥) وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من احدى
الأمم ، الآية . (٥)
- (٦) قالوا تقاسموا بالله لتبيتنه وأهله ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك
أهله وانا لصادقون . (٦)

كما جاء التصريح بلفظ القسم على سبيل الانشاء مع ذكر المقسم به في ثمانية
مواضع استدلالا على أمور مهمة ، وذلك في قوله سبحانه :

- (١) فلا أقسم بمواقع النجوم ، وانه لقسم لو تعلمون عظيم . (٧)
- ٢ فلا أقسم بما تصرون وما لا تصرون ، الآية . (٨)

(١) المائدة : ٥٣	(٢) الانعام : ١٠٩	(٣) النحل : ٣٨
(٤) النور : ٥٣	(٥) فاطر : ٤٢	(٦) النمل : ٤٩
(٧) الواقعة : ٧٥-٧٦	(٨) الحاقة : ٣٨-٣٩	

(٣) فلا أقسم برب المشارق والمغرب انا لقادرون (١)

(٤) لا أقسم بيوم القيامة (٢)

(٥) ولا أقسم بالنفس اللوامة (٣)

(٦) فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس (٤)

(٧) فلا أقسم بالشفق والليل وما وسق (٥)

(٨) لا أقسم بهذا البلد وأنت حل بهذا البلد (٦)

وإذا نظرنا في هذه الآيات لوجدناها بأسرها أقساما صدرت من الله تعالى انشاءً ، وكلها مصبوقة بـ (لا) قبل فعل القسم ، وسأعرض لشرح هذه الآيات في الباب الثاني حيث خصصته للقسم بال مخلوقات وسأفرد هناك بحث (لا) قبل تفسير هذه الآيات خوفاً من حصول التكرار .

كما جاء التصريح بلفظ القسم مع ذكر المقسم به في موضعين تشريعا منسوخا سبحانه لعباده في أمر الوصية إذا حضر أحدهم الموت وهو في حالة الحفرة ، وذلك في قوله تعالى :

(١) فيقسمان بالله ان ارتبتم لا نشتري به ثمنا ولو كان ذا قبس ولا نكتم

شهادة الله انا اذا لمن الآثمين . (٧)

(٢) فان شر على أنها استحقا اثما فاتحران يقومان مقامهما من الذين استحق

عليهم الأوليان فيقسمان بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما وما اعتدينا

إنا اذا لمن الظالمين . (٨)

(١) المارج : ٤٠ (٢) القيامة : ١ (٣) القيامة : ٢
(٤) التكوثر : ١٦/١٥ (٥) الانشقاق : ١٦-١٧ (٦) البلد : ٢-٣
(٧) المائدة : ١٠٦ (٨) المائدة : ١٠٧

كما ورد التصريح بلفظ (الحلف) مع ذكر المقسم به في ستة مواضع ، وكلها حكاية لقسمهم ، وذلك في قوله سبحانه :

- (١) فكيف اذا اصابتهم مصيبة بما قدمت ايديهم ثم جاءوك يحلفون بالله ان اردنا الا احسانا وخوفيا . (١)
 - (٢) وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون انفسهم والله يعلم انهم لكاذبون . (٢)
 - (٣) ويحلفون بالله انهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون . (٣)
 - (٤) يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله احق ان يرضوه ان كانوا مؤمنين . (٤)
 - (٥) يحلفون بالله ما قالوا ، ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم ، الآية . (٥)
 - (٦) سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم ، الآية . (٦)
- (٤) تكلمة للآيات التي ورد فيها لفظ الحلف والقسم :

واستقصاء لكلمتي القسم والحلف في القرآن أقول : انه ورد التصريح بلفظ

(القسم) مع عدم ذكر المقسم به في ستة مواضع وكلها حكاية لقسمهم الا موصفا فقد ورد فيه النهي عن الأيمان الكاذبة ، وذلك في قوله سبحانه :

- (١) أهولاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمته ، الآية . (٧)
- (٢) أو لم تكونوا أقسمتم من قبل من زوال ، (٨)
- (٣) وهم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة ، الآية . (٩)
- (٤) انا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة اذ أقسموا ليصرنها هجين ، الآية . (١٠)

(١) النساء : ٦٢	(٢) التوبة : ٤٧	(٣) التوبة : ٥٦
(٤) التوبة : ٦٢	(٥) التوبة : ٧٤	(٦) التوبة : ٩٥
(٧) الاعراف : ٤٩	(٨) ابراهيم : ٤٤	(٩) الروم : ٥٥
(١٠) القلم : ١٧		

(٥) وقاسمها اني لكما لمن الناصحين (١)

والآية التي ورد فيها النهي عن الايمان الكاذبة هي في سورة النور
وهو قوله تعالى :

(٦) قل لا تقسوا ، طاعة معروفة ان الله خير بما تعملون (٢)

كما ورد التصريح بلفظ الحلف مع عدم ذكر القسم به في أربعة مواضع
وكلمها حكاية لقسمهم ، وذلك في قوله سبحانه :

(١) يحلفون لكم لترضوا عنهم ، فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القسم
الفاستين (٣)

(٢) والذين اتخذوا مسجدا ضارا وكفرا وتفريقا بين المؤمن وارصادا
لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن ان اردنا الا الحصنى ، والله
يشهد انهم لكاذبون . (٤)

(٣) ألم تر الى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم ما هم منكم ولا منهم يحلفون
على الكذب وهم يعلمون (٥)

(٤) يم يبعثهم جديما فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون انهم على
شيء ، الا انهم هم الكاذبون . (٦)

فهذه الآيات كما ترى ورد فيها لفظتا الحلف والقسم غير مقرونة بالياء وانما
ذكرتها تكملة لآيات الحلف والقسم كما أنها واضحة الدلالة على أمرهم
وهو أن القسم لا يلزمه استصحاب المقسم به فيكون القصد حينئذ تأكيدا محضاً
للقول ، والله اعلم .

(٣) التوبة : ٩٦

(٢) النور : ٥٣

(١) الاعراف : ٢١

(٦) المجادلة : ١٨

(٥) المجادلة : ١٤

(٤) التوبة : ١٠٧

٥) حذف فعل القسم والاكتفاء بالياء :

قل أن يأتي القسم بالياء الا مصحوا بفعل القسم ، وثارة يحذف الفعل
ويكتفى بالياء فقط ، والآيات التي وردت فيها الياء مع حذف الفعل على قسمين :

(١) قسم متفق فيه على أنها ياء القسم .

(٢) وقسم مختلف فيه .

فأما الأول فلم يأت الا في آيتين في القراءات السبعة وذلك قوله تعالى حكاية
عن إبليس :

(أ) قال فمترتك لا أعينهم أجمعين (١)

وقوله تعالى حكاية عن سحرة فرعون :

(ب) وقالوا بمرّة فرعون انا لنحن الغالبون (٢)

وقد ذكروا آية ثالثة ، وهي قراحة معاذ بن جبل رضي الله عنه (٣) :

(والله لا أكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين) في قوله تعالى : (وتالله

لا أكيدن أصنامكم ، الآية) (٤) وهي قراحة شاذة فلا يعثر بها الا اذا صح

سندها فانها تكون بمثابة خبر الواحد ، فيحتج بها لغة لانها بمثابة الحديث

الشريف سواء كانت مقروفة أو مرفوضة . والله اعلم .

* * *

(١) سورة ص : ٨٢ (٢) سورة الشعراء : ٤٤

(٣) هو معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عابد بن عدي بن كعب بن عمرو بن أدي

ابن علي بن أمية ، أبو عبد الرحمن الأنصاري الخزرجي ، صاحب الجليل ،

الامام المقدم في علم الحلال والحرام ، كانت وفاته بالطاعون في الشام سنة

سبع عشرة أو التي بعدها وهو قول الأكثر ، وطش أيضا وثلاثين سنة .

(الاصابة ٤٢٦/٣ - ٤٢٧)

(٤) الانبياء : ٥٧

والقسم الثاني: وهو ما اختلف فيه ، فقال بعضهم : ان الباء نهد للقسم ، والثاني

عليه الاكثرون انها ليست للقسم ، وقيل ذلك في اثني عشرة آية منها تسع آيات فذكرت

فيهن الباء ، وثلاث على تقدير باء القسم في بعض القراءات ، واليك بيانها :

(١) قوله عز وجل بحكاية عن المسيح عليه السلام : (قال سبحانه ما يكون لى ان

أقول ما ليس لى بحق ، ان كنت قلته فقد علمته ، تعلم ما في نفسي ولا أعلم

ما في نفسك ، انك أنت علام الغيوب) (١).

قيل: ان الباء في (بحق) للقسم فيوقف على (لى) ويبتدأ (بحق) وقسم

خطأ السيوطي من ذهب الى ذلك .

والصحيح عدم حمل الآية على القسم وأن تكون الباء واقعة في خبر (ليس) ،

ثم أن المقام لا يتطلب القسم من عيسى عليه السلام فلا داعي للمدول عن ظاهر

الآية (٢) .

(٢) وقوله عز وجل بحكاية عن ابلوس : (قال فيما أئويتنى لا أقعدن لهم صراطك

المستقيم ، ثم لا تينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمنهم وعن شمائلهم

ولا تجد أكثرهم شاكرين) (٣).

قيل : ان الباء سببية أى بسبب اغوائك لى ، وهو قول جمهور المفسرين ، وقيل :

ان الباء للقسم ، و (ما) مصدرية ولذلك أجيبت بما يجاب به القسم .

قال الكرهاني (٤) : " قوله تعالى (فيما أئويتنى) في هذه السورة (أى الاعراف)

وفي سورة (ص) : (فحضرتك لا أقونهم) (٥) . وفي الحجر : (ربما أئويتنى)

..... وهذا قسم عند أكثرهم بدليل ما في (ص) وخبر عند بعضهم " (٦)

(١) المائدة ١١٦

(٢) انظر البرهان ٤٤/٣ ، والاتقان ٤٤٩/٤ ، والمعبرى ٢٣٢/١ ، والبحر المحيط ٤/

٥٨ - ٥٩ ، والفتوحات الالهية ٥٤٧/١ ، والقسم والشرط في القرآن الكريم

لمبدد المنز اللبيب ، ص ٤١٠ -

(٣) الاعراف ١٦ - ١٧

(٤) هو محمود بن حمزة بن نصر ، أبو القاسم برهان الدين الكرهاني ، ومعرفة بتاج القراء

عالم بالقراءات اثنى عليه ابن الجزرى ، وتوفي بعد الخمسة مائة بحكاية النهاية

٢/٢٩١١ ، والاعلام ١٦٨/٧)

(٦) سورة الحجر : ٣٩

(٥) سورة ص : ٨٢

(٧) البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبرهان لمحمود بن حمزة بن

نصر الكرهاني : ص ٧٩ .

والذي يدولى أن الباء ليست للقسم إذ لا يظهر وجه لاقسام ابلعس والغواية
وقد أقسم بالعترة في قول الله عز وجل : (قال فمضت لا أعونهم أجمعين) (١) ،
وقوله سبحانه : (لا أقعدن) ليس جوابا للباء وإنما هو جواب قسم مقدر ، فالظاهر
القريب لظاهر نطق الآية أن تكون الباء سببية ، ومع ذلك لا أنكر احتمال الرأي الثاني ،
والله اعلم . (٢)

(٣) وقوله عز وجل : (قال رب بما أغويتني لا زينن لهم في الارض ولا أعونهم
أجمعين) (٣) .

والقول فيها كما مر في الآية السابقة .

(٤) وقوله عز وجل : (قال رب بما أنعمت علي فلن أكون ظهيرا للمجرمين) (٤) .
يجوز أن يكون قسما ، فقد قيل : ان الباء في (بما) للقسم ، والجواب محذوف ،
وجملة (فلن أكون) تفسير له ، والتقدير : أقسم بانعامك علي بالمشفرة لا تؤمن فلن
أكون ظهيرا للمجرمين .

ويجوز أن يكون استمطافا ، فتكون الباء متملقة بمحذوف تقديره : اعصمني
بحق انعامك علي بالمشفرة ، فتكون (ما) مصدرية والكلام على حذف مضاف ، والفاء
في (فلن) واقعة في جواب شرط مقدر ، أي فان عصمتني فلن أكون ظهيرا
للمجرمين .

ويؤيد أن الكلام مهني على السؤال والاستمطاف تقدم الداء عليه بصيغة
النداء (رب) أي يارب ، ولأنه لا يوقف على (قال رب) وأحتج أهل الملسم
بهذه الآية على منع معونة أهل الظلم وخدمتهم ، (٥)

(١) سورة ص ٨٢

(٢) انظر الكشاف : ٦٩/٢ - ٧٠ ، والبحر ٢٧٥/٥ ، والبيان لابن الانباري ١/٣٥٦ ،
والفتوحات ٥٣٨/٢ . (٣) الحجر : ٣٩ (٤) القصص : ١٧

(٥) انظر الكشاف ١٦٩/٣ ، والبحر ١٠٩/٧ - ١١٠ ، والفتوحات ٣٤١/٣ ، والمعبري

(٥) وقوله عز وجل : (قال سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون اليكما ، بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون) (١)
قيل : ان الباء في (بآياتنا) متملقة بنحو ما تعلق به (في تصح آيات الى فرعون وقومه) (٢) أي اذها بآياتنا، أوب (نجعل لكما سلطانا) أي نسلطكما بآياتنا ، أوب (لا يصلون) أي تمتعون منهم بآياتنا ، أو هو بيان لقوله : (الغالبون) ، ويجوز أن يكون قسا ، جوابه (فلا يصلون) مقدم عليه، أو من لغو القسم (٣) ، قاله الزمخشري (٤)

ورد عليه أبو حيان (٥) في جملة (فلا يصلون) جواباً للقسم ، فقال بعمد سياق كلامه : أما انه قسم ، جوابه (فلا يصلون) فانه لا يستقيم على قول الجمهور ، لأن جواب القسم لا تدخله الفاء ، وأما قوله : لغو القسم ، فكأنه أراد - والله اعلم - أنه لم يذكر له جواب بل حذف للدلالة عليه ، أي بآياتنا لتفلهن (٦)

(١) القصص : ٣٥

(٢) النمل : ١٢

(٣) الكشاف : ١٧٦/٣

(٤) هو محمود بن عمر بن محمد بن احمد الخوارزمي الزمخشري ، جار الله ، أبو القاسم ، من أئمة الملم بالدين والتفسير واللغة والآداب ، وكان معتزلي المذهب مجاهراً ، شديد الإنكار على المتصوفة .
(٤٦٢ - ٥٣٨ هـ) بغية الوعاة ٢/٢٧٩ - ٢٨٠ ، والأعلام ٧/١٧٨ .

(٥) هو محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الفوناطي الأندلسي ، أثير الدين ، أبو حيان ، من كبار العلماء بالعربية والتفسير والحديث والتراجم واللغات ، (٦٥٤ - ٧٤٥ هـ)

(بغية الوعاة ١/٢٨٠ - ٢٨١ ، والأعلام ٧/١٥٢) .

(٦) البحر المحيط : ٧/١١٨ - ١١٩ ، والفتوحات الإلهية : ٣/٣٤٨ .

والأقرب الى ظاهر الآية واستقامة المعنى أن يقال: إن الوقف على (يصلون)
وجملة (بآياتنا أنما ومن اتبعكم الفالهيون) مستأنفة ، وشبه الجملة متعلق بمعنى
بالخير (الفالهيون) فيكون تقدير المعنى : أنما ومن اتبعكم الفالهيون بآياتنا ،
أي باستماتتكم بها أو بسبب إيمانكم وتمسككم بها ، وهو قول ابن جرير والاختفـش
كما ذكره النحاس . (٢)

(٦) وقوله عز وجل : (واذ قال لقمان لابنه وهو يحظه يابني لا تشرك بالله ،
إن الشرك لظلم عظيم) (٣) قيل : إن الباء في (بالله) للقسم ،
وليست متعلقة بـ (لا تشرك) ، والجواب محذوف لدلالة الكلام عليه ، والتقدير
بالله لا تشرك ، وهذا على أن الوقف على (لا تشرك) ثم ابتداء فقال : (بالله) ،
وقف على لفظ الجلالة أيضا ، أما إذا لم يقف على لفظ الجلالة فجواب القسم
(إن الشرك لظلم عظيم) ، وربما يعتمد الوقف عليه بعض المتمنتين ، ووجه غرابته
أن العلماء قالوا : إن الأقسام في القرآن المحذوفة الفعل لا تكون إلا بالواو ،
فاذا ذكرت الباء وكان القسم به لفظ الجلالة أتى بالفعل وهذه قاعدة مطردة
في القرآن الكريم .

والصحيح أن الباء متعلقة بـ (لا تشرك) وليست للقسم لأنه المناسب لترابط
الآيات إذ أن الوقف على (لا تشرك) خطأ ، ووصف بالضعف والغرابية ، ولا يحمل
القرآن على ذلك ، وظاهر معنى الآية النهي عن الشرك بالله ، وما يؤيد ذلك أن
النهي عن الشرك - وهو في القرآن كثير - دائما يكون (بالله) فيها متعلقا بفعل

(١) انظر القطع والائتناف لأبي جعفر النحاس : ص ٥٤٦ .

(٢) هو أحمد بن محمد بن اسماعيل بن يونس المرادي ، أبو جعفر النحاس مفسر
أديب ، مولده ووفاته بمصر ، صنف كتباً كثيرة ، منها أعراب القرآن ، معاني
القرآن ، الكافي في الصرية . شرح المعلقات . مات غرقاً في النيل سنة ثمان
وثلاثين وثلاث مائة . (بشفية الوطاة ٣٦٢/١ والأعلام ٢٠٨/١) .

(٣) لقمان : ١٣ .

الشرك ، وخير ما يفسر القرآن القرآن . (١) .

(٧) وقوله عز وجل : (وقالوا يا أيها الساحر ادع لنا ربك بما عهد عندك اننا لمهتدون) (٢) .

(٣) قيل : ان قوله (بما عهد) قسم ، والاولى أن يقال : انه سؤال لا قسم ، ويرجح كونه للسؤال تقدم طلبهم منه ، أن يدعوا لهم ربه (ادع لنا ربك) أى اسأله بالذى عهد عندك أو بعهدك عندك من أن دعوتك مستجابة ، أو بعهدك عندك وهو النهوة ، أو بما عهد عندك فوفيت به وهو الايمان والطاعة ، أو بما عهد عندك من كشف المذاب عن اهتدى .

قال الزمخشري : فان قيل : كيف سموه بالساحر مع قولهم (اننا لمهتدون) ، قلت : قولهم (اننا لمهتدون) وعد منوى اخلافه وعهد معزم على نكته معلق بشرط أن يدعو لهم وينكشف عنهم المذاب ،

(٤) ألا ترى الى قوله تعالى : (فلما كشفنا عنهم المذاب اذا هم ينكبون)
فما كانت تسميتهم اياه بالساحر بمنافية لقولهم (اننا لمهتدون) (٥) .

(٨) وقوله عز وجل : (فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون) (٦) .

(٩) وقوله تعالى : (ما أنت بنعمة ربك بمجنون) (٧) .

وقوله : (بنعمة ربك) قيل : ان الباء للقسم كأنه قيل : " ونعمة ربك ما أنت بكاهن ولا مجنون " فتوسط المقسم به بين الاسم والخبر .

وقد رد ذلك ابن القيم ، قال رحمه الله : وقد اختلف في تقدير الآية ، فقالت فرقة : الباء في (بنعمة ربك) بباء القسم ، فهو قسم آخر اعترض بين المحكم به والمحكم عليه ، كما يقول : ما أنت بالله بكاذب ، وهذا التقدير ضعيف جدا ، لأنه

(١) البرهان للزركشي ٤٤/٣ ، والاتقان للسيوطي ٤٩١/٤ ، منار الهدى في بيان الوقف

والابتداء للشموني : ص ٢٥٨ ، شرح المفصل لابن يعيش ٩٤/٩ .

(٢) الزخرف : ٤٩ (٣) البرهان للزركشي ٤٤/٣ ، والاتقان للسيوطي ٤٩١/٤ -

(٤) الزخرف : ٥٠ (٥) الكشاف ٤٩١/٣ - ٤٩٢ ، والفتوحات ٩٠/٤ -

(٦) الطسور : ٢٩ (٧) القلم : ٢ -

قد تقدم القسم الأول فكيف يقع القسم الثاني في جوابه ؟ ولا يحسن أن تقول : والله ما أنت يا للمبتدأ وليس هذا من فصيح الكلام ولا عهد في كلامهم . (١)
وذهب أبو البقاء العكبري (٢) إلى أن الباء في موضع الحال والعامل فيه
(بكاهن) أو (مجنون) ، والتقدير : ما أنت كاهنا ولا مجنونا حال كونك متلبسا
بنعمة ربك (٣) .

وقيل : الباء سببية وتتعلق بمضمون الجملة المنفية وهي معترضة بين اسم
(ما) و خبرها (٤) ، وهو الراجع ، لعدم الوقف على (فما أنت) ثم الابتداء (بنعمة)
كما لو كان القسم ، ولأن المعنى المناسب لمقصود الآية أن الكهانة والجنون انتفيا
بسبب ما أنعم الله به على رسوله من النبوة ، وإن كنت لا أستبعد قول أبي البقاء بل
استحسنه .

(٦) حذف فعل القسم وأداته :

ذكر الآيات الثلاث على تقدير باء القسم في بعض القراءات :

- (١) قوله عز وجل : (ولا نكنم شهادة الله إذا لمن اليمين) (٥) .
والشاهد هنا أنه قرئ بالوقف على (شهادة) وابتدى بلفظ الجلالة على
أنه مقسم به ، وحذف حرف القسم وعوض عنه همزة الاستفهام أو همزة القطع
والقراءة فيها منسوبة إلى الشعبي (٦) ووجهها ابن جنى في المحتسب ، وهي
من القراءات الشاذة . (٧)

(١) التبيان في أقسام القرآن لابن القيم ص ١٣٤
(٢) هو عبد الله بن الحسين بن عبد الله بن الحسين ، محب الدين أبو البقاء
العكبري البغدادي الضرير ، عالم بالأدب واللغة والفرائض والحساب ، صنف
كثرا كثيرة ، ولد في أوائل سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة ببغداد ، ومات سنة
ست عشرة وستمائة (بغية الرواة ٢/٣٨ - ٣٩ والاعلام ٤/٨٠) .
(٣) العكبري ٢/٢٤٦ -
(٤) البحر ٨/١٥١ ، والقرطبي ١٨/٢٢٦ ، والفتوحات ٤/٢١٧ - ٢١٨ -
(٥) المائدة ١٠٦
(٦) هو طمر بن شراحيل بن عبد أبو عمر الشعبي الكوفي ، الإمام الكبير المشهور ،
راوي ، من التابعين ، مات سنة خمس ومائة وله سبع وسبعون سنة (غاية النهاية :
١/٣٥٠ ، والاعلام ٣/٢٥١) (٧) انظر المحتسب لابن جنى ١/٢٢١ والعكبري
١/٢٣٠ والبحر المحيط ٤/٤٤ .

والاقرب الى ظاهر معنى الآية وأساليب العرب في الكلام عدم تقدير أداة
قسم بل نقول لقد أضيفت الشهادة لله في هذا الموضع لتعظيمها والتخوف من
كتمانها الى جانب أن مالا يحتاج الى تقدير أولى مما يحتاج الى تقدير ، والله اعلم .
(٢) وقوله عز وجل : (قال فالحق والحق أقول لا ملأن جهنم منك ومن تبعك منهم
أجمعين) (١)

(فالحق والحق) يقرآن بالنصب مما وهي قراءة أهل الحرمين وأهل البصرة
والكناشي ، وقرئ برفع (الحق) الأول ونصب (الحق) الثاني ، وهي قراءة
ابن عباس (٢) ومجاهد (٣) وعاصم (٤) والأعمش (٥) وحمة (٦) .

-
- (١) سورة ص : ٨٤ - ٨٥ .
(٢) هو عهد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي
أبو العباس ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو ترجمان القرآن وجسر
هذه الأمة ولد قبل الهجرة بثلاث ومات بالطائف سنة ثمان وستين من الهجرة ،
(الاصابة ٢/٣٣٠ - ٣٣٤) .
(٣) هو مجاهد بن جبر أبو الحجاج المكي أحد الاعلام من التابعين والائمة المفسرين
عرض المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات من فاتحته الى خاتمته أوقفه عند كل
آية منه وسأله عنها . مات سنة ثلاث ومائة وقد نيف على الثمانين ،
(غاية النهاية ٢/٤١ - ٤٢ ، وفیات ٥٥/٢ وتذكرة الحفاظ ١/٩٢) .
(٤) هو عاصم بن بهدلة أبي النجود (بفتح النون) الأُسدي بالولاء أبو بكر
الكوفي ، أحد القراء السبعة ، تابعي ، توفي آخر سنة سبع وعشرين
ومائة (غاية النهاية ١/٣٤٦ - ٣٤٨ والاعلام ٣/٢٤٨) .
(٥) هو سليمان بن مهران الأعمش أبو محمد الأُسدي الكاهلي مولاهم الكوفي ،
الامام الجليل ، ولد سنة ستين ومات سنة ثمان وأربعين ومائة (غاية النهاية
١/٣١٥ - ٣١٦) .
(٦) انظر الاتحاف : ص ٣٧٤ ، والنشر لابن الجزري : ٢/٣٦٢ وكتاب السبعة
لابن مجاهد : ص ٥٥٧ ، وحجة القراءات لابن زنجلة ص ٦١٨ ، والحجة
لابن خالويه : ٢٨١ .

ويجوز على قراءة الرفع أن يكون جملة قسمية بجمله مبتدأ خبره محذوف

أي فالحق قسمي .

وقيل في نصب الأول : انه على تقدير حذف حرف القسم كما يقال : (الله

لا فعلن) بنصب لفظ الجلالة على ارادة حذف حرف القسم ونصب المقسم به بدليل

(لا ملأن) حيث هو جواب القسم ، أي فالحق لا ملأن ، وأما (والحق أقول)

فمعتز بين القسم وجوابه .

وأجاز الفراء الخفض على حذف حرف القسم وابقاء عمله بجمل لفظ (الحق)

اسم الله عزوجل ، كما تقول : الله لا فعلن ، ورد على من قال بذلك بأن حروف
الخفض لا تضمير ، وأن ذلك خاص بلفظ الجلالة وهو حذف الجار وابقاء عمله فسي

القسم .

وقرى بجرهما على أن الأول مجرور بواو القسم ، أي (فوالحق) والثاني

معتوف عليه ، وقال ابن الأنباري ^(١) عن هذه القراءة انها شاذة وضعيفة جدا

قياسا واستمالة ، وكذا في أبي السمود والبحر المحيط . ^(٢)

(٣) قوله عزوجل : (وأذكر اسم ربك وتمثل اليه تهتيلا ، رب المشرق والمغرب

لا اله الا هو فاتخذة وكيفا) ^(٣)

قرى (رب) في السبعية بالرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف تقديره :

هو رب المشرق ، ويجوز أن يكون مرفوعا بالابتداء ، وخبره (لا اله الا هو) وهي

(١) هو عبد الرحمن بن محمد بن سعيد الله بن أبي سعيد الامام أبو البركات ،

كمال الدين الأنباري النحوي ، من علماء اللغة والادب وتاريخ الرجال ،

ولد سنة ثلاث عشرة وخمسائة . وتوفي سنة سبع وسبعين وخمسائة ببغداد

(وفيات ١٣٩/٣ ، بغية الوعاة ٨٦/٢ - ٨٧ ، والاعلام ٣٢٢/٣) .

(٢) معاني القرآن للفراء ٤١٢/٢ - ٤١٣ ، والبيان في غريب اعراب القرآن لابن

الأنباري ٣٢٠/٢ ، والمعكبري ٢١٣/٢ ، والبحر المحيط ٤١١/٢ ، وتفسير

أبي السمود ٢٣٨/٧ - ٢٣٩ ، والفتوحات ٥٨٧/٣ - ٥٨٨ .

(٣) سورة المزمل : ٨ - ٩

قراة ابن كثير (١) ونافع (٢) وأبي عمرو (٣) وحفص (٤) عن عاصم

وقرأ عاصم في رواية أبي بكر (٥) وابن عامر (٦) وحمزة والكسائي بالخفض على الاتباع لقول
(بك) فهو يدل منه (٧)

- (١) هو عبد الله بن كثير بن المطلب القرشي أبو محمد المكي امام أهل مكة في القراة وأحد القراء السبعة . مات سنة عشرين ومائة (غاية النهاية ١/٤٤٣ - ٤٤٥)
- (٢) هو نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم أبو روم الليثي مولا هم ، أحد القراء السبعة ، ثقة صالح ، أصله من أصبهان مات بالمدينة سنة تسع وستين ومائة .
(غاية النهاية ٢/٣٣٠ - ٣٣٤)
- (٣) هو نوان بن العلاء بن عمار بن العريان بن عبد الله بن الحسين ابن الحارث الامام السيد أبو عمرو التميمي المازني البصري ، أحد القراء السبعة ، ولد بمكة ونشأ بالبصرة ومات بالكوفة سنة أربع وخمسين ومائة .
(غاية النهاية ١/٢٨٨ - ٢٩٢)
- (٤) هو حفص بن سليمان بن المفيرة أبو عمرو بن أبي داود الأسدي الكوفي ، أحد القراء عرضا وثلقينا عن عاصم ، ولد سنة تسعين وتوفي سنة ثمانية ومائة على الصحيح .
(غاية النهاية ١/٢٥٤ - ٢٥٥)
- (٥) هو شعبة بن عياش بن سالم أبو بكر الحنات الأسدي الكوفي راوى عاصم توفي سنة ثلاث وتسعين ومائة .
(غاية النهاية ١/٣٢٥ - ٣٢٧)
- (٦) هو عبد الله بن عامر بن يزيد بن تميم بن ربيعة بن عامر اليحصبي (بضم الصاد وكسرهما) امام أهل الشام في القراة وأحد القراء السبعة . توفي سنة ثمان وثمان مائة ، (غاية النهاية ١/٤٢٣ - ٤٢٥)
- (٧) انظر النشر لابن الجزري ٢/٣٩٣ واتحاف فضلاء البشر : ٤٢٦ وكتاب السبعة ص ٦٥٨ والتيسير للداني ص ٢١٦ وحجة القراءات لابن تينجلة ص ٧٣ والكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبي طالب ٢/٣٤٥ .

وقيل إن الخفض على القسم فهو مجرور بحرف القسم المحذوف كما يقال :
الله لا فعلن (١) والجواب : (لا اله الا هو) ، ضعف هذا ، لأن فيه اضرار
الجار في القسم ، ولا يجوز عند البصريين الا في لفظة (الله) ولا يقاس عليه ، ولأن
الجملة المنفية في جواب القسم اذا كانت اسمية فلا تنفي الا بـ (ما) وحدها ولا تنفي
بـ (لا) الا الجملة المصدرة بحضارع كثير وماض في معناه قليلا (٢) .
والذى يدولي من مقصود الآية أن ليس ثمة قسم وأن قراءة الخفض انما
هي على الاتباع لقوله تعالى : (واذكر اسم ربك) والله اعلم .

بـ الواو المفردة : وفيها ست مسائل :

(١) كثرة استعمالها في القسم :

الواو المفردة هي أكثر أدوات القسم استعمالا وهي مهدلة عن باء الاصل
في أقسمت بالله (٣) عند جمهور النحاة ، ولما كانت الواو بدلا من الباء لم تتصرف
تصرف الباء ، لأن الفرع لا يتصرف تصرف الاصل ، فنقصت عن مرتبة الباء بدخولها
على المظهر وحده ، فلا تدخل على الضائر ولا تتعلق الا بمحذوف ، نحو قوله
سبحانه : (والقرآن الحكيم) (٤)

فان تلتها واو أخرى نحو (والتين والزيتون) فالتالية واو المطفة ، والا

لاحتاج كل من الاسمين الى جواب ويجرى على الواو كل ما يجرى على حروف القسم
من جواز الحذف مع بقاء المقسم به مجرورا بشرط أن يكون لفظ الجلالة . (٥)

(١) كتاب سيبويه تحقيق عبد السلام هارون ٤٩٨/٣ .

(٢) البيان لابن الانباري ٤٧١/٢ والمكبري ٢٧١/٢ والبحر المحيط ٣٦٣/٨ - ٣٦٤ .

(٣) الاحكام في أصول الاحكام للآمدي ٨٦/١ والكتاب لسيبويه تحقيق عبد السلام
هارون ٤٩٦/٣ واعراب القرآن للنحاس وصرناة الاعراب لابن جنى ١٣٦/١ .

(٤) سورة يس : ٢ .

(٥) انظر وصف المهاني للمالقي : ص ٤٢٠ ، وشرح جمل الزجاجي لابن عصفور : ص ٥٢٥
وشرح الرضي : ٣١٠/٢ - ٣١١ وشرح ابن يمين : ٣٢/٨ وفتن اللبيب لابن هشام
ص ٤٠٠ والجنى الداني ص ١٥٦ .

(٢) خصائص واو القسم :

- (١) يحذف فعل القسم معها ، فلا يقال : أقسم والله وأجاز ابن كيسان (١)
ظهور الفعل مع الواو ، فأجاز أن يقال : أقسم والله لا أفعلن كذا ، وهذا لا ينهني
أن يجوز كما لم يجزم مع سائر حروف القسم التي ليس استعمالها بحق الاصاله
فان جاء شيء من ذلك فينهني أن يتأول على أن يكون (أقسم) كلاما تاما ،
ثم أتى بعد ذلك بالقسم ، ولا يجعل (والله) متعلقا بأقسم (٢)
(٢) لا تدخل الواو على الضمير فلا يقال (وه) كما يقال (به) .
(٣) لا تستعمل في قسم السؤال فلا يقال في مثل (بالله أخبرني) : والله
أخبرني . (٣)

(٣) اختلاف العلماء في الواو :

وقد اختلفوا في الواو ، فقليل انها بدل من الباء ، وهو رأى كثير من النحاة
واللفويين (٤) وعللوا ذلك فقالوا : لقرب احدهما من الاخرى في المخرج والمعنى ،
فأما المخرج فلأن الباء من الشفتين و كذلك الواو ، وأما المعنى ، فلأن الباء للإصاق
والواو للجمع ، والإصاق والجمع يتقاربان . (٥)

- (١) هو محمد بن احمد بن ابراهيم بن كيسان أبو الحسن النحوي المعروف بابن كيسان ،
من أهل بغداد أخذ عن البرد وشعلب . مات سنة تسع وتسعين ومائتين ،
(بفية الوعاة ١٨/١ - ١٩) (الاعلام ٣٠٨/٥) .
(٢) شرح جمل الزجاجي لابن عصفور : ٥٢٦ وشرح الهوامع للسيوطي ٢٣٦/٤ .
(٣) شرح الرضي ٣١٠/٢ - ٣١١ وشرح ابن يعيش ٣٢/٨ وكتاب الملح لابن
جنى ١٨٤ والمفنى : ص ٤٠٠ والجنى الداني في حروف المعاني للمرادى
ص ١٥٤ .
(٤) جزم بذلك الزمخشري وابن مالك ونقله أبو حيان عن الجمهور ، انظر همـ
الهوامع للسيوطي ٢٣٦/٤ .
(٥) كتاب معاني الحروف للرمانى : ص ٤١ .

قال ابن سيدة : وجعلوا الواو بدلا من الباء وخصوا بها القسم لانها من

مخرج الباء ، واستعملوا الواو اكثر من استعمالهم الباء ، لان الباء تدخل في
صلة الأفعال في القسم وغيرها ، فاختروا الواو في الاستعمال لانفرادها بالقسم .
(١)

وقال السهيلي (٢) وغيره : بل الواو هي العاطفة كواو (رب) عطفت على

مقدر ، ويقصده انها لا تدخل على مضمرة وكذلك العاطفة ، وانها لو كانت بدلا من الباء
لم تختلفا في الحركة كما لم تختلف حركة الهمزة المبدلة من الواو في : اشاح ووشاح ،
وانها لم توجد قط بدلا منها لانها ليست من مخرجها ، ولما بينهما من المضادة
اذ في الواولين ، وفي الباء شدة .

قال أبو حيان : ولا يقوم دليل على صحة شيء من هذه المذاهب ولو كان أصلها

المطف (كما قاله السهيلي) لم يدخل عليها واو المطف في قوله :

أرقت ولم تهجع لعيني هجعة ووالله ما دهرى بمسر ولا سقم .
(٣)

ومذهب ثالث : أنه قد تكون الواو حرفا أصيلا في القسم ، وضع كما وضعت الباء للقسم
وهذا ما يبدو من كلام سيوييه رحمه الله حيث عبر بلفظ المنزلة مكان البدل ، قال :

(والواو التي تكون للقسم بمنزلة الباء ، وذلك قولك والله لا أقمل) فجعل الواو بمنزلة

الباء وليست بدلا منها . ومن ذهب الى أن التاء حرف مستقل غير بدل من الواو قطرب
وغيره . (٥)

(١) المخصص لابن سيدة ١١٠/١٣

(٢) هو عهد الرحمن بن عهد الله بن أحمد السهيلي الخثعمي الأندلسي ، حافظ

عالم باللغة والسير ، من كتبه الرض الأئف والايضاح والتبيين ، ونتائج الفكر .
(٥٠٨ - ٥٨١ هـ) (بغية الوعاة ٨١/٢ والاعلام ٣١٣/٣) .

(٣) مجهول قائله .

(٤) هو محمد بن المستنير أحمد ، أبو علي الشهير بقطرب نحوي ، عالم بالادب واللغة ،

مات سنة ست ومائتين . (بغية الوعاة ٢٤٢/١ - ٢٤٣ والاعلام ٩٥/٧) .

(٥) الكتاب لسيوييه تحقيق عهد السلام هارون ٢١٧/٤ مع الهوامع للسيوطي

٢٣٧/٤ - ٢٣٨

(٤) الواو بين العطف والقسم :

تكرر الواو بعد واو القسم ويقصد بها العطف على المقسم به ، وفادها
تمدد الأقسام ، لأن المعطوف على المقسم به يعد مقسما به ، ويكون للمقسم
بمصرها عطف عليه جواب واحد ، وذلك كثير في القرآن الكريم لا سيما في أوائل
سور المفصل .

قال سيوييه : قال الخليل في قوله تعالى : (والليل اذا يمشى والنهار
اذا تجلى وما خلق الذكر والانثى) (٢) قال : الواو ان الأخرى ان ليستا بمنزلة الأولى
ولكنهما الواو اللتان تضمان الأسماء الى الأسماء في قولك مررت بزيد وصرو ،
والأولى بمنزلة الباء والتاء ، ألا ترى أنك تقول : والله لا فعلن ، والله لا فعلن ،
فتدخل واو العطف عليها كما تدخلها على الباء والتاء .

قلت للخليل : فلم لا تكون الأخرى بمنزلة الأولى ؟ فقال : انما أقسم
بهذه الأشياء على شيء واحد ، ولو كان انقضى قسمه بالأول على شيء لجاز
أن يستعمل كلما آخر ، فيكون كقولك : بالله لا فعلن ، بالله لا خروجن اليوم ،
ولا يقوى أن تقول : وحقك وحق زيد لا فعلن ، والواو الآخرة واو قسم ، لا يجوز
الاستكرها (٣) ، معنى بتأويل ضعيف بأن يضمير للأول مقسم عليه محذوف يدل عليه
الثاني .

* وقال الزمخشري : الواو الأولى للقسم وما بعد للعطف ، كما تقول :
بالله فالله ، وحياتك ثم حياتك لا فعلن . (٤)

واليه ذهب ابن هشام ، قال : كل واو بعد الأولى للعطف نحو :
(٥)
(والتين والزيتون) ، فالتالية العطف ، والا لا حتاج كل من الاسمين الى جواب .

(١) هو الخليل بن احمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي الأزدي البصري أبو عبد الرحمن ،
من أئمة اللغة والأدب ، وواضع علم العروض وهو أستاذ سيوييه مات بالبصرة سنة
سبعمين وقيل خمس وسبعين ومائة وله أربع وسبعمون سنة . بغية الوعاة ١/٥٥٢ -
٥٦٠ والاعلام ٢/٣١٤ . (٢) سورة الليل : ١ - ٣
(٣) الكتاب لسيوييه : تحقيق عبد السلام هارون ٣/٥٠١ (٤) المفصل للزمخشري :
ص ٣٤٩ وأعراب القرآن للنحاس ٣/٢٤٩ (٥) مغنى اللبيب لابن هشام : ٢/٣٦١

* وقال ابن خالويه (١) يصح في موضع الثانية ثم والفاء ، فتقول : والضحي
ثم الليل في غير القرآن ، ولم لا تكون قسما (٢) .

وقيل : هي واوالقسم ، وردت بأنها لو كانت للقسم لكانت بدلا من الياء ولم
تفد المعطف ووربط المقسم به الثاني وما بعده بالاول ، فكانه قال : أقسم بكـذا
أقسم بكذا ، فكان كل واحد منهما قسما مستقلا بنفسه يحتاج الى جواب ، ففسى
الآيات المتقدمة يحتاج الى تقدير أوجهة على عدد الآيات .

* قال الرضى : واذا تكرر الواو بعد واوالقسم نحو قوله تعالى : (والليل
اذا يغشى والنهار اذا تجلّس) فذهب سيوييه والخليل أن المتكررة واوالعطف ،
وقال بعضهم : هي واوالقسم ، والاول أقوى ، وذلك لأنها لو كانت واوالقسم
لكانت بدلا من الياء ولم تفد المعطف ووربط المقسم به الثاني وما بعده بالاول بل
يكون التقدير : أقسم بالليل ، أقسم بالنهار ، أقسم بما خلق ، فهذه ثلاثة أيمان
كل واحد منها مستقل ، وكل قسم لابد له من جواب فتطلب ثلاثة أوجهة ، فان قلنا
حذف جوابان استغناء بما بقي فالحذف خلاف الأصل ، وان جعلنا هذا الواحد
جوابا للمجموع مع أن كل واحد منها لا يستقله يطلب جوابا مستقلا فهو
أيضا خلاف الأصل .

فلم يبق الا أن نقول : القسم في واحد ، والقسم به ثلاثة ، والقسم
هو الطالب للجواب لا المقسم به ، فيكفه جواب واحد ، فكانه قال : أقسم بالليل
والنهار وما خلق أن سميك لشتى أى أقسم بهذه الثلاثة أن الأمر كذا ، وأيضا
فانك تقول مصرجا بالمعطف : بالله فالله لا أقمن ، ولا تقول : أقسم بالله أقسم
بالنهي صلى الله عليه وسلم والحمل على ما ثبت في كلامهم أولى . (٣)
وهذا هو الأوضح والأقرب الى المقصود ، والله أعلم .

(١) هو الحسين بن أحمد بن خالويه بن حمدان ، أبو عهد الله ، لغوى من كبار النحاة ،
أصله من همدان ، مات بحلب سنة سبعين وثلاث مائة (بغية الوعاة ١/٢٩٥ والاعلام
٢٣١/٢) .

(٢) اعراب ثلاثين سورة للقرآن لابن خالويه ص ١١٦ (سورة والضحي) .

(٣) شرح الكافية للرضي : ٣٣٧/٢ .

فتبين ما تقدم أن الواو تكرر بعد واو القسم في كلام العرب والقرآن الكريم ،
ف قيل : بأنها للقسم ، وجمهرة العلماء على أنها للمطف كما هو مذهب الخليل
وسيبويه رحمهما الله وهو الراجح لما يأتي :

(١) تعاقب الفاء الماطقة للواو في مواضع من القرآن الكريم كقوله سبحانه : (والمرسلات
عرفا ، فالماصات عصفا ، والناشرات نشرا ، فالفارقات فرقا ، فالملقيات
ذكرا) (١)

(٢) القول بأنها للقسم يجعل جمل القسم لا تروابط بينها .

(٣) القول بالمطف لا يخرج المعطوف من كونه مقسما به ، فالمعطوف على المقسم
به يكون مقسما به أيضا .

(٤) ما لا يحتاج الى تقدير أولى ما يحتاج الى تقدير ، والله اعلم .

* * *

(٥) واو القسم في الاستعمال القرآني :

قد سبق أن الواو أكثر حروف القسم استعمالا في القرآن الكريم وفي كلام العرب
وأن الفعل لا يظهر معها ، واليك بيان الآيات القرآنية التي وردت فيها واو القسم
علماً بأنه لا خلاف بين العلماء في كونها للقسم :

(١) قوله عز وجل : (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم) الآية (٢)

(٢) ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين ، (٣)

(٣) ولو ترى إذ وقفوا على ربهم مقال أليس هذا بالحق فقالوا بلى وربنا . الآية (٤)

(٤) وستنبئونك أحق هو مقل أي وربي أنه لحق وما أنتم بمعجزين (٥)

(٥) فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون . (٦)

(١) المرسلات : ١ - ٥	(٢) النساء : ٦٥
(٣) الانعام : ٢٣	(٤) الانعام : ٣٠
(٥) يونس : ٥٣	(٦) الحجر : ٩٢ - ٩٣

- (٦) فوريك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا . (١)
- (٧) وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة ، قل بلى وربي لتأتينكم . الآية (٢)
- (٨) يسّ ، والقرآن الحكيم (٣)
- (٩) والصفات صفا ، (٤)
- (١٠) ص ، والقرآن ذي الذكر (٥)
- (١١) حم ، والكتاب المبين . (٦)
- (١٢) حم ، والكتاب المبين . (٧)
- (١٣) وهم يمرض الذين كفروا على النار ، أليس هذا بالحق ، قالوا بلى وربنا .
الآية . (٨)
- (١٤) ق ، والقرآن المجيد . (٩)
- (١٥) والذاريات ذروا . (١٠)
- (١٦) والسماء ذات الجبرك . (١١)
- (١٧) فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون (١٢)
- (١٨) والطور ، وكتاب مسطور ، وفي رقده منشور ، والبيت المعمور والسقف المرفوع ،
والبحر المسجور . (١٣)
- (١٩) والنجم إذا هوى (١٤)
- (٢٠) زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا ، قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنهون بما علمتم الآية (١٥)
- (٢١) ن ، والقلم وما يسطرون (١٦)
- (٢٢) كلاً والقمر ، والليل إذ أدبر ، والصبح إذا أسفر ، (١٧)

(١) مريم : ٦٨	(٢) سبأ : ٣	(٣) يس : ١-٢
(٤) الصفات : ١	(٥) ص : ١	(٦) الزخرف : ١-٢
(٧) الدخان : ١-٢	(٨) الأحقاف : ٣٤ (٩) ق : ١	(١٠) الذاريات : ١
(١٠) الذاريات : ١	(١١) الذاريات : ٧ (١٢) الذاريات : ٢٣	(١٣) الطور : ١-٢
(١٤) والنجم : ١ (١٥) التغابن : ٧	(١٦) المدثر : ٣٢-٣٤	

- (٢٣) والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا ، والناشرات نشرا ، والفارقات فرقنا ،
(٢٤) والنازعات عرفا والناشطات نشطا والسابحات سبحا (٢)
(٢٥) والليل اذا عسعس والصبح اذا تنفس (٣)
(٢٦) والليل وما وسق والقمر اذا اتسق (٤)
(٢٧) والسماء ذات البروج ، واليوم الموعود وشاهد ومشهود . (٥)
(٢٨) والسماء والطارق (٦)
(٢٩) والسماء ذات الرجوع والارض ذات الصدع (٧)
(٣٠) والفجر وليال عشر والشفع والوتر ، والليل اذا يمسر (٨)
(٣١) ووالد وما ولد . (٩)
(٣٢) والشمس وضحاها والقمر اذا تلاها والنهار اذا جلاها والليل اذا يفسها
والسماء وما بناها والارض وما طحاها ونفس وما سواها . (١٠)
(٣٣) والليل اذا يفسح ، والنهار اذا تجلى وما خلق الذكر والانثى (١١)
(٣٤) والضحى والليل اذا سجدى (١٢)
(٣٥) والتين والزيتون وطور سنين وهذا البلد الامين . (١٣)
(٣٦) والماديات ضحيا ، فالموريات قدحا . (١٤)
(٣٧) والعصر ، ان الانسان لفي خسر . (١٥)

* * *

-
- | | |
|---------------------|---------------------|
| (١) والمرسلات ٤-١ | (٢) والنازعات : ٣-١ |
| (٣) التكويم : ١٧-١٨ | (٤) الانشاق : ١٧-١٨ |
| (٥) البروج ٣-١ | (٦) الطارق : ١ |
| (٧) الطارق : ١١-١٢ | (٨) والفجر : ٤-١ |
| (٩) البلد : ٣ | (١٠) والشمس : ٧-١ |
| (١١) والليل : ٣-١ | (١٢) والضحى : ٢-١ |
| (١٣) والتين : ٣-١ | (١٤) والماديات : ١ |
| (١٥) والعصر : ١ | |

٦) آيات مختلف في كون الواو فيها للقسم :

هناك آيات اختلف حولها فقيل ان الواو فيها للقسم مثل ما مر في الباء

المفردة ، فمن ذلك قوله سبحانه :

(١) ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم ، ان مثل عيسى عند الله كمثل

آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون (١)

قوله : (والذكر الحكيم) قيل : ان الواو للقسم ، والذكر مجرور بها ،

وجوابه : (ان مثل عيسى) الآية وعلى هذا القول يكون الوقف على (الآيات)

ثم استأنف القسم .

وضمف هذا القول بأنه مناف للوقف والوصل وتربط الآيات . (٢)

(٢) وقوله تعالى : (واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام ان الله كان عليكم

رقيبا) . (٣)

(والارحام) : قرئ بالنصب والجروالرفع (٤) فالنصب عطفاً على لفظ

الجلالة ، أى اتقوا الله واتقوا الارحام فلا تقطعوها ،

والجر ، إما عطفاً على الضمير في (به) وأنكر البصريون هذه القراءة ولحنوا

القارى لأنه لا يعطف على مضمرة المخفوض الا بإعادة الخافض ، قال مكى بن أبى طالب : (٥)

(والارحام) قرأه حمزة بالخفض على المعطف على الهاء في (به) ، وهو قبيح عند

البصريين ، قليل في الاستعمال بعيد في القياس ، لأن المضمرة في (به) عوض

من التنوين ، ولأن المضمرة المخفوض لا ينصل عن الحرف ، ولا يقع بعد حروف المعطف

(١) آل عمران : ٥٨ - ٥٩ (٢) الفتوحات الالهية : ٢٨١/١ - ٢٨٢

ومنار الهدى للاشموني ٦٦

(٣) النساء : ٦

(٤) قرأ حمزة بخفض الميم والباقون بنصبها ، انظر الحجة في القراءات لابن زنجلة

١٨٨ - ١٩٠ ، النشر لابن الجزري ٢٤٧/٢ والاتحاف : ص ١٨٥

(٥) هو مكى بن أبى طالب حموش بن محمد بن مختار الاندلسي القيسي ، أبو محمد مقرئ

عالم بالتفسير والحريية كثير التأليف ، من أهل القيروان ولد سنة خمس وخمسين

وثلاثمائة ، توفي سنة سبع وثلاثين وأربعمائة ، بغية الوعاة ٢/٢٩٨ ،

الاعلام ٢/٢٨٦ .

ولأن المعطوف والمعطوف عليه شريكان يحسن في أحدهما ما لا يحسن في الآخر ، ويقبح في أحدهما ما يقبح في الآخر ، فكما لا يجوز : اتقوا الله الذي تساءلون بالارحام ، فكذلك لا يحسن : تساءلون به والارحام فان أعدت الخافض حسن . (١)

أقول ان قراءة حمزة بخفض الميم عطفاً على الضمير المجرور في (به) على مذهب الكوفيين ثم انها قراءة متواترة فلا يجوز الكلام عليها من ناحية الاستعمال والقياس فان اللفظة تابعة للقراءات الثابتة وليس العكس .

وليس هذا فحسب بل يمكن اختبارها قراءة على الاتباع وهذا وارد في لغة العرب ، كقراءة ابن كثير وأبي عمرو وأبي بكر عن عاصم وحمزة : (وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم) (٢) بخفض النون ، (٣) وليس لها تأويل عند القائلين بوجوب الفصل الا أنها جرّت على الاتباع (٤) وهو كثير في كلام العرب .
وقيل الجر على القسم وهو ضعيف ، لأن الاخبار وردت بالنهي عن الحلف بالآباء ، ولأن التقدير في القسم : ضرب الارحام ، وهذا قد أغنى عنه ما قبله .
وقرئ شاذاً بالرفع على الابتداء ، والخبر محذوف تقديره : والارحام محترمة أو واجب حرمتها (٥) .

والنصب في الارحام اختباراً لعمامة القراءة والمفسرين فالواو في الآية ليست للقسم على الصحيح ، والله اعلم .

-
- (١) الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبي طالب القيسي ٣٢٥/١ - ٣٢٦
(٢) المائة : ٦
(٣) الاتحاف : ص ١٩٨ والنشر لابن الجزري ٢٥٤/٢ .
(٤) الكشف لمكي بن أبي طالب : ٤٠٦/١ والحجة في القراءات لابن خالويه ١١٩ .
(٥) انظر الحجة لابن خالويه : ص ٩٤ ومعاني القرآن للاخفش الاوسط :
٢٢٤/١ ومعاني القرآن للقراء : ٢٥٢/١ والعكبري : ١٦٥/١ والمحتسب :
١٦٩/١ والاتحاف : ص ١٨٥ والبصر : ١٥٥/٣ - ١٥٨

(٣) وقوله سبحانه : (وستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب) الآية (١)

قوله : (وما يتلى عليكم) قيل : ان (ما) في محل جر وقيل في محل رفع ، والذي جعله في موضع جر اعتبره اما مجرورا بالقسم أي (والذي يتلى عليكم) فالواو للقسم ، واما معطوفا على الضمير المجرور على مذهب الكوفيين لا أنهم يجيزون المطف على الضمير المجرور من غير إعادة الجار خلافا للمصريين فانهم لا يجيزون ذلك كما تقدم آنفا في قوله سبحانه (والأرحام) . (٢)

وأما الرفع فهو المختار ، وفي ذلك ثلاثة أوجه : أحدها : هو معطوف

على ضمير الفاعل في (يفتيكم) وجرى الجار والمجرور مجرى التوكيد .

والثاني : هو معطوف على اسم الله تعالى وهو : (قل الله) .

والثالث : انه مبتدأ والخبر محذوف ، تقديره : وما يتلى عليكم في الكتاب يبين لكم (٣)

والصواب ما ذهب اليه الجمهور أن (ما) في محل الرفع معطوف على فاعل (يفتيكم)

وأن الآية ليس فيها قسم . والله اعلم .

(٤) وقوله عز وجل : (وأذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الأكبر أن الله بريء من المشركين ورسوله) الآية . (٤)

(ورسوله) : قرئ بالخفض شاذاً على القسم (٥)

والقراءة المتواترة بالرفع معطوفاً على الضمير في (بريء)

وما بينهما يجرى مجرى التوكيد ، فلذلك ساغ المطف ، أو هو خبر مبتدأ محذوف

أي ورسوله بريء . (٦)

(١) النساء : ١٢٢ (٢) انظر الكشاف ٣٠١/١ ومعاني القرآن للقرطبي :

٠ ٢٩٠/١

(٣) المبكرى : ١٩٦/٢ (٤) التوبة : ٣

(٥) المبكرى ١١/٢ والكشاف ١٢٣ /٢

(٦) المبكرى : ١١/٢

وقراءة الجبر توقع في اللبس كما وقع للأعرابي حينما سمع رجلا يقرأها
بالجبر فقال: إن كان الله بوثيا من رسوله فأنا منه بريء فلبسه الرجل إلى عمر فحكى
الأعرابي قراءته ، فعندها أمر عمر رضي الله عنه (١) يتعلم العموية . (٢)

(٥) وقوله سبحانه : (قالوا لن نوثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا
فأقض ما أنت قاض) الآية (٣)

قوله : (والذي فطرنا) قيل فيه : ان الواو للقسم وجواب القسم محذوف

ودليل الجواب المحذوف جملة النفي السابقة يجب أن يقدر : والذي فطرنا

لا نوثرك ، لأن القسم لا يجاب ب (لن) الا في الضرورة ، قال ابن هشام :

وتلقى القسم ب (لن) و (لم) نادر جدا ، كقول أبي طالب (٤) .

والله لن يصلوا اليك بجمعهم حتى أوسد في التراب دفينا (٥)

وصوب الفراء الخفض على القسم ، قال : ولو أرادوا بقولهم : (والذي فطرنا)

القسم بها كانت خفضا وكان صوابا ، كأنهم قالوا : لن نوثرك والله ، (٦)

وقيل (الذي) في موضع خفض بالمطف على (ما) أي (وعلى الذي فطرنا) (٧)

(١) هو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى القرشي المدوني ، أبو حفص ثاني
الخلفاء الراشدين ، ولد قبل المبعث النبوي بثلاثين سنة وقيل غير ذلك واستشهد
سنة ثلاث وعشرين من الهجرة . الاصابة ٥١٨/٢ - ٥١٩ .

(٢) الكشاف ١٧٣/٢ - ١٧٤ وانظر البيان لابن الانباري : ٣٩٣/١ والبحر

المحيط : ٦/٥ والفتوحات : ٢٦٤/٢ - ٢٦٥ ودراسات لاسلوب القرآن

الكريم لمبد الخالق عصيمة : ٥٠٢/١ .

(٣) طه : ٧٢

(٤) هو عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم من قريش ، أبو طالب والد علي رضي الله

عنه وعم النبي صلى الله عليه وسلم (٨٥ ق هـ - ٣ ق هـ) الاصل ١٦٦/٤

(٥) انظر البيان : ١٤٨/٢ - ١٤٩ والبحر المحيط : ٢٦٢/٦ وفتى الليب :

١٦٢/٢ ، ٣٠١ ، ٦٧٠٤ والمكبري ١٢٤/٢ والكشاف ٥٤٦/٢ وهمس

الهوامع ٢٤٤/٤ .

(٦) معاني القرآن للفراء : ١٨٧/٢

(٧) الكشاف ٥٤٦/٢ والمكبري : ١٢٤/٢

ويرى الدكتور عبد العزيز اللهيبي أن احتمال القسم في هذه الآية راجح لأنهم سبق أن أفسوا بعبارة فرعون قبل ظهور الهيئة ، فناسب قسمهم بالذى فطرهم بعد ظهور الهيئة ، ولأن كلامهم فيه حتم وتوكيد بقولهم : (لن نؤثرك) ، فأكدوا كلامهم باليمين . (١)

والراجح ما قاله الدكتور لما ذكر ، ولأن " ما جاء " هم من البيئات " ان قصدوا به آيات الايمان فهومن عند الله ، فناسب أن يقدم لفظ (الذى فطرنا) عليه وان كان المقصود بالبيئات الآيات الكونية فهو أيضا من آثار قدرة الله ، فيجب أن تكون ثابتة للفاطر ، وهذا من أدب القرآن ، واذا جملنا الواو للقسم فهيرتفع هذا الاشكال ، والله اعلم .

(٦) وقوله سبحانه : وقيله يارب ان هو لا قوم لا يؤمنون (٢)

قرأ (وقيله) بالخفض عاصم وحمزة (٣) عطفًا على لفظ (الساعة) (٤) أى وعنده علم الساعة وعلم قيله يارب ، وألها تمود الى محمد صلى الله عليه وسلم لتقدم ذكره في قوله : (قل ان كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين) (٥) وقرأ الهاقون بالنصب (٦) عطفًا على موضع الساعة ، في قوله (وعنده علم الساعة) لأن معناه : وعلم الساعة وعلم قيله .

ويجوز أن يكون الجر والنصب على اضمار حرف القسم وحذفه وجواب القسم

(ان هو لا قوم لا يؤمنون) كأنه قيل : وأقسم " بقيله يارب " ان هو لا قوم لا يؤمنون

(١) القسم والشرط في القرآن الكريم للدكتور عبد العزيز اللهيبي ص ٤٩٠ .

(٢) الزخرف ٨٨

(٣) النشر لابن الجزرى ٣٧٠/٢ والاتحاف ص ٣٨٢ .

(٤) في قوله سبحانه : (وعنده علم الساعة) الزخرف ٨٥

(٥) الزخرف ٨١

(٦) الاتحاف ص ٣٨٢ وفي القراءة بالنصب خمسة أوجه ، انظر الكشف عن وجوه

القراءات المبدع لمكي بن أبي طالب ٢٦٢/١ - ٢٦٣ وأعراب القرآن للنحاس:

١٠٤/٣ .

قال الزمخشري : (وقيله) قرئ بالحركات الثلاث (١) وذكر في النصب عن الأُخفش أنه حملة على (أم يحسبون أننا لا نسمع سرهم ونجواهم) (٢) وقيله * وعنه : وقال قيله ، وعطفه الزجاج (٣) على محل الساعة ، وحمل الجر على لفظ الساعة ، والرفع على الابتداء ، والخبر ما بعده ، وجوز عطفه على علم الساعة على تقدير حذف المضاف ، معناه : وعنده علم الساعة وعلم قيله ، والذي قالوه ليس بقوى فسـى المعنى مع وقوع الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه بما لا يحسن اعتراضاً ومـع تنافر النظم .

وأقوى من ذلك وأوجه أن يكون الجر والنصب على ضمائر حرف القسم وحذفه ، والرفع على قولهم أيمن الله وأمانة الله وسين الله ولمرك ، ويكون قوله : (ان هو لا قوم لا يؤمنون) جواب القسم ، لأنه قيل : وأقسم بقيله يارب ان هو لا قوم لا يؤمنون ، والضهير في (وقيله) لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأقسام الله بقيله رفع منه وتعميم لدعائه والتجاء إليه (٤) .

والراجع أما جرهما على المطف على لفظ (الساعة) أو النصب على تقدير فعل محذوف ، أي وعنده علم الساعة وعلم قيله ، لأن الساعة مفعول بها في المعنى وليست بظرف ، ويكون المعطف عطف جمل (٥) قال أبو جعفر النحاس : والقراءة البينة بالنصب من جهتين : أحدهما أن المعطوف على المنصوب يحسن أن يفرق بينهما وإن تباعد ذلك ، لانفصال العامل من الممول فيه مع المنصوب وذلك في المخفوض إذا فرقت بينهما قبيح ، والجهة الأخرى أن أهل التأويل يفسرون الآية على معنى النصب ، كما روى ابن أبي نجیح عن مجاهد في قوله تعالى : (وقيله يارب ان هو لا قوم لا يؤمنون) قال : فأخبر الله عز وجل عن محمد صلى الله عليه وسلم ، وروى معمر عن قتادة (وقيله يارب) قال : قول النبي صلى الله عليه وسلم

(١) الكشاف ٤٩٨/٣ قرأ الأعمش بالسرفح ، انظر اعراب القرآن للنحاس ١٠٤/٣ ومعاني القرآن للقراء ٣٨/٣ (٢) الزخرف : ٨٠ (٣) هو ابراهيم بن السري بن سهل ، أبو اسحاق الزجاج ، عالم بالنحو واللغة ، تلميذ الجرد ، (٢٤١ - ٣١١ هـ) (بقية الوعاة ٤١١/١ - ٤١٣ والاعلام ٤٠/١) .
(٤) الكشاف ٤٩٨/٣ - ٤٩٩ والمكبري ٢٢٩/٢ ومغنى اللبيب ٦٠٥
(٥) حجة القراءات لابن زنجلة : ص ٦٥٥ فما بعدها .

ان هوء لا قوم لا يوء ممنون ؁ فالباء في (وقيله) على هذا عائدة على النبي صلى الله عليه وسلم ؁ (١)

* * *

ج - التاء المفردة :

ذكر علماء النحو أن التاء المفردة محركة في أوائل الأسماء ؁ حرف جر ممناه القسم ؁ وتختص بالتعجب وبإسم الله تعالى ؁ وحكى الأخفش : ترسى وترب الكعبة وهو شان ؁ وانما امتنعت من الدخول في جميع ما دخلت فيه الباء والواو لأنها لم تدخل على الباء التي هي الأصل وانما دخلت على الواو الداخلة على الباء ؁ فلذلك لم تتصرف . (٢)

قال الزمخشري في قوله تعالى : (وتالله لا أكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين) (٣) : " فان قلت : ما الفرق بين الباء والتاء ؟ قلت : ان الباء هي الأصل ؁ والتاء بدل الواو الهدلة منها ؁ وأن التاء فيها زيادة معنى وهو التعجب ؁ كأنه تعجب من تسهيل الكيد على يده وتأنيبه ؁ لأن ذلك كان أمرا مقنوطا منه لصعومته وتمذره " (٤)

أما قوله : (ان الباء هي الأصل) انما كانت أصلا لأنها أوسع حروف القسم ؁ إذ تدخل على الظاهر والمضمر وصرح بفعل القسم معها وحذف .
وأما قوله : ان التاء فيها زيادة معنى وهو التعجب فنصوص النحاة أن التاء يجوز أن يكون معها تعجب ويجوز أن لا يكون ؁ واللام هي التي يلزمها التعجب في القسم .
وأما أن التاء بدل من واو القسم الذي أبدل من باء القسم فشيء قاله كثير من النحويين . (٥)

- (١) اعراب القرآن لأبي جعفر النحاس : ١٠٤/٣ .
- (٢) كتاب سيبويه تحقيق عبد السلام محمد هارون : ٥٩/١ ؁ ٤٩٦/٣ ؁ ٤٩٩ ومصر صناعة الاعراب لابن جنى ١٣٦/١ والمقتضب ٣٢٠/٢ وشرح الكافية للرضي : ٣٣٤/٢ والجنى الداني للمرادى وكتاب اللمع لابن جنى ١٨٤ ومغنى اللبيب لابن هشام ص ١٢٣ والاحكام في أصول الاحكام للآمدى ٨٦/١ .
- (٣) سورة الانبياء : ٥٧ (٤) الكشاف ٥٧٦/٢ .
- (٥) دراسات لأصلوب القرآن الكريم للشيخ عبد الخالق ضميمه : ١٠١/٢ .

وقالوا في تعليل ذلك : ان التاء لا تخلو من أن تكون بدلا من الواو ،
أو من الباء ، فلا ينبغي أن تجعل بدلا من الباء ، لأن التاء لم يثبت ابدالها من
الباء في موضع ، وقد ثبت ابدالها من الواو في مثل تراث وتخمه ، وتكأة وتجاه
وما أشبهه ، والأصل في هذه الأشياء الواو ، لانها من ورت ومن الوخامة
ومن توكلات ومن واجهت ، فينهي أن تجعل في هذا الباب بدلا من الواو ، ثم
انها قصرت عن الواو فلم تدخل الا على لفظ الجلالة . (١)

وقال المالقي (٢) : وانما حكمنا على هذه التاء أن تكون بدلا من الواو
دون الباء التي هي فيه أصل من حروف القسم ، ودون أن تكون أصلا بنفسها
لثلاثة أوجه :

(أحدها) أننا رأيناها لا تدخل الا في اسم الله خاصة دون غيره ، من الاسماء
المعظمة ، الا ما حكى الأُخفش من دخولها على (رب الكعبة) في قولهم : ترب
الكعبة ، وذلك شاذ .

والثاني : ولما رأينا الواو تدخل على اسم الله وغيره من الظواهر رأينا الباء
تدخل على كل مقسم به من الظواهر والمضمرات كما تقدم في بابها ، علمنا أن للتاء
مرتبة ثالثة عن الباء ثانية عن الواو في الاستعمال ، فأجريت مجرى الباء
في الخفض وأجريت الواو مجراها في ذلك ، والواو ثانية عن الباء لأنها من
الشفيتين مثلها ، والتاء ثانية عن الواو لانها بدل منها في بعض المواضع نحو
أولج وأتج ، واتعد وأتزن في أو . تعد وأوتزن على الوجوب .

(١) المقتضب ٣٢٠/٢ شرح الكافية للرضي ٣٣٤/٢ . كتاب معاني الحروف للرياني
٤١ - ٤٢ شرح جمل الزجاجي لابن صفور الاشعيلي ٥٢٥/١ ، والامالي
الشجرية ٥٧/٢ ووصف البهاني في شرح حروف المعاني للمالقي : ص ١٥٨
(٢) هو أحمد بن عبد النور بن أحمد بن راشد أبو جعفر المالقي النحوي مات سنة
اثنيتين وسبعمائة . بغية الوعاة ٣٣١/١ - ٣٣٢ .

(والثالث) : أن الواو مفتوحة والتاء مفتوحة ، والباء مكسورة ، فهي أقرب إلى الواو بهذا الشبه منها إلى الباء ، فحكما أنها ثانية عنها وببدلة منها والتاء في باب القسم تلزم الخفض كما لزمته الباء والواو . (١)

وقد مر إنكار السهيلي في مبحث الواو على أن تكون الواو بدلا من الباء وقال في التاء : وضعف عندي أن تكون التاء بدلا من الواو ولما فيها من معنى العطف وليس ذلك في التاء ، ولأن التاء إنما أبدلت منها حيث كثر زيادتها في تصريف الكلمة . (٢)

(٣)
ولا يقيم دليل على صحة شيء من هذه المذاهب كما قاله أبو حيان ، وهذا ما يظهر من كلام سيويه أي إنكار القول بإبدال بعضها من بعض ، قال في تاء القسم : " والتاء التي في القسم بمنزلة الواو ^(٤) فكأنه رحمه الله ما اعتبرها بدلا من الواو وإنما بمنزلتها .

والذي يقتضيه النظر أنه ليس شيء من هذه الحروف أصلا لا آخر ، والله أعلم .

ثم في التاء توجد الخصائص الثلاث التي كانت في الواو مع امتناعها عن الدخول في جميع ما دخلت فيه الواو ، وهي كما يلي :

خصائص التاء :

- (أحدها) : حذف فعل القسم معها ، فلا يقال : أقسم بالله .
- (والثاني) : اختصاصها بلفظ الجلالة فلا تجر غيره لا ظاهرا ولا ضمرا .
- (والثالث) : عدم استعمالها في قسم السؤال ، فلا يقال : تالله أخبرني ، كما يقال : بالله أخبرني . (٥)

(١) رصف البهاني شرح حروف المعاني للمالقي : ص ١٢٢
(٢) همع الهوامع للسيوطي : ٢٣٧/٤
(٣) البحر المحيط : ٣٣٠/٥ وهمع الهوامع ٢٣٧/٤ والجنى الداني ص ٥٧
(٤) كتاب سيويه تحقيق عبد السلام هارون : ٢١٢/٤
(٥) شرح الرضي : ٣٣٤/٢ وشرح ابن يميث : ٩٦/٩ وهمع الهوامع : ٢٣٥/٤

التاء في الاستعمال القرآني :

قد تبين ما ذكرت أن حروف القسم التي وردت في القرآن الكريم ثلاثة ، وهي الباء والواو والتاء ، هذه الحروف تخفض المقسم به ، وهي صلات فعل مقدر كقولك : والله لا أخرجن ، والله وتالله لا نطلقن ، والتقدير : أقسم بالله فالفعل مقدر وإن لم ينطق به ، إلا أنه يجب حذف فعل القسم فلا يجوز التصريح به إذا كان حرف القسم غير الباء ، وذلك كالواو والتاء ، لأن الواو والتاء لا يصل الفعل بواسطتهما إلى المقسم به ، وإن حذف هذه الحروف نصبت المقسم به كقولك : الله لا أخرجن ، فأما الواو والباء فتدخلان على كل محكيوف به خلافاً للتاء فانها لا تدخل إلا على لفظ الجلالة وحده .

وقد وردت التاء في القرآن الكريم حرف قسم جارة للفظ الجلالة في تسع آيات واليك بيانها :

* في سورة يوسف ذكر (تالله) في أربعة مواضع :

(١) قوله سبحانه : (قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض وما كنا سارقين) (١)

(تالله) : مجرور بتاء القسم مقال الكرمانى : وهو يمين منهم أنهم ليسوا سارقين وأن أهل مصر بذلك ظالمون ، (٢)

قيل : أقسموا بالتاء ، لأنها تكون في التعجب غالباً ، فأقسموا متعجبين مما أضيف إليهم . (٣)

(١) سورة يوسف : ٧٣

(٢) البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجج والبرهان لتاج القرآن

محمود بن حمزة بن نصر الكرمانى : ص ١١٢ .

(٣) الكشاف : ٢٦٧/٢ .

- (٢) وقوله سبحانه : (قالوا تالله تفتأ تذكر يوسف حتى تكون حرضا أو تكون من الهالكين) (١)
- قال الكرمانى : وهو يمين منهم أنك لو واطيت على الحزن تصير حرضا أو تكون من الهالكين . (٢)
- (٣) وقوله سبحانه : (قالوا تالله لقد آثرك الله علينا ، وإن كنا لخاطئين) (٤)
- قال الكرمانى : وهو يمين منهم أن الله فضله عليهم وأنهم كانوا خاطئين . (٤)
- (٤) وقوله سبحانه : (قالوا تالله إنك لفي ضلالك القديم) (٥) .
- قال الكرمانى : وهو يمين من أولاده على أنه لم يزل على محبة يوسف (٦)
- (٥) وفي سورة النحل قوله عز وجل : (وجعلون لما لا يعلمون نصيبا مما رزقناهم تالله لتستثنن عما كنتم تفترون) (٧)
- (٦) وقوله : (تالله لقد أرسلنا إلى أم من قبلك فزين لهم الشيطان أعمالهم فهو وليهم اليوم ، ولم سم عذاب اليم) (٨)
- (٧) وفي سورة الانبياء قوله تعالى : (وتالله لا كيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين) . (٩)
- (٨) (تالله) : لفظ الجلالة مجرور بـ"تأ" القسم ، قالوا أصله والله ، وفي التأ معنى التمجيب من تسهيل الكيد على يده مع صمومته وتعذره لقوة سلطة نمرود . (١٠)
- (٨) وفي سورة الشعراء قوله عز وجل : (قالوا وهم فيها يختصمون ، تالله إن كنا لفي ضلال مبين ، إذ نسويكم برب العالمين) (١١)

-
- (١) يوسف : ٥٨ (٢) البرهان في توجيه متشابه القرآن للكرمانى : ص ١١٢
(٣) يوسف : ٩١ (٤) البرهان للكرمانى : ص ١١٢ (٥) يوسف : ٩٥
(٦) البرهان ص ١١٢ (٧) النحل : ٥٦ (٨) النحل : ٦٣
(٩) الانبياء : ٥٧ (١٠) الكشاف : ٥٧٦/٢ (١١) الشعراء : ٩٦-٩٧

هذا مشهد مشير من مشاهد القيامة يوحي لنا اختصام الأتباع والمتبوعين
وندم الأتباع على جهلهم وقفلتهم واغترارهم بأربابهم ثم اعترافهم بذنوبهم
وحلفهم على ذلك ، كما فيه تبيكيت وتقرح للطغاة الذين نهزم حتى أتباعهم
من أهل النار أمثالهم .

(٩) وقوله : سبحانه في سورة الصافات : (قال تالله ان كذت لتردين) (١)
حلف رجل مؤمناً من على اهلاك قرينه السوء اياه لوما كانت العصاة والتوفيق
من الله في الاستمساك بحمزة الاسلام والبراءة من قرين السوء .

الكاف:

قال أبو عبيدة في قوله سبحانه : (كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وان قريباً
من المؤمنين لكارهون) (٢) مجازها (٣) مجاز القسم ، كقولك : والذي أخرجك
ربك ، لأن (ما) في موضع (الذي) (٤) فجعل الكاف حرف قسم ، وان المعنى
" الانفال لله والرسول والذي أخرجك " .

وقد حكى مكي بن أبي طالب هذا القول ضمن الأوجه التي ذكرها
في اعراب الكاف ، وقد شنع ابن الشجري (٥) على مكي في حكايته هذا القول وسكوته
عنه كما تابع ابن هشام ابن الشجري في انتقاده لمكي حيث جعل الكاف بمعنى
واو القسم . (٦)

- (١) الصافات : ٥٦ (٢) الانفال : ٥
(٣) يقصد معناها ، فان أبا عبيدة يستعمل في تفسيره الآيات هذه الكلمات :
مجازه كذا ، وتفسيره كذا ، ومعناها كذا ، وغيره وتقديره وتأويله ، على
أن معانيها واحدة أو تكاد ، فمعنى المجاز عند أم بطبيعة الحال من
المعنى الذي حدده علماء البلاغة ، ولعل ابن قتيبة قد تأثر في كتابه
(مشكل القرآن) بأبي عبيدة في استخدام كلمة المجاز بهذا المعنى العام ،
انظر مقدمة محقق مجاز القرآن لأبي عبيدة : ١٩ .
(٤) مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى التميمي : ٢٤٠/١
(٥) هو هبة الله بن علي بن محمد بن علي بن عبد الله بن حمزة ، أبو العادات
المعروف بابن الشجري ، أقرأ النحو سبعين سنة ، مولده ببغداد في ستة وخمسين
وأربعمائة ومات سنة اثنتين وأربعمائة وخمسة ، بشية الوفاة ٣٢٤/٢ .
(٦) مشكل اعراب القرآن لمكي بن أبي طالب : ٣٤٠/١ (تحقيق ياسين محمد السواس)
أما لي ابن الشجري ٣٤٧/٢ وصفي اللبيب لابن هشام ٥٤٦/٢ - ٥٤٧ .

ويطل هذه المقالة أربعة أمور :

- أ - أن الكاف لم تجس، بمعنى واو القسم .
 - ب - وإطلاق (ما) على الله سبحانه لا يجوز لغة .
 - ج - وريظ الموصول بالظاهر وهو فاعل (أخرج) وهو ممنوع لأنه تكرر من غير فائدة كما هو غير مألوف في اللغة العربية .
 - د - ووصله بأول السورة منسجعا تعايدا ما بينهما (١)
- وهذا لم يعهد في لغة العرب ، لأن العرب إذا فصلت بين المقسم به والمقسم عليه طويلا كبرت أوجاعها بما يدل على المكرر .

* * *

(١) معنى اللبيب لابن هشام : ٥٤٦/٢

المبحث الثاني

المقسم في القرآن الكريم

ورد المقسم في القرآن الكريم على أنحاء ستة :

- (١) أقسام صدرت من الله تعالى ابتداءً وانشأً فالمقسم فيها هو الله سبحانه
- (٢) أقسام علمها الله رسوله صلى الله عليه وسلم وأمره بأن يقسم بها .
- (٣) أقسام حكاهما القرآن عن الانبياء والمؤمنين .
- (٤) أقسام تشريعية شرعها الله سبحانه لعباده المؤمنين وأمرهم أن يقسموا بها وقت الحاجة اليها ، فالمقسم فيها هم المؤمنون والمشروع هو الله سبحانه .
- (٥) أقسام حكاهما القرآن عن إبليس .
- (٦) أقسام حكاهما القرآن عن المنافقين والكافرين .

أما الأول :

وهي أقسام صدرت من الله عز وجل ابتداءً وانشأً فهي كما يلي :

- (١) قوله تعالى : فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت وصلحوا تسليماً . (١)
- (٢) لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون . (٢)
- (٣) فوريك لنساءلهم أجمعين عما كانوا يعملون . (٣)
- (٤) وجعلون لمالا يعملون نصيباً مما رزقناهم ، تالله لتسئلن عما كنتم تفترون . (٤)
- (٥) تالله لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فزين لهم الشيطان أعمالهم الآية (٥)
- (٦) فوريك لنحسرنهم والشياطين ثم لنحسرنهم حول جهنم جثياً . (٦)

(١) النساء : ٦٥ (٢) الحجر : ٧٢ (٣) الحجر : ٩٢-٩٣

(٤) النحل : ٥٦ (٥) النحل : ٦٣ (٦) مريم : ٦٨

والاقسام الواردة في:

- (١) سورة يس ، (٢) والصفات ، (٣) سورة ص ، (٤) والزخرف ، (٥) والدخان
 (٦) سورة ق ، (٧) والذاريات ، (٨) والطور ، (٩) والنجم ، (١٠) والواقعة ، (١١) والقلم
 (١٢) والحاقة ، (١٣) والمعارج ، (١٤) والمدثر ، (١٥) والقيامة ، (١٦) والمرسلات ،
 (١٧) والتاويبات ، (١٨) والتكوير ، (١٩) والانشقاق ، (٢٠) والبروج ، (٢١) والطارق ، (٢٢) والفجر
 (٢٣) والبلد ، (٢٤) والشمس ، (٢٥) والليل ، (٢٦) والضحى ، (٢٧) والتين ، (٢٨) والعاديات
 (٢٩) والمصر .

فهذه ثمان وثلاثون آية ، كلها مكية ما عدا الآية الاولى فانها مدنيّة ،
 والمقسم في جميعها هو الله سبحانه ، أما القسم بذاته المقدسة فلا اشكال فيه
 ومع ذلك سأعرض له في (مبحث المقسم به) ، وأما الآيات التي ورد فيها القسم
 بالمخلوقات فهي التي ترد عليها الشبهات ، وسأتكلم عنها في الباب الثاني
 ان شاء الله .

- (١) يس : ٣-١ (٢) الصفات : ٤-١ (٣) ص : ٢-١
 (٤) الزخرف : ٣-١ (٥) الدخان : ٣-١ (٦) ق : ٢-١
 (٧) الذاريات : ٦-١ ، ٧-٨ ، ٢٣ . (٨) الطور : ٨-١
 (٩) النجم : ٢-١ (١٠) الواقعة : ٧٥-٧٨ (١١) القلم : ٢-١
 (١٢) الحاقة : ٣٨-٤٠ (١٣) المعارج : ٤٠-٤١ (١٤) المدثر : ٣٢-٣٥
 (١٥) القيامة : ٣-١ (١٦) المرسلات : ٧-١ (١٧) التاويبات : ٧-١
 (١٨) التكوير : ١٥-١٩ (١٩) الانشقاق : ١٦-١٩ (٢٠) البروج : ٤-١
 (٢١) الطارق : ٤-١ و ١١-١٤ (٢٢) الفجر : ٥-١ (٢٣) البلد : ٤-١
 (٢٤) الشمس : ١٠-١ (٢٥) الليل : ٤-١ (٢٦) الضحى : ٤-١
 (٢٧) التين : ٤-١ (٢٨) العاديات : ٧-١ (٢٩) المصر : ٢-١

(٢) النوع الثاني : أقسام علمها الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وسلم وأمره أن يقسم بها ، فالمقدر أن يكون المقسم بها هو الرسول عليه الصلاة والسلام والآمر هو الله عز وجل ، وهي :

(١) قوله سبحانه : (وستنبئونك أحق هو ، قل إني وربي انه لحق وما أنتم بمعجزين) (١) والضمير عائد الى المذاب .

(٢) وقوله : (وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة) قل بلى وربي لتأتينكم عالم الغيب ، لا يمزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا في كتاب مبين) (٢)

(٣) وقوله سبحانه : (زعم الذين كفروا أن لن يعمثوا قل بلى وربي لتعمثن ، ثم لتنبئون بما علمتم ، وذلك على الله يسير) (٣)

(٣) النوع الثالث : أقسام حكاها القرآن عن الأنبياء والمرسلين ، فالقسم بها هؤلاء المذكورون وذلك :

(١) قوله سبحانه : (وتالله لا أكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين) (٤)

قالها سيدنا ابراهيم عليه الصلاة والسلام حين ألقى على نفسه أن يحطم الاصنام التي كان يعبدونها قومه .

(٢) وقوله عز وجل : (قال رب بما أنعمت علي فلن أكون ظهيرا للمجرمين) (٥)

قالها موسى عليه السلام حين قتل رجلا من شيعة فرعون فاستغفر له ففر له .

قيل : (بما أنعمت علي) قسم جوابه محذوف ، وتكون جملة (فلن أكون

ظهيرا للمجرمين) كالتفسير للجواب ، تقديره : أقسم بانمامك علي بالمغفرة

لا توهن فلن أكون ظهيرا للمجرمين ، ظهيرا أي معينا .

(٣) الثغابين : ٧

(٢) سبأ : ٣

(١) يونس : ٥٣

(٥) القصص : ١٧

(٤) الانبياء : ٥٧

أو استعطف فتكون الهاء سببية كأنه قال : رب اعصني بحق ما أنعمت
على من المغفرة فلن أكون ان عصمتي ظهيرا للمجرمين ، ويكون في ذلك استعطف
لله تعالى وتوصل الى انعامه بانعامه ، (ما) في قوله (بما أنعمت) اما موصولة
أو مصدرية ، والمراد بما أنعم به عليه هو ما آتاه من الحكم والعلم أو بالمغفرة أو
بالجميع ، (١)

وفي الآية قولان : أحدهما أنه بمعنى الدعاء ، وهذا قول الكسائي والفراء ،
وقدره الفراء بمعنى : اللهم فلن أكون ظهيرا للمجرمين ، والقول الآخر أنه
بمعنى الخبر ، قال أبو جعفر النحاس : وأن يكون بمعنى الخبر أولى وأشبه بنسق
الكلام ، كما يقال : لا أضحك لأنك أنعمت عليّ . (٢)

(٣) أي ان أخوة يوسف عليه السلام في أريضة مواضع :

أ - قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الارض وما كنا سارقين . (٣)

ب - قالوا تالله تفتأ تذكر يوسف حتى تكون حرضا أو تكون من الهالكين . (٤)

ج - قالوا تالله لقد آثرك الله علينا وان كنا لخاطئين . (٥)

د - قالوا تالله انك لفي ضلالك القديم . (٦)

فالاول يمين منهم أنهم ليسوا سارقين وأن أهل مصر بذلك ظالمون ،

والثاني يمين منهم أنك لو واطيت على الحزن تصير حرضا أو تكون من الهالكين .

والثالث يمين منهم أن الله فضله عليهم وأنهم كانوا خاطئين .

والرابع يمين منهم على أن أباهم لم ينزل على محبة يوسف ورجاء لقائه على

بمد الصهد . (٧)

(١) الكشاف : ١٦٩/٣ وفتح القدير : ١٦٤/٤

(٢) معاني القرآن للفراء : ٣٠٤/٢ واعراب القرآن للنحاس : ٥٤٢/٢

(٣) يوسف : ٢٣

(٤) يوسف : ٨٥

(٥) يوسف : ٩١

(٦) يوسف : ٩٥

(٧) البرهان في توجيه متشابه القرآن للكرواني : ص ١١٢

(٤) قول رجل من أهل الجنة لما أطلع على قرينه فرآه في سواد الجحيم :
(قال تالله ان كدت لتردين) (١) : أى لقد كدت تهلكنى بالاغواء فتوهمنى
معك في النار ، والارداء : الاهلاك ، والردى : الهلاك . (٢)

(٥) وقوله سبحانه : (قالوا لن نؤمن بك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا
فأقض ما أنت قاض) . (٣)

قول سحرة فرعون بعد أن آمنوا وهددهم فرعون بالقتل والصلب وقيل :
(والذي فطرنا) عطف على (ما جاءنا) أى لن نختارك على الذى جاءنا
ولا على الذى خلقنا ، أو قسم وجوابه محذوف يدل عليه جملة النفي السابقة
ويجب أن يقدر : والذي فطرنا لا نؤمنك ، لأن القسم لا يجاب بـ (لن) الا فى
الضرورة . (٤)

* * *

-
- (١) الصافات : ٥٦
(٢) الكهاف : ٣٤١/٣ وفتح القدير ٣٩٢/٤ .
(٣) طه : ٧٢
(٤) انظر واو القسم في الاستعمال القرآني : آيات مختلف في كون الواو فيها
للقسم ، ص : ٦٧ - ٦٨ من هذه الرسالة .

(٤) أقسام تشريعية :

وهي أقسام شرعها الله عز وجل لعباده المؤمنين وأمرهم أن يقسموا بها وقت الحاجة إليها ، فالمقسم بها هم المؤمنون والمرجع هو الله سبحانه ، ومن ذلك قوله سبحانه :

(١) يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم أو آخران من غيركم إن أنتم ضربتم في الأرض فأصابكم مصيبة الموت تحسنونها من بعد الصلوة فيقسمان بالله إن ارتبتم لا نشتري به ثمنا ولو كان ذا قهبي ، ولا نكتم شهادة الله إنا إذا لمن الآثمين ، فإن عثر على أنها استحقا اثما فأخران يقيمان مقامهما من الذين استحق عليهم الأوليان فيقسمان بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما وما اعتدينا إنا إذا لمن الظالمين ، وذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها أو يخافوا أن ترد إيمان بعد إيمانهم ، واتقوا الله واسمعوا والله لا يهدي القوم الفاسقين ، (١)

وحسن أن أذكر سبب نزول هذه الآية فإنه ما يعين على فهمها ويبان المراد منها ، وقد وردت في ذلك روايات مختلفة من طرق كثيرة لو سردتها بطورها وكشفت عن أحوال روايتها بالجرح والتعديل لا تصح الشرح ولذا اكتفى بسرد ما رواه البخاري في صحيحه :

أخرج البخاري بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: خرج رجل من

(١) المائة : ١٠٦ - ١٠٨ .

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن اسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردية الجمفي مولا هم البخاري امام الحفاظ وصاحب الصحيح والتصانيف ، ولد سنة أربع وتسعين ومائة وتوفي سنة ست وخمسين وما تثنين . (تذكرة الحفاظ ٢ / ٥٥٥ .)

بني سهم مع تميم الدامي^(١) وعدى بن بداء^(٢) ، فمات السهمي بأرض ليس بها مسلم ، فلما قدما بتركته فقدوا جاما من فضة مخصا من ذهب^(٣) فأحلفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم وجد الجام بيكة ، فقالوا: ابتعنناه من تميم وعدى فقام رجلان من أوليائه فحلفا لشهادتنا أحق من شهادتهما ، وأن الجام لصاحبهم ، قال وفيهم نزلت هذه الآية : (يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت) الآية^(٤) .

قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم) المراد بالشهادة الوصية أو الاشهاد في الوصية ، وقال ابن جرير: هي بمعنى اليمين ، واحتدل على ذلك بأنه لا يعلم لله حكما يجب فيه على الشاهد اليمين .^(٥)

(إذا حضر أحدكم الموت) : ظرف للشهادة ، أى ظهرت أماراته لأن من

مات لا يمكنه الاشهاد .

(حين الوصية) : بدل من الظرف ، وفي إبداله منه دليل على وجوب الوصية ،

وعلى أنها من المهمات التي لا ينهضي التهاون بها .

(١) هو تميم بن أوس بن حارثة وقيل خارجة بن سود وقيل سواد بن جذيمة بن

دراع بن عدى بن الدار أبو رقية الداري . مات بالشام (الاصابة ت : ٨٣٧)

(٢) هو عدى بن بداء بتشديد الدال قبلها موحدة مفتوحة ، واختلف في إسلامه

فقيل : أنه مات نصرانيا . (الاصابة ت : ٥٤٧٣) .

(٣) الجام : الاناء ، وتخصه أن يجمل عليه صفائح من ذهب كخوص النخل ،

والخوص : ورق النخل ، الواحدة خصوة .

(٤) أخرجه البخاري : ١٦/٤ في الرضايا باب قول الله تعالى : يا أيها الذين آمنوا

شهادة بينكم . الآية ، والترمذي رقم (٣٠٦٢) في التفسير باب من سورة

المائدة وأبو داود رقم (٣٦٠٦) في الاقضية ، باب شهادة أهل الذممة

وفي الوصية في السفر وأخرجه البيهقي : ١ / ١٦٥ والطبري رقم : (١٢٩٦٦)

(٥) ابن جرير ١١٨/٧ .

(اثنان) : فاعل شهادة على أن خبرها محذوف ، أى فيما فرض أو أنزل عليكم أن يشهد بينكم اثنان ، ويجوز أن يكون خبرها على حذف المضاف أى شهادة بينكم حينئذ شهادة اثنين .
(ذوا عدل منكم) : صفة للاثنان * بأن يكونا عدلين من المسلمين في أحد القولين ، وكذا منكم : أى كائنان منكم .

(أو آخران من غيركم) : أى من غير المسلمين ان لم تجدوا منكم .
والقول الثاني : ان المراد بـ (منكم) من أقاربكم ، (أو آخران من غيركم) أى من الأجناب ، وهو قول جمهور الفقهاء ، والأول أنسب لسياق الآية كما يفيدته النظم القرآني وهو قول عامة المفسرين . (١)

(ان أنتم ضربتم في الأرض فأصابتم مصيبة الموت) : هذان شرطان لجواز استشهاد الذميين ، لأن يكون ذلك في سفر وأن يكون في وصية .
(تحسبونها من بعد الصلاة) : لتحليفها ، وفيه دليل على أن الشهادة يمين ، (من بعد الصلاة) أى صلاة العصر . قال بذلك عامة المفسرين لكونه الوقت الذي يفضب الله على من حلف فيه فأجروا كما في الحديث الصحيح (٢) وقيل : لكونه وقت اجتماع الناس وقعود الحكام للحكومة .

(فيقسمان بالله ان ارتبتم) : أى ارتاب الوارث منكم .
(لا تشتري به ثنا) : نقسم عليه ، و (ان ارتبتم) اعتراض يفيد اختصاص القسم بحال الارتياب ، والمعنى لا تستبدل بالله أو بالقسم أو بالشهادة أو تحريفها عرضاً من الدنيا ، أى لا نحلف بالله كاذبين بالطمع . (ولو كان ذا قوسى) : أى ولو كان المقسم له قريباً منا وجوابه محذوف أى لا تشتري به ثنا ، (ولا نكتم شهادة الله) : أى الشهادة التي أمرنا بإقامتها ، معطوف على (لا تشتري) داخل معه في حكم القسم .

(١) انظر أدلتهم بالتفصيل في تفسير الفخر الرازي ١٢ / ١٢٢ - ١٢٣ .
(٢) رواه مسلم بسنده عن أبي هريرة قال : أراه مرفوطاً ، قال : ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم ولنهم عذاب أليم ، رجل حلف على يمين بعد صلاة العصر على مال مسلم فاقتطعه . الخ ، مسلم : الايمان : ١٧٤ .

وعن الشعبي أنه وقف على (شهادة) ثم ابتداء (الله) بالله

على حذف حرف القسم وتمويض حرف الاستفهام منه ، (١) وروى عنه بغيره .

(إنا إذا لمن الآثمين) : أي ان فعلنا شيئا من تحريف الشهادة أو تديلها

أو كتمانها ، (فان شر على أنها استحقا إثما) :

شر على كذا : اطلع عليه ، أي اذا اطلع بمد التحليف على أن الشاهد يسر

أو الوصيين استحقا اثما اما بكذب في الشهادة أو اليمين أو بظهور خيانته .

قوله : (فأخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الأليان) :

قرأ حفص (استحق) بفتح التاء والحاء هنيئا للفاعل والباقون بضم التاء

وكسر الحاء هنيئا للمفعول ، واختلف في (الأولين) فقرأ أبو بكر وحمة بتشديد

الواو وكسر اللام بمدّها وفتح النون جمع أول المقابل لاخر ، والباقون باسكان

الواو وفتح اللام وكسر النون على التثنية . (٢)

وقوله (فيقسمان بالله) عطف على (يقومان) وجواب القسم (لشهادتهما)

أحق من شهادتهما) والمراد بالشهادة هنا اليمين ، كما في قوله تعالى : (فشهادة

أحدهم أربع شهادات بالله) الآية (٣) أي فيحلفان بالله لشهادتهما

على أنهما كاذبان خائنان أحق بالقبول وأصح وأثبت من شهادتهما المتقدمة ،

أي من يبينهما على أنهما صادقان أمينان ، لما أنه قد ظهر للناس استحقاتهما

للإثم ، (وما اعتدينا) معطوف على جواب القسم ، أي ما تجاوزنا الحسنى

في يميننا وما قلنا فيهما من الخيانة ،

(إنا إذا لمن الظالمين) ان كنا حلفنا على باطل .

(١) انظر الطبري ١١١/٢ - ١١٢ والفخر الرازي : ١٢٦/١٢ والبيضاوي ص

١٦٥ والبحر ٤/٤٤ والمحتسب لابن جنى ٢٢١/١ ومختصر في شواهد

القرآن لابن خالصة ص ٣٥ .

(٢) انظر القراءات في النشر لابن الجزري ٢٥٦/٢ والاتحاف : ص ٢٠٣ والمكبري

٢٣١/١ وتوجيه هذه القراءات في الكشف لمكي بن أبي طالب ٤٢٠/١ .

والحجة في القراءات لابن خالصة ٣٠/١ .

(٣) سورة النور : ٦

ثم بين الله سبحانه وجه الحكمة والمصلحة في شريعة هذا الحكم بقوله
(ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها أو يخافوا أن ترد أيمانهم
بصدقهم ، واتقوا الله وجميعوا والله لا يهدي القم الفاسقين) (١)
وحاصل ما تضمنه هذا البقاع من الكتاب العزيز أن من حضرته الوفاة فسى
سفر فليشهد رجلين من المسلمين ، فان لم يجد فرجلين من المشركين أو من
أهل الكتاب يوصى اليهما ويدفع اليهما ميراثه ، فاذا قدما بتركته فان صدقهما الوفاة
وعرفوا ما لصاحبهم قبل قولهما وتركها ، وان اتهموهما رفعوهما الى السلطان فحلفا
بعد صلاة العصر بالله ما كنما ولا كذبنا ولا خنا ولا غيرنا فان اطلع الاولياد
على أن الكافرين كذبا في شهادتهما قام رجلان من الاولياء ، فحلفا
بالله أن شهادة الكافرين باطلة ، وانما لم نعتد ، فترد شهادة الكافرين
وتجوز شهادة الاولياء ، هكذا روى ابن جرير عن ابن عباس في تفسير
هذه الآية . (٢)

وقال ابن كثير رحمه الله (٣) : وهذا التحليف للورثة والرجوع الى قولهما
والحالة هذه كما يحلف اولياء المقتول اذا ظهر لو في جانب القاتل فيقسم
المستحقون على القاتل فيدفع برئته اليهم كما هو مقرر في باب القصاص
من الاحكام . (٤)

- (١) وانظر في تفسير هذه الآية بيان احكامها واعرابها : تفسير ابن جرير : ٧ / ١٠٢ - ١٢٤ وابن كثير ١١١ / ٢ - ١١٤ وفتح القدير ٨٦ / ٢ - ٩٠ والفخر
الرازي ١٢٠ / ١٢ - ١٢٨ والكشاف ٦٥٠ / ١ - ٦٥١ والقرطبي ٢ / ٣٤٦ - ٣٦١ والبحر المحيط ٤٣ / ٤ - ٤٧ واحكام القرآن لابن الموسوي
٧٠٦ / ٢ - ٧٢٥ وشكل اعراب القرآن لمكي بن ابي طالب ٢٤١ / ١ - ٢٤٣
والبيان لابن الانباري ١٧٣ / ٢ واعراب القرآن للنحاس ٥٢٣ / ١ والمكبري :
٢٢٩ / ١ و أبو السمود ١٤٠ / ٢ والمحتسب ٢٢١ / ١ والبيضاوي ١٦٤ - ١٦٥ .
(٢) تفسير الطبري ٧١ / ٧ - ٧٤ .
(٣) هو اسماعيل بن عمرو بن كثير بن عمرو بن ذريح القرشي الدمشقي أبو النداء صاحب
الدين ، حافظ مؤرخ فقيه ، (٧٠١ - ٧٧٤ هـ) . (تذكرة الحفاظ ١٥٠٨
والاعلام ٣٢٠ / ١)
(٤) تفسير ابن كثير : ١١٢ / ٢ .

وذهب الطبري وآخرون الى أن المراد بالشهادة في الآية اليمين ، قال :
قد سمى الله اليمين شهادة في آية اللعان ، (١) وأيدوا ذلك بالاجماع
على أن الشاهد لا يلزمه أن يقول : أشهد بالله وأن الشاهد لا يمين عليه أنه
شاهد بالحق ، قالوا : فالمراد بالشهادة اليمين لقوله : (فيقسمان بالله)
أى يحلفان ، فان عرف انهما حلفا على الائم رجعت اليمين على الاولياء . (٢)

واختلف السلف في هذه الآية أهى محكمة أم منسوخة ؟ فذهب
مالك ، (٣) والشافعي (٤) وأبو حنيفة (٥) - رحمهم الله - وغيرهم من الفقهاء الى أن الآية
منسوخة ، واحتجوا بقوله تعالى : (ممن ترضون من الشهداء) (٦)
وقوله : (وأشهدوا ذوى عدل منكم) الآية (٧) والكفار ليسوا بمريضين
ولا عدول ، واحتجوا بالاجماع على رد شهادة الفاسق والكافر شر من الفاسق ،

(١) النور : ٦ - ٩

(٢) تفسير ابن جرير : ١٠٢/٧ وفتح الباري لابن حجر : ٤١٨/٥

(٣) هو مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث ، الامام الحافظ
فقيه الأئمة أبو عبد الله الأصبحي المدني امام دار الهجرة ، ولد سنة
ثلاث وتسعين وتوفي سنة تسع وسبعين ومائة (تذكرة الحفاظ ٢٠٧ - ٢١٣) .

(٤) هو أبو عبد الله محمد بن ادريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب
بن عبيد بن عد بن يزيد بن هاشم بن عبد المطلب القرشي . ولد سنة خمسين
ومائة بفسرة . وتوفي سنة أربع ومائتين بمصر . (تذكرة الحفاظ ٣٦١ - ٣٦٣)

(٥) هو النعمان بن ثابت بن زوطا التميمي مولاهم الكوفي مولده سنة ثمانين رأى
أنس بن مالك غير مرة . وتوفي سنة خمسين ومائة .
(تذكرة الحفاظ ١٦٨ - ١٦٩) .

(٦) البقرة : ٢٨٢

(٧) سورة الطلاق : ٢

وخالفهم الجمهور فقالوا : الآية محكمة وهو الحق لعدم وجود دليل صحيح يدل على النسخ ، لأن النسخ لا يثبت بالاحتمال ، وأن الجمع بين الدليلين أولى من النسخ أحدهما ، وأن سورة المائدة من آخر ما نزل من القرآن ، حتى صح عن ابن عباس وطائفة وجمع من السلف رضوان الله عليهم أن سورة المائدة محكمة ، وعن ابن عباس أن الآية نزلت فيمن مات مسافرا ، وليس عنده أحد من المسلمين ، فإن اتبها استحلها . (١)

وقال ابن القيم : " أمر تعالى في الشهادة على الرصية في السفر باستشهاد عدلين من المسلمين أو آخرين من غيرهم ، وضرب المؤمنين هم الكفار والآية صريحة في قول شهادة الكافرين على رصية في السفر عند عدم الشاهدين المسلمين ، وقد حكم به النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه بعده ، ولم يجز بعدها ما ينسخها ، فإن المائدة من آخر القرآن نزولا وليس فيها منسوخ ، وليس لهذه الآية معارض البتة ، ولا يصح أن يكون المراد بقوله (من غيركم) من غير قبيلتكم ، فإن الله سبحانه خاطب بها المؤمنين كافة بقوله : (يا أيها الذين آمنوا) الآية . ولم يخاطب بذلك قبيلة معينة حتى يكون قوله (من غيركم) أيتها القبيلة ، والنهي على الله عليه وسلم لم يفهم هذا من الآية بل انما فهم منها ما هي صريحة فيه ، وكذلك أصحابه من بعده " (٢)

وأنكر أحمد (٣) على من قال : ان هذه الآية منسوخة (٤) وكذلك استعمل

-
- (١) أخرجه الطبري في تفسيره بإسناد رجاله ثقات ١٠٨/٧ .
 - (٢) اعلام الموقعين لابن القيم : ٩١/١ .
 - (٣) هو الحافظ الحجة أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الدهلي الشيباني المروزي . ولد سنة أربع وستين ومائة وتوفي سنة إحدى وأربعين ومائتين . (تذكرة الحفاظ ٤٣٢) +
 - (٤) فتح الباري لابن حجر : ٤١٨/٥ .

ابن كثير قول من قال بنسخ هذه الآية بقوله: قد ذكروا أن اسلام تميم من
أوس الدارى كان سنة تسع من الهجرة فعلى هذا يكون هذا الحكم متأخرا
يحتاج مدعى نسخه الى دليل فاصل في هذا المقام . والله اعلم . (١)
وفي فتح البيان : الحق أن الآية محكمة لعدم وجود دليل صحيح يدل
على النسخ ، وأما قوله تعالى : (من ترضون من الشهداء) (٢) وقوله :
(وأشهدوا ذوى عدل منكم) (٣) فهما عامان في الأشخاص والأزمان والأحوال
وهذه الآية خاصة بحالة الضرب في الارض والوصية وحالة عدم الشهود المسلمين
ولا تعارض بين عام وخاص . (٤)
وقد أطنب الرازى (٥) في تفسيره في الاحتجاج على عدم نسخها بوجوده
عديدة ، وقال : وأما قول من يقول بأن هذا الحكم صار منسوخا فمعيده لا اتفاق
أكثر الأمة على أن سورة المائدة من آخر ما نزل من القرآن وليس فيها منسوخ وجود
الكلام في أن المراد من (غيركم) أى من غير ملتكم تجويدا فالقيا (٦)
ولا يخفى أن الآية بنفسها مع ما ورد في سبب نزولها وما قاله جسر الأمة
وترجمان القرآن في معناها غنية عن تكلف ادخالها تحت القياس والقواعد والتمحصل
لتأويلها ، كما ادعى ذلك بعض العلماء (٧) حيث قال : ان هذه الآيات
الثلاث عند أهل المعاني من أشكال ما في القرآن اعرابا ومعنى وحكما وتفسيرا ولم
يزل العلماء يستشكلونها ويكفون عنها .

* * *

(١) تفسير ابن كثير ١١٣/٢

(٢) البقرة : ٢٨٢ (٣) الطلاق : ٢

(٤) فتح البیان، لصديق حسن خان : ١٠٨/٣

(٥) هو محمد بن عمرو بن الحسن بن الحسين التميمي البكري أبو عبد الله فخر الدين
الرازى، الامام المفسر ، وهو قرشي النسب وولده في الرى فيقال له (ابن خطيب
الرى) (٥٤٤ - ٦٠٦ هـ) (الاعلام ٣١٣/٦) (٦) الفخر الرازى ١٢/١٢٢ - ١٢٣
(٧) مثل مكى بن أبى طالب القيسى وأبى جعفر النحاس وغيرهما ، انظر : الكشف لمكى
بن أبى طالب : ٤٢٠/١ و اعراب القرآن للنحاس : ٥٢٣/١ ومعاني القرآن للنحاس
ورقة ١٠٦ والقرطبي : ٣٤٦/٦ وحاسن التأويل : ٢٢٠٦/٦

(٢) وقوله سبحانه : (والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهادة إلا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله انه لمن الصادقين ، والخامسة أن لعنت الله عليه ان كان من الكاذبين ، ويدروا عنها المذاب أن تشهد أربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين والخامسة أن غضب الله عليها ان كان من الصادقين) (١)

وقد تعددت وجهات نظر العلماء حول هذه الآية وهل اللعان يمين أم شهادة ،

فقد اعتبره الامام أبو حنيفة شهادة وعند الامام مالك والشافعي هو يمين .

قال ابن رشد (٢) : والجمهور يرون اللعان أنه يمين وان كان يسمى شهادة ،

فان أحدا لا يشهد لنفسه ، وأما الشهادة فقد يعبر عنها بالميمين ، فذلك يبين

في قوله تعالى : (اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله ثم

قال : اتخذوا أيمانهم جنة) الآية (٣)

ومن طريق المعنى أن الفاسقين اللذين لا تقبل شهادتهما يتلاعنان ، وهذا

يدل على أنه يمين ، فان قيل : الدليل على أنه شهادة قوله (فشهادة أحدهم)

فجاء بالاسم الخاص بها ، ومن طريق المعنى أنه رددتها خمسا ، ولو كانت يميناً

مارددت ، والحكمة في ترديدتها قيامها في الأعداد مقام عدد الشهود في الرضا .

(١) النور : ٦ - ٩ وانظر سبب نزول هذه الآيات في صحيح البخارى كتاب التفسير

سورة النور ١٢٦/٦ وفتح البارى لابن حجر : ٦٥/١٠ - ٦٦ صحيح مسلم :

كتاب اللعان ، الحديث ١٤٩٢ وشرح النووي لمسلم ١١٩/١٠ - ١٢٠ والقرطبي

١٨٣/١٢ ولباب النقول للسيوطي ١٥٢ - ١٥٤ ، وانظر القراءات فسى

النشر لابن الجزرى ٣٣٠/٢ - ٣٣١ والاتحاف : ٣٢٢ - ٣٢٣ .

(٢) هو محمد بن احمد بن محمد بن رشد الأندلسى، أبو الوليد، الفيلسوف القرطبي،

صنف نحو خمسين كتابا ، (٥٢٠ - ٥٩٥ هـ) (الاعلام ٣١٨/٥)

(٣) بداية المجتهد ونهاية المقتصد لابن رشد ٩٨/٢ والآية من سورة (المنافقون)

وقد رد ابن العربي (١) على هذا القول فقال: أما ذكره تبارك وتعالى
للفظ الشهادة فلا يقتضى لها حكمها لوجهين: أحدهما: أن المادة فى
العرب جارية بأن يقول: أشهد بالله وأحلف بالله في معرض الأيمان دون الشهادة،
وأما تكرارها فيعطىل بيمين القمامة، فانها تكررت وليمت بشهادة اجماعاً،
والحكمة في تكرارها التخليط في الفرج والدماغ على فاعلها، لعله أن يكف
عنها فيقع المتر في الفرج والحقن في الدم، والفصل في أنه يمين لا شهادة
أن الزوج يحلف لنفسه في اثبات دعواها (٢) وتخليصه عن العذاب، وكيف
يجوز لأحد أن يدعى في الشريعة أن شاهداً يشهد لنفسه بما يوجب
حكماً على غيره؟ هذا بعيد في الأصل معدوم في النظر. (٣)

* * *

-
- (١) هو محمد بن عبد الله بن محمد المصطفى الأشعري المالكي أبو بكر بن العربي
قاض من حفاظ الحديث، وصنف كتباً في الحديث والنقح والاصول والتفسير
والادب والتاريخ. (٤٦٨ - ٥٤٣ هـ) الاعلام ٦/٢٣٠.
- (٢) أى في اثبات دعوى نفسه.
- (٣) انظر احكام القرآن لابن العربي ٣/١٣٤٣ - ١٣٤٤.

(٥) أقسام حكاها القرآن عن إبليس :

وذلك في قوله تعالى :

(١) قال فما أغوتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لا تبينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمنهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين .^(١)
إباء في قوله : (فما أغوتني) فيه وجهان : (الاول) انه بإء القسم أى باغوائك أى لا أقعدن لهم صراطك المستقيم ، أى بقدرتك على وفاد سلطانك فسي لأقعدن لهم على الطريق المستقيم الذى يسلكونه الى الجنة بأن أترس لهم الباطل وما يكسبهم المآثم . ولما كانت (الإباء) بإء القسم كانت (اللام) جواب القسم ، و (ما) بتأويل المصدر و (أغوتني) صلتها .
والثاني : أن قوله : (فما أغوتني) أى فسيب اغوائك أى لا أقعدن لهم ، والمراد انك لما اغوتني فأنا أيضا أسمى في اغوائهم .
والإغواء ايقاع النفي في القلب ، والنفي هو الاعتقاد الباطل وذلك يدل على أن إبليس كان يمتقد أن الحق والباطل انما يقع في القلب من الله تعالى .

قوله : (لأقعدن) جواب قسم مذكور ان جعلنا الإباء للقسم أو جواب قسم مضمرة ان جعلنا الإباء سببية ، ولا خلاف بين النحويين أن (على) محذوف والتقدير : لأقعدن لهم على صراطك المستقيم . (٢)

(٢) وقوله تعالى : (وقا سمهما إني لكما لمن الناصحين) (٣)

معناه وأقسم لهما ، الا أنه أخرج قسم إبليس على رتبة المفاعلة لأنه

(١) الاعراف : ١٦ - ١٧

(٢) تفسير الفخر الرازي : ١٤ / ٤٠ - ٤١

(٣) الاعراف ٢١ .

اجتهد فيه اجتهاد المقاسم . (١)

(٣) وقوله تعالى : (قال رب بما أغويتني لا يؤمنن لهم في الارض ولا يؤمنهم

أجمعين الا عبادك منهم المخلصين . (٢)

الهاء للقسم و (ما) مصدرية ، وجواب القسم (لا يؤمنن) والممنى

أقسم باغوائك اياي لا يؤمنن لهم ، ومعنى اغوائه اياه : تعبيبه لغيره بأن أمره بالسجود لا دم عليه السلام فأفضى ذلك الى غيره .

ونظيره قوله تعالى : (فمترتك لا يؤمنهم أجمعين) (٣) في أنه أقسام

الا أن احدهما اقسام بمعنى الله وهي من صفات الذات

والثاني اقسام باغواء الله وهو من صفات الافعال ، والفقهاء قالوا : القسم

بصفات الذات صحيح ، أما بصفات الافعال فقد اختلفوا فيه .

ويجوز أن لا يكون قسما وقدر قسم محذوف ، ويكون الممنى : بسبب

تسبيبه لاغوائي أقسم لا فعلن بهم نحو ما فعلت بي من التسبيب لاغوائهم

بأن يؤمن لهم المعاصي وأوسوس اليهم ما يكون سبب هلاكهم . (٤)

(٤) وقوله تعالى : (قال فمترتك لا يؤمنهم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين) (٥)

(٦) أقسم ابليس بعمرة الله ، وهي سلطانه ومهره على اغواء العباد واضلا لهم .

(المخلصين) بكسر اللام في هذه الآية والتي قبلها قرأها ابن كثير وأبو عمرو

وابن عامر ، والباقون بفتحها . (٧)

وهذه الآيات كلها مكية .

-
- (١) الفخر الرازي ٥٢/١٤ وقد ذكر وجهين آخرين : (١) التقدير أنه قال : أقسم لكما اني لكما لمن الناصحين . وقال له : أتقسم بالله انك لمن الناصحين ؟ فجمل ذلك مقاسمة بينهم . (٢) أقسم لهما بالنصيحة واقصم له بقبولها ، والوجه الثالث ذكره النوخسرى في كتابه انظر ٧٢/٢ - ٧٣ .
- (٢) الحجر : ٣٩ - ٤٠ (٣) سورة ص : ٨٢
- (٤) انظر الكشاف : ٣٩١/٢ والفخر الرازي ١٨٩/١٩
- (٥) سورة ص ٨٢ - ٨٣ (٦) انظر الكشاف ٣٨٤/٣ والفخر الرازي ٢٣٤/٢٦
- (٧) التشر في القراءات المشر ٢٩٥/٢ واتحاف فضلاء البشر ص ٣٧٤ .

(٦) أقسام حكاها القرآن عن المنافقين والكافرين :

وقد ورد ذلك في ثلاث عشرة آية مكية واشتق عشرة آية مدنية :

(١) قال الله تعالى : (ثم لم تكن فتنتهم الا أن قالوا والله ربنا ما كنا
مشركين) (١)

معنى الآية - والله اعلم - أن المشركين اليوم مفتونون بشركهم ثم يوم القيامة
لم تكن عاقبة كفرهم وشركهم الذي لزموه أعمارهم وقاتلوا عليه الا جحود والتبرؤ
منه والحلف على الانتفاء من التدين به . (٢)

وقيل معنى قوله (فتنتهم) حججهم وقيل معذرتهم وقيل بليتهم حين ابتلوا
(الا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين) (٣)

قال ابن جرير : والصواب ثم لم يكن قيلهم عند فتنتنا ايهم اعتذارا عما سلف
منهم الشرك بالله (الا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين) (٤)

وذلك أنهم لما يرون أنه لا يدخل الجنة الا أهل الصلاة يجحدون شركهم
ويحلفون على ذلك فيختم الله على أفواههم وتشهد أيديهم وأرجلهم ولا يكتمون
الله حديثا .

وقوله (لم تكن) قرأ بالتاء الجمهور وبالياء حمزة والكسائي قرأ (فتنتهم)
بالرفع ابن كثير وابن عامر وحفص والباقون بالنصب .

وقوله (والله ربنا) قرأ بنصب الباء حمزة والكسائي اما على النداء أو على
المدح . وعلى كل فالجملة معترضة بين القسم وجوابه . والباقون بالجر على
النعمة من اسم الله تعالى أو بدل منه أو عطف بيان . (٥)

(١) الانعام ٢٣ (٢) انظر الكشاف ١١/٢ والفخر الرازي ١٢/١٩٢

(٣) تفسير ابن كثير ١٢٧/٢ (٤) تفسير الطبري ١٠٦/٧ .

(٥) النشر لابن الجزري ٢٥٧/٢ والانتحاف ص ٢٠٦ وانظر توجيه هذه القراءات في
الكشاف لمكي بن أبي طالب ٤٢٦/١ - ٤٢٧ وحجة القراءات لابن زنجلة :

(٢) وقوله تعالى : (ولو ترى إذ وقفوا على رسهم قال أليس هذا بالحق ، قالوا بلى ورينا ، قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) (١)
قوله (أليس هذا بالحق) أي البعث والجزاء . (قالوا بلى ورينا)
فيحترفون بكونه حقا مع القسم واليمين .

(٣) وقوله تعالى : (وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها ، قل إنما الآيات عند الله وما يشمركم عنها إلا آيات لا يؤمنون) (٢)
هذه الآية مشتملة على شبهة أثارها المشركون ، وهي قولهم للنبي صلى الله عليه وسلم ان هذا القرآن كيفما كان أمره ، فليس من جنس المعجزات البتة ، ولو أنك يا محمد جئتنا بمعجزة بينة لا تمنابك وحلفوا على ذلك وصالفوا في تأكيد ذلك الحلف ، فرد الله عليهم بقوله : (وما يشمركم عنها إلا آيات لا يؤمنون) على معنى انكم لا تدرون ما سبق علمي به من أنهم لا يؤمنون) (٣)

(جهد أيمانهم) صدر وقع موقع الحال أي جاهدين في الايمان بأوكد الايمان ، وقال مقاتل (٤) اذا حلف الرجل بالله فهو جهد يمينه ، وقال الزجاج : معناه : بالفوا في الايمان . (٥)

(٤) وقوله تعالى : (أهولاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون) (٦)

(١) الانعام : ٣٠

(٢) الانعام : ١٠٩

(٣) انظر القراءات في (انها) و (لا يؤمنون) في النشر لابن الجزري ٢٦١/٢ والاتحاف ص ٢١٥ وتوجيه هذه القراءات في الكشف للمكي ٤٤٤/١ - ٤٤٥ ، وحجة القراءات لابن زنجلة ٢٦٥ - ٢٦٦ .

(٤) هو مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء ، البلخي أبو الحسن من أعلام المفسرين ، كان متروك الحديث ، توفي سنة خمسين ومائة ، الاعلام ٢٨١/٧

(٥) الفخر الرازي ١٥٠/١٣ وتفسير النسفي ٢٨/٢ - ٢٩ .

(٦) الاعراف : ٤٩ .

أى ينادون أصحاب الأعراف يوم القيامة رجالا من رؤوس الكفرة يقولون لهم تهكيتا: (أهؤلاء الذين أقسمت لا ينالهم الله برحمة) إشارة لهم الى أهل الجنة الذين كان الرومء يستهينون بهم ويحتقرونهم لفقرهم وقلة حظوظهم من الدنيا وكانوا يقسمون ان الله لا يدخلهم الجنة ، فيقال للمؤمنين ذلك اليوم: (ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون) وفيه زيادة تهكيت واذلال وارقام لا تُوف أولئك الطفافة .

قوله : (لا ينالهم الله برحمة) جواب ل (أقسمت) وهو داخل في صلة (الذين) تقديره : أقسمت عليهم بأن لا ينالهم الله برحمة ، أى لا يدخلهم الجنة .

(٥) وقوله تعالى : (أولم تكونوا أقسمت من قبل ما لكم من زوال) (١)

ومنى الآية ما ذكره الله تعالى في آية أخرى : (وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت . الآية) (٢) الى غير ذلك مما كانوا يذكرونه من انكار المعاد لأنهم كانوا ينكرون أن يزولوا عن حياة الى موت ، فمضى (ما لكم من زوال) أى الى دار أخرى .

قوله : (أولم تكونوا أقسمت) على ارادة القول ، وفيه وجهان : أن يقولوا ذلك بطراً وأشراً ولما استولى عليهم من عادة الجهل والسفه ، وأن يقولوه بلسان الحال حيث بسوا شديدا وأملوا بصيدا ، و (ما لكم) جواب القسم وانما جاء بلفظ الخطاب لقوله (أقسمت) ، ولو حكى لفظ المقسمين لقيل : (ما لنا) من زوال . (٣)

(٦) وقوله تعالى : (وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت ، بلى وعدا عليه حقا ولكن أكثر الناس لا يعلمون) (٢) يذكر القرآن انكار المشركين ابعث مقسمين على ذلك أشد الايمان ، وقوله (بلى) انبساط لما بعد النفي ،

(١) ابراهيم ٤٤ (٢) والنحل : ٣٨ (٣) انظر الكشاف : ٣٨٣/٢

- أى بلى يسميهم وقوله (وعدا عليه حقا) مصدر مؤن كد لما دل عليه
(بلى) ، لأن " يبعث " مؤنث من الله ، وبين أن الوفاء بهذا الوعد
حق واجب عليه في الحكمة ، (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) انهم يمشون .
(١)
(٧) وقوله سبحانه : (فآلقوا حبالهم وحسيبهم وقالوا بعمرة فرعون انا لنحن الغالبون)
أقسم السحرة بعمرة فرعون وقوته وهو من أيمان الجاهلية ، وجوابه قولهم (انا
لنحن الغالبون) .
(٨) وقوله تعالى : (قالوا وهم فيها يختصمون ، تالله ان كنا لفى ضلال مبين
ان نسوكم برب العالمين) . (٣)
أى يقول الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا فهل أنتم مغنون عنا
نصيبا من النار . ويقولون وقد عادوا على أنفسهم بالملامة . (تالله ان كنا
لفى ضلال مبين ، ان نسوكم برب العالمين) أى نجعل أمركم مطاعا كما يطاع
أمر رب العالمين . (٤)
(٩) وقوله تعالى : (قالوا تقاسموا بالله لئن هلكنا لئن هلكنا لوليه ما شهدنا
مهلكنا أهله وانا لصادقون) . (٥)
(قالوا) أى الذين ساء لهم أمر صالح فاجتمعوا وتعاهدوا على قتله ،
وقوله : (تقاسموا بالله) أى تحالفوا بالله مخبر في محل الحال باضمـار
(قد) أى قالوا متقاسمين ، ويحتمل أن يكون أمرا ، بأن أمر بعضهم
بعضا بالقسم . (٦)

(١) الكشاف ٤٠٩/٢ والفخر الرازى ٣٢/٢٠
(٢) الشعراء ٤٤ (٣) الشعراء : ٩٦ - ٩٨
(٤) تفسير ابن كثير ٣٤٠/٣ (٥) النمل : ٤٩
(٦) انظر الكشاف ١٥٢/٣ والفخر الرازى ٢٠٣/٢٤ وفتح القدير ١٤٣/٤ .

قوله : (لتبينته) جواب القسم . وما بعده معطوف عليه . والبيات : متبصرة
المدو ليلا .

وقرأ حمزة والكسائي قوله تعالى : (لتبينته وأهله ثم لنقولن) بالتاء فيهما
بضم التاء الثانية في الأول وضم اللام الثانية في الآخر ، وقرأ الباقون
بالنون فيهما وفتح التاء واللام .

وقوله : (مهلك) قرأ أبو بكر يفتح الميم واللام وحفص يفتح الميم وكسّر
اللام والباقون بضم الميم وفتح اللام . (١)

(١٠) وقوله تعالى : (يوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة) كذلك
كانوا يوفكون (٢)

قوله : (الساعة) أي القيامة وسحبت ساعة لأنها تقوم في آخر ساعة من ساعات
الدنيا .

(يقسم المجرمون) يحلف الكافرون . ولا وقف عليه ، لأن (ما لبثوا غير ساعة)
جواب القسم ، (ما لبثوا) في الدنيا أو في قبورهم غير ساعة ، فيمكن أن يكونوا
استقلوا مدة لبثهم في القبور أو في الدنيا لهول يوم القيامة وطول مقامهم
في شدائدها واستقر ذلك في أذهانهم فحلفوا عليه ، وهم يظنون أن حلفهم
مطابق للواقع ، أو يكذبون ، مقال ابن قتيبة . أنهم كذبوا في هذا الوقت
كما كانوا يكذبون من قبل ، (كذلك كانوا يوفكون) يصرقون عن الصدق
إلى الكذب في الدنيا وعن الايقان بالدينونة يوم القيامة . (٣)

(١) النشر لابن الجزري ٢٣٨/٢ والاتحاف ص ٣٣٧ - ٣٣٨ وانظر توجيه هذه
القراءات في الكشف لمكي بن أبي طالب ٦٥/٢ - ٦٦ و ١٦٢/٢ - ١٦٣
وحجة القراءات لابن زنجلة ٥٣٠ - ٥٣١ والبحر المحيط : ٨٣/٧ - ٨٤ ،
والمكبري ١٧٤/٢ .

(٢) الرهم : ٥٥

(٣) انظر الكشاف ٢٢٧/٣ وفتح القدير ٢٣٢/٤ وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة
ص ٣٤٣ وانظر أيضا ابن كثير ٤٤٠/٣ .

- (١١) وقوله تعالى : (وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن من أهدى من إحدى الأمم ، فلما جاءهم نذير ما زادهم إلا نفورا) (١)
- يخبر الله تعالى عن قريش والعرب أنهم أقسموا بالله جهد أيمانهم قبل إرسال الرسول إليهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الأمم أي من جميع الأمم الذين أرسل إليهم الرسل . (٢)
- (فلما جاءهم نذير) وهو محمد صلى الله عليه وسلم بما أنزل معه من الكتاب العظيم (ما زادهم إلا نفورا) أي ما زادوا إلا كفرا إلى كفرهم لأنهم قبل الرسالة كانوا كافرين بالله وبعدها صاروا كافرين بالله ورسوله .
- وقوله : (جهد أيمانهم) نصب على المصدر أي أقاما بليضا أو على الحال أي جاهدين في أيمانهم .
- وفي (إحدى الأمم) وجهان : أحدهما من بعض الأمم ، ومن واحدة من الأمم من اليهود والنصارى وغيرهم . والثاني : من الأمة التي يقال لها: إحدى الأمم ، تفضيلا لها على غيرها في الهدى والاستقامة . (٣)
- (١٢) وقوله تعالى : (ومن يمرض الذين كفروا على النار ، أليس هذا بالحق ، قالوا بلى وربنا ، قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) (٤)
- قوله : (قالوا بلى وربنا) اعتراف من الكفار حين لا يسعهم إلا الاعتراف ولا ينفعهم ذلك ، وأكدوا اعترافهم بكون الجزاء صدقا بالقسم .

- (١) فاطر ٤٣ .
- (٢) كقوله تعالى : (أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفة من قبلنا وان كنا عن دراستهم لغافلين ، أو تقولوا لو أننا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم) الآية إلا نعام ١٥٦ - ١٥٧ وكقوله تعالى : (وان كانوا ليقولون لو أن هدانا ذكرا من الأولين لكنا عباد الله المخلصين فكفروا به فسوف يعلمون) الصفات ١٦٧ - ١٦٩ .
- (٣) انظر الكشاف ٣/٣١٢ وابن كثير ٣/٥٦٢ والفخر الرازي ٢٦/٣٣-٣٤ وانظر في سبب نزول الآية لهاب النقول في أسباب النزول للسيوطي ص ١٨١-١٨٢ .
- (٤) الاحقاف : ٣٤ .

(١٣) وقوله تعالى : (انا بلوناكم كما بلونا أصحاب الجنة (١)

اذ أقسموا ليصرنها مصبحين ولا يستثنون) (٢)

بقوله : (اذ أقسموا ليصرنها مصبحين) أى حلفوا فيما بينهم ليجدن

ثورها ليلا لئلا يعلم بهم فقير ولا مائل ، (ليصرنها) جواب القسم .

(ولا يستثنون) (٣) أى فيما حلفوا به ، ولهذا حنثهم الله في أيانهم

فقال : (فطاف عليها طائف من ربك الآية) .

* فهذه الآيات كلها مكية ، وأما الآيات المدنية :

(١٤) فقوله تعالى : (فكيف اذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم ثم جاءوك يحلفون

بالله ان أردنا الا احسانا وتوفيقا) (٤)

هذا انكار من الله عز وجل على من يدعي الايمان بما أنزل الله على رسوله

وهو مع ذلك يريد أن يتحاكم في فصل الخصومات الى غير كتاب الله

وسنة رسوله كما ذكر في سبب نزول هذه الآية . (٥)

(١) أصحاب الجنة : قيل هم قوم من أهل الكتاب وقيل كانوا كفارا ، والجمهور

على الأول الا أن منحهم الزكوة لما ينافي الاسلام ذكرتهم مع غير المسلمين

انظر أقوال المفسرين في أصحاب الجنة : ابن كثير ٤٠٦/٤ وفتح القدير

٢٧١/٥ ، وتفسير النسفي ٢٨١/٤ والكشاف ١٤٤/٤ .

(٢) القلم : ٥٧ - ١٨ .

(٣) وقوله (ولا يستثنون) يعنى ولا يقولون ان شاء الله ، وسبب استثناءه وان كان

شرطا صورة لأنه يؤدى مؤدى الاستثناء من حيث ان معنى قولك لا أخرجن

ان شاء الله ، ولا أخرج الا ان يشاء الله ، واحد . انظر الكشاف ١٤٤/٤ .

(٤) النساء : ٦٢ .

(٥) أخرج الطبراني بسند صحيح عن ابن عباس قال : كان أبو بكر رة الاسلامي كأننا

يقضى بين اليهود فيما يتنافرون فيه ، فتناظر اليه ناس من المسلمين ، فأنزل

الله : (ألم تر الى الذين يزعمون أنهم آمنوا ، الى قوله : الا احسانا

وتوفيقا) النساء ٦٠ - ٦٥ ، قال المهيتمي في مجمع الزوائد : رواه الطبراني

ورجاله رجال الصحيح (٦ / ٧) وانظر أيضا سبب نزول الآية في الطبراني

١٥٣/٥ وابن كثير ٥١٩/١ وأسباب النزول للواحدى ص ٩١ - ٩٣ وللسبب

قوله : (فكيف اذا أصابتهم ٠٠٠) أى فكيف بهم اذا ما قتهم القادير اليك في مصائب تطرقهم بسبب ذنوبهم واحتاجوا اليك في ذلك ، (ثم جاءوك يحلفون بالله ان أردنا الا احسانا وتوفيقا) أى يمتدرون اليك ويحلفون ما أردنا بذهابنا الى غيرك وتحاكننا الى أعدائك الا الاصرار والتوفيق أى المدارة والصانعة لا اعتقادا منا صحة تلك الحكومة . (١)
وهذا وعهد لهم على فعلهم وأنهم سيندمون عليه حين لا ينفعهم الندم ولا يفتنى عنهم الاعتذار .

(١٥) وقوله تعالى : (ويقول الذين آمنوا أهولاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم انهم لمكم حطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين) (٢)

يقوله المومنون بعضهم لبعض تمجدا من حال المنافقين وتبجحا بما من الله عليهم من الاخلاص أو يقولون لليهود فان المنافقين حلفوا لهم بالمعاضدة كما حكى الله عنهم (وان قوتلم لننصرنكم) (٣) . وجهد الايمان : أعظمها وهو في الاصل مصدر ونصبه على الحال على تقدير : وأقسموا بالله يجهدون جهد أيمانهم . (٤)

(حطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين) وفيه من الاستهزاء بالمنافقين والتقريع للمخاطبين ما لا يخفى .

وقوله (ويقول) قرأنا فع وابن كثير وابن عامر بخير واو ، والباقون بالواو وكلهم رفع (يقول) الا أبا عمرو فانه نصبه . (٥)

-
- (١) تفسير ابن كثير : ٥١٩ / ١
(٢) المائدة : ٥٣ وانظر سبب نزول الآية في تفسير ابن كثير ٦٨ / ١ - ٦٩ .
(٣) الحشر : ١١
(٤) البيضاوى ص ١٥٣
(٥) انظر القراءات في النشر لابن الجزرى ٢ / ٢٥٤ والاتحاف ص ٢٠١ وتوجيه هذه القراءات في الكشف للمكي ١ / ٤١١ - ٤١٢ وحجة القراءات لابن زنجلة ٢٢٩ - ٢٣٠ والمكبرى ١ / ٢١٩ وتفسير النسفي : ٢٨٨ / ١ .

(١٦) وقوله تعالى : (لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لا تهموك ولكن بعدت عليهم الشقة (١) وسيحلفون بالله لو استطمنا لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم والله يعلم انهم لكاذبون) . (٢)

وقوله : (وسيحلفون بالله . . . الآية) من دلائل النهوة لانه اُخبر بما سيكون بعد القبول من غزوة تبوك فقالوا كما اُخبره و (بالله) متملق (سيحلفون) أو هو من حمله كلامهم والقول مراد في الوجهين ، أي (سيحلفون) يحثي المتخلفين عند رجوعك من غزوة تبوك معتدريين

يقولون بالله لو استطمنا لخرجنا معكم ، أو سيحلفون بالله يقولون لو استطمنا لخرجنا معكم ، وقوله (لخرجنا) سد مسد جوابي القسم و (لو) جميعاً . (٣)

(١٧) وقوله تعالى : (وحلفون بالله انهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون) (٤)

هذه الآية أيضا تكشف عن بعض نوايا المنافيين حيث يدعون الولا والمعية للمسلمين ويحلفون على ذلك ، (انهم لمنكم) أي لمن جملة المسلمين فرد الله عليهم بقوله : (وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون) يخالفون القتل وما يفعل بالمشركين فيتظاهرون بالاسلام تقية .

(١٨) وقوله تعالى : (يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله أحق أن يرضوه ان كانوا مؤمنين) (٥)

والخطاب في الآية للمسلمين ، وكان المنافقون يتكلمون بالمطاعن أو يتخلفون عن الجهاد ثم يأتونهم فيعتذرون اليهم ويؤكدون معاذيرهم بالحلف ليعتدروهم ويرضوا عنهم ، فقيل لهم : (والله ورسوله أحق أن يرضوه ان كانوا مؤمنين) أي ان كنتم مؤمنين كما تزعمون فأحق من أرضيتم الله ورسوله بالطاعة والوفاء . (٦)

(١) الشقة : الناحية التي تلحقك المشقة في الوصول اليها مفردات الراجح ص ٢٦٤
(٢) التوبة : ٤٢ نزلت هذه الآية وما بعدها في المتخلفين عن غزوة تبوك من المنافيين
(٣) انظر الكشاف : ١٩١/٢ (٤) التوبة : ٥٦
(٥) التوبة : ٦٢ وانظر سبب نزول الآية في أسباب النزول للواحد ص ١٤٣
(٦) انظر الكشاف ١٩٩/٢ .

(١٩) وقوله تعالى : (يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بما هم
اسلامهم وهموا بما لم ينالوا الآية) (١)

اقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك شهرين ينزل عليه القرآن
يعيب المنافقين ويكشف عن نواياهم فيسمع من معه منهم وكان هذه الآية
الكريمة تشير الى وقائع عديدة كانت سببا لنزولها . (٢)

(٢٠) وقوله تعالى : (سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم
فأعرضوا عنهم انهم رجس الآية) (٣)

(٢١) وقوله تعالى : (ويحلفون لكم لتعرضوا عنهم ، فان تعرضوا عنهم فان الله لا يرضى
عن القوم الفاسقين .) (٤)

أخرج ابن جرير بسنده عن كعب بن مالك (٥) يقول : لما قدم رسول الله
صلى الله عليه وسلم من تبوك جلس للناس فلما فعل ذلك جاءه المخلفون
فطفقوا يمتدرون اليه ويحلفون له ، وكانوا بضمة وثمانين رجلا فقبل منهم
علا نيتهم وايمهم واستغفر لهم ووكل سرائرهم الى الله ، وصدقته
حديثى فقال كعب : والله ما أتعلم الله على من نعمة قط بعد أن هداني
الله للاسلام أعظم في نفسى من صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اكون
كذبتة فأهلك كما هلك الذين كذبوا ، ان الله قال للذين كذبوا حين
أنزل الوحي شر ما قال لأحد : سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم
لتعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم انهم رجس ، وأوأهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون
الى قوله : فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين . (٦)

(١) التوبة : ٧٤ (٢) انظر هذه الوقائع في لباب النقول للسيوطي ص ١٢٠ - ١٢١

وأسياب النزول للواحدى ص ١٤٤ - ١٤٥ وطبقات ابن سعد ٣٧٥/٤ - ٣٧٦ هـ
وتفسير ابن جرير ١٨٥/١٠ - ١٨٦ والكشاف ٢٠٣/٢ .

(٣) التوبة : ٩٥ (٤) التوبة : ٩٦

(٥) هو كعب بن مالك بن أبي كعب بن القين بن كعب بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة

أبو عبد الله الانصارى صاحب جليل مات بالشام في خلافة معاوية (الاصابة ص ٧٤٢٢)

(٦) الحديث رجاله رجال الصحيح ونحوه في صحيح البخارى في ختام حديث كعب
ابن مالك في كتاب المغازى باب غزوة تبوك ، وانظر أيضا الصحيح المسند من أسباب
النزول للشينخ مقبل بن هادى الوادعى ص ٧٩ .

أخبر الله سبحانه مرة أخرى عما سيؤكفون به معاذيرهم من أيما نهيهم
الفاجرة بالآيتين المذكورتين :

وقوله (يحلفون لكم) بدل مما سبق ، وعدم ذكر المحلوف به لظهوره
أي يحلفون به تعالى : (لترضوا عنهم) أي غرضهم بالحلف بالله طلب
رضاكم لينفمهم ذلك في دنياهم (فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى
عن القوم الفاسقين) فيه تهديد عن الرضا عنهم على أبلغ وجه وأكدته
فان الرضا عن لا يرضى الله تعالى عنه مما لا يكاد يصدر عن المؤمن . (٢)

(٢٢) وقوله تعالى : (والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين
وارشاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى
والله يشهد انهم لكاذبون) (٢)

قوليه : (وليحلفن ان أردنا إلا الحسنى) ما أردنا ببناء هذا المسجد
إلا الخصلة الحسنى وهي الصلاة والذكر والتوسعة على المسلمين (والله
يشهد انهم لكاذبون) في حلفهم .

وقرأ نافع وابن عامر (الذين) بغير واو . (٣)

(٢٣) وقوله تعالى : (ألم تر إلى الذين تولوا قوماً غضب الله عليهم ما هم منكم
ولا منهم ويحلفون على الكذب وهم يعلمون) (٤)

المراد انكار الله تعالى على المنافقين توليهم القوم الذين غضب الله عليهم
وهم اليهود والكفار وهذا الانكار يدل على شدة منع ذلك التولى .

وقوله (ويحلفون على الكذب) أي يقولون : والله انا لمسلمون لا منافقون .

(وهم يعلمون) انهم كاذبون منافقون .

(١) انظر محاسن التأويل للقاسمي ٢٩٦/٥ - ٢٩٧ والكشاف ٢/٢٠٩

(٢) التوبة : ١٠٧ وانظر سبب نزول الآية في تفسير ابن كثير ٢/٣٨٧ - ٣٨٨

(٣) اتحاف فضلاء البشر ص ٢٤٤ وانظر توجيه القراءتين في الكشاف لمكي بن أبي

طالب ١/٥٠٧ وحجة القراءات لابن زنجلة : ٣٢٣ - ٣٢٤ .

(٤) المجادلة : ١٤ .

(٢٤) وقوله تعالى : (يوم يحشهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم
وخصمون أنهم على شيء إلا أنهم هم الكاذبون) (١)

أى أنهم يحلفون لله يوم القيامة على الكذب أنهم كانوا مخلصين
في الدنيا غير منافقين (كما يحلفون لكم) في الدنيا على ذلك ، وهذا
من شدة شقاوتهم ومؤيد الطبع على قلوبهم ، فان يوم القيامة قد انكسفت
الحقائق وصارت الامور معلومة بضرورة المشاهدة فكيف يجترئون على أن
يكذبوا في ذلك الموقف وحلفون على الكذب (وخصمون أنهم على شيء)
ما يجلب نفعا أو يدفع ضررا كما كانوا يحسبون ذلك في الدنيا . (٢)
(إلا أنهم هم الكاذبون) أى البالغون النفاية في الكذب حيث يكذبون
مع علم الغيب والشهادة ويقدمون على الايمان الفاجرة بين يدي من لا يخفى
عليه خافية .

(٢٥) وقوله تعالى : (وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن أمرتهم ليخرجن ، قل
لا تقسموا طاعة معروفة ، ان الله خبير بما تعملون) (٣)

أى حلف المنافقون بالله جهد اليمين (٤) لأنهم بذلوا فيها مجهودهم ،
وقوله : (قل لا تقسموا) لا تحلفوا كاذبين لأنه معصية (طاعة معروفة) أمثل
وأولى بكم من هذه الايمان الكاذبة (ان الله خبير بما تعملون) فهو
مجازيكم على ذلك .

* فهذه جملة أقسام صدرت عن المنافقين والكفار في القرآن ومن تتبع كتب اللغة
نرى أن القسم والحلف بمعنى واحد ، فهما مترادفان إذا ، لكن الاستعمال

(١) المجادلة : ١٨

(٢) انظر الكشاف ٧٧/٤ - ٧٨ وفتح القدير ١٩٢/٥ - ١٩٣ .

(٣) النور : ٥٣ (٤) جهد يمينه مستعار من جهد نفسه اذا بلغ أقصى وسعها ،
وذلك اذا بالغ في اليمين وبلغ غاية شدتها ، وكادتها ، وعن ابن عباس رضي الله
عنها : من قال بالله فقد جهد يمينه ، وأصل أقسم جهد اليمين : أقسم بجهد
اليمين جهدا ، فحذف الفعل وقدم المصدر فوضع موضعه مضافا الى المفعول كقوله
(ضرب الرقاب) وحكم هذا المنصوب حكم الحال كأنه قال : جاهدين ايمانهم
انظر الكشاف : ٧٣/٣ .

القرآني فرق بينهما من ناحية خفية ، فلم يسند (حلف) الى ذات الله سبحانه
بينما أسند القسم اليه .

كما أن سائر الاستعمال القرآني للحلف يفيد الحنث والكذب والمخالفة
وهذا الملحظ الخفي يوحى لنا أن الترادف بين القسم والحلف ليس تماما ، ولذلك
جاء في القرآن الكريم صيغة الهالفة في شناعة الحلف ، حيث قال تعالى : (ولا تطع
كل حلاف مهين) (١) أي الذي يحلف على كل أمر جل أودق فانه يهين نفسه
وقد انتبه لهذا الملحظ الدقيق الامام الفراهي رحمه الله فأورد بحثا في كتابه
في الفرق في كلمات القسم حسب مواقعها مما يحسن وما لا يحسن .

قال رحمه الله : قد تبين عند علماء اللسان أن في اللفاظ المتراهفة
فروقا ، ولكل منها معنى خاصا وحدا محدودا ، وقد وجد علماء العربية في القرآن
من هذه الفروق ما لا ينتبه له الا الناقد المتبع كاستعماله الرياح في موضع
النفع والريح في موضع الضرر وكاستعماله الامطار في موقع العذاب - فمن هذا الباب
مراعاة الفرق بين كلمات القسم بحيث يشير بذلك الى بعض خصائصها ، وقد ذكرنا
أن القسم ربما يهين قدر المرء وذهب بشرفه ، (٢) فانظر كيف يهين القرآن
على هذا الأمر استعماله كلمة الحلف فيمن يصغر نفسه بيئنه ويلج حيث لا يلج
شريف ، فتوى في سورة برائة . ذكر القسم من المنافقين في سبعة مواضع فلم يأت به
الا بكلمة الحلف لدنا ، تم وكذبهم في اعتذارهم ، وما جاءت هذه الكلمة
في سائر القرآن الا حيث يشنع لما فيها من قلة الهالاة بشرف النفس والتزوع السي
ما يلقيها في الكذب ، والالاح ، ولذلك لما أراد التابفة الفلوف في تضرعه

(١) القلم : ١٠

(٢) انظر الفصل الثامن عشر من كتابه (امعان في أقسام القرآن) .

(٣) وذلك حين يحلف الرجل على أمور سخيفة ومظهر بدأيه هذا عدم هالاته
بشرف نفسه .

عند النعمان بن المنذر قال :

(١) حلفت فلم أترك لنفسي ريباً ، وليس وراء الله للمرء مذهب

فأصح عن غاية الاستكانة ، وهذا أبلغ بينة في اظهار الخشية والتذلل

وهو أبلغ الشعراء عند الرهبة .

فان صحت هذه الخصوصية عندك عرفت قدرها في الدين فانك اذا تتجنب

استعمال كلمة الحلف لله تعالى ، كما ترى المفسرين منا والمترجمين للتوراة لا يزالون

يقولهم : " حلف الله كذا " والخلاصة أن القسم لما كان أحيانا مذموماً

ذمه القرآن حسب موضعه ، ودل عليه بكلمة خاصة ، وهذا من تمام التشريع وكمال

التبيين ، كما قال تعالى : (ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء ، وهدى ورحمة

ومشى للمسلمين) (٢)

والذي يدولى أن في بعض ما قاله الامام نظراً ، أما ما يتعلق بالحلف

فلم يرد في القرآن الا كما قال ، أما بالنسبة للقسم فقد وردت أقسام في القرآن الكريم

مضمنة لما تضمنه الحلف من كذب وحنث واذلال النفس كقوله تعالى : (وأقسموا بالله

جهد أيانهم لئن أمرتهم ليخرجن ، قل لا تقسموا) الآية (٣) وقوله : (وأقسموا

بالله جهد أيانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل انما الآيات عند الله

وما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون) (٤) فدل ما ذكرت على أن الامام أراد

الاعم الاغلب ولم يرد العموم .

* * *

(١) الشعراء والشعراء لابن قتيبة ص ٦٢ وديوان النابغة ٧٦

(٢) النحل : ٨٦ ، وانظر امعان في اقسام القرآن للفراهي ص ٦٥ - ٦٦

(٣) النور : ٥٣ (٤) الانعام : ١٠٩

المبحث الثالث

المقسم به في القرآن الكريم

قد سبق القول فيما مضى أن المقسم به ليس من لوازم القسم ، لأن القسم ليس الا التأكيد ، ولا يحتاج الى تقدير المقسم به في كل موضع ان أردت الاحتمال فلا أنكره ، انما قصدى انه غير لازم ، فقد رأينا أن القسم يكون بالله ومغيبه وربما يكون مجردا عن المقسم به ، وحينئذ لا يراد به الا التأكيد والجنم المحض .
فأما معنى تعظيم المقسم به فذلك مما انضم به في بعض الأحوال فهو من عوارض القسم وليس من لوازمه .

وقد ذكر الزركشي أن الله سبحانه أقسم بثلاثة أشياء في كتابه .

- أ - بذاته كقوله تعالى : (فوب السماء والأرض انه لحق مثل ما أنكم تنطقون) (١)
- وقوله : (فوبك لتسألنهم أجمعين) (٢)
- ب - بفعله كقوله تعالى : (والسماء وما بناها والأرض وما طحاها) الآيات (٣)
- ج - بمفعوله كقوله تعالى : (والنجم اذا هوى) (٤) (والطور وكتاب مسطور) الآيات . (٥)

(١) الذاريات ٢٣

(٢) الحجر ٩٢

(٣) الشمس ١ - ١٠ ملحوظة : لاشك أن بناء السماء بحد ذاته فعل من أفعال الله تعالى ، والنجم مفعول أى مخلوق وأثر من آثار الفعل وهذا لا يعنى أن الزركشي يريد اخراج لفظة السماء من كونها مخلوقة ، وانما أراد أن البناء فعل وأن النجم مفعول وكذلك السماء وسائر مخلوقات الله تعالى .

(٤) النجم : ١

(٥) الطور ١ - ٦ ، وانظر البرهان في علم القرآن للزركشي ٤٢/٣ .

قال ابن القيم رحمه الله : وهو سبحانه يقسم بأمور على أمور وإنما يقسم بنفسه الموصوفة بصفاته وآياته المستلزمة لذاته وصفاته وأقسامه ببعض المخلوقات دليل على أنه من عظيم آياته ، وقال أيضا : وما أقسم عليه الرب فهو من آياته فيجوز أن يكون مقسما به ولا ينمكض (١) .

ومند استقراء آيات القرآن وجدنا أن المقسم به لا يخرج عن الأمور الثلاثة التي ذكرها الزركشي .

ويمكن تقسيم المقسم به في القرآن الكريم على النحو التالي :

- (١) القسم بذات الله المقدسة أو بنفسه الموصوفة بصفاته العليا .
- (٢) القسم بحمير الرسول صلى الله عليه وسلم .
- (٣) القسم بالقرآن الكريم .
- (٤) القسم بالملائكة .
- (٥) القسم بيوم القيامة .
- (٦) القسم بآيات الله الدالة على عظيم خلقه ، وديع صنعه والناطقة بوجوده ووجدانيته مثل الشمس والقمر والنهار والليل والسما والارض ونحو ذلك .
- (٧) القسم بالازمنة .
- (٨) القسم بالاماكن المقدسة التي هي مستقر الانبياء ومهبط الوحي والرسالات .
- (٩) ويرى بعض العلماء أن الله سبحانه أقسم بالحروف المقطعة المفتحة بها الصور والمقترنة غالبا بالقرآن أو الكتاب أو التنزيل .
- (١٠) وأقسم سبحانه بأعم قسم وقع في القرآن فقال عز من قائل : (فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون) (٢) فما ترك شيئا الا وأقسم به مما ندرك منها وما لا ندركه .

(١) التبيان في أقسام القرآن لابن القيم ص ٣

(٢) الحاققة : ٣٨ - ٣٩

(١) القسم بذات الله سبحانه وتعالى :

أقسم سبحانه بذاته المقدسة أو بنفسه الموصوفة بصفاته العليا فسى
عشر آيات ، وفي ثلاث آيات منها قد أمر نبيه عليه الصلاة والسلام أن يقسم
بـه على المهاد والجزاء ، فقال عز من قائل :

(١) (وستنبئونك أحق هو عقل أي ورسي أنه لحق وما أنتم بمعجزين) (١)

وهو استفهام على جهة الإنكار والاستهزاء بالمذاب الموعود ، فأمر الله

نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقسم بذاته الشريفة على وقوعه وقوله (إى ورسي) ،

نعم والله ، وإى حرف جواب لا عمل له ولا تقع عند الجميع إلا قبل القسم .
(٢)

(٢) وقوله سبحانه : (وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة عقل بلى ورسي لتأتينكم

عالم الغيب ، لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ولا أصغر

من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين) (٣)

أمر الرسول عليه الصلاة والسلام بالقسم على اتيان الساعة بذات السرب

تعالى رغم انكار المنكرين لله سبحانه والجزاء .

(قل بلى) : أوجب ما بعد النفي بـ (بلى) على معنى أن ليس الأمر

إلا اتيانها ، (ورسي لتأتينكم) : ثم أهدأ إيجابه مؤكدا بما هو الفاية فسى

التوكيد والتشديد وهو التوكيد باليمين بالله عز وجل ثم أهدأ التوكيد

القسمي بما أتبع المقسم به من الوصف بقوله (عالم الغيب) لأن عظمة حال

المقسم به تؤذن بقوة حال المقسم عليه وشدة ثباته وصحته واستقامته

(١) يونس : ٥٣ (٢) دراسات لاسلوب القرآن الكريم للشيخ عبد القادر عضية

٥٩٩/١

(٣) سبأ : ٣ وانظر القراءات في (عالم الغيب) و (لا يعزب) في النشر

لابن الجزري ٣٤٩/٢ واتحاف فضلاء البشر ص ٣٥٧ وتوجيهها في الكشف
عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبي طالب ٢٠١/٢ والمكبري ١٩٥/٢ ،

وحجة القراءات لابن زنجلة ٥٨١ - ٥٨٢ .

لأنه بمنزلة الاستشهاد على الأمر ، وكلما كان المستشهد به أرفع منزلة كانت الشهادة أقوى وأكد ، والمستشهد عليه أثبت وأرسخ ، ولما كان قيام الساعة من مشاهير الغيوب وأدخلها في الخفية كان الوصف بما يرجع الى علم الغيب أولى وأحق . (١)

(٣) وقوله سبحانه : (زعم الذين كفروا أن لن نمثوا قل بلى وربي لتمثن ثم لتنهون بما علمت وذلك على الله يسير) (٢)

ان الكفار لما ادعوا انهم لا يموتون أمر الله رسوله بقوله : (قل بلى) هو اثبات لما بعد (لن) وهو البعث ، و (بلى) حرف يأتى لأحد معنيين : (الأول) رد نفى كما هنا ، (والثاني) : جواب استفهام مقترن بنفى نحو قوله سبحانه : (ألسن بكم قالوا بلى) . الآية (٣) وقوله : (وربي لتمثن) تؤكد الاخبار باليمين حيث أقسم بالرب على البعث الذي هو الاحياء بعد الموت .

قال ابن كثير : وهذه هي الآية الثالثة التي أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم أن يقسم بربه هز وجل على وقوع المعاد ووجوهه فالأولى في يونس والثانية في سبأ (كما مرانفا ذكرهما) والثالثة هذه الآية (٤) .

(٤) وقوله سبحانه : (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت وصلحوا تسليما) (٥)

أقسم سبحانه بنفسه المقدسة قسما مؤكدا بالنفي قبله على عدم ايمان الخلق حتى يحكموا رسوله في كل ما شجر بينهم من الأصول والفروع وأحكام الفروع وأحكام المعاد وسائر الصفات وغيرها . (٦)

(١) الكشاف ٢٧٩/٣ (٢) التفاهين : ٧

(٣) الاعراف : ١٧٢ وانظر أضواء البيان للشنقيطي ٣٣٩/٨

(٤) تفسير ابن كثير ٣٧٤/٤ (٥) النساء : ٦٥

(٦) التبيان لابن القيم ص ٢٧٤ .

واختلف العلماء حول (لا) التي تسبق القسم ، فقيل في قوله سبحانه :
(فلا وربك) معناه : فوربك كقوله تعالى : (فوربك لننزلنهم أجمعين)^(١)
و (لا) مزيدة لتأكيد معنى القسم كما نهدت في (لثلاث يعلم أهل الكتاب)^(٢)
لتأكيد وجوب العلم ، (لا يؤمنون) : جواب القسم ^(٣) .
وقيل تقديره : فلا يؤمنون وربك لا يؤمنون ، فأخبر أولاً وكرهه بالقسم ثانياً ،
فاستغنى بذكر الفعل في الثاني عن ذكره في الأول ^(٤) .
وقيل فيه وجهان : أحدهما أن (لا) الأولى زائدة والتقدير : فوربك
لا يؤمنون ، وقيل الثانية زائدة والقسم معترض بين النفي والمنفي ، والوجه
الآخر : أن (لا) الأولى لنفي شيء محذوف تقديره : فلا يفعلون ثم
قال : (وربك لا يؤمنون) ^(٥) .
والذي أرجحه هو أن (لا) في الآية المذكورة منفصلة وليست زائدة ولا متصلة .
وانفصال (لا) قبل القسم كانفصال (كلا) قبله كما قال تعالى : (كلا
والقمر) ^(٦) وتكرارها كتكرارها كما قال سبحانه : (كلا سوف تعلمون
ثم كلا سوف تعلمون) ^(٧) ، وهذا الأسلوب شائع في كلامهم إذا أرادوا
شدة الإنكار لظن سابق لأن في تقديم (لا) دلالة على أن الكلام جواب
ورد لما قيل من قبل ، وعلى أن الإنكار به لا يحتمل مكناً ، فان القسم
عادته الابتداء ، وانما قدمت عليه كلمة الإنكار لشدة الاحتناء به ، والقسم
على الأكثر تأكيد الأثبات ، فاذا كان الإنكار ينهض أن يصدر الكلام بالنفي

(١) الحجر : ٩٢ (٢) الحديد : ٢٩
(٣) الكهف : ٢٧٧/١ (٤) البيان لابن الأنباري : ٢٥٨/١
(٥) العنكبوت : ١٠٤/١ والحرر : ٢٨٤/٣ وانظر الوجه الثاني أيضا في القرطبي
١٨٤٦/٢ .
(٦) المدثر : ٣٢
(٧) التكاثر : ٣ - ٤

ولذلك قالوا : (لا والله) ، وان قيل : (والله لا) كان ضعيفا
فملى هذا جاء قوله تعالى : (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما
شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت وسلموا تسليما) افاده
الفراهي رحمه الله . (۱)

(۵) وقوله سبحانه : (فوريك لتمثلنهم اجمعين ، عما كانوا يعملون) (۲)
اقسم الله سبحانه بربوبيته مضافا الى الرسول صلى الله عليه وسلم على جبهة
التشريف له عليه السلام ليسألن يوم القيامة واحدا واحدا من هؤلاء المقتسمين
عما قالوه في رسول الله صلى الله عليه وسلم او في القرآن او في
كتب الله . (۳)

(۶) وقوله سبحانه : (وجعلون لاما يعملون نصيبا مما رزقناهم تاللة لتعائن
عما كنتم تفترون) (۴)

اقسم سبحانه بذاته وعيدا لهم عما يفترون حيث يجعلون لله شركاء في زعمهم
وهي جباد لا تضر ولا تنفع ثم يجعلون لها نصيبا في انعامهم وزروعهم
افتراء على الله ، فهم لاشك مسئولون عند الله لا محالة عن هذا الافتراء .
(۷) وقوله سبحانه : (تاللة لقد ارسلنا الى امم من قبلك فزين لهم الشيطان
اعمالهم فهو وليهم اليوم ولهم عذاب اليم) (۵)

(۱) انظر نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان : تفسير سورة القيامة للاستاذ الامام
عبد الحميد الفراهي (مخطوط)

(۲) الحجر : ۹۲ - ۹۳

(۳) والمقتسمين : هم المذكورون في قوله سبحانه : (كما انزلنا على المقتسمين
الذين جعلوا القرآن عضين) الحجر (۹۰ - ۹۱) قيل هم اهل الكتاب الذين
جعلوا القرآن عضين ، أي اجزاء جمع غضة حيث قالوا بعتادهم بعضه حق موافق
للتوراة والانجيل وبعضه باطل مخالف لهما فاقسموه الى حق واطل وعضوه ، وقيل
هم كفار مكة الذين يجزؤون القرآن الى سحر وشعر واماطير ، لينفروا الناس
عن الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم . انظر الكشاف ۲ / ۳۹۸ .

(۴) النحل : ۵۶ ونظير هذه الآية في الانعام : ۱۳۶ .

(۵) النحل : ۶۳ .

أقسم سبحانه بذاته المقدسة على ارسال الرسل الى الامم السابقة ثم
تنزيه الشيطان لهم أعمالهم من الكفر والتكذيب بالرسول ، فكان عاقبتهم
المذاب الاليم يوم القيامة .

(٨) وقوله سبحانه : (فوريك لنحشرونهم والشياطين ثم لنحشرونهم حول جهنم
جثيا) (١)

أقسم الله سبحانه بذاته على حشر الكفار المنكرين للبعث مع قرنائهم
من الشياطين الذين أغورهم وأضلوهم عن الحق فيقرن كل كافر مع شيطان
في سلسلة ، وفي اقسام الله تعالى باسمه مضافا الى رسوله تفخيم لشأن رسوله
عليه الصلاة والسلام .

(٩) وقوله سبحانه : (فوروب السماء والارض انه لحق مثل ما أنكم تنطقون) (٢)

أقسم سبحانه بربوبيته على صدق البعث والجزاء ، و (مثل) قرأه أبو بكر
وحمة والكسائي بالرفع ونصبه الباقون (٣) .

(١٠) وقوله سبحانه : (فلا أقسم برب المشارق والمغرب انا لقادرون على أن نبدل
خيرا منهم وما نحن بمسبوقين) (٤)

أقسم الله سبحانه بربوبيته على قيام البعث والنشور وقدرته على ذلك ، وقوله
(فلا أقسم برب المشارق والمغرب) الآية يعنى أن الذى خلق السموات
والارض وجعل مشرقا ومغربا وسخر الكواكب تبدو من مشارقها وتغيب فسى

(١) مريم ٦٨ ، و (جثيا) جمع جاث من (جثا) اذا قعد على ركبتيه وذلك

لهول الموقف فلا يستطيعون قياما كقوله تعالى : (وترى كل أمة جاثية)

الجاثية : ٢٨ .

(٢) الذاريات : ٢٣ (٣) النشر لابن الجزرى ٣٧٧/٢ والانتحاف ٣٩٩ ،

وانظر توجيه القراءتين في الكشف لمكي بن أبي طالب ٢٨٧/٢ وحجة القراءات

لابن زجلة ٦٧٩ (٤) المعارج : ٤٠ - ٤١ .

مفاريها ، أليس ذلك بقادر على أن يحسي الموتى (١) .

وتلك هي أقسام ظاهرة أقسم الله فيها بـ بذاته المقدسة على أمور
متعددة بل غالب الأحيان على وقوع الهلك والنشور والجزاء ، كما أمر
سبحانه رسوله في ثلاث آيات أن يقسم بذاته الشريفة على المعاد والجزاء ،
أما أقسام المخلوقين بذاته الشريفة فقد مر ذكرها تحت عنوان (المقسم)
فأعني عن اعادة هنا .

* * *

(١) قوله (المشارق والمفاري) يعني مشرق كل يوم من السنة ومغربه أو مشرق
كل كوكب ومغربه ، فان مشارقها ومفاريها تختلف باختلاف الفصول ، وجاء
في سورة الرحمن : (رب المشرقين ورب المغربين) ١٧ ، وفي سورة المزمل
(رب المشرق والمغرب) ٩ ، فالأفراد اشارة الى ناحيتي المشرق والمغرب
والثنائية اشارة الى مطلعي ومغربي الشتاء والصيف . انظر مفردات الراغب
ص ٢٦٥ - ٢٦٦ .

(٢) القسم بالرسول صلى الله عليه وسلم :

وذلك في قوله سبحانه : (لعمر ك انهم لفي سكرتهم يعمهون) (١)
حيث أقسم الله تعالى بحياة نبيه صلوات الله وسلامه عليه ، وفي هذا تشريف
عظيم ومقام رفيع وجاء عرض ، وقد ورد عن ابن عباس أنه قال : ما خلق الله
وما ذرأ وما برأ نفساً أكرم عليه من محمد صلى الله عليه وسلم ، وما سمعت الله
أقسم بحياة أحد غيره ، قال الله تعالى : (لعمر ك انهم لفي سكرتهم يعمهون) (٢)
وقال ابن القيم : أكثر المفسرين من السلف والخلف - بل لا يعرف فيه نزاع -
أن هذا - يعني قوله تعالى (لعمر ك) - قسم من الله بحياة رسوله صلى الله
عليه وسلم ، وهذا من أعظم فضائله أن يقسم الرب عز وجل بحياته ، وهذا
مزية لا تعرف لغيره ، ولم يوفق الزمخشري لذلك نصرف القسم الى أنه بحياة لوط عليه
السلام وأنه من قول الملائكة فقال : هو على ارادة القول ، أي قالت الملائكة
للوط عليه السلام (لعمر ك) الآية وليس في اللفظ ما يدل على واحد
من الامرين بل ظاهر اللفظ وسياقه انما يدل على أن ما فهمه السلف أطيّب
لاجهل التعطيل والاعتزال (٤)

والعمر والعمر (بضم العين وفتحها) واحد وهو الهاء الا انهم خصوا
القسم بالمخروج ايثارا للاخف لكثرة دوران الحلف على ألسنتهم ، ولذا حذفوا
الخبر وتقديره : لعمر ك قسمي . (٥)

* * *

-
- (١) سورة الحجر : ٧٢
(٢) تفسير ابن جرير : ٤٤/١٤ وتفسير ابن كثير ٥٥٥/٢ .
(٣) الكشاف ٣٩٦/٢
(٤) التبيان لابن القيم : ص ٢٧٢ - ٢٧٣
(٥) اعراب القرآن للنحاس : ٢٠١/٢ والكشاف ٣٩٦/٢ والتبيان ص ٢٧٣ .

(٣) القسم بالقرآن الكريم:

أقسم الله سبحانه بكتابه في ستة مواضع ، ثلاثة بلفظ (القرآن) وثلاثة بلفظ (الكتاب) ، وذلك :

- (١) قوله سبحانه : (يس والقرآن الحكيم ، انك لمن المرسلين) (١) (يس) بمنزلة الحروف المقطعة في أوائل السور .
(والقرآن الحكيم) قسم من الله سبحانه بالقرآن المحكم (٢) الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه على صدق رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، وقوله (الحكيم) أي ذوالحكمة أو الناطق بالحكمة ، ولما كانت منزلة الحكمة من المعارف منزلة الرأس ، وكانت أخص أوصاف التنزيل ، أوثرت في القسم به دون بقية صفاته لذلك . (٣)
- (٢) وقوله سبحانه : (ص والقرآن ذى الذكر) (٤) (ص) : من الحروف المقطعة المفتوح بها السور ، والذي عليه الجمهور أنه ذكر هذا الحرف على سبيل التحدى والتنبيه على الالهجاز ، ثم أتهمه القسم محذوف الجواب لدلالة التحدى عليه ، كأنه قال : (والقرآن ذى الذكر) أي ذى الشرف والتذكر انه لكلام معجز ، وقوله (والقرآن) : خفض بواو القسم ، أقسم سبحانه بالقرآن تنبيها على جلالة قدره ، فان فيه بيان كل شيء ، وشفاء لما في الصدور ومعجزة للمرسول صلى الله عليه وسلم .

(١) سورة يس : ١-٣ .
(٢) القرآن : صدر بوزن الفقران مشتق من قرأ بمعنى (تلا) سمي به المقروء تسمية للمفعول بالصدر ، وهو مرادف للقراءة ومنه قوله تعالى : (ان علينا جمعه وقرآنه ، فاذا قرأناه فاتبع قرآنه) القيامة ١٧ - ١٨ وانظر مذاهب العلماء في لفظ (القرآن) : في المبرهان للزركشي ١/٢٧٧ - ٢٧٨ والاتقان للسيوطي ١/٨٧ وتاريخ بغداد للخطيب : ترجمة الشافعي : ٢/٦٢ وباحث في علم القرآن للدكتور صبحي صالح ص ١٨-١٩ والمدخل لدراسة القرآن الكريم للدكتور محمد أبو شهبه ص ١٧-١٨ .
(٣) محاسن التأويل للقاسمي : ١٤/٤٩٩١ .
(٤) سورة ص : ١ .

- (٣) وقوله سبحانه : (حم والكتاب)^(١) البين ، انا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم
تمقلون (٢) ، وقوله تعالى : (حم) ان جعلته قسما كانت الواو عاطفة
وان لم تجعله قسما وهو الراجح فالواو للقسم ، وجواب القسم (انا جعلناه)
وجملة (وانه في أم الكتاب) معطوف على جملة الجواب فهو منها مقسم عليه .^(٣)
أقسم سبحانه في هذه الآية بالكتاب وهو القرآن ، (البين) : البين
الواضح الجلي في الفاظه ومعانيه الذي أنزل عليهم بلغتهم وأسألهم
أو الواضح للمتدبرين ، أو الذي أبان طرق الهدى من طرق الضلالة
وأبان كل ما تحتاج اليه الأمة في أبواب الديانة (٤) .
- (٤) وقوله سبحانه : (حم والكتاب البين ، انا أنزلناه في ليلة مباركة انا كنا
منذرين) (٥) والكتب البين أى القرآن ، والواو للقسم .
- (٥) وقوله سبحانه : (ق ، والقرآن المجيد) (٦) (المجيد) : أى ذى المجد
والشرف على غيره من الكتب .

-
- (١) الكتاب : مصدر كتب يكتب كتابة ، وأصلها الجمع ، وسبب الكتابة لجمعها
الحروف ، فاشتق الكتاب لذلك ، لأنه يجمع أنواع من القصص والآيات
والاحكام والأخبار على أوجه مخصوصة ، انظر البرهان للزركشي ٢٧٦/١ .
- (٢) الزخرف : ١ - ٣ .
- (٣) الكشاف : ٤٧٧/٣ والقرطبي ٦١/١٦ والفتوحات الاكبية : ٧٦/٤ .
- وفتح القدير : ٥٤٧/٤ .
- (٤) الكشاف : ٤٧٧/٣ .
- (٥) الدخان : ١ - ٣ .
- (٦) سورة ق : ١ .

- (۶) وقوله : (والطور وكتاب مسطور في رق منشور) (۱)
- قوله : (وكتاب مسطور) قيل هو القرآن العظيم ، ونكر لأنه كتاب مخصوص من بين سائر الكتب ، وقيل : اللوح المحفوظ ، وقيل : التوراة ، وقيل : الكتب المنزلة المكتومة التي تقرأ على الناس جهارا (۲) ، والا أول أولى لاختصاصه بالقسم في القرآن الكريم دون سائر الكتب ، وقد أكثر سبحانه من القسم بالقرآن كما مر آنفا ، مع وجود الاحتمال القوي أن يكون المراد به التوراة لمجيء ذكره عقب الطور ، والله اعلم .
- (۷) ولا يستبعد أن يكون من القسم بالقرآن قوله سبحانه (والنجم اذا هوى) (۳) حيث قال بعض العلماء أن المراد بالنجم الجملة النازلة من القرآن ، فإنه نزل على النبي صلى الله عليه وسلم أنجما منجما في ثلاث وعشرين سنة وكل جملة منه وقت نزولها يصدق عليها اسم النجم صدقا عربيا صحيحا .
- قال الفراء : أقسم تبارك وتعالى بالقرآن لأنه كان ينزل نجوما ، والآية والآيتان ، وكان بين أوله وآخره عشرون سنة (۴) ، والظاهر عدى أن المراد به النجم اذا رجعت به الشياطين وسيأتي تفصيل ذلك في موضعه ان شاء الله .

* * *

-
- (۱) الطور : ۱ - ۳
(۲) الكشاف : ۲۲/۴ وتفسير ابن كثير : ۲۳۹/۴
(۳) النجم : ۱
(۴) معاني القرآن للفراء : ۱۹۴/۳ .

(٤) القسم بالملائكة :

ومن ذلك قوله سبحانه :

- (١) (والصفات صفا ، فالزاجرات زجرا ، فالتاليات ذكرا) (١)
ان أولى الأقوال في ذلك أن المراد بالصفات الثلاثة الملائكة فأقسم
الله سبحانه في هذه الآيات الكريمة بطوائف الملائكة موصوفة بصفات
المهودية ، وقيل غير ذلك . (٢)
(٢) وقوله سبحانه : (والنازط غرقا ، والناشطات نشطا ، والسبحات سبحا
فالسابقات سبقا ، فالمدبرات أمرا) (٣)
اختلف العلماء في النازط ما هي ؟ وأشهر الأقوال فيها أنها الملائكة
وعليه الأكثرون (٤) .
(٣) وقوله سبحانه : (والمرسلات عرفا انى قوله فالمليقات ذكرا) (٥)
فسرت المرسلات بالملائكة ، والاكثرون على أنها الرياح . (٦)

* * *

(١) الصفات : ٣-١

- (٢) قيل المراد بالصفات : الطير وقيل الصفوف الحاصلة من العلماء المحققين الذين
يدعون الى دين الله ، وقيل صفوف المصلين ، وقيل صفوف الفزاة والمجاهدين
في سبيل الله ، وقيل هي صفات لآيات القرآن الخ ، والأول أولى وأظهر
بدليل اقرار الملائكة بأنفسهم في آخر الصورة : (وما لنا الا له مقام معلوم ،
وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون) الصفات ١٦٤ - ١٦٦ وانظر
الأقوال المذكورة في الكشاف ٣٣٣/٣ - ٣٣٤ والفخر الرازي ١١٦/٢٦ وابن كثير
٢/٤ وفتح القدير ٣٨٦/٤ والتبيان لابن القيم : ص ٢٧١ - ٢٧٢ وأضواء البيان
للشنقيطي : ٦٧١/٦ - ٦٧٣ .
(٣) النازط : ١ - ٥ (٤) انظر القرطبي : ١٩٠/١٩ - ١٩٣ ومعاني القرآن
للغزالي ٢٣٠/٣ وفتح القدير ٣٧٢/٥ .
(٥) المرسلات : ١ - ٦ (٦) القرطبي : ١٥٤ / ١٩ وفتح القدير ٣٥٥/٥

- (٥) التسم ببيوم القيامة ، ومن ذلك قوله سبحانه :
- (١) (لا أئسم ببيوم القيامة) (١) ،
- (٢) وقوله : (واليوم الموعود) (٢) أى اليوم الذى وعد فيه العباد لفصل القضاء بينهم ، وذلك يوم القيامة باجماع المفسرين . (٣)
- (٦) القسم بالازمنة :
- وقد ورد ذلك في عدة آيات فمنه قوله سبحانه :
- (١) والليل اذا أدبره والصبح اذا أسفر . (٤)
- (٢) والليل اذا عسعس والصبح اذا تنفس . (٥)
- (٣) والليل وما سبق (٦)
- (٤) والفجر وليال عشر ، وقوله : والليل اذا يسر . (٧)
- (٥) والنهار اذا جلاها والليل اذا يغشاها . (٨)
- (٦) والليل اذا يفتشى ، والنهار اذا تجلى (٩)
- (٧) والضحى والليل اذا سجدى (١٠)
- (٨) والمصر (١١)
- وسأتكلم عن هذه الأقسام في الباب الثانى حيث خصصته لبيان القسم بالمخلوقات .

(٢) البروج : ٢	(١) القيامة ١
(٤) المدثر : ٣٣ - ٣٤	(٣) القرطبي : ٢٨٣/١٩
(٦) الانشاق : ١٧	وفتح القدير ٤١١/٥
(٨) الشمس : ٤-٣	(٥) التكويم : ١٧ - ١٨
(١٠) الضحى : ١ - ٢	(٧) الفجر : ١ و ٤
	(٩) الليل : ١ - ٢
	(١١) المصر : ١

(٧) القسم بالأمكنة :

ومن ذلك قوله سبحانه :

(١) والطور (١) : وهو الجبل الذي كلم الله عليه نبيه وكليمه موسى عليه السلام ، هذا ما ذهب اليه جمهور المفسرين من السلف والخلف .

(٢) لا أقسم بهذا البلد (٣) : قال الواحدى : أجمع المفسرون على أن هذا قسم بالبلد الحرام وهو مكة .

(٣) والتين والزيتون ، وطور سينين ، وهذا البلد الامين (٤) ، قال ابن قتيبة (٥) التين والزيتون ، جهلان بالشام يقال لهما : " طوريتنا " و " طور زيتا " سيبا بالتين والزيتون لانهما ينهتانهما (٦) ،

وقال الفراء : سمعت رجلا من أهل الشام وكان صاحب تفسير قال : التين جبل مابين حلوان الى همدان . (٧)

أما طور سينين والبلد الامين فمعروفان ، وسيأتى التفصيل في الباب الثانى .

(٨) القسم بآيات الله الدالة على عظيم خلقه وديع صنعهم والناطقة بوجهه ووحدايته :

فمنها القسم بالسماء في قوله عز وجل :

(١) والسماء ذات البروج ، (٨)

(١) الطور : ١ (٢) فتح القدير : ٩٤/٥

(٣) البلد : ١ (٤) سورة التين : ١-٤

(٥) هو عهد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى ، أبو محمد ، من أئمة الادب

ومن المصنفين المكرمين ، ولى قضاء الدينورة فنسب اليها (٢١٣ - ٢٢٦هـ)

الاعلام : ١٣٢ / ٤

(٦) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ٥٣٢ .

(٧) معاني القرآن للفراء : ٢٢٦/٣ .

(٨) البروج : ١ ، مقال الراغب : سماء كل شيء اعلاه ، مقال الشاعر في وصف فرس :

وأحمر كالديهاج أما سماؤه فريا وأما أرضه فمحلول ،

قال بعضهم : كل سماء بالاضافة الى ما دونها فسماء والاضافة الى ما فوقها فأرض الا

السماء العليا فانها سماء بلا أرض ، انظر مفردات الراغب ص ٢٤٩ .

(٢) والسماء والطارق (١)

(٣) والسماء ذات الرجوع (٢)

(٤) والسماء وما بناها (٣)

ومنها القسم بالأرض في قوله :

(١) والأرض ذات الصدع (٤) قال ابن عباس : هو انصداعها عن النبات

وقال أبو عبيدة والفراء : تتصدع بالنبات (٥) .

(٢) والأرض وما طحاها (٦)

قال مجاهد : (طحاها) أي دحاها ، قال تعالى : (والأرض بعد ذلك

دحاها) (٧) والطحو كالدحو وهو البسط وهو أشهر الأقوال ، وعليه عامة

المفسرين . (٨)

ومنها القسم بالشمس في قوله سبحانه :

(١) والشمس وضحاها (٩) قال مجاهد : أي ضوتها واشراقها (١٠) ومنها

القسم بالقمر ، وذلك في قوله سبحانه :

(١) الطارق : ١

(٢) الطارق : ١١ أما الرجوع فقال الراغب : هو المطر وسمى رجما لرد الهواء

ماتناوله من الماء (مفردات الراغب ص ١٩٤) وقال الزجاج : لأنه يجسى

ويرجع ويتكرر ، انظر فتح القدير ٤٢٠/٥ .

(٣) الشمس : ٥ ويجوز أن تكون (ما) مصدرية أي والسماء ونيانها ويجوز أن تكون

موصولة : أي والذي بناها ، وإيثار (ما) على (من) لإرادة الصفة

لقصد التفضيم لأنه قال : والقادر المظيم الشأن الذي بناها ، ويرجح

الأول الفراء والزجاج ولا وجه لقول من قال : إن جعلها مصدرية مخل بالنظم

ورجح الثاني ابن جرير . انظر فتح القدير ٤٤٨/٥ - ٤٤٩ .

(٤) الطارق : ١٢

(٥) مجاز القرآن لابي عبيد ٢٩٤/٢ ومعاني القرآن للفراء : ٢٥٥/٣ .

(٦) الشمس : ٦

(٧) النازعات : ٣٠

(٨) الفخر الرازي ١٩٢/٣١ وفتح القدير ٤٤٩/٥ وانظر أيضا مجموعة الرسائل

والمسائل لشيخ الاسلام ابن تيمية : عرش الرحمن وما ورد فيه من الآيات والاحاديث

١١٢/٤ - ١١٥ .

(٩) الشمس : ١ (١٠) فتح القدير : ٤٤٨/٥ .

- (١) كلا والقمر : (١) كلا صلة القسم ، والتقدير : أى والقمر (٢) أقسم
الله سبحانه بهذه الحقيقة الكونية الكبيرة وما فيها من دلالاتها المشيرة
إشهاداً على مجي " يوم القيامة " .
- (٢) والقمر اذا اتسق (٣) ، أى اجتمع وتكامل ، قال ابن قتيبة : أى امتلا
في الليالى البيض (٤) .
- (٣) والقمر اذا تلاها (٥) : أى تلا الشمس أى تبعها ، وذلك بأن طلوع
بمعد غروبها .
- ومنها القسم بالنجوم ومواقمها في قوله سبحانه :
- (١) والنجم اذا هوى (٦) ، التمرير للجنس والمراد به جنس النجوم ، وه
قال جماعة من المفسرين ، وقيل المراد بما لثريا ، وهو اسم غلب فيها ، تقول
العرب النجم تريد به الثريا (٧)
- (٢) فلا أقسم بمواقع النجوم (٨) ، بمواقع النجوم هي مساقطها في المغرب ،
وقيل منازلها وسائرهما (٩) .
- (٣) والسماء والطارق ، وما أدراك ما الطارق ، النجم الثاقب (١٠) ، أقسم
سبحانه بالطارق ، وهو النجم الثاقب كما صرح به التنزيل ، والثاقب : المضي .

-
- (١) المدثر : ٣٢
(٢) القرطبي : ٨٤/١٩ ومقالة كلاً لابن فارس ١٧ والبرهان : ٣١٤/٤
(٣) الانشاق : ١٨
(٤) تفسير غريب القرآن : ص ٥٢١
(٥) الشمس : ٢
(٦) النجم : ١
(٧) فتح القدير : ١٠٤/٥
(٨) الواقعة : ٧٥
(٩) مجاز القرآن لاهي عبيدة : ٢٥٢/٢ والكشاف ٥٨/٤ .
(١٠) الطارق : ٣-١ وقال ابن قتيبة : النجم ، سمى بذلك لأنه يطرق
أى يطلع ليلاً ، وكل من أتاك ليلاً فقد طرقك ، تفسير غريب القرآن ص ٥٢٣
وكذا قال الفراء في معانيه : ٢٥٤/٣ .

(٤) فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس (١) ، أقسم سبحانه بالخنس وهي الكواكب (٢)

وسميت بالخنس من خنس : اذا تأخر ، لأنها تحنس بالنهار فتختفي

ولا ترى ، ومعنى (الجوار) : أنها تجرى مع الشمس والقمر .

ومعنى (الكنس) : أنها ترجع حتى تخفى تحت ضوء الشمس ، فخنسها

رجوعها ، وكنسها اختفاؤها تحت ضوءها ، وقيل خنسها خفاؤها بالنهار

وكنسها غروبها . والله اعلم . (٣)

(٩) هل الحروف المقطعة أقسام؟

اختلف العلماء في الحروف التي هي أوائل السور وتمييز المراد بها ، وسلكوا

في تفسيرها طريقين :

(الطريق الأول) : انتم أصحابه الصمت وتورعوا عن تفسيرها ، ووكلوا علم معناها

ومرادها الى الله سبحانه وتعالى ، لأنه علم مستور استأثر الله به ، معتمدين

على قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه : لله في كل كتاب سر ، وسره في القرآن

أوائل السور ، وكذا روى عن عمر وعثمان وعلى بن أبي طالب وعبد الله بن مسعود (٤)

(١) التكويم ١٥ - ١٦

(٢) وهي النجوم الخمسة الكبار من زحل والمشتري والمريخ والزهرة وعطارد كما

ذكره أهل التفسير . انظر معاني الفراء : ٢٤٢/٣ وتفسير غريب القرآن لابن

قتيبة ص ٥١٧ .

(٣) انظر فتح القدير : ٣٩٠/٥ والفخر الرازي ٧٢/٣١ والكشاف ٢٢٣/٤ - ٢٢٤

(٤) هو عثمان بن عفان بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس القرشي الأموي

أمير المؤمنين ، أبو عبد الله وأبو عمر ، ولد بعد الفيل بعت سنين على

الصحيح ، والرسول صلى الله عليه وسلم بشوه بالجنة وعده من أهل الجنة

وشهد له بالشهادة ، قتل سنة خمس وثلاثين (الإصابة ت ٥٤٤٨) .

(٥) هو عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي أبو عبد الرحمن أسلم قديماً

وهاجر الهجرتين ، وشهد بدرًا والمشاهد بعدها ولازم النبي صلى الله

عليه وسلم وحدث عنه بالكثير ، قال البخاري مات قبل قتل عمر رضي الله عنهما

(الإصابة ت ٤٩٥٤) .

رضوان الله عليهم ، وغيرهم من السلف رحمهم الله (١) .
قال أبو اسحاق الشاطبي (٢) : ومن المشكل فواتح السور نحو : (ألم
والصم وحس) ونحوها فسرت بأشياء ، ومنها ما يظهر جريانه على مفهوم صحيح
ومنها ما ليس كذلك ، فينقلون عن ابن عباس في (ألم) أن (ألف) الله ،
و (لام) جهريل و (ميم) محمد صلى الله عليه وسلم ، هذا وإن صح في النقل
فمشكل ، لأن هذا النمط من التصرف لم يثبت في كلام العرب هكذا مطلقا ، وإنما
أتى مثله إذا دل عليه اللفظي أو الحالى ، كما قال : قلت لها قفى فقالت قاف
وقال : قالوا جميعا كلهم بلافاء ، يقال : ولا أريد الشرا لا أن تا (٣) ، والقول
في ألم ليس هكذا (٤) ، وأيضا فلا دليل من خارج يدل عليه ، إذ لو كان
له دليل لا قنضت العادة نقله ، لأنه من المسائل التى تتوفر الدواعي على نقلها
لوصح أنه ما يفسر ويقصد تفهيم معناه ، ولما لم يثبت شيء من ذلك دل على أنه
من قبيل المتشابهات ، فإن ثبت له دليل يدل عليه صير إليه (٥) .

(١) انظر الفخر الرازى ٣/٢-٥ والقرطبي ١٥٤/١ وفتح القدير : ٢٩/١ والاتقان
للسيوطي ٢١/٣ .

(٢) هو ابراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الفرناطي الشهير بالشاطبي أصولى
حافظ من أئمة المالكية توفي سنة تسعين وسبعمائة (الاعلام ٧٥/١) .

(٣) يعنى بقوله : (قالت قاف) قالت : قد وقفت ، وقوليه (الا أن تا) يريد : الا
أن تشاء ، انظر تفسير الطبرى تحقيق محمود شاكر ٢١٢/١ - ٢١٣ ، وفى
الاتقان للسيوطي : قال : بالخير خيرات وان شرافا ، ولا أريد الشرا لا أن تا
أراد : وان شرافا فشر ، والا أن تشاء .
وقال : ناداهم الا أجمعوا الا تا قالوا جميعا كلهم الا فا
أراد : الا تركبون ، الا فاركبوا .

الاتقان : ٢٤/٣ وتفسير التبيان للطوسى ٤٨/١ والقرطبي : ١٥٥/١ - ١٥٦
(٤) يقصد أن الأمثلة الثلاثة أدلتها من اللفظ ، وليس في (ألم) ما يدل على هذا
التفسير من اللفظ .

(٥) الموافقات في أصول الشريعة للشاطبي : ٣٩٦/٣ .

وقال الكرمانى : قوله تعالى : (الم) هذه الآية تتكرر في أوائل
ست سور (١) فهي من المتشابه لفظا ، وذهب جماعة من المفسرين الى أن قوله
سبحانه : (وأخر متشابهات) (٢) هي هذه الحروف الواقعة في أوائل السور
فهي أيضا من المتشابه لفظا ومعنى ، والموجب لذكره أول البقرة من القسم وغيره
هو بعينه الموجب لذكره في أوائل السور المبدوءة به . (٤)

(والطريق الثاني) ان لهذه الفواتح معان يجب التأويل للوصول اليها والتماس
الفوائد التي تحتها ، وأصحاب هذا الرأي اختلفوا اختلافا كبيرا ، ووصلت
أقوالهم الى أكثر من عشرين رأيا ، قال السيوطي : لا أعرف أحدا يحكم عليها
بمعلم ولا يصل منها الى فهم (٥) منها على سبيل المثال :

(١) اعتبار هذه الحروف أسماء علمية للقرآن بوجه عام أو لبعض سور القرآن المفتحة
بها بوجه خاص ، وعليه اطلاق الأكثر كما ذكره الزمخشري (٦) وقد نقل ذلك عن سيوه
والخليل (٧) وخرجوا من المأزق بسهولة حين قالوا : أما وجه التسمية بها فلا حاجة
بنا اليه لفهم الكلام كما لا نحتاج الى العلم بوجه التسمية بسائر الأسماء . (٨)

-
- (١) وهي البقرة وآل عمران والمنكوت والروم ولقمان والسجدة .
 - (٢) آل عمران ٧
 - (٣) القول الذي نقله المؤلف هو قول مقاتل بن حيان وأبي فاختة ، انظر تفسير
ابن كثير ٣٤٥/١ .
 - (٤) البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجّة والبرهان لتاج القراء محمود
ابن حمزة بن نصر الكرمانى ص ٢١ .
 - (٥) الاتقان للسيوطي : ٢٧/٣ .
 - (٦) الكشاف ٨٣/١ والفخر الرازى ٦/٢
 - (٧) كتاب سيوه تحقيق عبد السلام هارون : ٢٥٦/٣ - ٢٥٩
 - (٨) كتاب مفردات القرآن للإمام عبد الحميد الفراهي : ص ١٠

(٢) انها أسماء أو بعض أسماء (كل حرف منها مأخوذ من اسم من أسماء الله تعالى) أو إشارة الى اسم الله تعالى أو إنها برمتها على اختلاف صيغها اسم الله الأعظم ، أو اشتغال كل حرف منها على معانٍ مختلفة الخ (١) ولا يخفى على أحد ما في هذه الآراء من التخصصات والظنون ، وما هي الا تأويلات شخصية مردها هوى كل مفسر وبهله .

(٣) وقال قوم انها تنبيهات أو أدوات تنبيه لم تستعمل فيها الكلمات المشهورة كالأول وأما الاستفتاحيتين لانها من الألفاظ التي يتعارفها الناس في كلامهم والقرآن كلام لا يشبه الكلام ، فناسب أن يؤتى فيه بالفاظ تنبيه لم تعهد لتكون أبلغ في قبح السمع ، وهذا التنبيه انما كان أولا وبالذات للمشركين في مكة ثم لأهل الكتاب في المدينة ، فقد ذكر الفخر الرازي في تفسيره أن الكفار لما قالوا : (لا تسمعوا لهذا القرآن والغوفية لعلكم تغلبون) (٢) وتواصوا بالاعراض عنه أراد الله تعالى لما أحب من صلاحهم ونفعهم أن يورد عليهم ما لا يعرفونه ليكون سببا لاسكاتهم واستماعهم لما يورد عليهم من القرآن ، فأنزل الله عليهم هذه الحروف فكانوا اذا سمعوها قالوا كالمتعجبين : اسمعوا الى ما يجيء به محمد ، فاذا أصفوا هجم عليهم القرآن فكان ذلك سببا لاستماعهم وطريقا الى انتفاعهم (٣) وقد أشار الى هذا المعنى اشارة عابرة الزركشى في البرهان (٤) والسيوطي في الاتقان (٥) وكل من ابن جرير (٦) وابن كثير (٧) في تفسيرهم ، كما ارتضاه

(١) الفخر الرازي ٦/٢ - ٧ وتفسير الطبري تحقيق محمود شاكر: ٢١١/١ - ٢١٢ والاتقان : ٢٥/٣ ، والدر المنثور : ٢٢/١
(٢) فصلت : ٢٦
(٣) الفخر الرازي ٧/٢ .
(٤) البرهان : ١٧٥/١
(٥) الاتقان للسيوطي : ٢٧/٣
(٦) تفسير ابن جرير : ٨٩/١
(٧) تفسير ابن كثير ٣٧/١ .

ذلك السيد رشيد رضا (١) في تفسيره المنار (٢) .

(٤) وقال آخرون : ان الذي يدل على رجحانه استقرار القرآن هو أن الحروف

المقطعة ذكرت في أوائل بعض السور بيانا لاعجاز القرآن ، وأن الخلق

عاجزون عن معارضته بمثله مع أنه مركب من هذه الحروف المقطعة

التي يتخاطبون بها ، ووجه شهادة استقرار القرآن لهذا القول أن

السور التي افتتحت بالحروف المقطعة يذكر فيها دائما عقب الحروف المقطعة

الانتصار للقرآن وبيان اعجازه وعظمته وانه الحق الذي لا شك فيه وذكر

ذلك بعدها دائما دليل استقرائي على أن الحروف المقطعة قصد بها

اظهار اعجاز القرآن وأنه حق .

وحكى هذا القول الرازي في تفسيره عن المهرود (٣) وجمع من المحققين (٤)

وحكاه القرطبي (٥) عن الفراء وقطرب (٦) وقرره الزمخشري في الكشاف ونصره

(١) هو محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين القلموني

صاحب مجلة (المنار) وأحد رجال الاصلاح الاسلامي (١٢٨٢ - ١٣٥٤ هـ)

الاعلام ١٢٦ / ٦ . (٢) تفسير المنار : ٢٩٦ / ٨ - ٢٩٨ .

(٣) هو محمد بن يزيد بن عبد الأكر الثمالي الأزدي البصري أبو العباس المعروف

بالمهرود . امام العربية ببغداد في زمنه (٢١٠ - ٢٨٥ هـ) (بحية الوفاة :

٢٦٩ / ١ والاعلام : ١٤٤ / ٧) .

(٤) تفسير الفخر الرازي : ٦ / ٢

(٥) هو محمد بن احمد بن أبي بكر بن فوح الانصاري الخزرجي الأندلسي ،

أبو عهد الله القرطبي من كبار المفسرين ، توفي سنة احدى وسبعين وستمائة

(طبقات المفسرين للسيوطي ٩٢ ، والاعلام ٣٢٢ / ٥) .

(٦) تفسير القرطبي : ١٥٥ / ١ .

أثم نصر (١) وتبعه البيضاوي (٢) كما انتصر لذلك شيخ الاسلام ابن تيمية (٣) وتلميذه الحافظ المزني (٤) كما ذكره الحافظ ابن كثير في تفسيره (٥) وأيده أثم تأييد ، وهذا القول أحق الأقرال السابقة بالنظر والتقدير والله اعلم بأسرار كتابه .

(٥) قول من قال ان هذه الحروف أقسام أقسم الله بها ، فأخرج ابن جرير الطبري وغيره من طريق علي بن أبي طلحة (٦) عن ابن عباس قال : الم وطسم و ص وأشباهاها قسم أقسم الله به وهو من أسماء الله ، وكذا رواه الطبري (٧) عن عكرمة . (٨)

(١) الكشاف : ٩٦/١ - ٩٧

(٢) تفسير البيضاوي : ٤٣/١ - ٤٤

(٣) هو عبد الله بن عمر بن محمد بن علي الشيرازي أبو سعيد ناصر الدين البيضاوي قاض مفسر ، صاحب أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، توفي سنة خمسة وثمانين وسبعمائة (الاعلام ١١٠/٤)

(٤) هو أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الحراني الدمشقي أبو الحباس تقي الدين بن تيمية ، الإمام شيخ الاسلام (٦٦١-٧٢٨هـ) (تذكرة الحفاظ ١٤٩٦ والاعلام ١٤٤/١)

(٥) هو يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف أبو الحجاج ، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي المزني ، محدث الديار الشامية في عصره صاحب تهذيب الكمال في أسماء الرجال : (٦٥٤ - ٧٤٢هـ) تذكرة الحفاظ ١٤٩٨ والاعلام ٢٣٦/٨

(٥) تفسير ابن كثير ٣٨/١ .

(٦) هو علي بن أبي طلحة سالم ، مولد بني الحباس ، أرسل عن ابن عباس ولم يره صدوق قد يخطئ ، مات سنة ثلاث وأربعين (تقريب التهذيب : ت ٣٦٢) .

(٧) تفسير الطبري ٨٧/١ كما رواه البيهقي في الاسماء والصفات عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس مثله ، انظر ص ٩٤ وقال ابن حجر : ما رواه البيهقي موقوف انظر الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف للحافظ ابن حجر العمقلائي على ذيل الكشاف للزمخشري ٢٠/١ . مطبعة الاستقامة بالقاهرة ١٣٧٣ .

(٨) هو عكرمة بن عبد الله البصري المدني أبو عبد الله مولى عبد الله بن عباس تابعي كان من أعلم الناس بالتفسير والمغازي ، ولد سنة خمس وخمسين ومات سنة سبع ومائة من الهجرة . تقريب التهذيب ت ٢٧٧ تذكرة الحفاظ ٩٥ والاعلام ٢٤٤/٤

وروى عن الكلبي أنه قال : هي أقسام أقسم الله تعالى بها ، لشرفها
وفضلها وهي من أسمائه : (١)
قال الأزهري في تهذيب اللغة : وردّ بعض العلماء هذا القول : فقال :
لا يصح أن يكون قسماً ، لأن القسم معقود على حروف ، مثل إنّ وقد ولقد ومما ،
ولم يوجد ههنا حرف من هذه الحروف ، فلا يجوز أن يكون يمينا (٢) . وهب
القرطبي على هذا فقال : موضع القسم قوله تعالى : (لا ريب فيه) فلو أن انسانا
حلف فقال : والله هذا الكتاب لا ريب فيه لكان الكلام سديدا ، وتكون (لا) جواب
القسم ، فثبت أن قول الكلبي وما روى عن ابن عباس سديد صحيح . (٣) لكن
كلام القرطبي هذا لا ينطبق في كل مكان وردت فيه هذه الحروف ، فليس كل
حرف ورد بعده ما يجاب به القسم ، وقال الأُخفش : وإنما أقسم الله تعالى
بالحروف المعجمة لشرفها وفصلها ولأنها مبادئ كتبه المنزلة بالألسنة المختلفة
ومباني أسماء الله الحسنى وصفاته العلى وأصول كلام الأمم كلها ، يتعارفون
بذكر الله عز اسمه ووحدونه ، فكانه هو أقسم بهذه الحروف أن القرآن كتابه
وكلامه . (٤) وروى ابن قتيبة في ذلك أن يكون الله أقسم بالحروف المقطعة
كلها واقتصر على ذكر بعضها من ذكر جميعها ، فقال (الم) وهو يريد
جميع الحروف المقطعة ، كما يقول القائل تعلمت (أ ب ت ث) وهو لا يريد تعلم
هذه الأربعة الأحرف دون غيرها من الثمانية والعشرين ، ولكنه لما طال أن يذكرها

(١) تفسير القرطبي : ١٥٦/١ ، والكلبي هو محمد بن السائب بن بشر الكلبي
أبو النصر الكوفي ، منهم بالكذب وروى بالرفض ، مات سنة ست وأربعين ومائة
(تقريب : ت ٢٤٠) .
(٢) تهذيب اللغة : ١٣٥/١
(٣) القرطبي : ١٥٦/١
(٤) البحر المحيط : ٣٤/١ وتأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص ٣٠١ والفخر الرازي
٧/٢ ومجمع البيان للطبري ٦٩/١ .

كلها اجتزأً بذكر بعضها ، ولو قال : تعلمت (حاء طاء صاد) لدل أيضا على حروف الممجم كما دل بالقول الأول ، الا أن الناس يدلون بأوائل الاشياء عليها ، فيقولون : قرأت (الحمد لله) يريدون فاتحة الكتاب ، فيسمونها بأول حرف منها ، وهذا الاكثر ، وربما دلوا بغير الاول أيضا ، أنشد الفراء^(١) .

لما رأيت أنها في حطسى أخذت منها بقرون شمس

يريد في (أبي جاد) فدل بـ (حطى) كما دل غيره بأبي جاد ، وإنما أقسم الله بحروف الممجم لشرفها وفضلها ولأنها مهاني كتبه المنزلة بالألسنة المختلفة ومهاني أسمائه الحسنی وصفاته العلى وأصول كلام الأمم، بها يتعارفون وذكرون الله ووجدونه .

ثم قال : ووقع القسم بها (أى بالحروف المقطعة) في أكثر السور على القرآن فقال : (الم ، ذلك الكتاب لا ريب فيه)^(٢) كأنه قال : وحروف الممجم لهو الكتاب لا ريب فيه .

و (الم ، الله لا اله الا هو)^(٣) أى وحروف الممجم لهو الله لا اله الا هو (الحى القيم نزل عليك الكتاب بالحق)^(٤) و (المص كتاب أنزل اليك) أى وحروف الممجم لهو كتاب أنزل اليك (فلا يكن في صدرك حرج منه)^(٥) و (يس والقرآن الحكيم)^(٦) و (ص والقرآن ذى الذكر)^(٧) و (ق ، والقرآن المجيد)^(٨) كله أقسام .

(١) معاني الفراء : ٣٦٩/١ وفيها (أمرها في حطى) والرجز لا يمس القمقام الأسمى كما في تهذيب الالفاظ لايبى يوسف يمقوب بن اسحاق السكيت ص ٤٤٧ وأمالى القالى ٢٠٠/٢ غير منسوب ، وكذلك في اللسان : ١٢/٣٦٨ (بولاق) وتفسير الطبرى ١/٨٩ وجمع البيان للطبرسى : ١/٢٠٧
(٢) البقرة : ٢-١ (٣) آل عمران : ٣-١
(٤) الاعراف : ٢-١ (٥) يس : ٢-١
(٦) ص : ١ (٧) ق : ١

وقال أيضا : وان كانت حروفا مأخوذة من صفات الله تعالى ، فهذا فن من اختصار العرب ثم عقب على ذلك وقال : ومن ذهب الى هذا المذهب فلا أراه أراد أيضا الا القسم بصفات الله ، فجمع بالحروف المقطعة معاني كثيرة من صفاته لا اله الا هو (١) ، وقال عز الدين بن عبد السلام (٢) : أقسم الله تعالى بهذه الحروف لسرفيها (٣) من جهة أنها مترجمة لكتاب الله ، ولأنها سبب لحفظ العلم والشرايع بالكتابة ، ولما تحصل من المقاصد في الحساب والمعاملات والوسائل والسجلات ، وغير ذلك من الفوائد (٤) ،

وقال فخر الدين الرازي : ان هذه الحروف لما كانت أصول الكلام كانت شريفة عزيزة ، فالله تعالى أقسم بها كما أقسم بمائر الأشياء (٥) .

وقال ابن القيم : الصحيح أن (ن وق و ص) من حروف الهجاء التي يفتح بها الرب سبحانه بعض السور ، وهي أحادية وثنائية وثلاثية ورباعية وخماسية ولم تجاوز الخمسة ، ولم تذكر قط في أول سورة الا وعقبها بذكر القرآن اما مقسما به واما مخبرا عنه ما خلا سورتين سورة (كهيمص و ن) .

ثم قال : ففي هذا تنبيه على شرف هذه الحروف وعظم قدرها وجلالتها ، اذ هي مباني كلامه وكتبه التي تكلم سبحانه بها وأنزلها على رسله وهدى بها عباده وعرفهم بواسطتها نفسه وأسماءه وصفاته وأفعاله وأمره ونهيته ووعدته ووعدته ، وعرفهم بها

-
- (١) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة بتحقيق الاستاذ السيد أحمد صقوص ٢٩٩-٣٠٩
 - (٢) هو عهد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي عز الدين الملقب بسلطان العلماء (٥٧٢ - ٦٦٠ هـ) الاعلام ٢١/٤
 - (٣) في نسخة : لسرفيها .
 - (٤) الفوائد في وشكل القرآن لمز الدين عبد العزيز بن عبد السلام ص ٢٣ .
 - (٥) أنظر تفصيل الكلام في تفسير الفخر الرازي ١/١٦٢ ، ٧/٥٨٨-٥٨٩ وأيضا ١٤٦/٢٨ - ١٤٧ ثم هدم ما بنى عليه في سورة الشورى حين قال : أعلم أن الكلام في أمثال هذه الفواتح يضيق ، وفتح باب المجازفات مما لا سبيل اليه فالأولى أن يفوض علمها الى الله ، أنظر الفخر الرازي ١٤٢/٢٧ .

الخير والشر والحسن والبيح ، وأقدرهم على التكلم بها بحيث يلفظون بها أقصى ما في أنفسهم بأسهل طريق وقلة كلفة وشقة ، وأوصله الى المقصود وأدله عليه وهذا من أعظم نعمه عليهم ، كما هو من أعظم آياته ، ولهذا غاب سبحانه على من عهد الها لا يتكلم وامتن على عاده بأن أقدرهم على البيان بها بالتكلم فكان في ذكر هذه الحروف التنبيه على كمال ربوبيته وكمال احسانه وانعامه فهي أولى أن يقسم بها من الليل والنهار والشمس والقمر والسماء والنجوم وغيرها من المخلوقات ، فهي دالة أظهر دلالة على وحدانيته وقدرته وحكمته وكماله وكلامه وصدق رسوله . (١)

وقد أفرد ابن أبي الاصبغ المصري (٢) رسالة في فواتح السور سماها (الخواطر السوانح في كشف أسرار الفواتح) ومن تحليلات ابن أبي الاصبغ لهذه الفواتح انه قال : ان الفواتح المكونة من حرف واحد قسم ، ولذلك كان ما بعدها مجرورا بالقسم وهو معطوف عليها ، وحكم المعطوف على شيء في الاعراب حكم ذلك الشيء . قال رحمه الله : وأما ما يدل على أن الفواتح المعجمة أقسام أن أصولها وقمت أقساما صرحا فيها بالقسم ، وأصولها البسائط منها ، وهي (ق ، ص ، ن) اذ ثبت أن البسيط أصل المركب ، وانما قلنا ان هذه الفواتح أقسام لأن ما بعدها مجرور بالقسم وهو معطوف عليها ، وحكم المعطوف على شيء في الاعراب حكم ذلك الشيء ، فانه سبحانه وتعالى قال : (ق والقرآن المجيد) فعطف القرآن مجرورا على لفظة (ق) ، ولا معنى لجره الا القسم ، فعدل على لفظة (ق) قسم ، وكذلك (ص والقرآن ذي الذكر) ومثلها (ن والقلم) ولما ثبت أن هذه الفواتح البسيطة أقسام

(١) التبيان في أقسام القرآن لابن القيم : ١٢٦ - ١٢٧

(٢) هو عهد العظيم بن عهد الواحد بن ظافرين أبي الاصبغ المدائني البغدادي

ثم المصري ، (٥٩٥ - ٦٥٤ هـ) الاعلام ٣٠/٤ .

والبسيط أصل المركب ، ولم من ذلك أن تكون المركبة أقساماً ،^(١) ثم قال
وأما معاني هذه الفواتح البسيطة من المعجزة فهي أن (ق) لها من العدد
الحسابي مائة ، وهذا العدد يشير إلى أسماء الله تعالى ، وهي تسعة
وتسمون اسماً ورد بها حديث الترمذي^(٢) وتامها اسمه الاعظم المكون في غيره
الذي لا يختص به إلا أكرم عباده عليه في وقته ، وقد تضافرت الأخبار على ذلك
فكانه سبحانه - وهو أعلم - أتم بأسمائه التي أشار إليها في هذه الفاتحة
صرح بها في أثناء السور حيث قال : (والله الأسماء الحسنى فأدعوه بها)^(٣)
إلى آخر ما ذكر من قياسات وآراء عقلية بحثه ، حتى توصل إلى نتيجة استخراج الإعجاز
من مجرد هذه الكلمات ، فقال في آخر كتابه : وإذا استخراج الإعجاز من هذه الفواتح
للمفردات فما ظنك بالسور والآيات ، والله أعلم^(٤) فأثبت البلاغة للقرآن في فواتحه ،
واعجازه بإشاراته وتعليقاته .

(١) الخواطر السوانح لابن أبي الأصبغ المصري ص ١٠٦
(٢) الحديث في صحيح البخاري عن أبي هريرة قال : لله تسعة وتسعون اسماً مائة
إلا واحدة لا يحفظها أحد إلا دخل الجنة وهو وتر يحب الوتر ، كتاب الدعوات
باب لله مائة اسم غير واحد (١٠٩ / ٨) وكذا رواه مسلم مرفوعاً عن أبي هريرة
وعنده رواية أخرى بلفظ (من أحصاها دخل الجنة) صحيح مسلم كتاب الذكر
والدعاء والتوبة والاستغفار رقم الحديث ٢٦٧٧ ، (٢٠٦٢ / ٤ - ٢٠٦٣)
وروى ابن ماجه بسنده عن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : اسم الله
الاعظم الذي إذا دعي به أجاب في سور ثلاث :

البقرة وآل عمران وطه ، ورجال أسناده ثقات ، كما روى الحديث
الذي ساقه مسلم . انظر سنن ابن ماجه ، كتاب الدعاء من حديث
٣٨٥٥ إلى ٣٨٦١ (١٢٦٧ / ٢ - ١٢٧٠) وكتاب الأسماء والصفات

للبيهقي ص ٤ - ٥ .

(٣) الاعراف : ١٨٠ وانظر الخواطر السوانح ص ١٠٧

(٤) الخواطر السوانح ص ١٣٦ .

ومن المماصرين أيد فكرة كون هذه الحروف أقساما الاستاذ كاظم فتحى الراوى
في كتابه (أساليب القسم في اللغة العربية) وعبر عن تورع فريق عن تفسيرها
وتخوفهم من ابداء رأى صريح فيها بالفقر أو زيادة في الورع ، وقال : انه
ليس من المحقول أن يخاطب الله الناس بلفظة لا يعرفونها ، واستدل بما جاء
في المزهري : (قال الجمهور ليس في كتاب الله سبحانه شي بخير لفة العرب)^(١)
وقوله سبحانه : (انا جملناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون)^(٢) وقوله : (وما أرسلنا
من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم)^(٣) وقوله : (وهذا لسان عربي مبين)^(٤)
وغير ذلك من الآيات .

ثم رد على شبهة يمكن ايوادها حول تخصيص بعض الحروف بالقسم
دون غيرها بأن الله سبحانه قد أقسم ببعض آياته ومخلوقاته ولم يقم بها جيمما
وذكر الجزء وارادة الكل مألوف في اللغة العربية .

وذكر قول السابقين أن هذه الحروف المعجمة تشير الى أسماء الله وصفاته
كما في الروايات الكثيرة المروية عن ابن عباس رضي الله عنهما فليس غريبا أن يقسم
الله بها وقد أقسم بذاته وصفاته وقولهم ان القرآن المجز مؤلف منها
فليس غريبا أن يقم الله بها للتحدى والعبارة وقد أقسم بكتابه الذي منها يتألف^(٥)
وأدلة الاستاذ الراوى كما رأينا لم تخرج في معظمها عما استدل به الاقديون .

وهناك فريق حاول أن يجمع بين هذه الأقوال المتضاربة وغيرها من الأقوال
التي لم تذكر مثلها فعله الطبرى في تفسيره وأحمد بن فارس^(٦) في كتابه (الصحابي)
واستدل الطبرى على فعلته هذه بعدم استحالة هذه الوجوه في العقل ، كما

(١) المزهري في علم اللغة للسيوطي ٢٦٦/١

(٢) الزخرف : ٣ (٣) ابراهيم : ٤

(٤) النحل : ١٠٣

(٥) أساليب القيسم في اللغة العربية للاستاذ كاظم فتحى الراوى ص ٤١٧-٤١٨

(٦) هو أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب أبو الحسين القزوينى من أئمة
اللغة والادب ، (٣٢٩ - ٣٩٥ هـ) بلفية الوعاة ١/٣٥٢ والاعلام ١/١٩٣

استدل بجواز اشتغال كلمة واحدة على معان كثيرة مختلفة (١) ، وكذلك ابن فارس بعمد ما ذكره أقوالا شتى قال : وأقرب القول في ذلك وأجمعه قول بعض علمائنا : ان أولى الأمور أن تجعل هذه التأويلات كلها تأويلا واحدا ، فيقال ان الله جل وعز افتتح السور بهذه الحروف ارادة منه الدلالة بكل حرف منها على معان كثيرة لا على معنى واحد ، فتكون هذه الحروف جامعة لأن تكون افتتاحا للسور وأن يكون كل واحد منها مأخوذا من اسم من أسماء الله جل ثناؤه ، وأن يكون الله - جل ثناؤه - قد وضعها هذا الموضع قسما بها ، وأن كل حرف منها في آجال قوم وأرزاق آخرين (٢) وهي مع ذلك مأخوذة من صفات الله - جل وعز - في انعامه وإفضاله ومجده ، وأن الافتتاح بها سبب لأن يستمع الى القرآن من لم يكن يستمع وأن فيها اعلاما للحرب أن القرآن الدال على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم هو بهذه الحروف ، وأن عجزهم عن الاتيان بمثله

(١) تفسير الطبري ١/٩٣ - ٩٤

(٢) يقصد انها من حروف حساب الجمل التي ورد ذكرها في حديث أبي ياسر ابن أخطب وقد عقب عليه الشيخ احمد شاکر أنه حديث ضعيف الاسناد ، انظر تفسير الطبري طبعة محمود شاکر ١/٢١٨ . وكذا قال الحافظ ابن كثير في تفسيره لأن مدار هذا الحديث على محمد ابن السائب الكلبي وهو ضعيف جدا ، وبسبب الكذب فلا يحتج بما انفرد به انظر تفسير ابن كثير ١/٣٨ كما نقل السيوطي هذا الحديث في الدر المنثور ووصفه بالضعف ، وكذلك الشوكاني في تفسيره وضمفه . انظر الدر المنثور : ١/٢٢١ وفتح القدير : ١/٢٠ .

وكذلك قال الحافظ ابن حجر : ان هذا باطل لا يمتد عليه ، فقصد ثبت عن ابن عباس الزجر عن عد (أبي جاد) والاشارة الى أن ذلك من جملة السحر ، وليس ذلك ببيعد فإنه لا أصل له في الشريعة . انظر : الاتقان للسيوطي : ٣/٢٦ - ٢٧ .

مع نزوله بالحروف المتعالمة بينهم دليل على كذبهم وعنادهم ، ووجودهم
وأن كل عدد منها اذا وقع في أول السورة فهو اسم لتلك السورة ، وهذا هو
القول الجامع للتأويلات كلها من غير اطراح لواحد منها ، وانما قلنا هذا لأن المعنى
فيها لا يمكن استخراجها غلا من حيث يزول به العذر ، ولأن المرجع الى أقوال
العلماء ، ولن يجوز لأحد أن يعترض عليهم بالطعن وهم من العلم بالمكان الذي
هم به ، ولهم مع ذلك فضيلة التقدم ومزية السبق ، والله اعلم بما أراد من ذلك (١)
ومحاولة ابن فارس وغيره من العلماء في جعل هذه التأويلات كلها تأويلا
واحدا وجمعه بين البعيد والقريب منها لا يخلو من التعسف كما هو ظاهر .
وخلاصة القول أن من ذهب الى أن هذه الحروف المعجمة أقسام أقسم
الله بها ، حيث استدلوا على ذلك بما نقلوه عن ابن عباس من روايات في كونها أقساما
فذلك معارض بما نقل عنه من أقوال أخرى وطرق وأسانيد أخرى (٢) وما ذكره
من أن ابن عباس عدّها أقساما لأنها أسماء الله تعالى مردود بما ذكرنا في أول
هذا البحث من أنه لا دليل عليه ، وأن ذلك الى التخريصات والظنون أقرب منها
الى الصدق ، وأن الذين قالوا ذلك لم يدلوا فيها برأى قاطع مبل شرحوا وجهة
نظرهم فيها مفضين معناه الحقيقي الى الله عز وجل .
وأما استدلالهم بقول الكلبي فانه مما لا يحتج به ، فان الكلبي وهو محمد
ابن السائب ضعيف جدا ، بهي بالكذب مبل روى ابن أبي حاتم (٣) في الجرح

(١) الصاحبي في فقه اللثة وسنن العرب في كلامها لأبي الحسين أحمد بن فارس

ص ١٢١ - ١٢٤ .

(٢) انظر تفسير الطبري : ٨٢/١ و ٩٣/١ والدر المنثور للسيوطي ٢٢/١ .

(٣) هو أبو محمد عبد الرحمن بن الحافظ الكبير أبي حاتم محمد بن أدريس بن المنذر

التميمي الحنظلي الرازي ، ولد سنة مائتين وأربعين وتوفي سنة سبع وعشرين

وثلاثمائة (تذكرة الحفاظ ٨٢٩ - ٨٣١) .

في ترجمته عن أبي عاصم النهيل (١) قال : زعم لي سفيان الثوري (٢) قال : قال
لنا الكلبى ما حدثت عنى عن ابي صالح (٣) عن ابن عباس ، فهو كذب فلا تروه ،
وقال أبو حاتم : الناس مجتمعون على ترك حديثه لا يشتغل به هو ذاهب الحديث ،
(٤) وأما ما ذكره عن الأُخفش وابن قتيبة وابن القيم رحمهم الله من أن هذه
الحروف أحق بأن يقسم بها من غيرها لشرفها وفضلها الخ فمردود بما ذكره
المعلماء من أن القسم له أدوات معينة مثل الواو والهاء وغيرهما ولا توجد إحدى
هذه الأدوات في الموارد المذكورة فلم يقل القرآن مثلا (والى ذلك الكتاب) حتى
تكون قسما (٥) ومردود بما ذكره الزمخشري أن القرآن والقلم بعد هذه الفواتح
محلوف بها ، فلو زعمت ذلك لجمعت بين قسامين على مقسم واحد ، وقسما
استكروها ذلك ، واستدل على كراهته بما دار بين الخليل وسيبويه من نقاش حول
هذا الموضوع . (٦)

-
- (١) هو الضحاك بن مخلد بن الضحاك بن مسلم الشيباني ، أبو عاصم النهيل البصرى ثقة ثبت ، مات سنة اثنتى عشرة ومائتين ، قال الذهبي عاش تسعين سنة وأشهرها ، تقريب ٣٧٣/١ وتذكرة الحفاظ ٣٦٦ - ٣٦٧ .
 - (٢) هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري من بنى ثور بن عبد مناة من مضر ، أبو عبد الله أمير المؤمنين في الحديث ، (٩٧ - ١٦١ هـ) تذكرة الحفاظ ٢٠٣ - ٢٠٧ والاعلام ١٠٤/٣ .
 - (٣) هو ميزان البصرى ، أبو صالح ، وهو مشهور بكنيته يروى عن ابن عباس تقريب ٢٩١/٢ و ٤٣٧ .
 - (٤) الجرح والتمديد لابن أبي حاتم ٢٧٠/٢/٣ - ٢٧١ الطبعة الاولى (دائرة المعارف ، الهند) .
 - (٥) حول فواتح السور : د / رمضان عبد التواب ص ١٧٤ .
 - (٦) الكشاف : ٨٧/١ - ٩٠ .

وأما ما ذكره عن ابن هشام من قول كثير من المفسرين والمصريين فسي
فواتح السور أنه يجوز كونها في موضع خفض باسقاط حرف القسم (١) وأن العرب
قد ورد في آثارها حذف حرف القسم من المقسم به ، ولعل الله سبحانه وتعالى
لم يذكر مع هذه الحروف المعجمة حروف القسم لكثرتهم بالحروف (٢) ،
فهذا الاستدلال غير سليم ، فان ما ذكره ابن هشام قول كثير من المصريين من اسقاط
حرف القسم وإبقاء عمله وأجاز ذلك الزمخشري ، وأبو البقاء المكبري أيضا فيه (٣)
لأن ذلك من خصائص الجلالة المعظمة لا يشركها فيه غيرها ، قال ابن هشام
وهذا مردود بأن ذلك مختص عند البصريين باسم الله سبحانه وتعالى ، وأنه
لا أجود للقسم في سورة البقرة وآل عمران ونونس وهود ونحوهن ، ولا يصح أن يقال :
قدر (ذلك الكتاب) في البقرة و (الله لا اله الا هو) في آل عمران جوابا
وحذفت اللام من الجملة الاسمية كحذفهما في قول ابن مسعود : " والله الذي لا
اله غيره ، وهذا مقام الذي أنزلت عليه سورة البقرة " لأن ذلك - على قلته -
مخصوص باستطالة القسم . (٤) وقال المزين عبد السلام : جر الحروف بأضمار
القسم في أوائل السور لا يجوز الا على رأى غير سيهوه فان سيهوه يجعل ذلك
مخصوصا باسم (الله) تعالى لكثرتهم في الاكسن ، ولا يجوز حذف الحرف

(١) المفنى لابن هشام : ٦٥٤ - ٦٥٥

(٢) أساليب القسم في اللغة العربية للاستاذ كاظم فتحى الراوى ص :

٤١٧ .

(٣) الكشاف : ٣١/١ والمكبرى ١٠/١

(٤) مفنى اللبيب ص ٦٥٥ .

وابقاء عمله (١) كما ضعف ذلك أبو البركات الأنباري (٢) ، وقولهم أن القرآن نزل بلسان عربي عجمي ، وليس من المقبول أن يخاطب الله الناس بلفظة لا يعرفونها فلا حرج في البحث عن تفسير هذه الحروف وبيان معانيها ، لا ينافي هذا أن يرد في القرآن الكريم آيات متشابهات ، ومن المحتمل أن تكون هذه منها وقد بين سبحانه وجود التشابه في كتابه يقوله : (هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات ، فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ، وما يعلم تأويله إلا الله ، والراسخون في العلم يقولون آمنا به ، كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الألباب) (٣) فنزول هذه الآية بعد قوله (السم) في سورة آل عمران يدعو إلى التفكير والتأني في قطع رأى حول هذه الحروف وأرجع فأقول ان هذه الفواتح لم تصل بعد إلى حقيقتها ، وعدم ثبوت شيء قطعي في ذلك دليل على أنها من قبيل المتشابهات لا يعلم تأويلها إلا الله ، وأخيرا استأنس بقول الامتاز : مالك بسن نهي (٤) : (لقد حاول معظم المفسرين أن يصلوا في موضوع هذه الآيات المخلقة إلى تفاسير مختلفة مهمة ولكن أكثرهم تمعلا واعتدالا هم أولئك الذين يقولون في حال كهذه بكل تواضع : (والله اعلم) (٥)

-
- (١) الفوائد في مشكل القرآن لمز الدين بن عبد السلام ص ٢٣ .
 - (٢) البيان في غريب اعراب القرآن لابي البركات الأنباري : ٣١١/٢ والفتوحات الالهية : ١٠/١
 - (٣) آل عمران : ٧
 - (٤) مفكر اسلامي جزائري ، (١٣٢٣ - ١٣٩٣ هـ) (الاعلام ٥ / ٢٦٦) .
 - (٥) الظاهرة القرآنية لمالك بن نهي : ص ٢٦٤ .

(١٠) أعم قسم وقع في القرآن الكريم :

وهو قوله سبحانه : (فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون ، انه لقول رسول كريم) (١)

منهم من قال المراد (أقسم) و (لا) صلة ، أو يكون ردا للكلام سبق ، كانه قال : ليس الا موكما تقولون ، قال مقاتل : سبب ذلك أن الوليد بن المغيرة (٢) قال : ان محمدا ساحر ، قال أبو جهل (٣) : شاعر ، وقال عتبة : كاهن ، فقال الله عز وجل (فلا أقسم . . . الآية) (٤)

ومنهم من قال : (لا) ههنا نافية للقسم كانه قال : لا أقسم على أن هذا القرآن (قول رسول كريم) يعني انه توضحه يستغنى عن القسم ، وهذا باطل ، قال أبو السعود : (٥) وأما حمله على معنى نفي الاقسام لظهور الامر واستغنائه عن التحقيق فيرده تعيين القسم به بقوله تعالى : (بما تبصرون ، وما لا تبصرون) كما مر في سورة الواقعة . (٦)

(١) الحاققة : ٣٨ - ٤٠

(٢) هو الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم أبو عبد شمس : (٩٥ قه - ١ هـ) الاعلام ١٢٢/٨ .

(٣) هو عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي القرشي ، قتل في غزوة بدر (الاعلام ٨٧/٥ .

(٤) هو عتبة بن أبان بن ذكوان بن أمية بن عبد شمس ، أسري يوم بدر وقتل وهو أول مصلوب في الاسلام ، الاعلام : ٢٤٠/٤ .

(٥) هو محمد بن محمد بن مصطفى العمادي المولى أبو السعود ، مفسر شاعر من علماء الترك المستعربين ، صاحب التفسير المعروف باسمه وقد سماه ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم (٨٩٨ - ٩٨٢ هـ) (الاعلام ٥٩/٧)

(٦) الواقعة : ٧٥ - ٧٦

قال قتادة (١) أقسم بالاشياء كلها ما يبصر منها وما لا يبصر فيدخل

في هذا جميع المخلوقات .

وكذا قال مقاتل : بما تبصرون من الخلق وما لا تبصرون منه .

وقال الفخر الرازي : يضم جميع الاشياء على القول ، لانها لا تخرج

من قسمين ، يبصر وغير يبصر ، فشمّل الخالق والخلق والدينا والاخرة

والاجسام والارواح والانس والجن والنعم الظاهرة والباطنة . (٢)

* * *

(١) هو قتادة بن دعامة بن قنادة بن عزيز أبو الخطاب السدوسي البصري ،

مفسر حافظ ضهير أكمه ، قد يدلّس في الحديث ، (٦١ - ١١٨ هـ)

الاعلام ١٨٩/٥ وفي تقريب التهذيب ، ثقة ثبت ، مات سنة بضعة عشرة (١٢٣/٢)

(٢) انظر الفخر الرازي ١١٦/٣٠ والقرطبي : ٢٧٤/١٨ والقنوات الالهية

٤٠١/٤ وتفسير أبي السمود ٢٧/٩ وفتح القدير ٢٨٥/٥ وتفسير

النسفي : ٢٨٩/٤ والتبيان لابن القيم ص ١٢٨ - ١٢٩ .

البحث الرابع

(القسم عليه في القرآن الكريم)

ويسمى أيضا جواب القسم ، وهو الجملة المحلوف عليها والخبر المقصود
توكيده باليمين ايجابا أو نفيا ، ولا يصح أن يأتي جواب القسم مفردا ، قال
الزجاجي (١) ولا بد للقسم من جواب لأنه به تقع الفائدة وتم الكلام ولأنه هو
المحلوف عليه ، ومحال ذكر حلف بدون محلوف عليه . (٢)
أنواع جملة جواب القسم : تنقسم جملة الجواب الى قسمين :

- أولا : جملة فعلية وهي نوعان : أ - فعل ماضٍ ، ب - فعل مضارع .
- ثانيا : جملة اسمية وهي أيضا نوعان : أ - مثبتة ، ب - منفية .

(الأول) : الجملة الفعلية : (١) الفعل الماضي : وقد ورد منه في القرآن الكريم
نوعان : (أ) الفعل الماضي المتصرف المثبت (ب) الفعل الماضي المتصرف المنفي .
أ - الفعل الماضي المتصرف المثبت : إذا كان جواب القسم ، فالأكثر في كلام العرب
اقتترانه باللام وقدّما نحو قوله سبحانه : (لقد خلقنا الانسان في كبد) فهو جواب
لقوله : (لا أقسم بهذا البلد) (٣) وقوله سبحانه (تا لله لقد آثرك الله
علينا) الآية (٤)

ويجوز الاقتصار على أحدهما ، فمثال حذف اللام نحو قوله سبحانه : (والشمس
ضحاهها . . . ثم قال بعد ذلك قد أفلح من زكاهها) (٥) على رأى القائلين بأن
هذه الآية هي جواب القسم ، واستحسن سيويه حذف اللام هنا لطول الكلام .
(٦)

(١) هو عهد الرحمن بن اسحاق النهاوندي الزجاجي أبو القاسم شيخ العربية في عصره
له كتاب الجمل الكبرى والايضاح . واللامات ، توفي سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة .
بغية الوعاة ٧٧/٢ والاعلام ٢٩٩/٣ . (٢) كتاب اللامات للزجاجي ص ٧٧ .
(٣) البلد ٤ - ١ وانظر الجنى الداني ص ١٣٥ . (٤) يوسف : ٩١
(٥) الشمس : ٨ - ١ (٦) الكتاب لسيويه تحقيق عبد السلام محمد هارون ١٥١/٣
وانظر أيضا المقتضب للمبرد ٣٣٥/٢ والمقرب لابن صفور ٢٠٥/١

ومثال حذف (قد) دون اللام نحو قول امرئ القيس : (١)

حلفت لها بالله حلقة فاجر لنا موافما ان من حديث ولاصال
ولم يرد له مثال في القرآن الكريم ، أما من استشهد بقوله تعالى : (ولئن
أرسلنا ريحا فأرأوه مصفرا لظلوا من بعده يكفرون) (٢) على جواز حذف (قد)
والاكتفاء باللام فيمكن أن يقال : ان اللام في قوله (لظلوا) مبنية على الشرط
بخلافها في البيت (لنا موا) ، لأن الفعل الماضي في الآية الكريمة لم يقع
فهو في معنى المستقبل أي (ليظنن) فلا يصح الاستشهاد به ، كما حكاه
سيوييه عن الخليل بقوله : (وسألته عن قوله عز وجل : (ولئن أرسلنا ريحا
فأرأوه مصفرا لظلوا من بعده يكفرون) (٢) فقال هي في معنى (ليفعلن) لأنه
قال : (ليظنن) (٣)

ومخطئ من يقول : ان التقدير (لقد ظلوا) لأن (قد) ما تأتي مع
الماضي الا اذا كان قد وقع ، و (ظلوا) هنا مستقبل لأنه مرتب على الشرط
وساد مسد جوابه ، فلا سبيل فيه الى (قد) ، اذ المعنى (ليظنن) ولكن
النون لا تدخل على الماضي ، أما في بيت امرئ القيس المتقدم فالفعل قد وقع
فتحسن معه (قد) أي لقد ناموا (٤) ، ويجوز حذفهما (أي اللام وقد) معاً ،
ومثاله على رأى قوم قوله سبحانه : (قتل أصحاب الأود) (٥) حيث وقع
جواباً لقوله : (والساعة ذات البروج) (٥٥٥٥) الآيات وأضمر اللام وقد جميعاً
لطول الكلام . (٦)

(١) ديوان امرئ القيس ص ١٤١ (٢) الرم : ٥١

(٣) الكتاب لسيوييه تحقيق عبد السلام هارون ١٠٨/٣

(٤) معنى اللبيب لابن هشام ٦٣٦/٢ - ٦٣٧

(٥) البرج : ٤ - ١

(٦) معنى اللبيب لابن هشام ٦٣٦/٢

(ب) الفعل الماضي المتصرف المنفي :

إذا حلف على فعل ماضٍ منفي فإنه يبقى على حاله كما كان قبل الحلف نحو

قوله تعالى : (قالوا والله ربنا ما كنا مشركين) (١)

والفعل الماضي المنفي الواقع جواباً للقسم يصدر بـ (ما) النافية ، أو بـ (ان)

التي بمعنى (ما) النافية و بـ (لا) وإذا صدر بـ (لا) انقلب الفعل إلى معننى

الاستقبال ، ومثال (ما) قد تقدم قريباً .

ومثال (ان) قوله تعالى : (ولئن زالتا ان امسكهما من أحد من بعده) (٢) أى

ما يمسكهما من أحد .

أما المصدر بـ (لا) فما ورد في القرآن الكريم ، ومثاله قول الشاعر :

حسب المحبين في الدنيا عذابهم والله لا غديتهم بعدها سقـر

أى لا تعذبهم (٣) لأن الفعل الماضي إذا نفي بـ (لا) في جواب القسم

انقلب معناه إلى الاستقبال .

(٢) الفصل المضارع : وقد ورد منه نوعان في القرآن الكريم :

أ - الفعل المضارع المستقبل المثبت .

ب - الفعل المضارع المنفي .

أ - الفعل المضارع المستقبل المثبت : الواقع جواباً للقسم إذا لم يقرن بحرف

تنفيس أو بـ (قد) أو يتقدم معموله عليه ، فالبصريون يؤكدونه بإلـم الجواب

في أوله ونون التوكيد الثقيلة أو الخفيفة في آخره ، ولا يجوز عندهم الاكتفاء

بأحدهما إلا بالضرورة . ومذهب الكوفيين أن دخول اللام والنون على المضارع

المثبت إنما هو الخالب وقد يستغني بأحدهما بالضرورة . (٤)

(١) الأنعام : ٢٤ وانظر الكتاب لسبويه تحقيق مجد السلام هارون ٢٣٦/٣

(٢) فاطر : ٤١

(٣) شرح الرضي للكافية ٣٤٠/٢ والخزانة ٥٢٢/٣ - ٥٢٥ و ٢٢٨/٤ .

(٤) الكتاب لسبويه تحقيق مجد السلام هارون ١٠٤/٣ و ٥٠٩/٣ والمقتضب

للهمد ٣٣٤/٢ والتسهيل لابن مالك ص ١٥٢ وشرح الرضي ٣٣٩/٢ والجنى

الداني في حروف المعاني للمرادى ص ١٤٦ ، أيضا ١٢٢

ومثال ذلك قوله تعالى : (فوريك لنساءنهم أجمعين) (١) وقوله : (تالله
لتسألن عما كنتم تفترون) (٢) وقوله : (وتالله لا أكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين)
(٣) وشمع النون عند جميع النحاة إذا قرن الفعل الواقع جواباً بما يدل على الاستقبال
كالسين وسوف ، وكفى باللام نحو : (وسوف يعطيك ربك فترضى) (٤) وقوله
(وسيلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون) (٥) وكذا إذا دخلت اللام على
متعلق المضارع مقدم عليه ، كقوله تعالى : (ولئن متم أو قتلتم لالى الله تحشرون)
(٦)
(ب) الفصل المضارع المنفي : إذا وقع الفعل المضارع المنفي جواباً للقسم فإنه
يبقى على حاله كما كان قبل القسم ، نحو قوله تعالى : (فلا وربك لا يؤمنون
حتى يحكموك فيما شجر بينهم ١٠٠٠ الآية) (٧) ويجوز حذف (لا) النافية
من الفعل نحو قوله عز وجل : (تالله تفتأ تذكر يوسف) (٨) أى لا تفتأ ، معناه
لا تزال ، (٩) وخص ابن صفور جواز الحذف بـ (لا) ومنه مع (ما) ،
قال في المقرب : وان كان منفياً أدخلت عليه (لا) ويجوز حذفها ، قال اللطيف
تعالى (تفتأ تذكر يوسف) أى لا تفتأ ، وان كان الفعل حالاً فانك تدخل
عليه في النفي (ما) ولا يجوز حذفها ، (١٠)

-
- (١) الحجر : ٩٢ (٢) النحل : ٥٦
(٣) الأنبياء : ٥٧ (٤) الضحى : ٥ وانظر البيان لابن الانبارى ٢/٥٢٠
(٥) الشعراء : ٢٢٧ (٦) آل عمران : ١٥٨
(٦) وانظر شرح الكافية للرضي ٣٣٩/٢ والمقرب لابن صفور : ٢٠٥/١
(٧) النساء : ٦٥ (٨) يوسف : ٨٥
(٩) انظر الكتاب لسيهويه تحقيق عبد السلام هارون : ٨٤/٣ و ١٠٥ وأمالسي
الشجرى ١/٣٦٩ والبرهان للزركسي ٤/٣٥٣
(١٠) المقرب لابن صفور : ٢٠٥/١

والفعل المضارع يكون منفيًا بـ (لا) و (ما) و (ان) فأما المنفي بـ (ما) و (ان) فيكون للحال إذا لم يقيد بالزمان المستقبل ، ولا يجوز حذفها ، وهذا في رأى جمهرة العلماء . (١)

وقد ذهب بعضهم الى جواز حذف (ما) منهم الزجاجي ، قال : وربما حذفت (ما) أو (لا) وأضمرت ، وكان ذلك جائزا (٢) ، ولعل من منع الجمهور لحذف (ما) انها لو حذفت لا يدل عليها دليل بخلاف (لا) فان الفعل معها مستقبل ، لأن المضارع المنفي بـ (لا) في جواب القسم لا يكاد يرد الا مستقبلا (٣) فلولا نفيه بـ (لا) لوجب توكيده باللام والنون الشديدة أو الخفيفة .

(الثاني) : الجملة الاسمية : وهي نوعان :

أ - الجملة الاسمية المبتتة : تصدر الجملة الاسمية المبتتة الواقعة جوابا للقسم بـ " إنَّ واللام " نحو قوله تعالى : (يس والقرآن الحكيم ، انك لمن المرسلين) (٤) وثاني إنَّ دون اللام نحو قول الله تعالى : (حم والكتاب المبين ، انا جملناه قرآنا عربيا) الآية (٥) وقوله : (حم والكتاب المبين ، انا أنزلناه في ليلة مباركة) الآية (٦) في أكثر مواقع (ان) التي في جواب القسم كانت اللام في خبرها الا في هاتين الآيتين ، والآيتان مما لا يصح دخول اللام في خبر (ان) فيهما لأنه فعل ماض متصرف (٧) .
وتكسر همزة (ان) في جواب القسم ، وقد تفتح عند الكوفيين بعد قسم مالم توجد اللام . (٨)

-
- (١) شرح الكافية للرضي ٣٣٩/٢ وشرح ابن يمش ٩٧/٩ الجنى الداني للموادى ص ٣٢٩ جمع الهوامع للسيوطي : ٢٤٣/٤ ، دراسات لاسلوب القرآن الكريم : محمد عبد الخالق عزيمة : ١١٣/٣ و ١٢٦ و ١٢٧ و ٥٥٤/٢ - ٥٥٥ .
(٢) شرح جمل الزجاج لابن صفور الأصبهاني ٥٢٧/١ .
(٣) الجنى الداني للموادى ص ٢٩٦ . (٤) يس : ١-٣ .
(٥) الزخرف : ٣ (٦) الدخان : ٣ .
(٧) دراسات لاسلوب القرآن الكريم للشيخ عبد الخالق عزيمة ٤٨٢/١ .
(٨) المصدر نفسه ، وانظر أيضا المقضب ١٠٧/٤ والتسهيل لابن مالك ص ٦٣ وشرح الكافية للرضي ٣٢٥/٢ .

كما تصدر باللام فقط نحو : والله لمحمد قائم ، قال ابن عصفور : الجملة المقسم عليها ان كانت اسمية وكانت موجبة أدخلت على الابتداء (ان) وفي خبرها (اللام) فقلت : (والله ان زيدا لقائم) وان شئت أتيت بـ ان وحدها وان شئت باللام وحدها فقلت ، : والله لزيد قائم (١) .

وهذه اللام هي لام الابتداء المفيدة للتأكيد ، لا تفرق بينها وبين (ان) الا من حيث الحمل ، وانما أجيب القسم بهما لافادتهما التأكيد الذي جيء بالقسم من أجله .

صرى الكوفيون أن اللام متى وجدت في الجملة الاسمية فهي جواب قسم ، واللام لام القسم ، فقالوا في نحو قولهم : (لزيد أفضل من عمرو) ان اللام جواب قسم مقدر ، والتقدير : (والله لزيد أفضل من عمرو) فأضمر اليمين اكتفاء باللام منها . وحدثهم أن هذه اللام يجوز أن يليها المفعول الذي يجب له النصب نحو (لطعامك زيد أكل) فلو كانت هذه اللام لام الابتداء لكان يجب أن يكون ما بعدها مرفوعا ، ولما كان يجوز أن يليها المفعول الذي يجب أن يكون منصوبا ، وذهب البصريون الى أن اللام لام الابتداء ، ودليلهم على ذلك أنها اذا دخلت على المنصوب بـ (ظننت) أو جيت له الرفع وأزلت عنه عمل (ظننت) تقول : (ظننت زيدا قائما) فاذا أدخلت على زيد اللام قلت : (ظننت لزيد قائم) فأوجبت له الرفع بالابتداء بعد أن كان منصوبا فدل على أنها لام الابتداء . (٢)

(١) المقرب لابن عصفور : ٢٠٤/١

(٢) انظر تفاصيل الخلاف بين الكوفيين والبصريين وأدلتهم في كتاب الانصاء ، في مسائل الخلاف للأنباري : ٣٩٩/١ - ٤٠٤ وانظر أيضا شرح الكافية للمرزي ٣٣٨/٢ - ٣٣٩ .

وذهب الزجاجي مذهباً وسطاً فيجعل سياق المبنى هو الذي يدل على
القصد ويجوز أن تكون هذه لام قسم ولام ابتداء ، والمبنى يرجع وحين القصد ،
قال : وهذه اللام لشدة توكيدها وتحقيقها يقدر بعض الناس قبلها قسماً
فيقول : هي لام القسم ، كأن تقدير قوله : لزيد قائم ، والله لزيد قائم ، وضير
منكر أن يكون مثل هذا قسماً ، لأن هذه اللام مفتوحة كما أن لام القسم مفتوحة
ولأنها تدخل على الجمل كما تدخل لام القسم ، ولأنها مؤكدة محققة كتحقيق
لام القسم ، ولكنها ربما كانت لام قسم ، وربما كانت لام ابتداء ، واللفظ بهما سواء
ولكن المبنى يستدل على القصد ، ألا ترى أن من قال : لزيد قائم ، لم يقل
له : حنثت إن كان زيد غير قائم ، (١) وكلام الزجاجي في غاية الوجاهة والاستحسان .
والصواب - والله اعلم - ما ذهب إليه البصريون وهو أن هذه اللام لام الابتداء
مفيدة للتأكيد لا لام القسم كما قاله الكوفيون ، لأن الأصل عدم التقدير ، والتأكيد
المطلوب من القسم حاصل من لام التأكيد ، وهو اختيار الرضي (٢) ومع ذلك لا ينكر
أن يكون المبنى يرجح وحين القصد كما قاله الزجاجي .
(ب) الجملة الاسمية المنفية : إن الجملة المنفية الواقعة جواباً للقسم إن كانت
اسمية فتنفى بـ (ما) وهي نفيها بـ (إن) النافية و (لا) خلاف ، أما التثنية
بـ (ما) فوارد في القرآن الكريم مقال الله تعالى : (ن واقلم وما يعطرون ،
ما أنت بنعمة ربك بمجنون) (٣) وقال بعض المفسرين في قوله تعالى : (ص والقرآن
ذى الذكر) إن جواب القسم هو قوله : (إن كل الأكلاب الرسل) الآية (٤)
ولا أجده مستقيماً لتأخره جسداً عن القسم ووقوع الفصل الطويل بين القسم وجوابه .

(١) كتاب اللامات للزجاجي : ٦٩ - ٧٠

(٢) شرح الرضي ٣٣٨/٢

(٣) القلم : ١-٢ وانظر شرح الرضي ٢٥٥/١ - ٢٥٧ .

(٤) سورة ص ١٤ وانظر البحر ٣٨٣/٧ والفتوحات الإلهية : ٥٦٠/٣ .

الحروف التي تربط القسم بالجواب

لما كان كل من القسم والمقسم عليه جملة وكانت احدهما لها تعلق بالآخرى لم يكن بد من روابط تربط احدهما بالآخرى كربط حرف الشرط بالجزاء وهو ما يسمى بـ (تلقى القسم) . فجعل للايجاب حرفان ، وهما (اللام وان) وجعل للنفي حرفان وهما (ما ولا) وانما وجب لهذه الحروف ان تقع جوابا للقسم لانها يستأنف بها الكلام (١) ولذلك لم تقع الفاء جوابا للقسم لانه لا يستأنف الكلام بها (٢) ، فأما اللام فتدخل على الأسماء والأفعال ، فإذا دخلت على الاسماء فما بعدها مبتدأ وخير ، ومثال ذلك قوله تعالى : (ولئن قتلتهم في سبيل الله أو متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون ه) (٣) وتدخل على الضمير كقوله تعالى : (ولئن صبرتم لهو خير للصابرين) (٤)

أما دخولها على الافعال فتدخل على الفعل الماضي المثبت ، ولا يحسن ذلك الا أن يكون معه (قد) كقوله تعالى : (تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الارض) الآية (٥) وقوله : (تالله لقد آثرك الله علينا) الآية (٦) كما تدخل على متعلق الفعل المضارع ، قال تعالى : (ولئن متم أو قتلتم لالى الله تحشرون) (٧) ، وأما (ان) فتختص بالاسم ، فلا تدخل على الجملة المقسم عليها الا اذا كانت اسمية مثبتة ، فتدخل أحيانا على المبتدأ وفي غيرها السلام نحو قوله سبحانه : (يس والقرآن الحكيم ه انك لمن المرسلين) (٨)

(١) وهذا لا يعنى أن كل حرف يمكن الاستئناف به يصح أن يتلقى به القسم

نحو (ثم) لأن هذه الحروف موقفة على السماع .

(٢) شرح المنصل لابن يعيش ٩٦/٩ - ٩٧ والجنى الداني للبرادى ص ١٣٥ وكتاب

اللامات للهروى ٩٢ - ٩٤ وكتاب التمع في العربية لابن جنى ص ١٨٦ .

(٣) آل عمران ١٥٧ (٤) النحل : ١٢٦

(٥) يوسف : ٧٣ (٦) يوسف : ٩١

(٧) آل عمران : ١٥٨ (٨) يس : ١-٣

وأحيانا وحدها كقوله تعالى : (حم والكتاب المبين ، انا أنزلناه في ليلة
مباركة انا كنا منذرين) (١)

وأما جواب النفي فيكون بـ (ما) و (لا) نحو قوله سبحانه : (قالوا واللّه
ربنا ما كنا مشركين) (٢) وقوله : (أولم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال)
(٣) وقوله : (يحلفون بالله ما قالوا) الآية (٤) ، ومن الجواب بـ (لا) نحو قوله
سبحانه : (لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قتلوا لا ينصرونهم) الآية (٥)
فقوله : لا يخرجون ولا ينصرونهم جواب قسم محذوف وليما بجواب الشرط بدليل
ثبوت النون ولو كانا جواب الشرط لا نجزمنا (٦) ، وان كان الفعل مستقبلا منفيًا
جواز حذف (لا) منه إذ هو تخفيف ولا يقع لهما ، نحو قوله سبحانه : (قالوا
تالله تفتأ تذكر يوسف) الآية (٧) أي لا تفتأ تذكر ، ولا يجوز حذف شيء
من هذه الحروف الا (لا) وحدها وانما لم يجر حذف غيرها لأن (ان) طلمة
ولا يجوز أن تعمل مضمرة لضعفها ، ولم يجر حذف (ما) لأنها أيضا تكون
عاملة في مذهب أهل الحجاز ، ولم يجر حذف (اللام) لأن ذلك يوجب حذف
النون معها ، لأن النون دخلت مع اللام فلم يبقى الا (لا) (٨) .

تلقى القسم بـ (أن) : قال السيوطي وشره (أن) زائدة وليست المخفضة

بين قسم و (لو) ولا تفيد غير التوكيد على الأصح فيه مقال الشاعر :

أما والله أن لو كنت حـرا وما بالحرانت ولا العتيق (٩)

وزعم ابن صفور في المقرب : أنها حرف يربط جملة القسم بجملة المقسم عليه (١٠)

والذي نص عليه سيويه أنها زائدة ، ونص في موضع آخر على أنها بمنزلة لام المقسم

الموطئة .

- | | |
|--|-------------------------------|
| (١) الدخان : ١-٣ | (٢) الانعام : ٢٣ |
| (٣) ابراهيم : ٤٤ | (٤) التوبة : ٧٤ |
| (٥) الحشر : ١٢ | (٦) شرح ابن يعقوب : ٩٧/٩ |
| (٧) يوسف : ٨٥ | (٨) شرح ابن يعقوب : ٩٨/٩ |
| (٩) قائله مجهول ، انظر شرح شواهد المفتي للسيوطي ص ١١١ ، والشاهد أيضا
في الانصاف : ٢٠٠/١ والخزانة : ١٣٣/٢ وانظر مع المواضع ١٤٣/٤ | (١٠) المقرب لابن صفور ٢٠٤/١ . |

وقال أبو حيان : أنها المخففة من الثقيلة وهي التي وصلت بـ (لو) كقوله تعالى : (وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا) (١) وتقديره أنه إذا قيل : أقسم أن لو كان كذا لكان كذا ، فمعناه : أقسم أنه لو كان كذا لكان كذا ، ويكون فعل القسم قد وصل إليها على إسقاط حرف الجر ، أي أقسم على أنه لو كان كذا ، فصلاحيه (أن) المشددة مكانها يدل على أنها مخففة منها (٢) وكلام أبي حيان أظهر وأقرب إلى الصواب لما ذكره لأن ما لا حاجة به إلى تقدير أولى مما يحتاج إلى تقدير ، ولا يعدل عن الظاهر إلا لموجب وهو منتف ههنا .

وأجاز ابن مالك تلقى القسم بـ (لم) و (لن) قيل ذلك في الجملة الفعلية المنفية كقول أبي طالب :

والله لن يصلوا اليك بجمعهم حتى أوسد في التراب دفيننا

وحكى الأصمعي (٣) : أنه قال لأعرابي ، ألك بنون ؟ قال نعم وخالقهم

لم تقم عن مثلهم منجدة ، وقال أبو حيان : لا سلف لابن مالك في تجوزها ذلك

إلا ما حكى عن ابن جنى أنه يتلقى بهما في الضرورة ، وهو غلط من ابن جنى ،

فظاهره أنه لا يجوز عنده لا في الضرورة ولا غيرها ، وقال السيوطي بجواز التلقى

بـ (لن) دون (لم) لأنها للماضي ، والقسم بالمستقبل أجدر ، ولأن قول الأعرابي

يظهر فيه الحمل على الاستئناف تمام الكلام عند (خالقهم) بخلاف قول علي

ابن أبي طالب (٤) " صوب القراء في قوله عز وجل : (قالوا لمن نوثرك على

ما جاءنا من البينات والذي فطرنا) (٥) الخفض على القسم قال ولو أرادوا بقولهم

(والذي فطرنا) القسم بها كانت خفضا وكان صوابا ، كأنهم قالوا : (لن نوثرك

والله) (٦)

-
- (١) الجن : ١٦ (٢) مجمع الهوامع للسيوطي ١٤٥/٤ - ١٤٦ .
(٣) هو عهد الملك بن قريب بن عهد الملك بن علي بن أصمع الباهلي ، أبو سعيد الأصمعي ، رواية الصرب وأحد أئمة العلم باللفظ والشعر والبلدان ١٢٢ - ٢١٦ هـ بخينة الوفاة ١١٢/٢ - ١١٣ والاعلام ١٦٢/٤ .
(٤) المرجع نفسه : ٢٤٤/٤ (٥) طه : ٧٢ .
(٦) معاني القرآن للقراء : ١٨٧/٢ .

القسم عليه في القرآن الكريم

ان الذي يعتقده أقسام القرآن يجد أن الله تعالى أقسم على أصول
الايان الثلاثة التي يجب على الخلق معرفتها والايان بها وهي التوحيد
والرسالة والمعاد ، وكل ما سوى ذلك فهو متعلق بها أو متفرع منها ، وقسم
أقسام سبحانه في كتابه على خمسة أمور :

- (١) فتارة يقسم سبحانه على التوحيد .
- (٢) وتارة على صدق النبوة وصحة الرسالة .
- (٣) وتارة يقسم أن القرآن حق .
- (٤) وتارة على الجزاء والوعد والوعيد والمعاد ، وهذه الأمور كلها متلازمة ،
فمتى ثبت أن الرسول حق ثبت القرآن والمعاد ، ومتى ثبت أن القرآن حق
ثبت صدق الرسول الذي جاء به ، ومتى ثبت أن الوعد والوعيد حق ثبت
صدق الرسول ، وصدق الكتاب الذي جاء به . (١)
- (٥) وتارة يقسم على أحوال الانسان المتعددة ، ثم يفرق الى ما يترتب
عليها من التكليف والجزاء ، فهذا النوع متفرع من القسم على الجزاء وليس على
انفراده .

القسم على التوحيد :

لما كان القوم قد بالغوا في شركهم واتخذوا آلهة متعددة من دون الله
تنوعت أساليب القرآن في اقامة الدليل عليهم على وحدانية الله سبحانه ، فمن
ذلك قوله عز من قائل : (وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين انما هو آله واحد فأياي
فارهبون ، وله ما في السموات والارض وله الدين واصبا أفغير الله تتقون ، وما بكم
من نعمة فمن الله ثم اذا محكم الضر فاليه تجأون) (٢)

(١) التبيان في أقسام القرآن لابن القيم : ص ٧

(٢) النحل : ٥١ - ٥٣ .

وغير ذلك من الآيات الكثيرة والأساليب المتعددة (١) وقد استخدم القرآن الكريم من هذه الأساليب أسلوب القسم زيادة في الترهيب والتوكيد وإقامة الحجة ، قال الله عز وجل :

(والصافات صفا ، فالزاجرات زجرا ، فالتاليات ذكرا ، ان الهكـم

لواحد ، رب السموات والارض وما بينهما ورب المشارق) (٢)

فقد أجاب الله تعالى على القسم بما يؤكد وحدانيته وتفرد به بالملك والالهية

التي لم ينكروها أصلا وإنما كبروا في التوحيد ، والآية المذكورة من أعظم الأدلة على أنه اله واحد ، لأنه لو كان معه اله آخر لكان اله مشاركا له في هويته كما شاركه في الهية ، فلما لم يكن كذلك انفرد سبحانه بالالهية والهوية ، وهذه قاعدة القرآن يقرر توحيد الهية بتوحيد الهوية .

قال الفخر الرازي : في جميع السور التي أتم الله في ابتدائها بغير الحروف

كان القسم لاثبات أحد الأصول الثلاثة : وهي الوحدة والرسالة والحشر

وهي التي يتم بها الايمان .

ثم انه سبحانه لم يقسم لاثبات الوحدة الا في سورة واحدة من تلك السور

وهي (الصافات) حيث قال فيها : (ان الهكـم لواحد) وذلك لأنهم وان كانوا

(١) ومن ذلك قوله سبحانه : (أم اتخذوا الهة من الارض هم ينشرون ، لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا ، فسبحان الله رب العرش عما يصفون لا يحثل عما يفعل وهم يسئلون ، أم اتخذوا من دونه الهة ، قل هاتوا برهانكم ، هذا ذكر من معي وذكر من قبلي ، هبل أكرههم لا يعلمون الحق فهم معرضون ، وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا أنا فأعبدون) الانبياء ٢١ - ٢٥ . وقوله سبحانه : (قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون سيقولون لله ، قل أفلا تذكرون ، قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله ، قل أفلا تتقون ، قل من بيده ملكوت كل شيء ، وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون ، سيقولون لله ، قل فأنتي تصحرون ، هبل أتيناكم بالحق وانهم لكاذبون ، ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعللا يمضهم على بعض سبحان الله عما يصفون ، عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون) المؤمن ٨٤ - ٩٢ وانظر أيضا سورة النمل ٥٩ - ٦٤ الى غير ذلك من الآيات الكثيرة .

(٢) الصافات : (١) - ٥

يقولون: (أجعل الآلهة لها واحدا) (١) على سبيل الإنكار ، وكانوا
يغالون في الشرك ولكنهم في تضاعف أقوالهم وتصاريف أحوالهم كانوا يصرحون
بالتوحيد ، وكانوا يقولون: (ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى) (٢) وقال
تعالى: (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله) الآية (٣) فلم
يغالوا في الحقيقة في انكار المطلوب الا أول (أى التوحيد) فاكفى بالمرهان
ولم يكثر من الأيمان . (٤)

القسم على صدق الرسالة واثباتها :

لقد وردت في القرآن الكريم آيات كثيرة تدل على صحة رسالة محمد صلى الله
عليه وسلم والأنبيا السابقين ، وأما اثباتها بالقسم صريحا فكما ورد في قوله
 سبحانه :

(١) تالله لقد أرسلنا الى أم من قبلك فزين لهم الشيطان أعمالهم فهو وليهم
اليوم ولهم عذاب أليم (٥)

قوله (لقد أرسلنا) هو مقسم عليه ، وقد جاء تلقى القسم بصيغة الاخبار
المؤكد ليدل وثبت تحقق الوقوع وصدق الرسالة ، وأن ما يكابرون به
لا يستحق أكثر من ذكره والاخبار عنه لأنه مكابرة لواقع صحيح . وجاء القسم
زيادة في التعجب والاستنكار والاستخفاف بالكاذبم ضلالا تنهم ، وفيه أيضا من
جهة أخرى تثبيت لغوؤاد النبي صلى الله عليه وسلم ومواساة له باعلامه أن القسم
فارقون في جهالاتهم وما على الرسول الا البلاغ والصبر على أذى الجاهلين .

(١) سورة ص / ٥ (٢) الزمر : ٣

(٣) لقمان : ٢٥ والزمر : ٣٨ (٤) تفسير الفخر الرازي ١٩٤/٢٨

(٥) النحل : ٦٣

(٢) وقوله سبحانه : (يس ، والقرآن الحكيم ، انك لمن المرسلين) (١)
 قوله : (يس) بمنزلة الحروف المقطعة في أوائل السور مثل (الم) وليست
 اسما من أسماء النبي صلى الله عليه وسلم على الصحيح (٢) ، ولم يرد الله
 تبارك وتعالى الاقسام بالقرآن لمجرد الحلف على نهوة محمد صلى الله عليه وسلم
 فحسب وانما أراد لفت الانظار الفافية وتبويه المقول الجامدة الى أن القرآن
 بين ايديكم أولا يكفيكم ما فيه من دلائل الاعجاز على صدق رسالته عليه السلام ،
 قال الفخر الرازي : ان هذا ليس مجرد الحلف وانما هو دليل خج في صورة اليمين
 لأن القرآن معجزته عليه السلام ودليل كونه مرسلا من عند الله ، (٣) وقد تلقى
 القسم صدرا بان واللام توكيدا لهذا المعنى الذي ذكرناه وتبنيها اليه (٤) .

(٣) وقوله سبحانه : (والنجم اذا هوى ، ماضل صاحبكم وما غوى ، وما ينطق عن
 الهوى ، ان هو الا وحى يوحى) (٥)

أقسم الله سبحانه بالنجم عند هويه على تنزيه رسوله ، وراحمه مما نسب اليه
 أعداؤه من الضلال والفي ، وأثبت أنه لا ينطق عن هوى ولا رغبات نفسانية ، وانما

-
- (١) سورة يس : ١-٣
 (٢) انظر تفصيل القول بأن (يس) اسم للرسول صلى الله عليه وسلم والرد على من
 قال ذلك أو انها مقسم بها في البحر المحيط ٣٢٣/٧ .
 (٣) الفخر الرازي : ٤١/٢٦
 (٤) ووجب التوكيد لكونه من المرسلين هو انكار الكفار لذلك في قوله تعالى : (وقول
 الذين كفروا لست مرسلا) (الرعد ٤٣) وقد جاء تأكيد صحة رسالته عليه الصلاة
 والسلام في آيات كثيرة ، منها قوله سبحانه : (تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق
 وانك لمن المرسلين) البقرة ٢٥٢ وفهم من تأكيده هنا بان واللام أن الكفار ينكرون
 رسالته كما تقدر في فن المعاني ، قال النقاش : لم يقسم الله لأحد من أنبيائه
 بالرسالة في كتابه الا لمحمد صلى الله عليه وسلم تعظيما له وتمجيدها ثم لما كان
 القرآن من معجزات الرسول عليه الصلاة والسلام أقسم به ليكون في القسم اشارة
 تقودهم الى البرهان ، انظر فتح القدير ٣٦٠/٤ .
 (٥) النجم : ١-٤

هو تبليغ ما أرسل به لاخراج الناس من الضلالة الى الهدى (١)

(٤) وقوله سبحانه : (والضحى والليل اذا سجى ما ودعك ربك وما قلى) (٢)

كان الله تبارك وتعالى عظيم العناية برسوله صلى الله عليه وسلم مواسيا ومعلما ، ومنيا وحاسما لكل شبهة يثيرها خصم رسول الله صلى الله عليه وسلم ليزيد في ثبات رسوله واستمراره في تبليغ رسالته برضى وهمة عالية ، وفى هذه الآية توكيد ما أسلفت بالقسم واثبات الصلة الوطيدة بين الله تبارك وتعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ، وأنه لا يتركه ولا يسلمه ولا يدعه ولا يقلوه ، وإنما هو الامتحان والتربية واستشمار الخضوع الدائم لجناب الله عز وجل (٣)

(١) قد تقدمت قبل (النجم) ثلاث سور كان افتتاحها بالقسم بالاسماء وهي (الصافات) حيث أقسم فيها سبحانه لاثبات الموحداية ، (والذاريات) حيث أقسم فيها على وقوع الحشر والجزاء ، و (الطور) حيث ورد القسم فيها على وقوع العذاب ثم أقسم في هذه السورة على صدق رسالة النبي صلى الله عليه وسلم فقال : (ماضل صاحبكم وما غوى) لتكتمل الاصول الثلاثة : الموحداية والحشر والنهية أفاده الفخر الرازى : ٢٧٧/٢٨ .

(٢) سورة الضحى : ٣-١

(٣) روى البخارى بسنده عن جندب بن سفيان رضى الله عنه قال : اشتكى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يقم ليلتين أو ثلاثا ، فجاءت امرأة فقالت يا محمد اني لا أرجو أن يكون شيطانك قد تركك لم أره قريبا منذ ليلتين أو ثلاثا فأنزل الله عز وجل : والضحى والليل وما سجى ما ودعك ربك وما قلى قال ابن عباس ماتركك وما أبفضك ، صحيح البخارى كتاب التفسير سورة الضحى : ٢١٣/٦ وأيضا فضائل القرآن ٢٢٤/٦ ، وروى أن الوحي قد تأخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال المشركون ان محمدا ودعه ربه وقلاه فنزلت ، انظر تفسير ابن جرير : ٢٣١/٣٠ والكشاف : ٢٦٣/٤

"القسم على أن القرآن حق"

ومن ذلك قوله سبحانه:

(١) (حم) والكتاب المبين ، انا جعلناه قرآنا عريبا لملمكم تعقلون . وانه
في أم الكتاب لدينا لملئ حكيم (١)

أقسم بالكتاب المبين ، وهو القرآن ، وجعل قوله (انا جعلناه قرآنا عيبيا)
جوابا للقسم ، وهو من الأيمان الحسنة البديعة لتناسب القسم والمقسم
عليه وكونهما من واحد (٢)

أقسم سبحانه على أن هذا القرآن منزل من عنده فلا يجوز الشك في كونه
حقا وصدقا ، أنزله ليبين طريق الهدى من طريق الضلالة ، ويبين ما تحتاج
اليه الأمة في حياتها الدينية والدنيوية .

(٢) وقوله سبحانه : (حم) والكتاب المبين ، انا أنزلناه في ليلة مباركة انا كنا
منذرين (٣)

قوله : (انا أنزلناه) جواب القسم ، والليلة المباركة هي ليلة القدر عند
جمهور المفسرين ، فأقسم الله سبحانه بالقرآن على أنه أنزله في ليلة مباركة .
وهذا النوع من الكلام يدل على غاية تعظيم القرآن وانه لا يحتاج الى دليل
خارجي لاثبات انه كلام الله بل هو بنفسه لا يظهر دليل على كونه صدقا وحقا
ومنزلا من عند الله تعالى .

(٣) وقوله تعالى : (ص) والقرآن ذي الذكر بل الذين كفروا في عزة وشقاق (٤)

قال كثير من المفسرين - متقدميهم ومتأخريهم - ان الجواب محذوف ثم
اختلفوا في تمبيراتهم فقال بعضهم : تقديره : ان القرآن لحق ، فان

(١) الزخرف : ١-٤ (٢) الكشاف : ٣/٤٧٧

(٣) الدخان : ١-٣ (٤) سورة ص : ١-٢

في المقسم به من تعظيم القرآن وصفه بأنه ذى الذكر المتضمن لتذكير
العباد ما يحتاجون اليه وللشرف والقدر ، ما يدل على المقسم عليه وكونه
حقا من عند الله غير مفترى كما يقوله الكافرون . (١)

وقال آخرون : الجواب (انه لمجز) (٢) وقال غيرهم : (لقد جاءكم
الحق) (٣) ونحو ذلك ، وكلها تدور في فلك واحد يقتضي وصف القرآن
ببعض صفاته .

(٤) وقوله سبحانه : (فلا أقسم بمواقع النجوم) انه لقسم لو تعلمون عظيم ، انه
لقرآن كريم) (٤) .

(٥) أتم الله سبحانه في هذه الآية الكريمة بمواقع النجوم وهي منازلها وسمايرها
أو مساقطها في المغرب (٦) على ثبوت القرآن وأنه تنزله وجملة الجواب صدرت
بأن واللام في خبرها لكونها جملة اسمية ثم ذكر للمقسم عليه أربع صفات ،

(أولا) : انه (كريم) أى حسن مرضى في جنسه من الكتب أو كريم على الله ،

(ثانيا) : (في كتاب مكنون) أى صون قيل هو اللوح المحفوظ ، وقيل انه الكتاب

الذى بأيدي الملائكة ، وهو المذكور في قوله تعالى : (في صحف مكرمة ،

مرفوعة مطهرة بأيدي سفرة كرام برة) (٧) ودل على أنه الكتاب الذى بأيدي

الملائكة قوله : (لا يمسه الا المطهرون) فهذا يدل على أنه بأيديهم

يمسونه .

(ثالثا) (لا يمسه الا المطهرون) أى لا يطلع عليه الا المقومون من الملائكة المطهرون

من جميع الأنداس ، أنداس الذنوب وما سواها .

(رابعا) : (تنزيل من رب العالمين) أى منزل من رب العالمين ، أو وصف بالصدر

لأنه نزل نجوها من بين سائر كتب الله تعالى ، فكأنه في نفسه تنزيل ، ولذلك

جرى ببعض أسمائه ف قيل جاء في التنزيل كذا ، ونطق به التنزيل ، أو هو تنزيل

على حذف المبتدأ ، (٨)

-
- | | |
|------------------------------|----------------------------------|
| (١) التبيان لابن القيم : ص ٨ | (٢) الكشاف : ٣١٦/٣ |
| (٣) البحر المحييط : ٣٨٣/٧ | (٤) الواقعة : ٧٥ - ٧٧ |
| (٥) الكشاف : ٥٨/٤ | (٦) مجاز القرآن لابي عبيدة ٢٥٢/٢ |
| (٧) عيس : ١٣ - ١٦ | (٨) - الكشاف : ٥٩/٤ |

وجعل ابن القيم رحمه الله المقسم عليه في قوله سبحانه: (ق والقرآن للمجيد) *
القرآن الكريم ، فقال : وههنا قد اتحد المقسم به والمقسم عليه وهو القرآن .
فأقسم بالقرآن على ثبوته وصدقه وأنه حق من عنده ، ولذلك حذف
الجواب ولم يصرح به لما في القسم من الدلالة عليه أو لأن المقصود نفس
المقسم به كما تقدم بيانه (١) يشير إلى ما كتبه في سورة (ص) ان الجواب
يحذف تارة ولا يراه ذكره بل تعظيم المقسم به وأنه مما يحلف به ، وتارة
يحذف الجواب وهو مراد اما لكونه قد ظهر وعرف واما بدلالة الحال أو بدلالة
السياق ، وأكثر ما يكون هذا اذا كان في نفس المقسم به ما يدل على المقسم
عليه ، وهي طريقة القرآن ، فان المقصود يحصل بذكر المقسم به فيكون
حذف المقسم عليه أبلغ وأوجز (٢) ، والذي رجحته أن المقسم عليه
في الآية الكريمة هو اثبات المهاد وتقريره ، وقد ذكرتها في جملة الأقسام
على البحث وسيأتي التفصيل في الباب الثاني .

(٥) وقوله سبحانه : (فلا أقسم بما تنصرون وما لا تنصرون ، انه لقول رسول
كريم ، وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون ،
تنزيل من رب العالمين) (٣)

أقسم سبحانه وتعالى في هذه الآيات الكريمة على صدق هذا القرآن وكونه
تنزيلا من رب العالمين ، وقوله (انه لقول رسول كريم) ذكر في سورة التكويد
مثل هذا الكلام ، والاكثرون هناك على أن المراد منه جبريل عليه السلام
والاكثرون ههنا على أن المراد منه محمد صلى الله عليه وسلم ، واحتجوا على
الفرق بأن ههنا لما قال (انه لقول رسول كريم) ذكر بعده أنه ليس بقول
شاعر ولا كاهن ، والقوم ما كانوا يصفون جبريل عليه السلام بالشعر والكهانة

(١) التبيان لابن القيم : ص ٢٧٠

(٢) التبيان : ص ٨

(٣) الحاققة : ٣٨ - ٤٣

بل كانوا يصفون محمدا عليه السلام بهذين الوصفين ، وأما في سورة
(إذا الشمس كورت) لما قال : (انه لقول رسول كريم) (١) ثم قال
بعده : (وما هو بقول شيطان رجيم) (٢) كان المعنى : انه قول
ملك كريم لا قول شيطان رجيم ، فصح أن المراد من الرسول الكريم
ههنا هو محمد صلى الله عليه وسلم وفي تلك السورة هو جبريل عليه السلام ،
وعند هذا يتوجه السؤال : أن الأمة مجمعة على أن القرآن كلام الله
تعالى وحيثئذ يلزم أن يكون الكلام الواحد كلاما لله تعالى ولجبرئيل
ولمحمد عليهما السلام ، وهذا غير معقول ، والجواب : انه يكفي في صدق
الإضافة أدنى سبب ، فهو كلام الله بمعنى انه تعالى هو الذي تكلم
به وأظهره في اللوح المحفوظ ، وهو الذي رتبته ونظمه ، وهو كـالـم
جبريل عليه السلام بمعنى أنه هو الذي أنزله من السموات الى الارض ،
وهو كلام محمد عليه السلام بمعنى انه هو الذي أظهره للخلق ودعا
الناس الى الايمان به ، وجمله حجة لنهوتهم . (٣)

وقوله سبحانه : (تنزيل من رب العالمين) ورد نظير هذه الآية في سورة
الشعراء وهو قوله سبحانه : (انه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين
على قلبك لتكون من المنذرين) (٤) فهو كلام رب العالمين لأنه تكلم به ،

-
- (١) التكويم : ١٩
(٢) التكويم : ٢٥
(٣) انظر الفخر الرازي : ١١٦/٣٠ - ١١٧ وقوله سبحانه : (وما هو بقول شاعر قليلا
ما توء منون ، ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون) قرأ الجمهور (توء منون وتذكرون)
بالتاء على الخطاب الا ابن كثير وابن عامر فانهما بالياء على الضيب (انظر
النشر لابن الجزري ٣٩٠/٢ واتحاف فضلاء البشر ص ٤٢٣) فمن قرأ على الخطاب
فهو عطف على قوله (بما تبصرون وما لا تبصرون) ومن قرأ على المفاتيح سلك فيه
مسلك الالتفات ، (الفخر الرازي ١١٧/٣٠) والكشف لمكي بن أبي طالب ٢ /
٣٣٣) وقوله (تذكرون) قرأ حفص وحفصة والكسائي بتخفيف الذال والباقون
بالتشديد (اتحاف فضلاء البشر ص ٤٢٣)
(٤) الشعراء : ١٩٢ - ١٩٤ .

وهو قول جبريل لأنه نزل به ، وهو قول محمد صلى الله عليه وسلم لأنه
أنذر الخلق به ، فهذه الاضافات كلها من باب المجاز وليست على الحقيقة
لأن القرآن حقيقة هو كلام الله وحده ، فههنا أيضا لما قال فيمَا
تقدم (انه لقول رسول كريم) أتسمه بقوله (تنزيل من رب العالمين) حتى
يزول الاشكال .

(٦) وقوله تعالى : (فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس ، والليل اذا عسعس
والصبح اذا تنفس ، انه لقول رسول كريم ، ذي قوة عند ذي العرش مكين
مطاع ثم أمين وما صاحبكم بمجنون) (١)
لما ذكر الله سبحانه في مقدمة السورة ما ذكر من أهوال القيامة الجسيمة
أقسم بعدها على صدق هذا القرآن الذي نزل مخبرا ونذرا لهم منها ،
فقال سبحانه : ان الذي أخبركم به هذا القرآن من أمر الساعه على ما ذكر
في هذه السورة ليس بكهانة ولا ظن ولا افتعال ، انما هو قول جبريل أتاه
به وحيا من عند الله تعالى ، ووصف جبريل هنا بصفات ست ، فنفسى
بذلك احتمال كون هذا القرآن وحيا من شيطان ، ثم أكد ذلك بقوله :
(ان هو الا ذكر للعالمين) (٢) فهو بيان وهداية للخلق أجمعين .

(٧) وقوله تعالى : (والسماء ذات الرجوع والأرض ذات الصدع انه لقول فصل
وما هو بالهزل) (٣) ،

تمددت الأقوال في قوله تعالى : (انه لقول فصل) فقيل الضمير عائذ الى
القرآن أى القرآن فاصل بين الحق والباطل ، كما قيل له فرقان ، وقيل
معناه انه جد حق لقوله (وما هو بالهزل) أى باللمب ، والمعنى أن
القرآن نزل بالجد ولم ينزل باللمب . وقيل غير ذلك ، وسيأتي ذكره
عند الكلام عن الهمت والجزاء بصفة كونهما مقصدا عليه في القرآن الكريم .
(٤)

(١) التكويم : ١٥ - ٢٢ (٢) التكويم : ٢٢
(٣) الطارق : ١١ - ١٤ (٤) انظر ص : من هذه الرسالة .

(٤) القسم على الهمث والنشور والجزء :

لم يقسم الله على الوحدانية ولا على النبهة كثيرا ، وأكثر من القسم على الحشر وما يتعلق به ، وذلك لأن دلائل الوحدانية كثيرة . كلها عقلية كما قيل ، وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد ودلائل النبهة أيضا كثيرة وهي المعجزات المشهورة والمتواترة . وأما الحشر فإمكانه يثبت بالعقل وأما وقوعه فلا يمكن اثباته إلا بالسمع فأكثر القسم ليقطع به المكلف ومعتقد اعتقادا جازما (١) ، وقد أمر الله سبحانه نبيه عليه السلام أن يقسم به تعالى على المهاد والجزء وذلك في ثلاث آيات من القرآن الكريم فقال عز من قائل :

(١) وستنبهونك أحق هو عقل إِي وربي انه لحق وما أنتم بمعجزين (٢) ، قوله : (وستنبهونك) أي يستخبرونك فيقولون (أحق هو) أي العذاب الموعود ، وهو استفهام على حجة الإنكار والاستهزاء ، فأمر سبحانه نبيه أن يحلف بذاته المليية : (قل إِي وربي انه لحق) (٣) ، (وما أنتم بمعجزين) أي بفائتين العذاب فهو لاحق بكم لا محالة ، من أعجزه الشيء : إذا فاتته ، وصح كونه من أعجزه بمعنى وجده عاجزا ، أي ما أنتم بواجدي العذاب أو من يوقمه بكم عاجزا عن ادراكه وإيقاعه بكم (٤) (إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون) (٥) ، وإنما أمر سبحانه بالقسم لاستمالتهم وللجري على ما هو

(١) الفخر الرازي ٢٧٧/١٤ (٢) يونس : ٥٣

(٣) قد علم أن القسم إنما جيء به لتوكيد القسم عليه فتارة يزيدون فيه للمبالغة في التوكيد ، وتارة يحذفون منه للاختصار وللمعلم بالمحذوف ، فما زادوه لفظ (إِي) بمعنى (نعم) كآية المذكورة ، انظر البرهان للزركشي ٤٤/٣ وفي (الجنى الداني للمراي) : إِي بكسر الميمزة حرف بمعنى (نعم) يكون لتصديق مخر أو اعلام مستخبر أو و عد طالب ، لكنها مختصة بالقسم ، و (نعم) تكون في القسم وغيره من ٢٣٥ .

(٤) الكشاف ٢ / ٢٤١ وتفسير النسفي : ١٦٧/ ٢

(٥) سورة يس : ٨٢

المألوف في المحاوراة من تحقيق المدعى ، فان من أقسم على خير فقد كساه
حلة الجد وخلع عنه لباس الهزل ، ثم لما كانت الناس طبقات ، كان منهم من
لا يسلم الا ببرهان حقيقي ، ومنهم من لا ينتفع به وسلم الا بالأموال القناعة
نحو القسم ، كالأعرابي الذي قدم على النبي صلى الله عليه وسلم وسأله عن
رسالته ومثله وأنشده بالذي بعثه ثم اقتنع بقوله صلوات الله عليه : اللهم نعم
فقال آمنت بما جئت به ، وأنا رسول من ورأي من قومي ، وأنا ضمام بن ثعلبة ،^(١)
وهذه الآية ليس لها نظير في القرآن الا آيتان أخريان يأمر الله تعالى
رسوله أن يقسم به على من أنكر المهاد ، وذلك قوله سبحانه في سورة سبأ :

(٢) (وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة مقل بلى وومي لتأتينكم عالم الغيب
لا يحزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ولا أصفر من ذلك ولا أغمر
الافي كتاب يمين ٠) (٢)

أخبر الرسول عليه السلام باتيان الساعة وأكد باليمين بأمر الله تعالى
ردا على انكار المنكرين لها ، قال الزمخشري : فان قلت : الناس قد أنكروا
اتيان الساعة وجحدوه ، فهب أنه حلف لهم بأغلظ الأيمان وأقسم عليهم جهدا
القسم ، فيمين من هو في معتقدتهم مفتر على الله كذبا ، كيف تكون مصححة
لما أنكروه ؟ :

قلت : هذا لو اقتصر على اليمين ولم يتبعها الحجة القاطعة والهيئة الساطعة
وهي قوله : (ليجزي الذين آمنوا) الآية ^(٣) فقد وضع الله في المقول وركب
في الفرائض وجوب الجزاء ، وأن المحسن لا بد له من ثواب والمسي لا بد لسه
من عقاب ، وقوله (ليجزي) متصل بقوله (لتأتينكم) تعليلا له ، ^(٤)

(١) الحديث رواه البخاري في صحيحه في أوائل كتاب العلم ، باب ماجاء في العلم
وقوله تعالى : (قل رب زدني علما) (١ / ٢٤ - ٢٥) وانظر أيضا محاسن التأويل

٣٣٦٠ - ٣٣٥٩ / ٩ (٢) سبأ : ٣

(٤) الكشاف : ٣ / ٢٧٩

(٣) سبأ : ٤

وقد نقل الفخر الرازي كلام النوخسري : بأنه لم يقتصر على اليمين بل ذكر
الدليل وهو قوله (ليجزي الذين آمنوا) الآية (١) ثم استطرد عليه قائلا :
والذي أقوله إنما هو أن الدليل المذكور في قوله : (عالم الغيب لا يعزب عنه
مثقال ذرة) الآية أظهر ، وذلك لأنه إذا كان عالما بجميع الأشياء يعلم أجزاء
الأحياء ويقدر على جمعها ، فالساعة ممكنة القيام وقد أخبر عنها الصادق فتكون
واقعة . (٢)

والآية الثالثة في سورة التخابين : وهي قوله سبحانه :

(٣) (زعم الذين كفروا أن لن يمضوا ، قل بلى ووي لتبمثن ثم لتبهوثن
بما علمتم وذلك على الله يسير) (٣)

قوله : (ووي لتبمثن) توكيد الاخبار باليمين حيث أقسم بالرب على الهمث
الذي هو الاحياء بعد الموت ، قال الفخر الرازي : يحتمل أن يكسبون
تعليما للرسول صلى الله عليه وسلم ، أى يعلمه بالقسم تأكيدا لما كان يخبر
عن الهمث وكذلك جميع القسم في القرآن (٤)

وقال النسفي (٥) : فان قلت ما معنى اليمين على شيء ، أنكروه ، قلت هو
جائز ، لأن التهديد به أعظم موقعا في القلب ، فكانه قيل لهم ما تنكرونه
كائن لا محالة (٦) ولا يخفى أن وقع الشيء المؤكد على النفس أقوى مما ليس
بمؤكد عند جميع العقلاء .

- (١) ويان كونه دليلا هو أن المسي قد يبقى في الدنيا مدة مديدة في اللذات
الماجلة ويموت عليها ، والمحسن قد يدوم في دار الدنيا في الآلام الشديدة
مدة ويموت فيها ، فلولا دار تكون الأجزاء فيها لكان الأمر على خلاف الحكمة .
- (٢) الفخر الرازي ٢٤١/٢٥ - ٢٤٢ (٣) التخابين : ٧
- (٣) الزعم هو ادعاء العلم ، وتعدى الي مفعولين تمدى العلم ، أى ان الكفار
ادعوا انهم لا يمضون ، وقوله : (أن لن يمضوا) : (أن) منع ما في حيزه
قائم مقام المفعولين وتقديره : أنهم لن يمضوا ، (قل بلى) هو إثبات للما بعد
(لن) وهو الهمث . انظر الكشاف : ١١٤/٤
- (٤) تفسير الفخر الرازي : ٢٣/٣٠
- (٥) هو عهد الله بن احمد بن محمود النسفي أبو البركات حافظ الدين نقيه حنفي
مفسر صاحب مدارك التنزيل في تفسير القرآن وكنز الذائق في الفقه ، توفي سنة
عشرة وسبعمائة . الاعلام ٦٧/٤ . (٦) تفسير النسفي : ٢٦٢/٤ .

وقوله (وذلك على الله يسير) أى البعث و صوره أمر مسلم ، لأن الاعادة

أهون من البدء ، كما قال تعالى عن الكفار : (وضرب لنا مثلا ونسى خلقه) فقال من يحيى العظام وهي رميم ، قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم
الى قوله : انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون ، فسبحان الذى بيده ملكوت كل شيء ، واليه ترجعون (١) وقال تعالى (ما خلقكم ولا بميثمكم الا كفيس واحدة) (٢) وقال : (وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه) (٣)
الآية ، فان قيل : كيف يفيد القسم في اخباره عليه السلام عن البعث وهم قد أنكروا رسالته عليه السلام ، أجاب عنه الفخر الرازى بقوله : انهم وان أنكروا الرسالة لكنهم يعتقدون أنه يعتقد به اعتقادا لا مزيد عليه ، فيعلمون انه لا يقدم على القسم برسه الا وأن يكون صدق هذا الاخبار أظهر من الشمس عنده وفي اعتقاده ، والفائدة في الاخبار مع القسم ليس الا هذا ، ثم انه أكد الخبر باللام والنون فكأنه قسم بمد قسم (٤) .

(٤) وقوله سبحانه : (فوريك لئسا لنهم أجمعين عما كانوا يعملون) (٥) يحتمل أن يكون راجعا الى المقتسمين الذين جعلوا القرآن حزين ، لأن عود الضمير الى الأقرب أولى ، ويكون التقدير انه تعالى أقسم بنفسه أن يسأل هؤلاء المقتسمين عما كانوا يقولونه من اقسام القرآن الى سحر وشعر ، وأساطير وعن سائر المعاصي .
ويحتمل أن يكون راجعا الى جميع المكلفين لأن ذكرهم قد تقدم في قوله : (قل انى أنا النذير المبين) (٦) أى لجميع الخلق ، وقد تقدم ذكر

(٢) لقمان : ٢٨

(١) يس : ٧٨ - ٨٣

(٤) تفسير الفخر الرازى : ٢٣ / ٣٠ - ٢٤

(٣) الروم : ٢٧

(٦) الحجر : ٨٩

(٥) الحجر : ٩٢ - ٩٣

المؤمنين وذكر الكافرين ، فيحود قوله : (فوريك لتسألهم أجمعين) على الكل ، ولا معنى لقول من يقول ان السؤال انما يكون عن الكفر أو عن الايمان ، بل السؤال واقع عنهما وعن جميع الاعمال لأن اللفظ عام فتناول الكل . (١)
وتصدر جواب القسم في الآيتين باللام والنون لأن الجواب مضارع مثبت ،
(٥) وقوله سبحانه : (وجعلون لما لا يعلمون نصيبا مما رزقناهم تالله لتسألن عما كنتم تفترون) (٢) ، قيل الضمير في (لما لا يعلمون) يعود الى المشركين ، ومعنى لا يعلمونها أنهم يسمونها آلهة ومعتقدون فيها أنها تضر وتنفع وتشفع عند الله ، وليس كذلك ، وحقيقتها انها جماد لا يضر ولا ينفع ، فهم اذا جاهلون بها ، وقيل الضمير في (لا يعلمون) للآلهة ، أى لا شيء غير موصوفة بالمسلم ولا تشعرا جعلوا لها نصيبا في انعامهم ووزرهم أم لا ، وكانوا يجعلون لهم ذلك تقريبا اليهم .

قوله (تالله لتسألن) قسم منه سبحانه بنفسه أنه يسألهم وهذا تهديد منه شديد لأن المراد إنه يسألهم سؤال توبيخ وتهديد (٣) (عما كنتم تفترون) من الافك في زعمكم انها آلهة وانها أهل للتقرب اليها ، (٤) صدر جواب القسم باللام والنون لأنه مضارع مثبت .

(١) الكشاف : ٣٩٩/٢ والفخر الرازي : ٢١٨/١٩

والبحر المحيط : ٤٦٩/٥ والبيان : ١٣٠/٢

(٢) النحل : ٥٦ ونظير هذه الآية في سورة الانعام : ١٣٦

(٣) وفي وقت هذا السؤال الى احتمالان : الأول : انه يقع ذلك السؤال عند القرب من الموت وسماينة ملائكة العذاب ، وقيل عند عذاب القبر ،

والثاني : انه يقع ذلك في الآخرة ، وهذا أولى لأنه تعالى قد أخبر بما يجرى هناك من ضروب التوبيخ عند المسألة فهو الى الوجود أقرب ،

(٤) (٣) انظر الكشاف : ٤١٤/٢ والفخر الرازي : ٥٤/٢٠ والبحر : ٥٠٣/٥

وتفسير التنفسي : ٢٨٩/٢

(٦) وقوله سبحانه : (فوريك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا) (١) . أكد سبحانه وتعالى خسر الحشر باليمين وأقسم بذاته المقدسة أنه لا بد أن يحشرهم جميعا ، (لنحشرنهم) أى الكفار المنكرين للبعث والواو في (والشياطين) يجوز أن تكون للمطفأ ومعنى (مع) وهي بمعنى (مع) أو مع ، والمعنى : أنهم يحشرون مع قرنائهم من الشياطين الذين أغروهم يقرون كل كافر مع شيطان في سلسلة ، كما قال سبحانه : (ترى المجرمين يومئذ مقرنين في الاصفاد) (٢) وهي القيود ، أى مقرنين بعضهم الى بعض قد جمع بين النظراء أو الاشكال منهم كل ضنف الى صنف ، كما قال تعالى : (احشروا الذين ظلموا وأزواجهم) الآية (٣) وقال : (وإذا النفوس زوجت) (٤) قال (وإذا القوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثورا) (٥)

قال الزمخشري : فان قلت : هذا اذا أريد بالانسان الكفرة خاصة ، فان

أريد الأناسي على الصمم فكيف يستقيم حشرهم مع الشياطين ؟ قلت : اذا حشر جميع الناس حشرا واحدا وفيهم الكفرة مقرنين بالشياطين فقد حشروا مع الشياطين كما حشر الكفرة (٦) ، وقوله : (ثم لنحضرنهم) عطف على جواب القسم ، وهذا الاحضار يكون قبل ادخالهم جهنم ، ثم انه تعالى يحضرهم على أدل صورة لقوله (جثيا) وهو جمع (جاث) من (جثا) اذا قعد على ركبته لأن الهارك على ركبته صورته صورة الدليل أو العاجز وذلك لهول المواقف وتصدر جواب القسم باللام والنون لأن الجواب مضارع مثبت ومن القسم على البعث قوله سبحانه :

(١) مريم : ٦٨ (٢) ابراهيم ٤٩
 (٣) الصافات : ٢٢ (٤) التكويد ٧
 (٥) الفرقان : ١٣ وانظر تفسير ابن كثير : ٥٤٤/٢ ، و ١٣١/٣ .
 (٦) الكصاف : ٥١٦/٢ . (٧) ونظير هذه الآية قوله سبحانه (ترى كل امة جائية) الجاثية : ٢٨ ، وانظر ايضا الفخر الرازي ٢٤٢/٢١ - ٢٤٣ وصحاح التاويل للقاسمي ١٤١/١١ وتفسير النسفي : ٤١/٣ - ٤٢

(٧) ق والقرآن المجيد ، بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب (١)

قال الزمخشري : الكلام في (ق والقرآن المجيد) نحوه في (ص والقرآن ذي الذكر) سواء بسواء ، لالتقاءهما في أسلوب واحد ، وقوله (بل عجبوا) انكار لتعجبهم مما أنذربه محمد صلى الله عليه وسلم من البعث مع علمهم بقدرة الله تعالى على خلق السموات والارض وما بينهما وعلى اختراع كل شيء ، وابداعه ، واقرارهم بالنشأة الاولى ، ومع شهادة العقل بأنه لا يد من الجزاء ، بل ان تعجبهم من البعث أدخل في الاستبعاد وأحق بالانكار (٢) ، فجملة (بل عجبوا) ليس بجواب القسم ، بل مقصدا تشنيع قولهم وانكارهم البعث ، وجملة التشنع وما تأتي بعد القسم وجواب القسم يفهم ولا يذكر كما ههنا وكما في سورة البرج قوله سبحانه :
(قتل أصحاب الاخدود) (٣)

وهو اختيار الفراء ، أي أن جواب القسم محذوف دل عليه قوله : (إذا متنا) قال : وقوله (إذا متنا وكنا ترابا) كلام لم يظهر قبله ما يكون هذا جوابا له ، ولكن معناه مضمرة ، انما كان - والله اعلم - (ق ، والقرآن المجيد) لتبطن بمسند الموت (٤) .

(٨) وقوله سبحانه : (والذاريات ذروا ، فالحاملات وقوا ، فالجاريات يسرا ، فالمقسمات أمرا ، انما توعدون لصادق وان الدين لواقع) (٥)
(توعدون) من الوعد ، أي ما وعدكم الله على لسان رسله وأقام عليه دلائل بيينة ، وقد كثر في القرآن أن الجزاء يوم القيامة والبعث انما يكون حسب

(١) سورة ق : ٢-١
(٢) الكشاف : ٤-٣
(٣) البرج : ٤
(٤) معاني القرآن للفراء : ٣/٧٥
(٥) الذاريات : ٦-١

الاعمال الحسنة أو السيئة ، وكل ذلك وعد من الله تعالى ، كما قال تعالى :
(اليه مرجعكم جميعا ، وعد الله حقا ، انه يبدؤا الخلق ثم يعيده ليجزى
الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط ، والذين كفروا لهم شراب من حميم
وعذاب أليم بما كانوا يكفرون) (١) وقوله : (وأتسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث
الله من يموت بئلى وعدا عليه حقا) الآية (٢) ، وقوله : (كما بدأنا أول خلق
نعيده ، وعدا علينا انا كنا فاعلين) (٣) وقوله : (ليعلموا أن وعد الله
حق وأن الساعة لا ريب فيها) الآية (٤) ، وهذا كثير في القرآن الكريم .
قوله : (وإن الدين لواقع) أى الدينونه والجزء ، وذلك داخل فى
(ماتعدون) ، فالعطف من قبيل الخاص على العام أو الجزء على الكل
وذلك يكون لبيان الاعتناء بالمعطوف ، وهو ظاهرههنا ، فان الدين أى الجزء
هو المقصود من البحث بمد الموت ، كما صرح بذلك فى كثير من المواضع فى
القرآن (٥) .
٩) وقوله سبحانه (والسما ذات الحك ، انكم لفى قول مختلف ، يؤمك عنه
من أفك) (٦) ،
كرد الله سبحانه القسم على وقوع الدينونة ، وقوله (انكم لفى قول مختلف)
أى فى أمر وقوع الدين ، كما قال تعالى : (عم يتساءلون عن النبأ العظيم ، الذى
هم فيه مختلفون ، كلا سيعلمون) (٧) وموقع الجملة تشنيع قولهم وليسست
بجواب القسم ، فانه قد سبق بعد القسم السابق فأغنى عن ذكره .

(١) النحل : ٣٨

(١) يونس : ٤

(٤) الكهف : ٢١

(٣) الأزياء : ١٠٤

(٥) انظر تفسير نظام القرآن للفراهي سورة الذاريات (مخطوط)

(٧) النبأ : ١-٥

(٦) الذاريات : ٢-٩

(١٠) وقوله سبحانه : (فوب السماء والأرض ، انه لحق مثل ما أنكم تنطقون)^(١)
يرى بعض المفسرين أن الضمير في (انه) يرجع الى القرآن ولا أرى هذا
لأن سياق الكلام في ذكر البعث والجزاء ، والمقسم عليه ههنا هو المقسم عليه
في أول السورة ، وهو قوله تعالى : (انما توعدون الصادق وان الدين لواقع)^(٢)
وقد مر أيضا ذكر (ماتوعدون) آنفا فاكفى ههنا بالضمير ، كأنه قيل : فوب
السماء والأرض ان بعثكم وجزاءكم حق لا ريب فيه ، فأقسم سبحانه برسوبيته
على صدق البعث والجزاء .

قال القراهي : ” هذا القسم يتضمن الدليل على المعاد ، وذلك ظاهر
ما ذكر من آيات الأرض والسماء ، ثم اشهد برسبهما ، ولولا ذلك لما جاء
بفاء التحقيق ، فهذه الجملة في غاية الاتصال بما قبلها ثم في كلمة السرب
اشارة الى أصل الاستدلال وهو أن كل آية في الأرض والسماء والنفس انما هي
آيات على الرسوبية ، ودلائل المعاد كلها مبنية عليها ،^(٣) وقرأ الكوفيون
غير حفص (مثل) بالرفع وغيرهم بالنصب^(٤) وجواب القسم في الآية جملة
اسمية مصدرية بـ ان واللام .

(١١) وقوله سبحانه : (والطور وكتاب مسطور في رق منشور ، والبيت المعمور
والسقف المرفوع والبحر المسجور ان عذاب ربك لواقع ماله من دافع)^(٥)
أقسم الله سبحانه بالأشياء المذكورة في الآية على وقوع المعاد والجزاء

(١) الذاريات : ٢٣
(٢) الذاريات : ٥-٦
(٣) تفسير نظام القرآن للقراهي ، سورة الذاريات (مخطوط) (٤) انظر القراهي في
الاتحاف ص ٣٩٩ والحجة في القراءات لابن خالوية ص ٣٣٢ وتوجيهها في الكشف
لمكي بن أبي طالب ٢٨٧/٢ - ٢٨٨ وتفسير النسفي ١٨٥/٤ والامالي
الشجرية ٢٦٤/٢-٢٦٧ .
(٥) الطور : ١-٧

وقوله : (ان عذاب ربك لواقع) هو المقسم عليه ، أى لواقع بالكافرين ، (ماله من دافع) أى ليس له دافع يدفعه عنهم اذا أراد الله بهم ذلك ، والجملة صفة (لواقع) أى لواقع غير مدفوع (١) .

(١٢) وقوله سبحانه : (فلا أقسم برب المشارق والمغرب انا لقادرون على أن نهدن خيرا منهم وما نحن بمسبوقين) (٢) ، كان المشركون ينكرون البعث والجزاء كما يدل عليه السباق ، فأقسم الله تبارك وتعالى بربوبيته على قدرته على إعادة الخلائق ، لأن من خلقهم أول مرة قادر على اعادتهم مرة أخرى ولم يعجزه شيء ، وقوله (انا لقادرون) جواب القسم مصدر بيان وفي خبرها اللام لأنه جملة اسمية .

(وما نحن بمسبوقين) : قيل الواو عاطفة ، فهذه الجملة مصطوفة على جملة الجواب ، فهي من جملة المقسم عليه ، (٣)

(١٣) وقوله سبحانه : (كلا والقمر ، والليل اذا أدبره والصبح اذا أسفر انها لاحدى الكبر ، نذيرا للبشر) (٤)

قوله : (انها لاحدى الكبر) هو جواب القسم ، قيل : (انها) اشارة الى هذه السورة أى سورة المدثر ، لأنها من احدى المنذرات الكبر التي نزلت يتهمول شديد ، وانذار مبين من عذاب الله عز وجل وترى آثار الردع والزجر بادية عليها من أولها الى آخرها (٥) ، أو (انها) اشارة الى آيات الانذار عامة في القرآن الكريم كقوله تعالى : (كلا انها تذكرة فمن شاء ذكره) (١) الآيات .

- (١) تفسير ابن كثير ٢٣٦/٤ وتفسير النسفي : ١٨٩/٤
(٢) المطاوع : ٤٠ - ٤١ (٣) أنظر الكشاف : ١٦٠/٤
والبيان لابن الانباري ٤٦٢/٢ والفتوحات ٤٠٨/٤ .
(٤) المدثر : ٣٢ - ٣٦
(٥) اقرأ ان شئت قول الله تعالى : (ذرني ومن خلقت وحيدا) الى قوله كأنهم حمر مستنقرة فرت من قسورة) المدثر ١١ - ٥١
(٦) سورة عيس : ١١ - ١٧ ومثله في سورة الدهر : (ان هذه تذكرة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا) ٢٩ .

وقيل : (انها لاحدى الكبر) يعنى أن لا سقر) التى جرى ذكرها لاحدى الكبر
قال صاحب الكشاف : الكبر جمع الكبرى ، جعلت ألف التانيث كفاء التانيث
فكما جمعت فعلة على فعل جمعت فعلى عليها ، أى لاحدى البلايا أو الدواهي
الكبر ، ومعنى كونها احداهن انها من بينهما واحدة في المعظم لا نظيرة لها
كما تقول هو أحد الرجال وهي احدى النساء . (١)

(١٤) ومن القسم على البعث قوله سبحانه : (لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس
اللوامة ، أَيْ حسب الانسان أن لن نجوع عظامه بلى قادرين على أن نسوى بنانه)
ذهب جمهور المفسرين الى أن جواب القسم في الآية محذوف على تقدير
(لتبعثن) ودل عليه قوله تعالى : (أَيْ حسب الانسان أن لن نجوع عظامه)
(٣)

وقال الحسن (٤) : وقع القسم على قوله : (بلى قادرين) (٥) ، والاول
أولى ، وقد أقسم الله سبحانه على وقوع البعث بيوم القيامة فهذا القسم
من اشهاد الشيء بنفسه على نفسه لشدة الظهور .

(١٥) وقوله سبحانه : (والمرسلات عرفا ، فالماصات عصفا ، والناشرات نشرا
فالغارات فرقا ، فالمليقات ذكرا ، غذرا أو نذرا ، انما توعدون لواقع) (٦)

قوله : (انما توعدون لواقع) جواب القسم ، تصدريان واللام لأنته
جملة اسمية ، وقوله (انما توعدون) يعم كلما وعدوا من مجيء القيامة والبعث
والفصل والجزاء كما صرح به في النظائر ، وكل ذلك أمر واحد ، فذكرها
هنا مجملا .

(١٦) وقوله سبحانه : (والنازعات عرفا ، والناصطات نشطا والسابحات سبحا

(١) الكشاف : ١٨٦/٤ والفخر الرازى ٢٠٩/٣٠ ومعاني الفراء : ٢٠٥/٣ ،
وانظر البيان لابن الانبارى ٤٧٤/٢ - ٤٧٥ وقد ذكر لنصب (نذيرا)
خمسة أوجه ، (٢) القيامة : ٤-١

(٣) الكشاف : ١٩٠/٤ والبحر المحيط ٣٨٤/٨ والفتوحات ٤٤٥/٤ .

(٤) هو الحسن بن يسار البصرى أبو سعيد ، تابعى ، كان امام أهل البصرة ،
وجهر الأمة في زمنه (٢١ - ١١٠) الاعلام : ٢٢٦/٢ .

(٥) تفسير الفخر الرازى : ٢١٧/٣٠ (٦) المرسلات : ١-٧

فالسابقات سبقا فالمدبرات أمرا ، يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة (١) فيه قولان :

(الاول) قيل : جواب القسم محذوف تقديره : لتبعثن أو لتحاسبن بدليل ما بعده من ذكر النفختين وأحوال البعث . قال القراء : وسأل السائل أين جواب القسم في النازعات ؟ فهو مما ترك جوابه لمعرفة السامعين المعنى ، وكأنه لو ظهر كان (لتبعثن ولتحاسبن) ويدل على ذلك قولهم (إذا كنا عظاما نخرة) (٢)
وإليه جنح العزيز عند السلام والزمخشري ، قال العزيز بن عبد السلام ان الجواب

محذوف ، تقديره : لتبعثن يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة بدليل إردافه (أى إرداف القسم) بذكر الراجفة والرادفة والردف الحافرة (٣) وقدرة الزمخشري (لتبعثن) لدلالة ما بعده عليه من ذكر القيامة ، و (يوم ترجف) منصوب بهذا المضم (٤) ، وقال الاخفش والزجاج : تقديره : لننفخن في الصور نفختين ، ودل على هذا المحذوف ذكر الراجفة والرادفة وهما النفختان ، وقال الكسائي الجواب المضمر هو أن القيامة واقعة وذلك لأنه سبحانه وتعالى قال : (والذاريات ذروا) ثم قال : (انما توعدون لصادق) وقال تعالى : (والمرسلات عرفا) ثم قال : (انما توعدون لواقع) فذلك ههنا ، فان القرآن كالسورة الواحدة (٥)
والقول الثاني : أن الجواب مذكور وعلى هذا القول احتمالات :

(الاول) المقسم عليه هو قوله : (قلوب يومئذ واجفة ، أبصارها خاشعة) (٦)
والتقدير : والنازعات عرفا ان يوم ترجف الراجفة تحصل قلوب واجفة وأبصارها

خاشعة .

(١) النازعات : ٧-١
(٢) معاني القرآن للقراء : ٢٣١/٣
(٣) الإشارة الى الإيجاز في بعض أنواع المجاز لعزالدين بن عبد السلام ص ٢٣
(٤) الكشاف : ٢١٢/٤
(٥) الفخر الرازي : ٣٤/٣١
(٦) النازعات : ٨-٩ .

(والثاني) جواب القسم هو قوله : (ان في ذلك لمبرة لمن يخشى) (١)
(والثالث) : هو (يوم ترجف الراجفة) والتقدير ليوم ترجف ، وحذفت اللام
ولم تدخل نون التوكيد على (ترجف) للفصل بين اللام والفعل ، وقد ذكر
هذه التقديرات الثلاث الأُخفش في كتابه (معاني القرآن) (٢) ، وزاد عليه
الفخر الرازي احتمالا رابعا وهو أن يكون الجواب (هل أذاك حديث موسى)
فان (هل) هنا بمعنى (قد) كما في قوله (هل أذاك حديث الغاشية) أي قد
أذاك ، (٤)

وقال ابن القيم : انه من القسم الذي أريد به التنبيه على الدلالة والمعبرة
بالمقسم به دون أن يراد به مقما عليه بعينه ، قال رحمه الله : وجواب
القسم محذوف يدل عليه السياق ، وهو البحث المستلزم لصدق الرسول وثبوت
القرآن ، أو انه من القسم الذي أريد به التنبيه على الدلالة والمعبرة بالمقسم
به دون أن يراد به مقما عليه بعينه ، وهذا القسم يتضمن الجواب المقسم
عليه وان لم يذكر لفظا ، ولعل هذا مراد من قال انه محذوف للملم بسـه
لكن هذا الوجه اللطيف مسلكا فان المقسم به اذا كان دالا على المقسم عليه
مستلزما استغنى عن ذكره بذكره ، وهذا غير كونه محذوفا لدلالة ما بعده
عليه فتأمله (٥) .

والذي أرجحه هو أن الجواب غير مذكور ، وأن السياق يدل عليه ، لأن
قوله سبحانه (يوم ترجف) لا يصلح لتلقى القسم الا على تقديرات لاداعي لها ،
وكذلك الجمل التي بعدها لوقوع الفصل بين المقسم به والمقسم عليه ، فالذي
يظهر - والله اعلم - أن الجواب مقدر ، تقديره : (انما توعدون لواقع) حملا على

-
- (١) النازعات : ٢٦
(٢) معاني القرآن للأخفش : ٥٢٦/٢
(٣) النازعات : ١٥
(٤) تفسير الفخر الرازي : ٣٤/٣١
(٥) التبيان لابن القيم : ص ٨٧

الجواب المذكور في نظير هذه السورة كالذاريات والمرسلات ، وخير ما يفسر
به القرآن القرآن .

(١٧) وقوله سبحانه : (فلا أقسم بالشفق والليل وما وسق) والقمر اذا اتسق ،
لتركبن طبقا عن طبق) (١)

أقسم سبحانه على أئكم (والخطاب لبني آدم) لتركبن أحوالا بعد أحوال
هي طبقات في الشدة بعضها أشد من بعض وهي الموت وما بعده من أهوال القيامة
(٢)
(١٨) وقوله سبحانه : (والسماء ذات البروج ، واليوم الموعود وشاهد ومشهود
قتل أصحاب الاخدود) (٣)

(٤)
اختلفوا في جواب القسم على وجوه : (احدها) : قيل هو محسذوف
(وثانيها) : ما ذكره الأخفش أن جواب القسم (قتل أصحاب الاخدود) حذف
اللام كما حذف في (قد أفلح من زكاه) لطول الكلام ، قال وان شئت على
التقديم كأنه قال : قتل أصحاب الاخدود والسماء ذات البروج (٥) ونسب
ذلك الى أبي حاتم (٦) وظلّه أبو جعفر النحاس وذكر على عدم جوازه اجماع
النحويين ، قال : وأصل هذا في العربية أن القسم اذا ابتدئ به لم يجز
أن يلفى ولا ينوى به التأخير ، واذا توسط أو تأخر جاز أن يلفى (٧)
(وثالثها) : ما ذكره الزجاج أن الجواب (ان يحطش ريك لشديد) (٨) وكذا
يراه البرد قال في كتابه (المقتضب) : وأعلم أن القسم قد يؤكّد بما يصدق الخير
قبل ذكر المقسم عليه ، ثم يذكر ما يقع عليه القسم ، فمن ذلك قوله عز وجل :

-
- (١) الانشاق : ١٦ - ١٩ (٢) الطبق ما طبق غيره يقال ما هذا بطبق لذا : أى
لا يطابقه ، وقيل للحال المطابقة لتغيرها طبق ، ومنه قوله تعالى : (طبقا عن طبق)
أى حالا بعد حال كل واحدة مطابقة لا تختص في الشدة والسهول ، ويجوز أن
يكون جمع طبقة وهي المرية من قولهم هو على طبقات ، انظر الكشاف ٢٣٦/٤
والامالي الشجرية ٢٧٠ و ٣٤٢ والفخر الرازي ١١٠/٣١
(٣) البروج : ٤ - ١ (٤) اعراب القرآن للنحاس : ٦٦٦/٣
(٥) معاني القرآن للأخفش ٥٣٥/٢
(٦) هو محمد بن ادريس بن المنذر بن داود بن مهران الحنظلي أبو حاتم ، حافظ
للحديث من أقران البخاري ومسلم ولد سنة خمس وتسعين ومائة وتوفي سنة سبع
وسبعين ومائتين (تذكرة الحفاظ ٥٦٢ - ٥٦٩ والاعلام : ٢٧/٦)
(٧) اعراب القرآن للنحاس ٦٦٦/٣ (٨) البروج ١٢ ، وانظر الفخر الرازي ١١٢/٣١

(والسما ذات البروج ٠٠٠ الى قوله مشهود) ثم ذكر قصة أصحاب الاخدود وتوكيدا

وانما وقع القسم على قوله : (ان بطش ربك لشديد) (١)

(ورايها) : أن جواب القسم قوله : (ان الذين فتنوا المؤمن والمؤمنات)

الآية (٢) وما اعترض بينهما معطوف وتوطئة للقسم ، وصوه أبو جسر النحاس (٣)

والذين قالوا بحذف جواب القسم اختلفوا في تقديره فقال بعضهم تقديره

(لتبعثن) (٤) أو أن الامر حق في الجزاء على الاعمال (٥) وقال الزمخشري

جواب القسم يدل عليه قوله سبحانه : (قتل أصحاب الاخدود) كأنه قيل : أقسم

بهذه الاشياء أنهم ملمونون يعني كفار قريش كما لمن أصحاب الاخدود ،

وذلك أن السورة وردت في تثبيت المؤمن وتصبيرهم على اذى أهـل

مكة وتذكيرهم بما جرى على من تقدمهم من التعذيب على الايمان والحق أنواع

الاذى صبرهم وثباتهم حتى يأنعوا بهم وصبروا على ما كانوا يلقون من

قوصهم وعلما أن كفارهم عند الله بمنزلة أولئك المعذبين المحرقين بالنار

ملمسونون أحقا بأن يقال فيهم قتلت قريش كما قيل : (قتل أصحاب الاخدود) (٦)

ويرى الفراء أن الجواب ترك وأستأنف في موضعه الخبر ، قال : يقسال

في التفسير : ان جواب القسم في قوله (قتل) كما كان جواب (والشمس وضحاها)

في قوله (قد أفلس) (٧) هذا في التفسير ، ولم نجد العرب تدع القسم

بغير (لام) يستقبل بها أو (لا) أو (ان) أو (ما) ، فان يكن كذلك

فكأنه ما ترك فيه الجواب ، ثم استأنف موضع الجواب بالخبر (٨) ،

(١) المقتضب للبهرد : ٣٣٧/٢ (٢) البرج : ١٠

(٣) اعراب القرآن للنحاس : ٦٦٦/٣ (٤) البحر ٤٤٩/٨ - ٤٥٠

(٥) الفتوحات : ٥١٢/٢ - ٥١٣ (٦) الكشاف : ٣٣٧/٤

(٧) الشمس : ١ - ٩ (٨) معاني القرآن للفراء : ٢٥٣/٣

والراجع عندي أن الجواب محذوف ، وموقع جملة (قتل أصحاب الاخدود)
زجر وتثنيح وليست جواب القسم ، وجملة التشنيح ربما تأتي بعد القسم وجواب
القسم يفهم ولا يذكر كما تقدم ، فكان تقدير الجواب لتبمثن أيها الكفار
ثم لتعاقبن على أعمالكم ، والله اعلم .

(١٩) وقوله سبحانه : (والسما والطارق وما أدراك ما الطارق ان كل نفس لما
عليها حافظ) (١) ،

المقسم عليه هو قوله سبحانه : (ان كل نفس لما عليها حافظ) يراقبها ويعد
عليها اعمالها ، والحافظ هو المهيمن الرقيب وهو الله عز وجل كما في التنويل
(وكان الله على كل شيء رقيبا) (٢) (وكان الله على كل شيء مقبلا) (٣)
أو الملائكة ، كما قال الله عز وجل : (ورسول عليكم حفظة) (٤) وقال :
(عن اليمين وعن الشمال قعيد ، بما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد) (٥)
وقال : (وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يحملون ما تعملون) (٦) وقال :
(له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله) (٧) ،

وفيه وعيد للكفار وتسلية للنبي صلى الله عليه وسلم ، كقوله عز وجل :
(فلا تمجل عليهم انما نعد لهم عدا) (٨) ثم ينصرفون عن قريب
الى الآخرة فيجازون بما يستحقونه من الثواب والمقاب ، وفي قوله (لما)
قراءتان : فقراء ابن كثير وأبو عمرو ، ونافع والكمائي بتخفيف اليم ، وقراء

(١) الطارق : ٤-١	(٢) الاحزاب : ٥٢
(٣) النساء : ٨٥	(٤) الانعام : ٦١
(٥) ق : ١٧-١٨	(٦) الانفطار : ١٠-١٢
(٧) الرعد : ١١	(٨) مريم : ٨٤

عاصم وحمزة وابن عامر بتشديد الميم (١) ، وقيل الجواب : (انه على رجمه لقادر) وما بينهما اعتراض (٢) ولا داعي لذلك ، مادام يصح أن يكون قوله (ان كل نفس) الآية جوابا للقسم معنى واعرابا .
(٢٠) وقوله سبحانه : (والسماء ذات الرجوع والارض ذات الصدع انه لقول فصل وما هو بالهزل) (٣) ، (انه لقول فصل) هو جواب القسم ، وفي عائد الضمير قولان :

(الاول) ما قال القفال (٤) وهو أن المعنى ما أخبرتكم به من قدرتي على احيائكم في اليوم الذي تبلى فيه سرائركم قول فصل وحق (٥) فالقسم على البعث والجزاء .
(والثاني) ان الضمير عائد الى القرآن ، وقد سبق ذكره (٦)
(٢١) وقوله سبحانه : (والفجر وليال عشر والشفع والوتر والليل اذا يسر ، هل في ذلك قسم لذي حجر) (٧)

اختلفوا في جواب القسم ، فقيل انه (هل في ذلك قسم لذي حجر) وقدر (هل) بمعنى (ان) ونسب لمقاتل ، وقلطه أبو حيان قال : وقول مقاتل

(١) فمن خفف كانت (ان) عنده المخففة من الثقيلة ، واللام في (لما) هي التي تدخل مع هذه المخففة لتخلصها من (ان) النافية ، و (ما) صلة كالتى في قوله تعالى (فيما رحمة من الله) آل عمران ١٥٩ والتقدير ان كل نفس لمصليها حافظ ، وأما من ثقل فتكون (ان) عنده النافية و (لما) بمعنى (الا) للتحقيق والتقدير : ما كل نفس الا عليها حافظ وأيتها كانت فهي مما يتلقى به القسم ، انظر النشر لابن الجزرى : ٢٩١/٢ ، واتحاف فضلاء البشر ص ٤٣٦ والكشف لمكي بن أبي طالب : ٥٣٦/١ - ٥٣٨ و ٢١٥/٢ وحجة القراءات لابن خالوية ص ٣٦٨ وحجة القراءات لابن زنجلة : ٧٥٨ والفخر الرازى : ١٢٨/٣١ والكشاف : ٢٤١/٤ والبحر المحيط ٤٥٤/٨ والامالى الشجرية ٢٤٣/٢ .

(٢) البحر ٤٥٣/٨ - ٤٥٤ والفتوحات ٥١٧/٤ .

(٣) الطارق : ١١ - ١٤ .

(٤) هو محمد بن علي بن اسماعيل الشاشي ، القفال ، أبو بكر من أكبر علماء عصره بالثقفة والحديث واللغة والأدب (٢٩١ - ٣٦٥ هـ) .

(٥) الفخر الرازى : ١٣٣/٣١ .

(٦) انظر (القسم على أن القرآن حق) ص ١٦٣ من هذه الرسالة . (٧) الفجر ١ - ٥ .

(هل) هنا في موضع تقديره : (ان في ذلك قسما. لذي حجر) (فهل)
على هذا في موضع جواب القسم قول لم يصدر عن تأمل ، لأن المقسم عليه
على تقدير أن يكون التركيب : " ان في ذلك قسما لذي حجر " لم يذكر
فيبقى بلا مقسم عليه ، لأن الذي قدره لا يصح أن يكون مقسما عليه (١) ،
واستبعده ابن هشام في المبنى ، لأن (هل) لا تكون بمنزلة (ان) في
إفادة التوكيد والتحقيق (٢) .

وقيل ان الجواب (ان ريك لبالمرصاد) (٣)

قال ابن القيم : وهذا ضعيف لوجهين ، (احدهما) طول الكلام والفصل بين
القسم وجوابه ، بجمل كثيرة ، (والثاني) قوله (ان ريك لبالمرصاد)
ذكر لتقرير عقوبة الله الأمام المذكورة ، وهي عاد وشمود وفرعون ، فذكر عقوبتهم
ثم قال مقرا ومحذرا (ان ريك لبالمرصاد) فلا نرى تعلقه بذلك القسم (٤) ،
وقيل ان المقسم عليه محذوف ، قدره الزمخشري (ليعذبن) يدل عليه قوله :
(ألم تر ٠٠٠ الى قوله نصب عليهم ريك سوط عذاب) (٥) ،

قال الفخر الرازي : وهذا أولى من الوجه الأول (يقصد ان ريك لبالمرصاد)
لأنه لما لم يتمين المقسم عليه ذهب الهمم كل مذهب ، فكان أدخل في التخوف
فلما جاء بعده بيان عذاب الكافرين دل على أن المقسم عليه أولا هو ذلك (٦) ،
واختار أبو حيان أن يكون تقديره : (لا يابهم الينا وحسابهم علينا) ، يدل عليه
ما قبله من آخر سورة الفاشية وهو قوله سبحانه : (ان الينا اياهم ثم ان علينا
حسابهم) (٧) ، وتقدير الزمخشري أولى لوجود ما يدل عليه في نفس السورة ، والله

اعلم .

-
- (١) البحر المحيط : ٤٦٩/٨ (٢) مثنى اللبيب ٣٥٣/٢
والجنى الداني في حروف المعاني ص ٣٤٥
(٣) الفجر : ١٤ (٤) التبيان لابن القيم : ١٨-١٩
(٥) الكشاف : ٢٥٠/٤ (٦) تفسير الفخر الرازي : ١٦٦/٣١
(٧) البحر المحيط : ٤٦٨/٨

(٢٢) وقوله سبحانه : (لا أقسم بهذا البلد وأنت حل بهذا البلد ووالد وما ولد
لقد خلقنا الانسان في كبد ، أحيب أن لن يقدر عليه أحد) (١)
أقسم سبحانه وتعالى بالبلد الحرام وما بعده على أن الانسان خلق مضمورا
في مكابدة المشاق والشدائد ، يكابد أمر الدنيا وأمر الآخرة لا ينفك من
المشاق ما لم يقتحم العقبة ويستقر به القرار (٢) وهو قسم على البعث والمجازاة
كما يدل على ذلك قوله سبحانه : (أحيب أن لن يقدر عليه احد) أي باطل
ما يحسب الانسان أن هذه الدنيا هي آخرته وأنه لا يبعث ولا حساب بمثل
لا بد للانسان من البعث والقيامة وجزائه حسب أعماله ، فهذا ما يليق برحمة
الله سبحانه .

(٢٣) وقوله سبحانه : (والشمس وضحاها ، والقمر اذا تالاها والنهار اذا جلاها
والليل اذا يغشاها والسماء وما بناها والأرض وما طحاها ونفس وما سواها
فألهمها فجورها وتقواها فقد أفلح من زكاهما وقد خاب من دساها) (٣)

قيل جواب القسم (قد أفلح من زكاهما) ولما طال الكلام حسن حذف اللام
من الجواب ، قاله الزجاج (٤) والبهرد (٥) والاخفش (٦) والمكبري (٧) وابن القيم
وسيوييه (٩) وابن خالوية (١٠) وابن الشجري (١١) ، وقال ابن الانباري جوابه
مخذوف في أحد المجهين (١٢) وكذا قال الزمخشري هو مخذوف تقديسه :

-
- (١) سورة البلد : ١-٥ (٢) اعراب القرآن للنحاس : ٣/٧٠٤-٧٠٥
ومفردات الراغب ص ٤٣٧ والتبيان لابن القيم ٢٢-٢٣ والكشاف : ٤/٢٥٥ .
(٣) الشمس : ١-١٠ (٤) تفسير الفخر الرازي ٣١/١٩٠
ومسائل الرازي وأجوبتها من غرائب آي التنزيل ص ٣٧٤ والبحر ٨/٤٨١ .
(٥) المقتضب : ٢/٣٣٧ (٦) معاني القرآن للأخفش : ٢/٥٣٩ .
(٧) الحكبري ٢/٢٨٨ (٨) التبيان لابن القيم : ص ١٣
(٩) الكتاب لسيوييه تحقيق عهد السلام هارون ٣/١٥١
(١٠) اعراب ثلاثين سورة ص ١٠٠ (١١) الامالي الشجرية : ١/٣٦٩
(١٢) البيان لابن الانباري : ٢/٥١٦

ليد مد من الله عليهم أى على أهل مكة لتكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما دمدم على ثمود لأنهم كذبوا صالحا ، وأما (قد أفلح من زكاهها) فكلام تابع لقوله (فآلهمها فجورها وتقواها) على سبيل الاستطراد وليس من جواب القسم في شيء (١) ،

ومع تقديرى لكلام الزمخشري يصح أن يكون جواب القسم قوله تعالى : (قد

أفلح من زكاهها) ، ويكون كلام الزمخشري واقعا على بعض الجواب ، لأن الله سبحانه أقسم بما أقسم في هذه السورة على وقوع البعث والجزاء ، وفلاح المؤمنين وخيبة الكافرين من لوازم هذا الجزاء . ونتائجه ، وفي البحر : قيل تقدير الجواب : لتبعثن (٢) ، وهو ما اخترناه .

(٢٤) وقوله سبحانه : (والليل اذا ينفسي والنهار اذا تجلى بها خلق الذكر والانشى ان سميكم لمتى) (٣) ،

قوله (ان سميكم لمتى) هو جواب القسم ، أى ان اعمال العباد مختلفة الصمى فتكون مختلفة في الجزاء أيضا ، وان العاقبة المحمودة أو المذمومة تكون حسب الاعمال ، ثم بين ذلك في قوله (فأما من أعطى . . . الى قوله فسنبصره للمعسر) (٤) .

(٢٥) وقوله سبحانه : (والتين والزيتون ، وطور سينين وهذا البلد الأمين ، لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم) (٥) ،

المقسم عليه في السورة هو خلق الانسان في أحسن تقويم وانما خلق في أحسن تقويم ليكون أهلا للتكليف الذى يترتب عليه الجزاء ، واستشهد سبحانه على ذلك بأربع شهادات مشيرة الى وقائع الدينونة والجزاء في الدنيا وذلك أن الله سبحانه لما

(٢) البحر المحيط : ٤٨١/٨

(٤) الليل : ٥-١٠

(١) الكشاف : ٢٥٩/٤

(٣) الليل : ٤-١

(٥) التين : ٤-١

خلق الانسان في أحسن تقويم كان المراد منه خلقه مناسباً لأحسن غاية
فلم يترك سدى ، كما قال سبحانه : (يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم الذي
خلقك فسواك فعدلك ، في أى صورة ما شاء ربك ، كلا بل تكذبون بالدين) (١)
فاستشهد بأعماله على كونه دياناً فكذلك ههنا ان الله سبحانه لما خلق هذا
الانسان في أحسن تقويم مناسباً لغاية سامية فلا يد أن يدينهم بالقسط
بجائزهم على أعمالهم .

(٢٦) وقوله سبحانه : (والمصران الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا
الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) (٢) ،

أقسم الله سبحانه على خسارة الانسان بهذا الزمان الذي هو رأس مضاعته
وهو أسرع شيء زوالاً مع أن الانسان معتمد عليه وغافل عن انتهائها عمره ولقاء الله
وجزاء أعماله ، كما قال سبحانه في سورة الكهف : (قل هل ننبئكم بالأخسرين
أعمالاً ، الذين ضل سبيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا ،
أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقاءه فصحت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة
وزناً ، ذلك جزاؤهم بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزوا) (٤) ،
فتبين مما ذكرنا ان خسران الانسان مبنى على كون الجزاء حقاً وكون الانسان
تحت قدرة ربه مسئولاً عما فعل في مدة عمره فيما آتاه ربه من نعمة ، فكان
اثبات الجزاء أول الأمر ههنا (لأنه لوما كان هناك جزاء لم يتصور الفلاح
أو الخسران) فلذلك جعل السورة دالة على لزوم الجزاء ثم على الخسارة العظمى
بإضاعة النعمة الكبرى من الله تعالى ، وهى هذه الأيام التى لا عوض لها .
(٥)

(١) الانفطار : ٦-٩ (٢) المصر : ١-٣
(٣) أى انهم يدأبون للتكاثر والتنافس وحميمونه حزوا وغلا وسفهومون من يعمل للآخرة .
(٤) الكهف : ١٠٣ - ١٠٦
(٥) انظر تفصيل ذلك في نظام القرآن للفراهي : سورة المصر (مخطوط)

(٥) المقسم على حال الانسان :

في قوله سبحانه : (والمعاديات ضيحا ، فالموريات قدحما ، فالمفريات
صيحا ، فأثرن به نقما فوسطن به جمعا ، ان الانسان لربه لكتود ، وانه
على ذلك لشهيد ، وانه لحب الخير لشديد) . (١)
المقسم عليه في السورة هو حال الانسان ، وهو كتودا بشهادته على
نفسه وكونه بخيلا لجه المال ، فذكر سبحانه تحت المقسم عليه ثلاثة أمور :
(أحدها) قوله : (ان الانسان لربه لكتود) كند كتودا أي كفر النعممة
فهو كتود ، والارض الكتود التي لا تنبت شيئا كذا قاله الجوهري (٢) والنهخشري
والراغب الاصفهاني (٣) وأصل اللفظ منع الحق والخير قاله الواحدى (٤)
(والثاني) قوله : (وانه على ذلك لشهيد) أي وان الانسان على كتوده لشهيد
يشهد على نفسه ولا يقدر أن يجحد لظهور أمره أو انه يشهد على نفسه بذلك
في الآخرة ومحترف بذنوبه ، وقيل : وان الله على كتوده لشاهد على سبيل
الوعد ، والأول أولى ، لأن الضمير في قوله بعمده (وانه لحب الخير لشديد)
عائد الى الانسان فالأولى أن يكون الضمير في الآية التي قبلها عائدا الى
الانسان ليكون النظم أحسن .

الثالث) ثم قال تعالى : (وانه لحب الخير لشديد) والخير هنا المال باتفاق
المفسرين ، لأن الناس يعدون المال فيما بينهم خيرا ، والشديد : البخل
الممسك من أجل حب المال ، فحب المال هو الذي حمله البخل ، وهذا قول
أكثر المفسرين (٥) ، ثم لفت أنظار هذا الانسان الى مشهد البعث ، ايذانا

(١) المعاديات : ٨-١ (٢) هو اسماعيل بن حماد الجوهري صاحب

الصاحح الامام أبو نصر الفارابي . مات سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة . بغية
الوطة ١ / ٤٤٦ والاعلام ١ / ٣١٣ .

(٣) هو الحسين بن محمد بن المفضل أبو القاسم الاصفهاني المعروف بالراغب توفي

سنة اثنتين وخمسمائة . الاعلام ٢ / ٢٥٥ ، وانظر الصاحح للجوهري ٢ / ٥٣٢
والكشاف ٤ / ٢٧٨ ومفردات الراغب : ص ٤٦٠ .

(٤) الفخر الرازي ٢٧ / ٣٢ (٥) الكشف : ٤ / ٢٧٨ والفخر الرازي ٢٧ / ٣٢

والتهيان لابن القيم : ص ٥١ .

بالجزاء وأن الله سبحانه يجازيهم في ذلك اليوم بما يعلمه منهم ، فقال (أفلا يعلم) عمر بصيغة المضارع لتصور الحال والاشارة الى أنه مما لا يجوز أن يجهل لأهميته في عاقبة الانسان ، (اذا بعثر ما في القبور وحصل ما في الصدور ان يريهم بهم يومئذ لخبير) (١) فالمقصود هو انذار الناس بالبعث والنشور وما يحصل في ذلك اليوم من الجزاء على الاعمال ، ونظرا لهذا المعنى كون هذه الأقسام لاثبات البعث والنشور أرجح من كونها بيانا لأحوال الانسان والله اعلم .

(٦) اقسام الله تعالى على عدم ايمان الخلق حتى يحكموا الرسول فيما شجر بينهم :

ورد ذلك في قوله سبحانه : (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) (٢)

سبب نزول هذه الآية :

روى البخارى بسنده عن الزهري (٣) عن عروة (٤) قال : خاصم الزبير (٥) رجلا في شراج الحرة (٦) فقال النبي صلى الله عليه وسلم : اسق يا زبير ثم أرسل الماء الى جارك ، فقال الانصارى : يا رسول الله ! أن كان ابن عمك؟ فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : اسق يا زبير ، ثم احسن الماء حتى يرجع الى الجدر ، ثم أرسل الماء الى جارك ، واستوعسى النبي صلى الله عليه وسلم للزبير حقه في صريح الحكم حين أحفظه الانصارى ،

- (١) العاديات : ٩-١١ (٢) النساء : ٦٥
- (٣) هو أبو بكر محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب بن عبد الله ابن الحارث الزهري من بني زهرة بن كلاب من قرش ولد سنة خمسين وتوفي سنة أربع وخمسين ومائة ، (تذكرة الحفاظ ١٠٨ - ١١٣) .
- (٤) هو عروة بن الزبير بن العوام الأسيدي القرشي أبو عبد الله احد الفقهاء السبعة بالمدينة ، ولد في خلافة عثمان وقيل في آخر خلافة عمر مات سنة أربع وتسعين . (تذكرة الحفاظ ٦٢ - ٦٣ والاعلام : ٢٢٦/٤) .
- (٥) هو الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب القرشي الأسيدي أبو عبد الله حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمته وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، قتل يوم الجمل سنة ست وثلاثين وله ستا وسبع وستون سنة ، (الاصابة : ت ٢٧٨٩)
- (٦) الشرح بالتسكين : مسيل ماء من الحرة الى السهل والجمع شراج وشرح انظر الصحاح : ٣٢٤/١

وكان أشار عليهما بأمر لهما فيه سعة ، قال الزبير : فما أحسب هذه الآية
الا نزلت في ذلك ، (فلا وريك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم) (١)
يقسم الله تعالى بنفسه الكريمة المقدسة انه لا يؤمن أحد حتى يحكم
الرسول صلى الله عليه وسلم في جميع الأمور فما حكم به فهو الحق ، الذي يجب
الانقياد له باطنا وظاهرا والتسليم له تسليما كلياً من غير مانعة ولا ممانعة
ولا مفازعة ، وهذا في حياته عليه السلام ، وأما بعد وفاته فتحكيم الكتاب والسنة
كما ورد في الحديث : (والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه
تبعاً لما جئت به) (٢)

قال الشوكاني (٣) : وفي هذا الوعيد الشديد ما تقشعر له الجلود وترجف
له الأفتدة ، فانه أولاً أقسم سبحانه بنفسه مؤكداً لهذا القسم بحرف النفي بأنهم
لا يؤمنون ، فنفي عنهم الايمان الذي هو رأس مال صالحى عماد الله حتى تحصل
لهم غاية هي تحكيم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم لم يكف سبحانه بذلك

-
- (١) أخرجه البخارى في صحيحه في كتاب التفسير سورة النساء باب فلا وريك
لا يؤمنون الخ وفي كتاب المساقاة باب شرب الأعلى الى الكعبين ، وباب
شرب الأعلى قبل الأسفل ، وفي كتاب الصلح باب اذا اشار الامام بالصلح
فأبى حكم عليه بالحكم البين وانظر تفسير ابن كثير ٥٢٠/١ .
- (٢) تفسير ابن كثير ٥٢٠/١ ، والحديث أخرجه الحكيم الترمذى في نوادر الاصول
وأبو نصر السجسى في الإبانة ، وقال : حسن غريب وأخرجه الخطيب في تاريخ
بغداد ، انظر الجامع الكبير للسيوطي ٩١٨/١ ، وقال النووي في الأريسين
النووية (رقم ٤١) : حديث حسن صحيح ، رواه في كتاب الحجج باسناد صحيح
وقال السيد احمد الفمارى أخرجه الخطيب في ٣٦٥/٤ ولم أجده في هذا
الموضع وما يشابهه فلعله في غيره ، الا أن الحافظ ابن رجب قد أهله نفسى
جامع العلوم والحكم بحمد بن سلمة وغيره ص ٣٦٤ فما بعدها ،
- (٣) هو محمد بن على بن محمد بن عبد الله الشوكاني ، فقيه مجتهد من كبار
علماء اليمن ، ١١٧٣ - ١٢٥٠ هـ (البدر الطالع ٢/٢١٤ - ٢٢٥ ،
والاعلام : ٢٩٨/٦) .

حتى قال (ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت) فضم الى التحكيم أمرا آخر ، هو عدم وجود حرج : أى حرج في صدورهم ، فلا يكون مجرد التحكيم والاذعان كافيا حتى يكون من صميم القلب عن رضا واطمئنان وانثلاج قلب وطيب نفس ، ثم لم يكتف بهذا كله ، بل ضم اليه قوله (وسلموا) أى يذعنوا وينقادوا ظاهرا واطمئنا ، ثم لم يكتف بذلك بل ضم اليه الصدر الموكود فقال (تسليما) فلا يثبت الايمان لمبد حتى يقع منه هذا التحكيم ولا يجسد الحرج في صدره بما قضى عليه وسلم لحكم الله شرعه تسليما لا يخالطة رد ولا تشويه مخالفة (١) .

وعند هذا يعلم أن الرب تبارك وتعالى أقسم على انتفاء ايمان أكثر الخلق ، وعند الامتحان تعلم هل هذه الأمور الثلاثة موجودة في قلبك أكثر من يدعي الاسلام أم لا ؟

* * *

(١) فتح القدير : ٤٨٣/١ - ٤٨٤ وانظر أيضا تفسير الطبري : ١٠٠/٥ -
١٠١ وابن كثير : ٥٢٠/١ والكشاف : ٥٣٨/١ - ٥٣٩ والفخر
الرازي : ١٦٩/١٠ - ١٧٠ والتبيان لابن القيم ص ٢٧٤ .

الفصل الثالث

أنواع القسم

وشتمل على مهثين :

البحث الاول : القسم الصريح الظاهر :

وهو ما يعلم بمجرد نطقك به كونك مقسما ، (١) وله أربع حالات :

أ - ذكر الفعل وفاعله - مستترا أو ظاهرا - وحرف القسم والمقسم به ، نحو قوله سبحانه : (وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم آية ليؤمنن بها) (٢)

ب - حذف الفعل وفاعله وإبقاء حرف القسم والمقسم به نحو قوله سبحانه : (تالله انك لفي ضلالك القديم) (٣) وقوله سبحانه : (والسما ذات الحيك ، انكم لفي قول مختلف) (٤) ويكون حذف الفعل جواراً مع حرف الباء ووجوهاً مع حرفي الواو والتاء .

ج - حذف الفعل والفاعل وحرف القسم وإبقاء المقسم به ، والعرب في استعمال هذا على ضربين ، منهم من ينصب المقسم به على اسقاط حرف الجر ومنهم من يجز المقسم به لإبقاء عمل حرف الجر مع حذفه ، مثال ذلك قوله تعالى : (ص) منصها أو مجرورا بإضمار حرف القسم في قول بعض المنصرين (٥) .

د - حذف المقسم به مع حذف حرف القسم وإبقاء الفعل والفاعل ، نحو قوله سبحانه : (يوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة) (٦)

(١) المساعد على تسهيل الفوائد لابن عقيل : ٣٠٢/٢ صبح الاعشى للقلقشندى

٠ ٢٠٥/١٣

(٢) يوسف : ٩٥

(٣) التحيل : ٣٨

(٤) الكشاف : ٣٥٨/٣ والعكبري ٢٠٨/٢

(٥) الذاريات : ٨-٧

(٦) الروم : ٥٥

القسم الصريح على ضوئين

(الأول) : قسم الاخبار : وهو ما قصد به تأكيد جوابه صأتي على نحوين :
اما على جملة خبرية وهو الخالب كقوله تعالى : (فورب السماء والارض انه لحق
مثل ما أنكم تنطقون) (١)

واما على جملة طلبية ، كقوله تعالى : (فوريك لنساءنهم أجمعين عما كانوا
يحملون) (٢) مع أن هذا القسم قد يراد به تحقيق المقسم عليه فيكون من باب
الخبر ، وقد يراد به تحقيق المقسم (٣) فيكون من باب الانشاء ،

و (الثاني) قسم السؤال : وسمى قسم الطلب أيضا ، وهو ما كان جوابه متضمنا
طلبا من أمر أو استفهام (٤) نحو قول ابن هرمة : (٥)

بالله ربك ان دخلت فقل له هذا ابن هرمة واقفا بالباب (٦)

ونحو قول الشاعر : (٧)

(٨)

بدينك هل ضمنت اليك ليلى قبيل الصبح أوقبت فاهـ

(٩)

ومن العلماء من يرى أن مثل هذا الاسلوب لا يسمى قسما بل استعطافا

لأن القسم لا يجاب الا بجملة خبرية ، وهذا يجاب بالطلب ثم ان القسم
يتعلق به الحنث أو الهم ، ولا يتحقق ذلك الا فيما يدخله الصدق والكذب ،

وفريق آخر من العلماء يرى أن ذلك يسمى قسما (١٠)

(١) الذاريات ٢٣ (٢) الحجر : ٩٢-٩٣

(٣) الاتقان للسيوطي : ٤٩/٤

(٤) الاساليب الانتقائية في النحو العربي لمبد السلام هارون ص ١٦٢

(٥) هو ابراهيم بن هرمة ، قال الاصمعي انه من ساقه الشعراء ، الشعراء

والشعراء : ٣٨٨ . (٦) المفصل للزمخشري ص ٣٤٢

(٧) البيت للمجنون وهو قيس بن الملوخ بن مزاحم المامري شاعر غزل من أهل نجد

سمى مجنونا لهيامه في حب ليلى بنت سعد ، مات سنة ثمان وستين ،

الاعلام ٢٠٨/٥

(٨) الخزانة ٢١٠/٤ والاغاني ٢٤/٢ شرح شواهد المعنى للسيوطي ٩١٣/٢

(٩) ومن هؤلاء ابن عصفور وابن يميث والعلماء المفارئة انظر المقرب لابن عصفور

٢٠٧/١ ، شرح ابن يميث ١٠١/٩ والمساعد على تسهيل الفوائد لابن عجيل :

٣٠٣/٢ (١٠) ومن هؤلاء ابن جنى وابن مالك والرضي ، انظر الخزانة

٢١٠/٤-٢١١ والتسهيل لابن مالك ص ١٥٠ وشرح الكافية للرضي ٣٣٨/٢

والمساعد لابن عجيل : ٣٠٣/٢ .

قال ابن جنى : القسم جملة انشائية يؤكد بها جملة أخرى ، فان كانت خبرية فهو القسم لخبر الاستعطاف وان كانت طلبية فهو الاستعطاف (١) ، ولم يذكر في القرآن منه شيء الا قول الله تعالى : (قال رب بما أنعمت على فلن اكون ظهيرا للمجرمين) (٢) على أحد التأولين (٣) وقد مر فيما مضى من الباحث ذكر القسم الصريح اجمالا وتفصيلا أما الآن فنبدأ بالكلام عن النوع الثاني من القسم وهو القسم المضمّر .

(الببحث الثاني) القسم المضمّر :

وهو ما لم يذكر معه القسم صريحا ، وانما دل عليه مضمون الكلام ، وذلك أن الصرب لكثرة القسم في كلامهم أكثروا التصرف فيه ، وتوخوا ضروبا من التخفيف فمن ذلك انهم قد حذفوا جملة القسم كلها للعلم به والاستغناء عنه فلا يبقى الا المحلوف عليه وهو جواب القسم .

قال ابن عصفور : وأما القسم فلا يجوز حذفه الا اذا كان في الكلام ما يدل عليه وذلك في موضحين : مع اللام ومع اِنَّ ، لا تُهما لا يكونان الا على نية القسم ، وذلك قولك : ليقوم زيد ، ولقد قام زيد ، وان زيدا لقائم ، جميع ذلك على نية قسم محذوف ، وما عدا ذلك لا يجوز حذف القسم منه لا أنه ليس عليه دليل (٤)

والقسم المضمّر نوعان :

(الاول) ما دل عليه اللام : وهو على ثلاثة أضرب :

أ - ما دل عليه اللام الموطئة للقسم ، وهي الداخلة على (ان) الشرطية غالبها والقسم محذوف ، نحو قوله سبحانه : (لئن لم تنته لأرحمك) (٥)

(١) الخزانة : ٢١٠/٤ (٢) القصص : ١٧
(٣) الكشف : ١٦٩/٣ المكبرى : ١٧٧/٢
(٤) شرح جمل الزجاجي لابن عصفور الاشبيلي ٥٣٠/١ وانظر أيضا شرح ابن يمش
(٥) مريم ٤٦ . والجنى الداني للمرا دى ص ١٣٦

وقد تدخل على (من) كقوله تعالى : (لمن تبعك منهم لا ملأن جهنم منكم أجمعين) (١) ، و (ما) الشرطيتين ، كقوله تعالى : (واذ أخذ اللص ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما محكم لتؤمنن به ولتنصرنه ، قال ءأقررتم وأخذتم على ذلکم اصرى ، قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين) (٢)

والجواب في الآيات المذكورة مبنى على غير الشرط ، لأنه لو كان للشرط لوقع مجزوماً ، فلما وقع على الصفة التي كان يقع بها إذا سبقه قسم جعل اليمين مبنياً ومبنى الجواب عليه .

وتسمى هذه اللام " الموطئة " لأنها وطأت الجواب للقسم ، وتسمى أيضا الموقنة لإيدانها أن الجواب بعدها للقسم لا للشرط ، كما تسمى الشرطية للزمها حرف الشرط (٣) ،

ومن النحاة من يقتصر على تسميتها بالموطئة أو الموقنة إذ لم يصرح بالقسم معها ، أما إذا صرح بالقسم فلا يحتاج إلى دليل يدل على أن الكلام مبنى على القسم وجعلها زائدة للتأكيد ، ومن ورودها بعد القسم الظاهر قوله تعالى : (وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها) (٤)

وإذا كان القسم محذوفاً لزمنا غالباً كما تقدم ، وقد يجاء مع نية القسم بـ (إن) مستغنية عن اللام كقوله تعالى : (وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم) (٥) وكقوله تعالى : (وما ظلمنا أنفسنا وإن لم تنفروا بنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) (٦) .

-
- (١) الاعراف : ١٨ وانظر المبكري ١/١٥١ .
(٢) آل عمران : ٨١ وانظر الكتاب لسبويه تحقيق عبد السلام هارون ٣/١٠٧-
١٠٨ والبيان لابن الأنباري ١/٢٠٩ والبحر ٢/٥١٠-٥١٢ والجنى الداني ص ١٣٧ .
(٣) معاني الحروف للرباعي ص ٥٤ ومفنى اللبيب لابن هشام ١/٢٣٥ والجنى الداني للمرادى وابن يعيش ٩/٢٢ وشرح الكافية للرضي ٢/٣٩٤ وكتاب اللامات للزجاجي ص ١٥٩ .
(٤) الانعام : ١٠٩ - (٥) المائدة : ٢٣ .
(٦) الاعراف : ٢٣ وانظر الجنى الداني في حروف المعاني للمرادى ص ١٣٦ .

- قال سيويه رحمه الله : * ولا بد من هذه اللام مظهرة أو مضمرة لأنها لليمين ^(١) *
* (ب) ما دلت عليه اللام المقترنة بـ (قد) كقوله عز وجل : (لقد أنزلنا اليك كتابا فيه ذكركم) ^(٢) قال الشيخ عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام تقديره : والله لقد أنزلنا اليك كتابا فيه ذكركم ، ومنها قوله : (ولقد علمنا المستقدمين منكم) ^(٣) تقديره : والله لقد علمنا المستقدمين منكم ، ومنها قوله : (ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل) ^(٤) تقديره : والله لقد كانوا عاهدوا الله من قبل ^(٥) ، واختلف العلماء في الفعل الماضي المقرون بـ (لقد) هل اللام فيه جواب لقسم مقدراً للتأكيد فقط .
فيرى ابن مالك أن كل فعل وقع بعد (لقد) جواب قسم ، قال الدماميني :
* وستفتنى كثيرا بالجواب عن القسم فيترك ولا يتلفظ به ، وذلك بوقوعه بعد (لقد) أو بعد (لئن) أو مصاحبا للام مفتوحة ونون التوكيد * ^(٦)
وفي همع الهوامع : وقيل - وعليه ابن مالك - ان وقع بعد (لقد) نحو :
(ولقد صدقكم الله وعده) ^(٧)

(١) كتاب سيويه تحقيق عبد السلام هارون : ٦٦/٣ وانظر أيضا شرح الكافية الشافية تأليف العلامة جمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك الجبائسي :

٨٩٥/٢ - ٨٩٦ .

(٢) الانبياء : ١٠

(٣) الحجر : ٢٤

(٤) الأحزاب : ١٥

(٥) كتاب الاشارة الى الايجاز في بعض أنواع المجاز لعز الدين بن عبد السلام ص ٢٢ .

(٦) تسهيل الفوائد لابن مالك ص ١٥٣ وتعليق الفوائد على تسهيل الفوائد لبدر الدين محمد بن أبي بكر بن عمر المخزومي الدماميني (ت ٨٢٧ هـ) ورقة ٣٠٣ (مخطوط) .

(٧) همع الهوامع للسيوطي : ٢٥٦/٤ ، والاية من آل عمران : ١٥٢

وقال الرياني (١) : وإذا دخلت لام القسم على الفعل الماضي كانت معها
 (قد) تكون اللام جوابا للقسم ، كقولك : والله لقد قام زيد ، ومنه قوله تعالى :
 (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) (٢) فأثبت بتمثيله أن اللام في (لقد)
 جواب القسم ، وقال الحسن بن قاسم المرادي (٣) : ولا تدخل لام الابتداء على
 الماضي المتصرف ، فان وجد نحو : (لقام زيد) فهو جواب قسم ، واللام فيه لام الجواب
 وليست لام الابتداء ، وأما المقرون بـ (قد) نحو لقد قام زيد ، فالذي ذكره المعريون
 أنها لام جواب القسم (٤) ،

وقال ابن هشام : حذف جملة القسم كثير جدا ، وهو لانم مع غير الهاء
 من حروف القسم وحيث قيل : (لا أفعلن) نحو : (لا أعذبته عذابا شديدا) (٥)
 أو (لقد فعل) نحو : (ولقد صدقكم الله وعده) (٦) أو (لئن فعل) نحو :
 (لئن أخرجوا لا يخرجون معهم الآية) (٧) ولم يتقدم جملة قسم ثم جملة قسم مقدرة ،
 (٨)

-
- (١) هو علي بن عيسى بن علي بن عبد الله أبو الحسن الرياني ، باحث معتزلي مفسر
 من كبار النحاة ، ولد سنة ست وتسعين ومائتين وتوفي سنة أربع وثمانين وثلاثمائة .
 وفيات الأعيان ٢٩٩/٣ وخفية الوعاة : ١٨٠/٢ - ١٨١ والأعلام : ٣١٧/٤
- (٢) انظر كتاب معاني الحروف للرياني ص ٥٤ والآية من سورة الاحزاب : ٢١
- (٣) هو الحسن بن قاسم بن عبد الله بن علي المرادي المصري ، أبو محمد ، بدر الدين
 المعروف بابن أم قاسم ، النحوي اللغوي الفقيه ، توفي سنة تسع وأربعين وسبعمائة
 بخفية الوعاة ٥١٧/١ والأعلام : ٢١١/٢
- (٤) الجنى الداني في حروف المعاني للمرادي ص ١٢٥
- (٥) النمل : ٢١
- (٦) آل عمران : ١٥٢
- (٧) الحشر : ١٢
- (٨) معنى اللبيب لابن هشام : ٦٤٥/٢ ، أيضا : ٤٥١/٢

وقال الزركسي : وما يحذفونه فعل القسم وحرف الجر ، ويكون الجواب مذكورا كقوله تعالى : (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) (١) أي (والله) (٢)

وجعل أبو حيان اللام من (لقد) محتملة أن تكون لام جواب القسم

ولام التوكيد في قوله تعالى : (ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت) الآية (٣)

قال : اللام في (لقد) هي لام التوكيد وتسمى لام الابتداء في نحو (لنزد قائم) ومن

أحكامها أن ما في حوزها لا يتقدم عليها إلا إذا دخلت على خبر (ان) وحتم

أن تكون جوابا لقسم محذوف (٤) ، وجعل أبو حيان (اللام) للتوكيد في قوله تعالى

(لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء) (٥) في البحر : وجاءت

الجملة مؤكدة باللام مؤذنة بعلمه بمقالتهم ومؤكدة له (٦)

وقوله : (لمن تدعون من دونه الها لقد قلنا اذن شظا) (٧) في البحر :

(اللام) في (لقد) لام التوكيد (٨) وقوله : (وعضوا على ربك صفا لقد

جئتمونا كما خلقناكم أول مرة) (٩) (لقد جئتمونا) معمول لقول محذوف أي وقلنا ، (١٠)

كما قال عنها انها لام جواب القسم في مواضع أخرى ، فمثلا في قوله تعالى :

(لقد أرسلنا نوحا الى قومه) الآية (١١) قال : (والسلام جواب قسم محذوف ،

أكد تعالى هذا الاخبار بالقسم (١٢) وقال في قوله سبحانه : (لقد استكبروا

في أنفسهم) الآية (١٣) واللام في (لقد) جواب قسم محذوف (١٤) ،

أما الزرخري فقد جعل اللام للقسم . (١٥)

(١) الاحزاب : ٢١ (٢) البرهان في علم القرآن للزركسي ٤٤/٣

(٣) البقرة : ٦٥ (٤) البحر المحيط : ٢٤٥/١

(٥) آل عمران : ١٨١ (٦) البحر : ١٣٠/٣

(٧) الكهف : ١٤ (٨) البحر : ١٠٦/٦

(٩) الكهف : ٤٨ (١٠) البحر : ١٣٤/٦

(١١) الاعراف : ٥٩ (١٢) البحر المحيط ٣٢٠/٤

(١٣) الفرقان : ٢١ (١٤) البحر المحيط : ٤٩١/٦

(١٥) دراسات لاسلوب القرآن الكريم للشيخ عبد الخالق عزيمة ٣٢٢/٣ - ٣٢٤ .

والذى ذكرت من جمل هذه اللام جوابا لقسم مقدر هو مذهب الكوفيين ،
وقد خالفهم في ذلك بعض النحويين مثل ابن فارس والرضي فقالوا : ان هذه
اللام وجهها التأكيد وتثبيت الشيء ، ورفضوا أن تكون جوابا لقسم مقدر ، (١)
« (ج) ما دلت عليه اللام المقترنة بالفعل المضارع المتصل بنون التوكيد ، كقوله
تعالى : (ولهلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا أخباركم) (٢) ،
واللام في (لهلونكم) واقعة في جواب قسم مقدر ، وقوله سبحانه : (والذين
آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين) (٣) ،

قال سيهويه رحمه الله : وسألته (٤) عن قوله : لتفعلن اذا جاءت مبتدأة ليس
قبلها ما يحلف به ، فقال : انما جاءت على نية اليمين وان لم يتكلم بالمحلف به ،
وقال : ومثل ذلك (لمن تحمك منهم لا ملأن جهنم) الآية (٦) انما دخلت
اللام على نية اليمين (٧) ، وقال رضي : وستفنى كثيرا عن القسم بجوابه
ان أكد بالنون نحو لا ضومك (٨) ، وقال الزجاجي : وكقوله تعالى :
(لتهلون في أموالكم) (٩) اللام في هذا كله للقسم وليس قبله قسم ظاهر الا في
النية ، وانما حكمنا عليها بذلك لان القسم لو ظهر لم يجز أن يقع الفعل المستقبل
محققا الا باللام والنون ، (١٠)

-
- (١) كتاب اللامات لابن فارس ١٥ وشرح الكافية للرضي ٣٣٨/٢ - ٣٣٩ .
(٢) سورة محمد ٣١ (٣) المنكوت ٩ وانظر كتاب الاشارة الى
الايجاز لمز الدين بن عبد السلام ص ٢٢
(٤) يقصد الخليل بن احمد الفراهيدي البصري ، وهو الاستاذ الاكبر لسيهويه
وطامة الحكاية في كتابه عنه ، وكلما قال سيهويه (وسألته) أو (قال) من غير
أن يذكر القائل فهو الخليل ، كما نص السيوافي ، والخليل من تلاميذ
أبي عمرو بن العلاء ، انظر تقديم كتاب سيهويه بقلم الاستاذ عبد السلام
محمد هارون ص ١١ .
(٥) الكتاب لسيهويه تحقيق عبد السلام هارون ١٠٦/٣ (٦) الاعراف : ١٨
(٧) الكتاب لسيهويه ١٠٨/٣ (٨) شرح رضي : ٣٣٩/٢
(٩) آل عمران : ١٨٦ (١٠) كتاب اللامات : ص ٢١

ويكاد يجمع النحاة على أن مثل هذا الأسلوب إنما هو أسلوب قسم واللام فيها لام قسم ، وأكثر ما دفعهم إلى ذلك هو وجود الفعل المستقبل مؤكدا باللام والنون ، وهذا لم يمهّد إلا إذا كان في جواب قسم (١) ، ومنتجع الآيات القرآنية حسب هذه الأضرب الثلاثة .

الضرب الأول : وهو ما اجتمع فيه الشرط والقسم :

القسم والشرط يدخل كل منهما على الآخر ، فان تقدم القسم ودخل الشرط بينه وبين الجواب كان الجواب للقسم ، سواء كان القسم ظاهرا أو مقدرا ، وان عكس فهالعكس ، وأيهما تصدر كان الاعتماد عليه والجواب له ، وهذا مذهب الجمهور (٢) ، وذهب بعض النحويين إلى أن الشرط الامتناعي (لولا) (٣) اذا اجتمع مع القسم فالجواب له سواء تقدم القسم أو تأخر ، لكن مذهب جمهور النحويين أن الجواب للقسم عملا بقاعدة في اجتماع الشرط والقسم سواء كان أداة الشرط (إن) أو (لو) ، ولولا (٤)

-
- (١) القسم والشرط في القرآن الكريم لعبد العزيز اللهيبي ص ٧٢
(٢) الكتاب لسهيويه تحقيق عبد السلام هارون : ٨٤/٣ وأبرهان للزركشي ٣/٤٥ - ٤٦ والخزانة ٥٣٥/٤ وفتح اللبيب ٢٣٥/١ - ٢٣٧ وكتاب اللامات للزجاجي ١٦ وفتح الهوامع ٢٥٤/٤ والأمالى الشجرية ٢٤٠/١ وأيضا ٢٣٤/١ و ٣٥٦ .
- (٣) (لو) الامتناعية تصرف المضارع إلى الماضي ، فهي في ذلك عكس (إن) الشرطية لأنها تصرف الماضي إلى الاستقبال ، الجنى الداني ص ٢٨٣ قال ابن مالك في التسهيل : (لو) حرف شرط يقتضي نفي ما يلزم لثبوته ثبوت غيره ص ٢٤٠ و (لولا) حرف امتناع لوجوب وحضهم يقول : لوجوده قال المالقي : الصحيح أن تفسيرها بحسب الجمل التي تدخل عليها ، فان كانت الجملتان بمدّها موجبتين فهي حرف امتناع لوجوب نحو قولك : لولا زيد لأحسنت إليك فالاحسان امتنع لوجود زيد ، وان كانتا منفيتين فهي حرف وجوب لامتناع نحو لولا عدم قيام زيد لم أحسن إليك ، وان كانتا موجبة ومنفية فهي حرف وجوب لوجوب ، نحو لولا زيد لم أحسن إليك ، وان كانتا منفية وموجبة فهي حرف امتناع لامتناع نحو : لولا عدم قيام زيد لأحسنت إليك ، انظر الجنى الداني ٥٩٧ - ٥٩٨ ووصف الهباني للمالقي : ص ١٣٧ .
- (٤) شرح الكافية للرضي : ٣٩٢/٢ والخزانة : ٥٣٠/٤٠ والجنى الداني ص ٢٨٤ وفتح الهوامع : ٢٥٠/٤ - ٢٥١ .

ومن تقدم القسم على الشرط قوله تعالى : (لئن لم تنته لأرجمنك) (١)
تقديره : والله لئن لم تنته ، فاللام الداخلة على الشرط ليست بلام القسم ولكنها
زائدة ، وتسمى الموطئة للقسم ويعنون بذلك أنها مؤذنة بأن جواب القسم
متنظر ، فالشرط لا يصلح أن يكون جوابا ، لأن الجواب لا يكون إلا خيرا (٢)
وإذا كان القسم مقدرا كما تقدم مثاله فالأكثر المجيء باللام الموطئة تنبيهها
على القسم ، وقد يجيء بلام ، فليس دخولها على الشرط بواجب بدليل حذفها
في قوله سبحانه : (وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمن الذين كفروا منهم عذاب
أليم) (٣) وقوله : (وإن أطمعتهم انكم لمشركون) (٤)
والذي يدل على أن الجواب للقسم لا للشرط دخول اللام فيه ، وأنه ليس
بمجزوم بدليل قوله تعالى : (قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا
القرآن لا يأتون بمثله) الآية (٥) ولو كان جواب الشرط لكان مجزوما .
وأما قوله تعالى : (ولئن متم أو قتلتم لآلى الله تحشرون) (٦) فاللام في :
(ولئن) هي الموطئة للقسم ، واللام في (لآلى الله) هي لام القسم ، ولم
تدخل نون التوكيد على الفعل للفصل بينه وبين اللام بالجاء والمجرور ، والاصل
(لئن متم أو قتلتم لتحشرون إلى الله) فلما قدم معمول الفعل عليه حذف منه
نون التوكيد . (٧)

-
- (١) مريم : ٤٦
(٢) البرهان للزركسي : ٤٦/٣
(٣) المائدة : ٧٣
(٤) الأنعام : ١٢١ وانظر البرهان للزركسي : ٤٦/٣ والاساليب الانشائية
في النحو العمومي لمبدع السلام هارون ص ١٢٠ .
(٥) الأمراء : ٨٨
(٦) آل عمران : ١٥٨
(٧) البرهان للزركسي : ٤٦/٣

واليك بيان الآيات التي اجتمع فيها الشرط والقسم مع تقدم الثاني على الأول ، فكان الجواب للقسم ه وقد ورد بصيغ مختلفة :

* (١) اجتمع الشرط والقسم المضمرة وجواب القسم مضارع مؤكد باللام والنون : قال الله تعالى :

- (١) ولئن أصابكم فضل من الله ليقولن كأن لم تكن بينكم وبينه مودة يا ليتنى كنت معهم فأفوز فوزا عظيما . (١)
- (٢) قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفية لئن أنجانا من هذه لنكونن من الشاكرين . (٢)
- (٣) قال لئن لم يهدني ربى لآكونن من القوم الضالين (٣)
- (٤) ولما سقط في أيديهم ورأوا أنهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرجعنا ربنا ومغفرنا لنكونن من الخاسرين (٤)
- (٥) فلما أثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين (٥)
- (٦) ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قل أبا لله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن (٦)
- (٧) دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين (٧)
- (٨) ولئن قلت انكم هموشون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا ان هذا الا سحر مبین . (٨)
- (٩) ولئن أخرنا عنهم العذاب الى امة ممدودة ليقولن ما يحسه الآية (٩)
- (١٠) ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عني الآية (١٠)
- (١١) ولئن لم يفعل ما أمره يسجنن وليكونا من الصاغرين (١١)
- (١٢) لئن أخرتن الى يوم القيامة لا أحتسبن ذريته الا قليلا (١٢)

(١) النساء : ٧٣	(٢٢) الانعام : ٦٣
(٣) الانعام : ٧٧	(٤) الاعراف : ١٤٩
(٥) الاعراف : ١٨٩	(٦) التوبة : ٦٥
(٧) يونس : ٢٢	(٨) هود : ٧
(٩) هود : ٨	(١٠) هود : ١٠
(١١) يوسف : ٣٢	(١٢) الاسراء : ٦٢

- (١٣) ولئن شئنا لنذهبن بالذى أوحينا اليك ثم لا تجد لك به علينا وكيلا. (١)
- (١٤) وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربي لأجدن خيرا منها منقلبا. (٢)
- (١٥) قال أرأغب أنت عن آلهتى يا ابراهيم لئن لم تنته لأرجمك وأهجرني مليا (٣).
- (١٦) ولئن يستهم نفة من عذاب ربك ليقولن يا ولنا انا كنا ظالمين (٤).
- (١٧) قال لئن اتخذت الهى غيرى لأجعلنك من المسجونين (٥).
- (١٨) قالوا لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين (٦).
- (١٩) قالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين (٧).
- (٢٠) ولئن جاء نصر من ربك ليقولن انا كنا معكم الاية (٨).
- (٢١) ولئن سألتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فانى يوءفكون (٩).
- (٢٢) ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الارض بعد موتها ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يحقلون (١٠).
- (٢٣) ولئن جئتهم بآية ليقولن الذين كفروا ان أنتم الا مهطلون (١١).
- (٢٤) ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قل الحمد لله الاية (١٢).
- (٢٥) لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون فى المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا (١٣).
- (٢٦) قالوا انا تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا لنرجمنكم ولينسنكم منا عذاب اليم (١٤).

(١) الامراء : ٨٦	(٢) الكهف : ٣٦
(٣) مريم : ٤٦	(٤) الانبياء : ٤٦
(٥) الشعراء : ٢٩	(٦) الشعراء : ١١٦
(٧) الشعراء : ١٦٧	(٨) المنكبوت : ١٠
(٩) المنكبوت : ٦١	(١٠) المنكبوت : ٦٣
(١١) الرهم : ٥٨	(١٢) لقمان : ٢٥
(١٣) الاحزاب : ٦٠	(١٤) يس : ١٨

- (٢٧) ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله . الآية (١)
- (٢٨) ولقد أوحى اليك والى الذين من قبلك لئن أشركت ليحطن عملك ولتكونن
من الخاسرين (٢)
- (٢٩) ولئن أدقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لى ، (٣)
- (٣٠) ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم (٤)
- (٣١) ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فأنى يؤفكون (٥)
- (٣٢) لئن أخرجتم لنخرجننكم منكم ولا نطيع فيكم أحدا أبدا (٦)
- (٣٣) يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجنننا الا عز منها الاذل . الآية (٧)
- (٣٤) كلا لئن لم ينته لنسفعا بالناصية . (٨)

* (٢) اجتماع الشرط والقسم المضمرة وجواب القسم مضارع مثبت مرفوع :

سبق أن الفعل المضارع المثبت اذا وقع جوابا للقسم وجب اقترانه باللام ونون التوكيد ، وقد جاء مثبته مرفوعا في آية واحدة ، وذلك لأنه فصل بينه وبين لام الجواب بميموله مقدما عليه وهو الجار والمجرور في قوله تعالى :

(١) ولئن متم أو قتلتم لالى الله تحشرون . (٩)

اللام التى في (لئن متم) موطئة للقسم ، واللام في (لالى الله) هى لام القسم ، وادخولها على حرف الجر جاز أن يأتي (يحشرون) غير مؤكد بالنون ، والأصل : لتحشرون الى الله (١٠) قال ابن الانبارى : انما لم تدخل النون مع اللام في الجواب كقوله تعالى : (ولئن شئنا لنذهبن بالذى أوحينا اليك) (١١)

(١) النور : ٣٨	(٢) الزمر : ٦٥
(٣) فصلت : ٥٠	(٤) الزخرف : ٩
(٥) الزخرف : ٨٧	(٦) الحشر : ١١
(٧) المنافقون : ٨	(٨) العلق : ١٥
(٩) آل عمران : ١٥٨	(١٠) انظر المكبرى ١٥٥/١ والبرهان
(١١) الاسراء : ٨٦	في علم القرآن للزركسى ٤٦/٣ ، والبحر المحيط ٩٦/٣ - ٩٧ .

لأنه فصل بين اللام والفصل بالجار والمجرور ، فلما فصل بينهما لم يأت بالنون ،
لأن النون إنما تدخل مع هذه اللام لثلاث تفتته بلام الابتداء ، وههنا قد وُلِّدَ
الافتتاه بدخول اللام على الجار والمجرور وهما فضلة (١) ولام الابتداء
لا تدخل على الفضلة ، ونحوه . (فلسوف تملكون) الآية (٢) لم تدخل النون لأن
لام الابتداء لا تدخل على (سوف والفعل) في نحو : (لئن جئتني لأفعلن)
ليس جواباً للشرط ، وإنما هو جواب قسم مقدر ، وتقديره : (لئن جئتني والله
لأفعلن) واللام في (لئن) عوض عن ذلك القسم (٣) ،
* (٣) اجتماع الشرط والقسم المضمير وجوابه ماضٍ مثبت مقرون باللام : في قوله
تعالى : (ولئن أرسلنا ريحا فرأوه مصفرا لظلموا من بعدهم يكفرون) (٤) ،
(لظلموا) : فعل ماضٍ مثبت اتصلت به اللام وهو جواب لليبين المقدر الستة
دلت عليها اللام الموطئة في (لئن) وهو مستقبل في المعنى ، وكذا (أرسلنا)
بمعنى نرسل ، لأن الكلام بمعنى والمجازاة لا تكون إلا بمستقبل ، وهو مذاهب
سيبويه ، قال رحمه الله : سألته عن قوله عز وجل : (ولئن أرسلنا ريحا فرأوه
مصفرا لظلموا من بعدهم يكفرون) (٤) فقال : هي في معنى ليفعلن كأنه قال :
ليظلمن ، (٥)

- (١) الفضلة في اصطلاح النحويين ما كان زائداً على الجملة التامة الفعلية أو الاسمية
فالفعل والفاعل والمفعول في الفعلية والابتداء والخبر في الاسمية ، وما عداها
فضلة ، كالجار والمجرور والظرف والحال والتمييز الخ ، وضابط الفضلة ما يستقيم
الكلام بدونه .
(٢) الشعراء : ٤٩
(٣) البيان في غريب اعراب القرآن لأبي الهرثمة ابن الانباري ٢٢٨/١ - ٢٢٩ .
(٤) الروم : ٥١
(٥) الكتاب لسيبويه تحقيق عبد السلام هارون : ١٠٨/٣ وشكل اعراب القرآن لمكي
ابن أبي طالب : ٥٦٣/٢ ومغنى اللبيب ص ٧٠٨ والكشاف : ٢٢٦/٣
وتفسير النسفي : ٢٢٦/٣

* (٤) اجتماع الشرط والقسم المضمرة وجوابه مضارع منفي بـ (ما) و (ان) وذلك في قوله مبطنه :

(١) ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك ، وما أنت بتابع قبلتهم وما بعضهم يتابع قبلة بعض^(١) ،

(٢) ان الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ، ولئن زالتا ان أمسكها من أحد من بعده ، انه كان حليما غفورا^(٢) .

في هاتين الآيتين وقع الفعل الماضي^(٣) المنفي بـ (ما) و (ان) التي بمعنى (ما النافية) جوابا للقسم المقدر الذي دلت عليه اللام الموطئة فهي (لئن) وذلك لتقدمه على الشرط ، وسيويبه يجعل (ان) على بابها والفعل الماضي المنفي بمعنى (ما هو فاعل) أو بمعنى (ما يفعل) ،

قال رحمه الله : وقال : لئن فعلت ما فعل سيويده معنى ما هو فاعل ، وما يفعل

كما كان (لظلوا) مثل (ليظنن) وكذلك جاء ذلك على (ما هو فاعل) قال

عز وجل : (ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك)^(٤) أي

ما هم تابعين ، وقال سيويده : (ولئن زالتا ان أمسكها من أحد من بعده)^(٥)

أي ما أمسكها من أحد^(٦) ، وقال ابن هشام في آية فاطر : وقد اجتمعت

الشرطية والنافية في هذه الآية ، الأولى شرطية والثانية نافية جواب للقسم

الذي أدنت به اللام الداخلة على الأولى ، وجواب الشرط محذوف وجوا^(٧) ،

(١) البقرة : ١٤٥ وانظر معاني القرآن للفراء : ٨٤/١ .

(٢) فاطر ٤١ .

(٣) وهو في معنى المستقبل لأن (ان) ترد الماضي الى معنى الاستقبال ،

(٤) البقرة : ١٤٥ (٥) فاطر : ٤١

(٦) الكتاب لمبويده تحقيق عهد السلام هارون : ١٠٨/٣ - ١٠٩

(٧) معنى اللبيب لابن هشام ص ١٩

* (٥) اجتماع الشرط والقسم المضمرة وجوابه مضارع منفي بـ (لا) في قوله تعالى :

(١) قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون
بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً . (١)

(٢) لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قتلوا لا ينصرونهم ، (٢)

الفعل المضارع في الآيتين المذكورتين (لا يأتون) و (لا يخرجون) و

(لا ينصرونهم) جاء مرفوعاً لأنه جواب لقسم مقدر دللت عليه اللام الموطقة ، ولو

كان جواباً للشرط لكان مجزوماً .

قال الفراء : وقوله : (على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله)

جواب لقوله (لئن) والعرب إذا أجابت (لئن) بـ (لا) جعلوا ما بعد (لا) رفعا ،

لأن (لئن) كاليمين ، وجواب اليمين بـ (لا) مرفوع (٣)

وقال الاخفش في قوله تعالى : (لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قتلوا

لا ينصرونهم) فرفع الآخر لأنه معتمد لليمين ، لأن هذه اللام التي في أول الكلام

انما تكون لليمين . (٤)

وكذلك قال الزركشي : الذي يدل على أن الجواب للقسم لا للشرط دخول

اللام فيه ، وأنه ليس بمجزوم ، ولو كان جواب الشرط لكان مجزوماً (٥)

(١) الاسراء : ٨٨ (٢) الحشر : ١٢

(٣) معاني القرآن للفراء : ١٣٠/٢

(٤) معاني القرآن للاخفش : ٤٩٨/٢ .

(٥) البرهان للزركشي : ٤٦/٣ وانظر أيضا مشكل اعراب القرآن لمكي بن أبي

طالب : ٧٢٦/٢ والبيان لابن الأنباري : ٩٥/٢ ، ٤٢٨ .

* (٦) اجتماع الشرط والقسم المضمرة وجوابه جملة اسمية مثبتة مصدرية باللام ،
وذلك في قوله سبحانه :

- (١) ولئن قتلتهم في سبيل الله أو تم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون
(٢) وإن عاقبتهم فمآقبها بمثل ما عوقبتهم به ، ولئن صبرتم لهو خير للصابرين .
قوله سبحانه (لمغفرة) اللام فيها لام الابتداء مغنوية عن لام القسم ،
والخير (خير) والجملة جواب القسم ، (٣) قال أبو جعفر : وهو محمول على
المعنى ، لأن معنى : ولئن قتلتهم في سبيل الله أو تم ليغفرن لكم . (٤)

وقوله سبحانه (لهو) في الآية الثانية ، الضمير اما يرجع الى صبرهم ،
وهو مصدر (صبرتم) أي ولئن صبرتم لصبركم خير لكم ، واما يرجع الى جنس الصبر
وقد دل عليه (صبرتم) ويراد بالصابرين جنسهم كأنه قيل : وللصبر خير للصابرين .
وهو مبتدأ وخبره (خير) والجملة جواب للقسم المقدر الذي دلت عليه اللام في
(لئن) .

* (٧) اجتماع الشرط والقسم المضمرة وجوابه جملة اسمية مثبتة مصدرية بـ (إن) في
قوله تعالى :

- (١) ولئن اتهمتم أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم أنك إذا لمن الظالمين .

-
- (١) آل عمران : ١٥٧
(٢) النحل : ٢٦ وهو يمين مقابل يمين روى أن المشركين مثلوا بالمسلمين يوم
أُحد فرأى النبي عليه السلام عه حمزة مهقور البطن فقال : أما والذي
أحلف به لأمثلن بسبعين مكانك فنزلت فكفر عن يمينه وكف عما أراد ،
الكشاف : ٤٣٥/٢ .
(٣) انظر المكبري ١٥٥/١ والكشاف : ٤٧٤/١ والبحر ٩٦/٣ والقنوات
٣٢٨/١ - ٣٢٩ وجعل الهروي اللام في (لهو) و (لمغفرة) لام جواب
القسم ، كتاب اللامات للهروي ص ٩٤ .
(٤) اعراب القرآن للنحاس : ٣٧٤/١
(٥) الكشاف : ٤٣٥/٢
(٦) البقرة : ١٤٥

- (١) وقال الملاذ الذين كفروا من قومه لئن اتهمتم شعيبا انكم اذا لخاسرون .
(٢) ولئن أدقنا الانسان منا رحمة ثم تزهاها منه انه ليثوس كفور . (٢)
(٣) قالوا لئن اكله الذئب ونحن عصبة انا اذا لخاسرون . (٣)
(٤) ولئن اطعمتم لبشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون . (٤)
(٥) ولئن رجعت الى ربي ان لسي عنده للحسني . (٥)
في هذه الايات وقعت (ان واسمها وخبرها) جوابا للقسم المقدر الذي دلت عليه اللام في (لئن) وأغنت عن جواب الشرط (٦) .
(٧) وقوله سبحانه : وان اطعمتمهم انكم لمشركون . (٧)
قوله : (انكم لمشركون) : هو جواب قسم مقدره أغنى عن جواب الشرط .
واللام الموطئة مقدره قيل (ان) الشرطية ه لان دخولها على الشرط ليس بواجب فقد تحذف هذه اللام وهي مرادة (٨) ولا بد من تقدير هذه اللام اذا كانت مضمرة ، قال سيبويه رحمه الله : فلو قلت : ان أتيتني لا كرمك جاز لانه في معنى لئن أتيتني لا كرمك ، ولا بد من هذه اللام مضمرة أو مظهرة ، لانها لليمين كأنك قلت : والله لئن أتيتني لا كرمك . (٩)

-
- (١) الاعراف : ٩٠ (٢) هود : ٩ وانظر النسخة ١٨١/٢
(٣) يوسف : ١٤ (٤) المؤمنون : ٣٤
(٥) فصلت : ٥٠ (٦) انظر المكبري ٣٥/٢ والكشاف ٩٧/٢ ،
٣٠٦ والبحر : ٤٣٣/١ - ٤٣٤ و ٣٤٥/٤ و ٤٠٤/٦ والفتوحات
١٦٦/٢ و ٣٨٢ و ٤٣٩ و ٤٨/٤ - ٤٩ .
(٧) الانعام : ١٢١
(٨) البرهان للزركشي ٤٦/٣ وشرح الكافية الشافية لجمال الدين الجبائي : ٢/
٨٩٥ - ٨٩٦ والبيان لابن الانباري : ٢٢٩/١ وشرح الرضي ٢٦٢/٢
و ٣٩٤ والاساليب الانشائية في النحو العربي لعبد السلام هارون ص ١٧٠
(٩) الكتاب لسيبويه تحقيق عبد السلام هارون : ٦٦/٣

وقد حذفت هذه اللام في هذه الآيات أيضا :

- (١) وان لم ينتهبوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم فذاب الهم (١)
- (٢) قالا منا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين (٢)
- (٣) وان قتلتم لننصرنكم (٣)

فاللام الموطئة مقدر دخولها على (ان) في هذه الآيات ، وجواب القسم المقدر سد مسد جواب الشرط (٤) والذي حصن وقومه في جواب (ان) غير مجزوم وهو أنها لم تعمل في الشرط شيئا ، فالفعل المضارع في الآية الأولى والثانية مجزوم ب (لم) وفي الآية الثالثة ولى (ان) فعل ماض (٥) .

قال سيويه رحمه الله : فان قلت : لكن تفعل لا فعلن ، فبح لأن (لا فعلن) على أول الكلام ، وفتح في الكلام أن تحمل (ان) أو شي من حروف الجزاء في الأفعال حتى تجزئه في اللفظ ثم لا يكون لها جواب ينجز بما قبله ، إلا ترى أنه قال عز وجل : (وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) (٦) وقال عز وجل : (ولا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين) (٧) لما كانت (ان) العاملة لم يحسن إلا أن يكون لها جواب ينجز بما قبله (٨) ، ودخلت (ان) على (لم) لترد الفعل الى أصله في لفظه وهو الاستقبال لأن (لم) ترد لفظ المستقبل الى معنى الماضي ، و (ان) ترد الماضي الى معنى الاستقبال (٩) .

-
- | | |
|--|---------------------------------------|
| (١) المائدة : ٧٣ | (٢) الاعراف : ٢٣ |
| (٣) الحشر : ١١ | (٤) المكوى ٢٢٣/١ والبحر المحيط ٢١٣/٤ |
| ٢٨١ والمغنى ٢٣٥/١ | (٥) القسم والشرط في القرآن الكريم د / |
| عهد العزيز للهييب ص ٩٩٨ | (٦) الاعراف : ٢٣ |
| (٧) هود : ٤٧ | |
| (٨) الكتاب لسيويه تحقيق عهد السلام هارون : ٦٦/٣ ومعاني القرآن للاخفش : | |
| ٢٩٧/٢ | |
| (٩) مشكل اعراب القرآن لمكي بن أبي طالب : ٣٠٩/١ والبيان لابن الانباري : | |
| ٣٥٧/١ | |

* (٨) اجتماع الشرط والقسم المضمرة وجوابه جملة اسمية منفية ب (ما) : في قوله سبحانه :

(١) ولئن اتهمتم أهواءهم بعمد الذي جاءكم من العلم ، مالك من الله من ولي ولا نصير . (١) .

(٢) لئن بسطت اللى يدك لتقتلنى ما أنا بباسط يدي اليك لأقتلك ، انى أخاف الله رب العالمين . (٢) .

(٣) وكذلك أنزلناه حكما عربيا ولئن اتهمتم أهواءهم بعمد ما جاءكم من العلم مالك من الله من ولي ولا وائى . (٣) .

فى هذه الآيات الثلاث وقعت الجملة الاسمية المنفية ب (ما) جوابا للقسم المقدر الذى دلت عليه اللام الموطئة فى (لئن) وذلك لتقدمه على الشرط .
* (٩) اجتماع الشرط الامتناعي والقسم المضمرة والجواب للقسم المضمرة : فى قوله سبحانه :

(١) ولو أنهم آمنوا واتقوا لمثوة من عند الله خير لو كانوا يعلمون . (٤)

(٢) كلا لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم . (٥)

استغنى عن جواب (لو) فى الآيتين لقيام جواب القسم مقامه وهو (لمثوة) اللام لام الابتداء منخبة عن لام القسم ، والخير (خير) والجملة جواب القسم ، فى الآية الاولى ، و (لترون) فى الآية الثانية .

(٢) المائدة : ٢٨

(١) البقرة : ١٢٠

(٤) البقرة : ١٠٣

(٣) الرعد : ٣٧

(٥) التكاثر : ٦-٥

قال الرضي : وستفنى عن جواب الشرط لقيام جواب القسم مقامه
أما في (ان) فلكونه تعالى : (لئن أخرجوا لا يخرجون ولئن قتلوا لا ينصرونهم) (١)
وأما في (لو) فلكونه تعالى : (ولو أنهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله هبيرا) (٢)
وقوله تعالى : (لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم) (٣)
فالقسم عند الرضي مقدر قبل (لو) وجواب القسم ساد مسد جواب (لو)
وقدره غيره بعد (لو) وجواب (لو) محذوف دل عليه ما قبله ، والتقدير :
لو تعلمون أنكم ترون الجحيم لما تكاثرت في الدنيا بالأموال وغيرها (٤) ،
وقال المرادى : لا يكون جواب (لو) إلا فعلا ماضيا مثبتا ، أو منفيا ب (ما)
أو مضارعا مجزوا ب (لم) ، ولاكثر في الماضي المثبت اقتترانه باللام ، وقد يحذف
كقوله تعالى : (لو نشأ جملنا أهاجا) ، وقل دخو لها على المنفي ب (ما) كقول
الشاعر : (٥)

كذبت ميت الله لو كنت صادقا لما سبقتني بالبكاء الحماة

وان ورد ما ظاهره خلاف ذلك جعل الجواب محذوفا ، كقوله تعالى : (ولو
أنهم آمنوا واتقوا لمثوبة) فالجواب محذوف ، واللام جواب قسم محذوف ، أغنى
عن جواب (لو) خلافا للزجاج فإنه جعل (لمثوبة) جواب (لو) قال : كأنه
قيل : لأتيسوا ، (٦)

وقيل : (لو) حرف تمن هفلا تحتاج الى جواب ، وعلى هذا فلم يجتمع في
هذه الآية شرط وقسم (٧) ، ويمكن أن نقول : اذا كانت (لو) لمطلق التمني
و (لولا) لمطلق الترجي ، ومعلم أن التمني والترجي لا يحتاجان الى جواب ظاهر

-
- (١) الحشر ١٢
(٢) البقرة : ١٠٣
(٣) التكاثر : ٦٥ انظر شرح الكافية للرضي ٣٩٢/٢
(٤) البحر المحيط : ٥٠٨/٨ وعراب القرآن للنحاس : ٢٦٢/٣ والبيان لابن الانبارى
(٥) مجنون ويلي ، ديوانه ٢٣٨ والافاني ٥٣١/٢
(٦) شرح الحماسة للمرزوقي ١٢٨٩
(٧) الجنى الداني في حروف المعاني للمرادى ص ٢٨٣ - ٢٨٤
(٨) اعراب ثلاثين سورة لابن خالصة ص ١٦٨

واعمالا للقاعدة النحوية القائلة ما لا يحتاج الى تقدير أولى مما يحتاج الى تقدير فتكون (لو) ههنا مكفية بشرطها وكون الجواب للقسم المقدر ، اعمالا لقاعدة اجتماع الشرط والقسم مع تقدمه على الشرط عامة ، والشرط الامتناعي والقسم بشكل خاص .

* (١٠) دخول اللام الموطئة على (من) و (ما) والجواب للقسم المقدر : في قوله تعالى :

(١) ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق (١)

اختلفوا في هذه اللام أهى لام الابتداء ، وجملة (ماله في الآخرة من خلاق) خير المبتدأ (من) ؟ أم هي اللام الموطئة للقسم وجملة (ماله في الآخرة من خلاق) جواب للقسم المقدر الذى دل على اللام ؟

(٢) فسيبويه يرى أنها لام الابتداء مثل : علمت لعهد الله خير منك ، وتبعه الأخفش وغيره ، قال الأخفش في الآية (٣) : فهذه لام الابتداء تدخل بعد العلم وما أشبهه ويبتدأ بعدها ، تقول : (لقد علمت لزيد خير منك) ، قال : (لمن تمعك منهم لا ملأن جهنم) (٤) وقال : (ليوسف وأخوه أحب الى أبينا منا) (٥) وكذلك فعل مكى في مشكل أعرابه (٦) ،

أما الفراء فيرى أن اللام في (لمن) موطئة للقسم و (من) شرطية ، وجملة (ماله في الآخرة من خلاق) مقسم عليها ، قال في معانيه : (من) في موضع رفع وهي جزاء ، لأن المرب اذا أحدثت على الجزاء هذه اللام صيروا فعله على جهة (فَعَلَّ) (يفتح الفاء والميم واللام) ، وانما صيروا جواب الجزاء

(١) البقرة : ١٠٢
(٢) الكتاب لسبويه : ٢٣٦/١ - ٢٣٧ و ١٤٧/٣ - ١٤٨ (تحقيق عبدالسلام هارون)
(٣) معاني القرآن للأخفش ١٤٢/١
(٤) الاعراف : ١٨
(٥) يوسف : ٨
(٦) مشكل أعراب القرآن لمكي بن أبي طالب : ٦٥/١

كجواب اليمين ، لأن اللام التي دخلت في قوله : (ولقد علموا لمن اشتراه) إنما هي لام اليمين كان موضعها في آخر الكلام ، فلما صارت في أوله صارت كاليمين فلقيت بما يلقي به اليمين . (١)

وذكر أبو جعفر النحاس أنها لام اليمين غير أنه جعل (من) الاسم الموصول ونقل عن أبي إسحاق أنها ليست بمعنى الجزاء كما قال الفراء ، قال في إعراب القرآن : (لمن اشتراه) لام يمين وهي للتوكيد أيضا وموضع (من) رفع بالابتداء لأنه لا يحمل ما قبله لئلا يما بعدها ، و (من) بمعنى (الذي) قال الفراء : هي للمجازاة ، قال أبو إسحاق : ليس هذا موضع شرط ، و (من) بمعنى (الذي) كما تقول : (لقد علمت لمن جاءك ماله عقل) (٢)

وكذلك المكبري قال : ان اللام في الآية اللام الموطئة للقسم ، ثم ذكر الوجهين اللذين ذكرهما الفراء والنحاس في (من) قال : (لمن اشتراه) اللام هنا هي التي يوطأ بها القسم مثل التي في قوله : (لئن لم ينته المنافقون) (٣) و (من) في موضع رفع بالابتداء وهي شرط ، وجواب القسم (ماله في الآخرة من خلاق) وقيل (من) بمعنى الذي ، وعلى كلا الوجهين موضع الجملة نصب ب (علموا) ولا يحمل (علموا) في لفظ (من) ، لأن الشرط ولا ابتداء لهما صدر الكلام و (لبئس ما) جواب قسم محذوف (لو كانوا) جواب (لو) محذوف تقديره : لو كانوا ينتفمون بعلمهم لا متموا من شراء السحر (٤) ، وأجاز ابن الأنباري الوجهين مثل المكبري ، (٥)

(١) معاني القرآن للفراء : ٦٥/١ - ٦٦

(٢) إعراب القرآن للنحاس : ٢٠٤/١

(٣) الاحزاب : ٦٠

(٤) المكبري : ٥٦/١

(٥) البيان لابن الأنباري : ١١٥/١

(٢) قوله سبحانه : (قال اخرج منها مذءً وما مدحورا لمن تبمك منهم
لا ملأن جهنم منكم أجمعين) (١)

اللام في (لمن) عند سيويه كمثل التي في (لئن) أى موطئة ، ولم
يجعلها للابتداء كما فعل في (لمن اشتراه) (٢) قال رحمه الله : سألته عن قوله
عز وجل : (وإذا أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم
رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه ، قال ءأقرتم وأخذتم على ذلكم
إصرى ، قالوا أقرنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين) (٣)

فقال : (ما) ههنا بمنزلة (الذى) ودخلتها اللام كما دخلت على (ان)
حين قلت : (والله لئن فعلت لأفعلن) واللام التي في (ما) كهذه التي في
(ان) واللام التي في الفعل كهذه التي في الفعل هنا ٠٠٠ ومثل ذلك
(لمن تبمك لا ملأن) انما دخلت اللام على نية اليمين ، والله اعلم (٤)

وذكر أبو جعفر النحاس أن الكلام فيه معنى الشرط ولكنه لم يصرح بأن (من)
شرطية ، قال في اعرابه : قال أبو اسحاق : من قرأ (لمن تبمك) بفتح السلام
فهي عنده لام قسم ، وهي توطئة لقوله (لا ملأن) وقال غيره : (لمن تبمك)
هي لام تأكيد ، (يقصد لام ابتداء) ، (لا ملأن) لام قسم ، الدليل على هذا
انه يجوز في غير القرآن حذف اللام الأولى ولا يجوز حذف الثانية ، وفي الكلام
معنى الشرط والمجازاة ، أى من تبمك عذبتك ، ولو قلت : من تبمك أعذبه
لم يجز إلا أن تريد لا عذبه ، (٥)

وقال النخسرى : واللام في (لمن تبمك) موطئة للقسم و (لا ملأن) جوابه
وهو ساد ومد جواب الشرط (٦) وكذلك قال الرضي في شرح الكافية (٧) صرحا

(٢) البقرة : ١٠٢ وانظر الكتاب ١/٢٣٦-٢٣٧

(٤) الكتاب لسيويه تحقيق عبد السلام هارون

(٥) اعراب القرآن للنحاس : ١/٦٠٣

(٧) شرح الكافية للرضي : ٢/٣٩٧

(١) الاعراف : ١٨

(٣) آل عمران : ٨١

١٠٧/٣ - ١٠٨

(٦) الكشاف : ٢/٧١

بأن (من) هذا شرطيه كسيويه ومن تبعه ، واللام فيه موطئة للقسم ، وقد
أغنى جواب القسم عن جواب (من) الشرطية ، ويكون تقدير القسم قبل (لمن) ،
أما الأخفش فيرى أن اللام في (لمن) لام الابتداء ، واللام في (لا ملأن)
جواب قسم مقدر بعد (لمن) قال : (لمن تبعك منهم لا ملأن جهنم) فاللام
الأولى للابتداء والثانية للقسم (١) وذهب المعبري الى ما ذهب اليه الأخفش
وان لم ينص على أنها لام الابتداء ، لأنه قدر القسم بعد اللام ، ولو كانت هذه موطئة
لقدر القسم قبلها كما فعل الزمخشري والرضي (٢) ، قال المعبري : (لمن) في
موضع رفع بالابتداء ، وسد القسم المقدر وجوابه سد الخبر وهو قوله : (لا ملأن)
وذكر أبو حيان الوجهين ورجح الشرطية ، قال في البحر : والظاهر
أنها اللام الموطئة للقسم ، و (من) شرطية في موضع رفع على الابتداء ، وجواب
الشرط محذوف يدل عليه جواب القسم المحذوف قبل اللام الموطئة ، ويجوز
أن تكون اللام لام الابتداء ، و (من) موصولة ، و (لا ملأن) جواب قسم محذوف
بعد (من تبعك) وذلك القسم المحذوف وجوابه في موضع خبر (من) الموصولة ،
وقب الدكتور عهد العزيز اللهيبي على هذين المذهبين ورجح أن تكون اللام في
هذه الآية موطئة و (من) شرطية لما يأتي :

(أولاً :) أن مقصود الآية الكريمة الاستقبال والمعموم اللذين يفيدهما الشرط
فأما الاستقبال فلأن الشرط وان كان بلفظ الماضي لكنه لم يقع ، لأن إبليس وقت

(١) معاني القرآن للأخفش ٢/٢٩٥ ، وتقدم له نص آخر في هذه الآية بهذا

المعنى انظر معانيه ١/١٤٢ .

(٢) القسم والشرط في القرآن الكريم د / عهد العزيز اللهيبي ص ١٠١ .

(٣) المعبري : ١/٢٦٩

(٤) البحر المحيط : ٤/٢٧٧

مخاطبة الله سبحانه له لم يتبعه من ولد آدم أحد اذا لم يوجدوا ، ولأن الفعل الذي هو في محل الجزاء وهو جواب القسم مستقبل ، لفظا ومعنى ، لأنه لا يقع الا في الآخرة .

وأما المصمم ، فلأنه لا يراد أمة بعينها فرد أو جنس وإنما المراد كسمل من اتبع إبليس فهذا جزاؤه بخلاف قوله تعالى (ولقد علموا لمن اشتراه) (١) (ثانيا) : وقوع الفعل المضارع المؤكد باللام والنون والذي لا يصلح أن يكون خبر (من) والمجمع على أنه جواب لقسم مقدر يؤيد جعل اللام في (لمن) موطئة وليست للابتداء ، (٢) ونظرا للدلالة المذكورة ترجح عدى أن اللام في (لمن) هي الموطئة للقسم وليست لام الابتداء ، و (من) شرطية وليست موصولة ، في موضع رفع على الابتداء وجواب الشرط محذوف يدل عليه جواب القسم المحذوف قبل اللام الموطئة ، وهو (لا ملأن) ، والله تعالى أعلم .

(٣) قوله سبحانه : (ولمن صبر وفقر ان ذلك لمن عنم الأمور) (٣)

اختلف العلماء في هذه الآية الكريمة كسابققتها والمنقول عن كثير منهم أن الآية ليس فيها قسم ، واللام في (لمن صبر) لام الابتداء ، و (من) مبتدأ بمعنى الذي و (ان) وما دخلت عليه في موضع رفع خبر ، والمائد محذوف تقديره : (ان ذلك منه) .

قال الأخفش : أما (اللام) التي في (ولمن صبر) فلام الابتداء ، وأما (ذلك) فمعناه - والله أعلم - ان ذلك منه لمن عنم الأمور ، وقد تقول : مرت بدار الذراع بدرهم أي الذراع منها بدرهم ، ومرت بقر قفيز بدرهم أي قفيز منه ،

(١) البقرة : ١٠٢

(٢) القسم والشرط في القرآن الكريم د / عبد العزيز اللهيبي ص ١٠١٢

(٣) الشورى : ٤٣ .

وأما ابتداء (ان) في هذا الموضع فكمثل : (قل ان الموت الذي تفرون منه فانه ملائكم) (١) يجوز ابتداء مثل هذا اذا طال الكلام * (٢)

وقال النحاس : وفي الآية اشكال من جهة المربية وهو ان (لمن صبر وقهر) مبتدأ ولا خبر له في اللفظ فالقول فيه : ان فيه حذفاً ، والتقدير : ولمن صبر وعفى ان ذلك منه لمن عظم الامور ، ومثل هذا في كلام العرب كثير موجود ، حكاه سيويه وغيره : مرت ببر قفيز بدرهم أى قفيز منه ، وقال : السمن منسوان بدرهم بمعنى منه (٣) واقتصر مكي في مشكل اعرابه وابن الانباري في البيان (٤) على هذا الاعراب ، وكذا المكبري ، وزاد وجهاً آخر وهو ان (من) شرطية و (صبر) في موضع جنم بها ، والجواب (ان ذلك) وقد حذف الفاء (٥) ورد ذلك ، لأن حذف الفاء مخصص بالشعر عند سيويه ، (٦)

وقيل يجوز أن تكون اللام في (لمن) موطئة للقسم ، و (من) شرطية وجواب القسم : (ان) وما دخلت عليه ، وجواب الشرط أفنى عنه جواب القسم قال أبو حيان : واللام في (ولمن) يجوز أن اللام الموطئة للقسم المحذوف ، و (من) شرطية ، وجواب القسم قوله : (ان ذلك) وجواب الشرط محذوف لدلالة جواب القسم عليه (٧) .

(٤) وقوله سبحانه : (وان أخذنا ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه) (٨)

(١) سورة الجمعة : ٨
(٢) معاني القرآن للأخفش ٢٧٠/٢
(٣) اعراب القرآن للنحاس : ٦٩/٣ - ٧٠
(٤) مشكل اعراب القرآن لمكي بن أبي طالب ٢٧٩/٢ والبيان لابن الانباري : ٣٥٠/٢
(٥) المكبري : ٢٢٥/٢
(٦) البحر المحيط : ٥٢٣/٢
(٧) البحر المحيط : ٥٢٣/٢
(٨) آل عمران : ٨١

اللام في (لما) فيها قراءتان ، فتح اللام وكسرهما (قرأ حمزة بكسر اللام والباقون بفتحها) (١) أما القراءة بفتح اللام فاختلفا فيها أهي لام الابتداء أم الموطئة للقسم ، ونهني على هذا الخلاف خلاف في (ما) أهي موصولة أم شرطية ، فذهب الأُخفش الى أنها لام الابتداء و (ما) موصولة وما بعدها صلة ، والخبر (لتو من به) . أو يكون الخبر (من كتاب) و (من) زائدة ، قال في معانيه : " فاللام التي مع (ما) في أول الكلام هي لام الابتداء نحو : لزيد أفضل منك ، لأن (ما آتيتكم) اسم ، والذي بعده صلة ، والسلام التي في (لتو من به) ولتنصرته (لام القسم ، لأنه قال : والله لتو من به ، فوكد في أول الكلام وفي آخره) (٢)

وذهب كثير من المحققين الى أن (اللام) في (لما) موطئة وأن (ما) شرطية لعدم العائد في الآية من الجملة الممطوفة اذا كانت شرطية اذ لا تفتقر الجملة الممطوفة الى طء ، ولهذا كان اعتبارها شرطية أوجه من اعتبارها موصولة (٣) ، وقد استحسّن الفراء هذا فقال : " وهذا وجه الكلام وقوله (لتو من به) جواب لأخذ الميثاق كما يقال : أخذت ميثاقك لتعملن ، لأن أخذ الميثاق بمعنى الاستحلاف (٤) فاللام في (لما) موطئة للقسم ، لأن أخذ الميثاق بمعنى الاستحلاف و (ما) شرطية منصوبة ب (آتيتكم) وهو معطوف به ب (ثم) جنم بها وهو اختيار سيهويه ، قال رحمه الله : وسألته عن قوله عز وجل : (واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتو من به ولتنصرنه) (٥)

(١) قرأ نافع (لما آتيتكم) بالنون والالف ، اتحاف فضلاء البشر ص ١٧٧ والسبعة لابن مجاهد ص ٢١٣ والحجة لابن خالوجة ص ١١١ - ١١٢ وحجة القراءات لابن زنجلة ١٦٨ - ١٦٩ .
(٢) معاني القرآن للأخفش ٢٠٩/١ (٣) البيان لابن الانباري : ٢١٠/١
(٤) معاني القرآن للفراء : ٢٢٥/١ واتحاف فضلاء البشر ص ١٧٧ واعراب القرآن للنحاس : ٣٤٨/١ - ٣٤٩ (٥) آل عمران : ٨١

فقال : (ما) ههنا بمنزلة (الذى) ودخلتها اللام كما دخلت على (ان) حين قلت : (والله لئن فعلت لأفعلن) واللام التى فى (ما) كهذه التى فى (ان) واللام التى فى الفعل كهذه التى فى الفعل هنا (١) ، قال أبو عيسى (٢) لم يرد الخليل بقوله : (بمنزلة الذى) انها موصولة قبل انها اسم كما ان (الذى) اسم ، (٣) وقال المكبرى فى اعراب هذه الآية : قوله تعالى (لما آتيتكم) : يقرأ بالفتح وتخفيف (ما) وفيها وجهان : أحدهما : أن (ما) بمعنى (الذى) ووضعها رفع بالابتداء ، واللام لام الابتداء دخلت لتوكيد معنى القسم ، وفي الخبر وجهان : أحدهما : (من كتب وحكمة) : أى الذى أوتيته من الكتاب ، والنكرة هنا كالمعرفة . والثاني : الخبر (لتو من به) والهاء عائدة على الجند ، واللام جواب القسم ، لأن أخذ الميثاق قسم فى المعنى ، فأما قوله : (ثم جاءكم) فهو معطوف على (ما آتيتكم) والعائد على (ما) من هذا المعطوف فيه وجهان : أحدهما تقديره : ثم جاءكم به ، واستغنى عن اظهاره بقوله به فيما بعد ، والثاني : أن قوله (لما معكم) فى موضع الضمير تقديره : صدق له ، لأن الذى معهم هو الذى آتاهم ، وجوز أن يكون العائد ضمير الاستقرار العاقل فى مع ، وجوز أن تكون الهاء فى (به) تعود على الرسول ، والعائد على المبتدأ محذوف وسوغ ذلك طول الكلام ، وأن تصديق الرسول تصديق للذى أوتيه ، والقول الثاني : أن (ما) شرط ، واللام قبله لتلقى القسم ؛ كالتى فى قوله : (لئن لم ينته المنافقون) (٤) وليست لانه بدليل قوله : (وان لم ينتهوا عما يقولون ٠٠) الآية (٥) فعلى هذا تكون (ما) فى موضع نصب بـ (آتيت) والمفعول الثانى

-
- (١) الكتاب لسبويه تحقيق عبد السلام هارون : ١٠٢/٣
(٢) هو الحسن بن أحمد بن عبد الفخار بن محمد بن سليمان الفارسي الأصل ، أبو علي ، أحد الأئمة فى علم العربية ولد سنة ثمان وثمانين ومائتين وتوفى سنة سبع وسبعين وثلاثمائة ، بغية الوفاة ٤٩٦/١ الاعلام ١٢٩/٢
(٣) البحر المحيوط : ٥١٠/٢ (٤) الاحزاب : ٦٠
(٥) المائدة : ٢٣

(١)

ضمير المخاطب هـ و (من كتاب) مثل من آية في قوله : (مانسخ من آيسة)
واقى الكلام على هذا الوجه ظاهر (٢) هـ وهو اختيار الكماي كما ذكره
أبو جعفر في اعرابه (٣) هـ والآيات التي سبقت كانت في اجتماع الشرط والقسم
المضمر هـ وقد وردت ثلاث آيات صرح فيها بجملة القسم قبل الشرط هـ وقد سبق
ذكرها ضمن الآيات التي صرح فيها بفعل القسم هـ ولا وجه لاثباتها هنا الا من حيث
التزامي بتتبع الآيات التي اجتمع فيها الشرط مع القسم هـ وهي كما يلي :

(١) وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَةُ لِيُؤْمِنُوا بِهَا، الآية (٤)

(٢) وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَمَّا أُوتُوا لِيُخْرِجُوا، الآية (٥)

(٣) وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَمَّا جَاءَتْهُمْ نَذِيرٌ لِيَكُونَ لَهُمْ مِنَ الْآيَاتِ، (٦)

هذه الآيات صرح فيها بفعل القسم والقسم به قبل اللام الموطئة للقسم

وأجيب القسم بالمضارع المؤكسد باللام والنون وهو (ليؤمن) و (ليخرج) و

(ليكون) هـ كما وردت ثلاث آيات ذكر فيها العهد والميثاق قبل اللام الموطئة

وهي :

(٧)
(١) وَهُمْ مِنْ عَاهِدِ اللَّهِ لَمَّا آتَيْنَا مِنْ فَضْلِهِ لِنُؤَدِّقَ وَلِنُكُونَ مِنَ الصَّالِحِينَ هـ

(٢) وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعِ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدْتَ لَنَا لَنْ كُفِّرَتْ هَـ

الرِّجْزُ لَنُؤْمِنُ مِنْ لَدُنْكَ وَنُرْسَلَنَّ بِهِنَّ، (٨) هـ .

(١) البقرة : ١٠٦ (٢) المكهري ١ / ١٤٦ - ١٤٢

(٣) اعيان القرآن للنحاس : ١ / ٣٤٨ (٤) الانعام : ١٠٦

(٥) النور : ٥٣ (٦) فاطر : ٤٢

(٧) التوبة : ٧٥

(٨) الاعراف : ١٣٤ هـ وقد سبق ذكر هذه الآيات وما قيل فيها وان الباء للقسم

والاسم الموصول مقسم به هـ والراجع الا تكون الباء للقسم هـ والجواب المذكور

(لنؤمن) جواب قسم مقدر دلت عليه اللام هـ انظر مبحث أدوات القسم :

الباء المفردة .

(٣) ولقد أخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا ء وقال
الله اني معكم لئن اقمتم الصلاة واتيتم الزكاة وآمنتم برملي وعزتموهم وأقرضتم
الله قرضا حسنا لا كافرين حكم سيئاتكم ولا أدخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار
فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل (١)

الضرب الثاني : القسم المضمون تدل عليه اللام المقترنة ب (قد) :

قد مر قول الكوفيين وابن مالك والنخعي والرهاني وابن هشام والنزكشي

ان كل فعل وقع بعد (لقد) جواب قسم ء وقدر جملة القسم ان لم يتقدم ء

وكذلك يظهر من كلام سيهويه أنه يقدر اليمين قبل كل فعل مقترن ب (لقد) .

قال رحمه الله في باب نفي الفعل : " واذا قال لقد فعل ء فان نفيه " ما فعل "

لأنه كأنه قال : والله لقد فعل ء فقال : والله ما فعل . . . ثم قال ء واذا

قال ليفعلن ء فنفيه لا يفعل ء كأنه قال : والله ليفعلن ء نقلت : والله لا يفعل .
(٢)

فقد جملة القسم في المثالين قبل لام التوكيد واحتملها لام جواب القسم ء والله اعلم .

وقد تهتمت تفسير الزمخشري فوجدته يذكر في عشرة مواضع من تفسيره أن

(لقد) جواب قسم محذوف ء

(٣)

قال في سورة الاعراف عند تفسير قوله تعالى : (لقد أرسلنا نوحا الى قومه) :

" جواب قسم محذوف ء فان قلت : ما لهم لا يكادون ينطقون بهذه اللام الا مع

(قد) وقل جهم نحو قوله :

حلفت لها بالله حلقة فاجر لانما

قلت انما كان ذلك ء لأن الجملة القسمية لا تناق الا تأكيدا للجملة المقسم عليها

(١) المائدة ١٢ ء أجرى الميثاق في الآية مجرى القسم فأجيبه بجوابه وهو

(لا كافرين) وهذا الجواب ينادى بمد جوابي القسم والشرط جيبا .

(٢) الكتاب لسبويه تحقيق عبد السلام هارون : ١١٢/٣

(٣) الاعراف : ٥٩ .

التي هي جوابها ، فكانت مظنة لمعنى التوهم الذي هو معنى (قد) عند
استماع المخاطب كلمة القسم (١) ،

(٢)

وقال في سورة يوسف تحت قوله تعالى : (ولقد همت به وهم بها الآية)

فان قلت : قوله (وهم بها) داخل تحت حكم القسم في قوله : (لقد همت به) أم

هو خارج منه ؟ قلت الأمران جائزان ، ومن حق القارئ اذا قدر خروجه من حكم

القسم وجعله كلاما برأيه أن يقف على قوله (ولقد همت به) ويتدى قوله (وهم

بها لولا أن رأى برهان ربه) وفيه أيضا اشعار بالفرق بين المهمين (٣) ،

نصرح أن قول الله تعالى (ولقد همت به) معنى على القسم ، وقال في سورة طه

عند تفسير قوله تعالى : (ولقد عهدنا الى آدم ٠٠٠ الآية) (٤) يقال في أوامر

الملوك وصاياتهم : تقدم الملك الى فلان وأهز اليه وعزم عليه وعهد اليه ، عطف

الله سبحانه قصة آدم على قوله (وصرفنا فيه من الوعد لهمم يتقون) (٥) والمعنى :

وأقسم قسما لقد أمرنا أباهم آدم وصيناه أن لا يقرب الشجرة وتوعدناه بالدخول

في جملة الظالمين ان قسما ٠٠٠ الخ (٦)

وقال الزمخشري في سورة الفرقان في تفسير قوله عز وجل :

(لقد استكبروا في أنفسهم ٠٠٠ الآية) (٧) واللام جواب قسم محذوف (٨) ،

(١) الكشاف : ٨٤/٢ وانظر أيضا الفصل : ١٤٨ وقال أبو حيان (قد) حرف
تحقيق اذا دخلت على الماضي وحرف توقع اذا دخلت على المستقبل ، الجنى
الداني للمرادى ص ٢٥٥

(٢) الكشاف : ٣١١/٢

(٢) يوسف : ٢٤

(٥) طه : ١١٣

(٤) طه : ١١٥

(٧) الفرقان : ٢١

(٦) الكشاف : ٥٥٥/٢

(٨) الكشاف : ٨٨/٣

قال في سورة الروم في تفسير قوله عز وجل : (وقال الذين أوتوا العلم والايان
لقد لبثتم في كتاب الله الى يوم الهمت) الآية (١) ، (في كتاب الله) : أى في
اللوحي أو في علم الله وقضائه أو فيما كتبه : أى أوجهه بحكمته ، رداً وما قالوه (٢)
وحلفوا عليه ، وأطلعهم على الحقيقة . (٣)

قال في سورة يس عند تفسير قوله تعالى : (لقد حق القول على أكثرهم
.....) الآية (٤) (القول) : قوله تعالى : (لا ملأن جهنم من الجنة
والناس أجمعين) (٥) . يعنى تعلق بهم هذا القول وثبت عليهم ووجب لأنهم
من علم أنهم يموتون على الكفر ، (٦) ،

قال في سورة ولصافات عند تفسير قوله تعالى : (ولقد نادانا نوح فلنعم
المجيبون) (٧) : واللام الداخلة على (نعم) جواب قسم محذوف ، والمخصوص
بالمدح محذوف وتقديره : فوالله لنعم المجيبون نحن ، والجمع دليل العظمة
والكبرياء (٨) كما أن القسم مقدر قيل (لقد) وجملتها جوبه وإنما نه النسخة
على الآخر لسهولة قياس الأول على ما سبق ، والله اعلم .

قال في سورة ص عند تفسير قوله تعالى : (قال لقد ظلمك الآية) (٩)

جواب قسم محذوف ، وفي ذلك استنكار لفعل خليطه وتهجين لطمعه ، (١٠)

قال في سورة النجم عند تفسير قوله تعالى : (لقد رأى من آيات ربه الكبرى) (١١)

والله لقد رأى ، (١٢) . وقال في سورة المتحننة عند تفسير قوله تعالى : (لقد

-
- (١) الروم : ٥٦
(٢) وهو قولهم : (يوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة) الروم ٥٥
فردوا على قسمهم بالقسم . (٣) الكشاف : ٢٢٧/٣
(٤) يس : ٧
(٥) ألم السجدة : ١٣
(٦) الكشاف : ٣١٥/٣
(٧) الصافات : ٧٥
(٨) الكشاف : ٣٤٣/٣
(٩) ص : ٢٤
(١٠) الكشاف : ٣٧٠/٣
(١١) النجم : ١٨
(١٢) الكشاف : ٣٠/٤

كان لكم فيهم أسوة حسنة (١٠٠٠ الآية) (١) : كثر الحث على الاتعاظ بهمراهم وقومه تقريرا وتأكيدا عليهم ، ولذلك جاء به مصدرا بالقسم لأنه الغاية في التأكيد ، (٢)

فوضع النهج في المواضع المذكورة أن اللام في لقد بجواب قسم محذوف وفي بعض المواضع من تفسيره المصحح اليه تلميحا ، فضلا ذكر في سورة التوبة عند قوله تعالى : (يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر) (٣) قول الجالس : يارسول الله لقد عرض الله علي التوبة والله لقد قلته وصدق عامر (٤) فكأنه أراد رحمه الله أن الجالس (٥) صدق قسم الله تعالى بإنعامه علي صدق التنزيل وكذب دعواه ، والله اعلم .

وقال في سورة ص عند تفسير قوله تعالى : (ولقد فتنا سليمان) (٦)

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم : " قال سليمان : لا طوفن الليلة على سبعين امرأة كل واحدة تأتي بفارس يجاهد في سبيل الله ولم يقل ان شاء الله ، فطاف عليهن فلم يحمل الا امرأة واحدة جاءت بشق رجل ، والذي نفسي بيده ، لو قال ان شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرسانا أجمعون ، فذلك قوله تعالى : (ولقد فتنا سليمان) (٧) فكأنه أراد رحمه الله أن الله سبحانه أقسم على فتنة

سليمان وابتلاءه لقسمه عليه السلام على فعل شيء لم يقل فيه ان شاء الله ، والله اعلم .

(١) المتحفة : ٦ (٢) الكشاف : ٩١/٤

(٣) التوبة : ٧٤ (٤) الكشاف : ٢٠٣/٢

(٥) هو جالس بن سعيد بن الصامت الانصاري ، كان من المنافقين ثم تاب وحسنت توبته ، (الاصابة : ت ١١٢٦) .

(٦) ص ٢٤

(٧) الكشاف : ٣٢٤/٣ والحديث في البخاري كتاب فضل الجهاد والسير ، وفيه

لا طوفن الليلة على مائة امرأة أو تسع وتسعين كلهن يأتي بفارس يجاهد في

سبيل الله ، فقال له صاحبه ان شاء الله فلم يقل ان شاء الله فلم يحمل منهن

الا امرأة واحدة الحديث ، صحيح البخاري ، كتاب الجهاد ، باب من

طلب الولد للجهاد : ٢٧/٤ ورواه مسلم في صحيحه ، كتاب الايمان باب الاستثناء

- واليك بيان الآيات التي وردت فيها (لقد) جواباً للقسم :
- (أولاً :) الآيات التي صرح فيها بالقسم مع (لقد) وذلك في قوله عز وجل :
- (١) تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض الآية (١)
 - (٢) تالله لقد آثرك الله علينا الآية (٢)
 - (٣) تالله لقد أرسلنا إلى أم من قبلك فزين لهم الشيطان أعمالهم الآية (٣)
 - (٤) لا أقسم بهذا البلد لقد خلقنا الانسان في كبد . (٤)
 - (٥) والتين والزيتون لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم (٥)
- كما جاءت لقد " جواباً لـ " لولا " الامتناع في آية واحدة ، وهي قوله تعالى : ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن اليهيم شيئاً قليلاً . (٦)
- وفي بقية الآيات جاءت (لقد) دون تصريح بقسم معيق فوهمت جواباً للقسم مضمراً ، واليك بيانها :
- * في سورة البقرة : الآيات (٦٥ ، ٨٧ ، ٩٢ ، ٩٩ ، ١٣٠)
 - * وفي سورة آل عمران : الآيات (١٢٣ ، ١٤٣ ، ١٥٢ ، ١٥٥)
 - ٠ (١٦٤ ، ١٨١)
 - * وفي سورة النساء : الآية (١٣١)
 - * وفي سورة المائدة : الآيات (١٧ ، ٧٠ ، ٣٢ ، ٧٢ ، ٧٣)
 - * وفي سورة الانعام : الآيات (١٠ ، ٣٤ ، ٤٢ ، ٩٤)

(١) يوسف : ٧٣	(٢) يوسف : ٩١
(٣) النحل : ٦٣	(٤) البلد : ٤-١
(٥) التين : ٤-١	(٦) الاسراء : ٧٤

- * وفي سورة الاعراف : الآيات (١٠ ١١ ٤٣ ٤٥٢ ٤٥٩ ٤٧٩ ٤٩٣)
(١٧٩ ١٣٠ ١٠١)
- * وفي سورة التوبة : الآيات (٢٥ ٤٨ ٤٣ ٣٧ ٣٧ ١١٧ ١٢٨)
(٩٤ ٩٣ ١٣)
- * وفي سورة هود : الآيات (٢٥ ٦٩ ٧٩ ٩٦ ١١٠)
(١١١ ٣٢ ٢٤ ٧)
- * وفي سورة الرعد : الآيات (٣٨ ٣٢)
(٥)
- * وفي سورة الحجر : الآيات (١٠ ١٦ ٢٤ ٢٦ ٨٠ ٨٧ ٩٢)
(١١٣ ١٠٣ ٣٦)
- * وفي سورة الاسراء : الآيات (٤١ ٥٥ ٧٠ ٨٩ ١٠١ ١٠٢)
(٧٤ ٧١ ٦٢ ٥٤ ٤٨ ٣٤ ٣٧)
- * وفي سورة مريم : الآيات (٢٧ ٨٩ ٩٤)
(١١٥ ٩٠ ٧٧ ٥٦ ٣٧)
- * وفي سورة الانبياء : الآيات (١٠ ٤١ ٤٨ ٥١ ٥٤ ٦٥ ١٠٥)
(٨٣ ٧٦ ٤٩ ٢٣ ١٧ ١٢)
- * وفي سورة النور : الآيات (٤٦ ٣٤)
(٥٠ ٤٠ ٣٥ ٢٩ ٢١)
- * وفي سورة الفرقان : الآيات (٦٨ ٤٥ ١٥)
(٥١ ٤٣)
- * وفي سورة النمل : الآيات (٣٩ ٣٥ ١٤ ٣)
(٥٨ ٥٦ ٤٧)
- * وفي سورة الروم : الآيات (١٢)
(٢٣)

- * وفي سورة الاحزاب : الآيات (٢١ ء ١٥)
- * وفي سورة سبأ : الآيات (٢٠ ء ١٥ ء ١٠)
- * وفي سورة يونس : الآيات (٦٢ ء ٧)
- * وفي سورة الصافات: الآيات (١٧١ ء ١٥٨ ء ١١٤ ء ٧٥ ء ٧٢ ء ٧١)
- * وفي سورة ص : الآيات (٣٤ ء ٢٤)
- * وفي سورة النمر: الآية (٢٧)
- * وفي سورة غافر : الآيات (٧٨ ء ٥٣ ء ٣٤ ء ٢٣)
- * وفي سورة فصلت: الآية (٤٥)
- * وفي سورة الزخرف: الآيات (٧٨ ء ٤٦)
- * وفي سورة الدخان: الآيات (٣٢ ء ٣٠ ء ١٧)
- * وفي سورة الجاثية : الآية (١٦)
- * وفي سورة الاحقاف : الآيات (٢٧ ء ٢٦)
- * وفي سورة الفتح : الآية (١٨)
- * وفي سورة ق : الآيات (٢٢ ء ١٦)
- * وفي سورة النجم : الآيات (٢٣ ء ١٨ ء ١٣)
- * وفي سورة القمر : الآيات (٣٧ ء ٣٦ ء ٤٠ ء ٣٢ ء ٢٢ ء ١٧ ء ١٥ ء ٤)
- (٥١ ء ٤١ ء ٣٨)
- * وفي سورة الواقعة: الآية (٦٢)
- * وفي سورة الحديد : الآيات (٢٦ ء ٢٥)
- * وفي سورة المتحنسة : الآية (٦)
- * وفي سورة الملك : الآيات (١٨ ء ٥)
- * وفي سورة التكهير : الآية (٢٣)

الضرب الثالث من القسم المضمّر :

هو ما دلّت عليه اللام المقترنة بالفعل المضارع المتصل بنون التوكيد :

قد يهدف مع القسم به ويقتصر على جواب القسم ، نحو لا أقوم ولا أفعلن ،
والمعنى : والله لا أقوم ، والله لا أفعلن ، وكل هذا اختصار وإيجاز لدلالة
الكلام على المراد ، كما قال الله عز وجل :
(لا تطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف) الآية (١) فجاء بجواب القسم ولم
يتقدم لفظ القسم ،

قال سيهويه رحمه الله : وسألته عن قوله (لتفعلن) اذا جاءت مبتدأة
ليس قبلها ما يحلف به فقال : انما جاءت على نية اليمين وان لم يتكلم بالمحلف به ،
وقال : " ومثل ذلك (لمن تمك لا ملأن جهنم) الآية (٢) انما دخلت
اللام على نية اليمين . (٤)

وقال الزجاجي : " وكقوله تعالى : (لتهلون في أموالكم) الآية (٥) ،

اللام في هذا للقسم ، وليس قبله قسم ظاهر الا في النية ، وانما حكمنا عليها
بذلك لان القسم لو ظهر لم يجز أن يقع الفعل المستقبل محققا الا باللام والنون .
(٦)

وقد سبق القول بأنه قد أجمع النجاة والمحميون على أن مثل هذا اسلوب

انما هو اسلوب قسم ، وأكثر ما دفعهم الى ذلك هو وجود الفعل المستقبل مؤكدا
باللام والنون ، وهذا لم يعمد الا اذا كان في جواب قسم .

(١) الاعراف : ١٢٤

(٢) الكتاب لسيهويه تحقيق عبد السلام هارون : ١٠٦/٣

(٣) الاعراف : ١٨

(٤) الكتاب لسيهويه ١٠٨/٣

(٥) آل عمران ١٨٦

(٦) كتاب اللامات للزجاجي ص ٧١ وكتاب اللامات لأبي الحسن النهروى ص ٩٢=٩٣

ثم ان النون الثقيلة والخفيفة معناهما جميعا التأكيد. ولا يدخلان الا على الفعل المستقبل في غير الواجب ، ويطلقان اعراب ما يدخلان عليه ، وذلك في جواب القسم ، اذا كان في اوله اللام مع الفعل المضارع ، وفي الامر والنهي والمجازاة والاستفهام (١)

وقال الخليل : ان التوكيد بالشديدة اشد ، واستدل سيهويه على أن الخفيفة ليست مخففة من الثقيلة بابدال الخفيفة الفا في الوقف ، وزعم الكوفيون أنها مخففة منها (٢) ، وذهب الزركشي (٣) الى ما ذهب اليه الخليل ، فقال : وهي (أى النون) ان كانت خفيفة كانت بمنزلة تأكيد الفعل مرتين أو شديدة فنزلة تأكيده ثلاثا ، ثم بين رحمه الله أن التأكيد بالخفيفة لم يقع في القرآن الا في موضعين ، في قوله تعالى : (ليسجنن وليكونا من الصاغرين) (٤) وقوله (لنصفه ا بالناصية) (٥) ، وسأتبع الآيات التي وقع فيها الفعل المضارع مفتحا بالهمزة مفتوحة مختما بنون مؤكدة جوابا لجملة قسم مقدرة علما بأنها جاءت على نحوين ، آيات ورد فيها جواب القسم على الوجه الذي ذكرته اول الآيسة ولم يسبق بشيء ، وآيات ورد فيها الجواب في وسط الكلام ، ونذكر الآيات حسب التسلسل القرآني للسور ،

ففي سورة البقرة قوله تعالى :

(١) ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ، والآية (٦)

وهذه اللام جواب قسم محذوف ، والنون للتوكيد ، تقديره : والله لتجدنهم ،

(١) التبصرة والتذكرة للسيبويه ٤٢٥/١

(٢) كتاب سيهويه تحقيق عبد السلام هارون ٥٠٩/٣ والمساعد لابن قتييل

٦٦٤/٢

(٣) البرهان للزركشي ٤٣٠/٤ وكتاب سيهويه ٥٠٩/٣

(٤) سورة يوسف : ٣٢

(٥) سورة الماعق : ١٥ وانظر الجنى الداني في حروف المعاني للمراذى ص ١٤١

(٦) البقرة : ٩٦

و (وجد) ههنا متعددة لمفعولين أولهما الضير والثاني (أحوص) ، وإذا تعدت لاثنين كانت كـ (علم) في المعنى ، نحو : (وان وجدنا أكثرهم لفاسقين) (١) ويجوز أن تكون متعددة لواحد ، ومعناها معنى صادف وأصاب ، ومنتصب (أحوص) على الحال (٢) .

(٢) وقوله تعالى : (فلتسولينك قيلة ترضاها) الآية (٣) ، الفاء هنا للتسبب وهو واضح ، وهذا جواب قسم محذوف ، أي فوالله لتسولينك (٤) في البحر : هذا يدل على أن في الجملة السابقة حالا محذوفة ، التقدير : قد نرى ثقل وجهك في السماء طالبا قيلة غير التي أنت مستقبلها ، وجاء هذا الوعد على إضمار قسم حالفة في وقوعه ، لأن القسم يؤكد مضمون الجملة المقسم عليها ، وجاء الوعد قبل الأمر لفرج النفس بالاجابة ثم بانجاز الوعد فيتوالى السرور مرتين (٥) .

(٣) وقوله تعالى : (ولتهلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والالافس والثمرات ، وشر الصلبيين) (٦)

قوله : (ولتهلونكم) جواب قسم محذوف (٧) أي ولنصيبينكم بذلك اصابة تشبه فعل المختبر لا حوالكم هل تصبرون وتثبتون على ما أنتم عليه من الطاعة وتسلمون لأمر الله وحكمه أم لا ، (٨)

قال الفراء : ولم يقل بأشياء لا اختلافهما ، وذلك أن (من) تدل على أن لكل صنف منها شيئا مضرا بشيء من الخوف وشيء من كذا (٩)

(١) الاعراف : ١١٢ (٢) الفتوحات الآلهية : ٨٠/١

(٣) البقرة : ١٤٤ (٤) الفتوحات : ١١٧/١

(٥) البحر المحيط : ٤٢٨/١ (٦) البقرة : ١٥٥

(٧) الفتوحات : ١٢٤/١ (٨) الكشاف : ٣٢٣/١

(٩) معاني القرآن للفراء : ٩٤/١

وفي سورة آل عمران : قوله عز وجل :

(٤) لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا ، الآية (١)

قوله (لتبلون) الواو فيه ليست لام الكلمة (٢) يبل واو الجمع حركت لالتقاء الساكنين ، وضمة الواو دليل على المحذوف (٣) ، وهو جواب قسم محذوف ، تقديره : والله لتبلون ، وقوله (ولتسمعن) محذوف على الجواب ، (٤)
(٥) وقوله سبحانه : (لا تكفرن عنهم سيئاتهم ولا تدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار) . (٥)

قوله : (لا تكفرن) جواب قسم محذوف ، أى والله لا تكفرن ، والقسم وما تلقى به خيرا للبتداء ، وهو قوله : (فالذين هاجروا) قال أبو حيان : وفي هذه ونظيرها من قوله (والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنهنئونهم) (٦) ، (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) (٧) رد على أحمد بن يحيى ثعلب إذا زعم أن الجملة الواقعة خيرا للبتداء لا تكون قسمية ، (٨)

(٦) وقوله سبحانه : (الله لا اله الا هو ليجمعنكم الى يوم القيامة لا ريب فيه) الآية ، (٩)
قوله (ليجمعنكم) جواب قسم محذوف ، أى والله ليجمعنكم من قهركم الى حساب يوم القيامة ، وقيل (الى) بمعنى (في) والجملة القسمية اما مستأنفة لامحل لها من الاعراب ، أو خبر ثان للبتداء ، أو هي الخبر (لا اله الا هو) هو اعتراض (١٠)

-
- (١) آل عمران : ١٨٦ وانظر كتاب اللامات للهروي ٩٥ .
(٢) أى ليست من أصل الكلمة (٣) المعكرى : ١٦١/١
(٤) الفتوحات الالهية : ٣٤٤/١ (٥) آل عمران : ١٩٥
(٦) النحل : ٤١ (٧) المنكوت : ٦٩
(٨) البحر المحيط : ١٤٥/٣ - ١٤٦ والفتوحات ٣٤٨/١ والمفنى لابن هشام ص ٤٥٣ وانظر أيضا البيان لابن الانبارى : ٢٣٧/١ .
(٩) النساء : ٨٢
(١٠) تفسير أبي السعود : ٢١١/٢

ولما كان الحشر جائزاً بالمقل واجبا بالسمع أكدته بالقسم قبله وبالجملة بعده من قوله (لا ريب فيه) . (١)

(٢) وقوله سبحانه : (وقال لا تأخذن من عهدي نصيبا مفروضا ، ولا أضلنهم ولا منيهم / فليهنكن آذان الانعام ولا منيهم فليغيبن خلق الله) (٢) الآية

هذه الجملة المحكية عن اللعين ما نطق به لسانه مقالا أو حالا وما فيها من اللامات كلها للقسم ، والمأمور به في الموضمين محذوف ثقة بدلالة النظم عليه . (٣)

وأقسم ابليس في الآية الكريمة على خمسة أمور :

- (أحدها) اتخاذ نصيب من عهده الله وهو اختياره اياهم .
- (والثاني) اضلالهم وهو صرفهم عن الهداية وأسبابها .
- (والثالث) تمنيته لهم وهو التسويل ، ولا ينحصر في نوع واحد لأنه يعني كل انسان بما يناسب حاله من طول عمر وبلوغ وطرف وغير ذلك وهي كلها أماني كاذبة باطلية .

(والرابع) أمره اياهم الناشي* عنه تهتيك آذان الانعام ، وفيه اشارة الى كل ما جعله الله كاملا بفطرته فجعله الانسان ناقصا بسوء تدبيره .

(والخامس) أمره اياهم الناشي* عنه تغيير خلق الله تعالى ، قال غير واحد من السلف : أراد تغيير دين الله ، ذهبوا في ذلك الى الاحتجاج بقوله : (فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبدل لخلق الله) (٤) أي لدين الله ، والذي يبدو لي أن الأول أرجح بدلالة السباق والسياق اذ ليست كلمة فطرة خاصة بالدين ، بل قد يراد منها في القرآن أصل الخلقة أو ما أراد الله لعباده في العقيدة والسلوك ويرجح أحدهما سياق الآيات .

(١) البحر المحيط ٣ / ٣١٢ هـ والفتوحات الالهية : ٤٠٨ / ١
(٢) النساء : ١١٨ - ١١٩ (٣) تفسير أبي السعود : ٢ / ٢٣٤
(٤) الروم : ٣٠ وانظر البحر المحيط ٣ / ٣٥٣ والكشاف : ١ / ٥٦٤ - ٥٦٥ .

أما متملقات هذه الأفعال الثلاثة فمحدوفة للدلالة عليها ، أى

(ولا أضلنهم) عن الهدى (ولا آمنينهم) الباطل ، (ولا آمنهم) بالضلال
كذا قدره المكبرى (١) والأحسن أن يقدر المحذوف من جنس الملفوظ به
أى ولا آمنهم بالبتك ولا آمنهم بالتغيير الخ (٢)

(٨) وقوله سبحانه : (وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته ، وهم
القيامة يكون عليهم شهيدا) (٣)

(ان) هنا نافية ، و (ليؤمنن) جواب لقيم محذوف ، جملة الزمخشري

صفة لموصوف محذوف ، ففي الكشاف : (ليؤمنن به) جملة قسمية واقعة صفة

لموصوف محذوف تقديره : وان من أهل الكتاب أحد الا ليؤمنن به ، ونحوه :

(وما منا الا له مقام معلوم) (٤) (وان منكم الا واردها) (٥) والمعنى : وما من

اليهود والنصارى أحد الا ليؤمنن قبل موته بميسى وأنه عبد الله ورسوله ، (٦)

وغلطه أبو حيان : قال وهو غلط فاحش ان زعم أن (ليؤمنن به) جملة

قسمية واقعة صفة لموصوف محذوف الى آخره ، صفة (أحد) المحذوف انما هو الجار

والمجرور وهو (من أهل الكتاب) والتقدير : وان أحد من أهل الكتاب ،

والمخبر عنه محذوف قامت صفة مقامه ، كما حذف في قوله : (وان منكم الا واردها) (٧)

أى وما أحد منكم الا واردها ، وقوله : (وما منا الا له مقام معلوم) (٨) أى وما أحد

منا الا له مقام معلوم ، قال الزجاج : وحذف (أحد) لأنه مطلوب في كل نفسي

يدخله الاستثناء نحو : ما قام الا زيد معناه ما قام أحد الا زيد .

(١) المكبرى : ١٩٥/١ (٢) الفتوحات الالهية : ٤٢٦/١

(٣) النساء : ١٥٩ وانظر كتاب اللامات للمهروى ٩٦

(٤) الصافات : ١٦٤ (٥) مريم : ٧١

(٦) الكشاف : ٥٨٠/١ (٧) مريم : ٧١

(٨) الصافات : ١٦٤ .

وأما قوله : (ليؤمنن به) فليست صفة لموصوف ، ولا هي جملة قسمية
كما زعم ، إنما هي جملة جواب القسم ، والقسم محذوف والقسم وجوابه في موضع
رفع خبر المبتدأ الذي هو (أحد) المحذوف (١) ، والهاء في (موته) فيها
وجهان :

(أحدهما) : أن يكون المراد كل واحد من الكفار من أهل الكتاب وغيرهم ممن
كان لا يؤمن فيؤمنن به إذا عين قبل أن تزهد روحه حين لا ينغمه إيمانه لانقطاع
وقت التكليف ، (٢)

(والثاني) أن تكون الهاء في (موته) لعيسى عليه السلام ، أي يؤمنون به
إذا أنزل قبل موته ، وتكون الملة والدين واحدا ، وهي ملة الاسلام (٣)
٩) وقوله سبحانه : (٠٠٠٠ قال لاقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين (٤)
(قال لاقتلنك) هذا وعيد وتهديد شديد ، وقد أبرز هذا الخبر مؤكدا بالقسم
المحذوف حسدا لأخيه على تقبل قريانه (٥)

١٠) وقوله سبحانه : (وليزیدن كثيرا منهم ما أنزل اليك من ربك طفيانا وكفرا)
وقوله سبحانه : (وليزیدن كثيرا منهم ما أنزل اليك من ربك طفيانا وكفرا) (٦)

جملة مستأنفة مهينة لشدة شكيتهم وقلوبهم في المكابرة والمعناد وعدم افادة التليغ
نفما وتصديرها بالقسم لتأكيد مضمونها وتحقيق مدلولها (٨)
و (ما) بمعنى الذي في موضع رفع لأنه فاعل ، (٩)

-
- (١) البحر المحيط ٣/٣٩٢
(٢) معاني القرآن للفراء : ١/٢٩٥ والكشاف : ١/٥٨٠
(٣) معاني الفراء : ١/٢٩٤ والبحر المحيط : ٣/٣٩٢ والبيان لابن الانباري
١/٢٧٥ (٤) المائدة : ٢٧
(٥) البحر المحيط ٣/٤٦١ وتفسير أبي السمود : ٣/٢٦ والفتوحات الالهية
١/٤٨٢ ومعاني القرآن للفراء : ١/٣٠٥
(٦) المائدة : ٦٤ (٧) المائدة : ٦٨
(٨) تفسير أبي السمود : ٣/٦٢ (٩) البيان لابن الانباري : ١/٢٩٩

- (١١) وقوله سبحانه : (لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ، ولتجدن أكثرهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى)^(١) .
اللام للقسم وهذا كلام مستأنف لتقرير ما قبله من قبائح اليهود^(٢) ،
وقال ابن عطية^(٣) : هي لام الابتداء وليس بمرضى^(٤) ، وقوله (عداوة)
تمييز والعامل فيه (أشد) وهو المفعول الأول ، و (للذين آمنوا) متعلق
بالمصدر وهو (عداوة) أو نعت له ، (اليهود) المفعول الثاني (لتجد)^(٥) .
(١٢) وقوله سبحانه : (يا أيها الذين آمنوا ليهلونكم الله بشيء من الصيد)^(٦)
اللام لام القسم ، أى والله ليهلونكم الله ، أى لينتخبن طاعتكم من معصيتكم .
والظاهر أن قوله (بشيء من الصيد) يقتضي تقليلا وقيل يعلم أنه ليس
من الابتلاء العظيم كالابتلاء بالأفئس والأموال ، بل هو تشبيه بما ابتلى
به أهل أيلة من صيد السمك ، وأنهم كانوا لا يصبرون عند هذا الابتلاء فكيف
يصبرون عندما هو أشد منه ،^(٧) وقال ابن عطية : وجوز أن تكون (من)
ليبان الجنس لأنه لما قال (ليهلونكم الله بشيء) لم يعلم من أى جنس هو ،
فبين فقال : من الصيد ،^(٨) .

(١) المائدة : ٨٢

(٢) تفسير أبي السعود : ٢١/٣

(٣) هو عهد الحق بن غالب بن عبد الرحيم وقيل عبد الرحمن بن غالب بن تمام

ابن عبد الروؤف بن عبد الله بن تمام بن عطية الفرناطي ، له (البحر

الوجيز في تفسير الكتاب العزيز) ولد سنة احدى وثمانين وأربعمائة ،

وتوفى سنة احدى وأربعمين وخمسمائة .

طبقات المفسرين للسيوطي ٦٠-٦١ وخفة الرواة ٢/٧٣ والاعلام ٣/٢٨٢ .

(٤) البحر المحيط : ٤/٤

(٥) المكهرى ١/٢٢٣ والفتوحات ١/٥١٦ .

(٦) المائدة : ٩٤ (٦) الفتوحات : ١/٥٢٤

(٧) البحر المحيط : ٤/١٦ (٨) البيان لابن الانبارى ١/٣٠٤ والبحر ٤/١٦

(١٣) وقوله سبحانه : (فلنمثلن الذين أرسل اليهم ولنمثلن المرسلين فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين) (١)

اللهم لام قسم مقدر ، وهذا بيان لعذابهم الأخرى إثر بيان عذابهم الدنيوى غيرانه قد تعرض لبيان هادى أحوال المكلفين جميعا لكونه داخلا في التسهيل ، والقاء لترتيب الأحوال الأخرى على الدنيوة في الذكر حسب ترتيبها عليها وجودا ، (٢)

قال الزخشرى : معناه فلنمائلن المرسل اليهم وهم الأئمة يسألهم عما أجابوا عنه رسلمهم ، كما قال : (وهم يناديهم فيقول ماذا أجتتم المرسلين) (٣) وسأل المرسلين عما أجيبوا به ، كما قال : (يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجتتم) الآية (٤) وقوله : (فلنقصن عليهم) أى على الرسل والمرسل اليهم ما كان منهم ، (يعلم) طالبين بأحوالهم الظاهرة والباطنة وأقوالهم وأفعالهم (٥) وذلك للتوبيخ والتقريع والتقريب .

(١٤) وقوله سبحانه : (قال فهما أغوتنى لأقمذن لهم صراطك المستقيم ثم لأتئينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمنهم وعن شمائلهم ولأتجد أكرهم شاكرين) (٦)

قوله : (فهما) هذه الباء فيها وجهان ، (أحدهما) : أن تكون قسمية كما في قوله تعالى : (فبمرتك لاغوتنهم) (٧) .

(والثاني) : أن تكون سببية وه قال الزخشرى ، وتعلقت الباء بفعل القسم المحذوف تقديره : فهما أغوتنى أقسم بالله لأقمذن) (٨) أو فهسب أغوائك اياى لأجلهم أقسم بمرتك لأقمذن لآدم وذريته ترصدا بهم (٩)

(١) الاعراف : ٦-٧ (٢) تفسير أبي السعود ٢١٢/٣ والفتوحات
(٣) القصص : ٦٥
(٤) المائدة : ١٠٩
(٥) الكشاف : ٢٧/٢
(٦) الاعراف : ١٦-١٧ (٧) سورة ص ٨٢
(٨) الكشاف : ٦٩/٢ - ٧٠ والفتوحات : ١٢٦/٢
(٩) تفسير أبي السعود : ٢١٩/٣

(١٥) وقوله سبحانه : (قال أخرج منها مذءً وما مدحوراً ، لمن تبعك منهم — لا ملأن جهنم منكم أجمعين) (١)

قوله (لمن تبعك) قيل اللام للابتداء أى داخلة على المبتدأ وهو (من) الموصولة ، وقوله (لا ملأن) جواب قسم مقدر ، وهذا القسم المقدر وجوابه المذكور مجموعها خبر المبتدأ الذى هو (من) . والتقدير للذى تبعك منهم — والله لا ملأن جهنم منكم أجمعين . وقيل اللام موطئة للقسم والتقدير : (والله لمن تبعك) و (من) شرطية مبتدأ وجملة (تبعك) جملة الشرط ، وقوله (لا ملأن) الخ جواب القسم المقدر ، واللام فيه واقعة في الجواب لمحض التأكيد ، وجواب الشرط محذوف لسد جواب القسم مسده ، (٢)

(١٦) وقوله سبحانه : (قال الملا الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتحمدين في ملتنا) الآية (٣) .

(لنخرجنك) اللام واقعة في جواب قسم مقدر ، وقوله (أو لتحمدين) عطف على جواب القسم الأول ، أى والله ليكون أحد الأمرين البتة ، إما العودة إلى الكفر أو إخراجكم من القرية (٤) ،

(١٧) وقوله سبحانه : (لا تقطن أيديكم وأرجلكم من خلاف ثم لا صلبنكم أجمعين) اللام واقعة في جواب قسم مقدر ، و (لا صلبنكم معطوف عليه فهو من جملة جواب القسم المحذوف .

(١٨) وقوله : (وليحلفن ان أردنا الا الحسنى) الآية (٦) ،

(ليحلفن) جواب قسم مقدر ، أى والله ليحلفن ، وقوله (ان أردنا) جواب لقوله

(ليحلفن) فوقع جواب القسم المقدر فعمل قسم مجاب بقوله (ان أردنا) ، و (ان)

نافية ولذلك وقع بعدها إلا ، (٧)

(٢) الفتوحات : ١٢٧/٢ وتفسير أبي السمود

(١) الاعراف : ١٨

• ٢١٩/٣

(٣) الاعراف : ٨٨

(٤) البحر المحیط ٣٤٢/٤ والفتوحات : ١٦٥/٢ (٥) الاعراف : ١٢٤

(٧) الفتوحات : ٣١٧/٢

(٦) التوبة : ١٠٧

(١٩) وقوله سبحانه : (وان كلا لما ليوفينهم ربك أعمالهم) الآية (١) ،
والآية الكريمة تشتمل على أربع قراءات متواترة :

(١) قرأ ابن كثير ونافع بتخفيف (وان) و (لما) .

(٢) قرأ عاصم في رواية أبي بكر عنه : بتخفيف (وان) وتشديد (لما) .

(٣) قرأ حفص وحمزة وابن عامر بتشديد (ان) و (لما) .

(٤) قرأ الكسائي وأبو عمرو بتشديد (ان) وتخفيف (لما) . (٢)

فالحجة لمن شدد (ان) أنه أتى بالحرف على أصل ما بنى عليه فنصب به

الاسم . والحجة لمن خفف أنه جعلها مخففة من المثقلة فأعملها عمل المثقلة ، لأنها

مشبهة بالفعل ، فلما كان الفعل يحذف منه فيعمل عمله تاما كقولك : سل زيدا

أو قل الحق ، (٣) كانت إنَّ بهذه المثابة . والحجة لمن خفف (لما) أنه جعل اللام

داخلة على خير (إن) و (ليوفينهم) لام تحتها قسم مقدر ، و (ما) صفة عن ذات

الآدميين كقولك : إنَّ عندي لما غيره خير منه ، والحجة لمن شدد أنه أراد : (لمنما)

فقلب لفظ النون ميما ، ثم أدغمها في الميم بحذف أن أسقط إحدى اليميات تخفيفا

واختصارا ، لأنها ثلاث في الأصل (٤)

قال الزمخشري : (وان كلا) التثنية عوض من المضاف اليه ، يعني وان كلهم

وان جميع المختلفين فيه ، (ليوفينهم) جواب قسم محذوف ، واللام في (لما)

موظفة للقسم ، و (ما) مؤنثة ، والمعنى : وان جميعهم والله ليوفينهم (ربك

أعمالهم) من حسن وتبجح وإيمان ووجود (٥) ، وجعل سيويبه اللام في (لما)

-
- (١) هود : ١١١
(٢) كتاب السبعة لابن مجاهد ٣٣٩ - ٣٤٠ والنشر لابن الجزري ٢/٢٩٠ - ٢٩١
والاتحاف ص ٢٦٠ . (٣) لأن أصله : أسأل وقول .
(٤) وانظر اعراب هذه الآية حسب القراءات الأربعة وتوجيهها في معاني الفراء :
٢٨/٢ - ٣٠ والبيان لابن الأنباري ١/٢٨ - ٣٠ ومشكل اعراب القرآن لمكي
ابن أبي طالب : ١/٣٧٤ - ٣٧٦ وكتاب اللامات للمهروزي ٩٧ - ٩٨ وعراب
القرآن للنحاس : ٢/١١٤ - ١١٦ والمكهرزي ٢/٤٦٦ والجز ٥/٢٦٦ - ٢٦٧ ،
والامالي الشجرية ٢/٢٤٣ والفتوحات ٢/٤٢٦ والكشف عن وجوه القراءات السبع
لمكي ١/٥٣٦ - ٥٣٨ وحجة القراءات لابن زنجلة ٣٥٠ - ٣٥٣ والحجة في
القراءات لابن خالوية ١٩٠ - ١٩١ . (٥) الكشاف : ٢/٢٩٥

داخلة على لغير (ان) واللام في (ليوفينهم) لام اليمين ، داخلة على جواب قسم مقدر ، كأنه قال : وان كلا لما والله ليوفينهم ، وهو الأصح ، (١)

(٢٠) وقوله عز وجل : (وما لنا ألا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا ولنصبرن على ما آديتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون ، وقال الذين كفروا لرسولهم لنخرجنكم من أرضنا أولتمودن في ملتنا فأوحى اليهم رسهم لنهلكن الظالمين ، ولنسكننكم الأرض من بعدهم ، ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعدي) (٢)

قوله : (ولنصبرن على ما آديتمونا) جواب قسم محذوف أكد وابه توكلهم وعدم حالاتهم بما يجري من الكفار عليهم ، (٣)

وقوله : (لخرجنكم من أرضنا أولتمودن في ملتنا) : (أو) لا أحد الأمرين أقسموا على أنه لا بد من اخراجهم أو عودهم في ملتهم كأنهم قالوا ليكون أحد هذين ، وقوله : (أولتمودن) قال الفراء : فجعل فيها لاما كجواب اليمين ، وهي في معنى شرط ، مثله من الكلام أن تقول : والله لا أضربك أو تقر لي : فيكون معناه معنى حتى أو إلا ، إلا أنها جاءت بحرف نسي ، فمن العرب من يجعل الشرط متبعا للذي قبله ان كان في الأول لام كان في الثاني لام ، وان كان الأول منصوبا أو مجزوما نسقوا عليه ، وقوله : (أولتمودن) ومن العرب من ينصب ما بعد (أو) ليؤذن نصبه بالانقطاع عما قبله ، (٤)

ولما أقسموا على اخراج الرسل والمودة في ملتهم أقسم تعالى على اهلاكهم وأي اخراج أعظم من الاهلاك بحيث لا يكون لهم عودة اليها أبدا ، وعلى اسكان

(١) كتاب سيبويه تحقيق عهد السلام هارون : ١٠٩/٣ وكتاب اللامات للمهروى :

(٢) ٩٧
أبراهيم : ١٢ - ١٤

(٣) تفسير البيضاوي : ٢٦٢/١ (مع حاشية الخطيب) .

(٤) معاني القرآن للفراء : ٧٠/٢ .

الرسول ومن آمن بهم وذرياتهم أرض أولئك المقسمين على اخراج الرسول (١) وهو قوله عز وجل : (فأوحى إليهم ربهم لنهلكن الظالمين) الآية .

(٢١) وقوله عز وجل : (قال رب بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض ولا أغونهم أجمعين) (٢)

قيل (لا زينن ، ولا أغونهم) جواب قسم محذوف ، وقيل : الباء في (بما)

للقسم وجوابه (لا زينن لهم في الأرض) واختار البيضاوي في الاعراف كونها للسببية ، ونقل كونها للقسم بصيغة التمريض ، لأنه وقع في مكان آخر (قال فعمرتك)^(٣) والقصة واحدة الا أن أحدهما اقسام بصفة ذاته والثاني اقسام بفعله ، والفقهاء قالوا : الاقسام بصفات الذات صحيح واختلفوا في القسم بصفات الافعال ، ومنهم من فرق بينهما ولأن جعل الاغواء مقسما به غير متعارف ، (٤) فإذا كون (لا زينن) ههنا جوابا لقسم محذوف أرجح .

(٢٢) وقوله سبحانه : (والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنموتنهم في الدنيا حسنة ولا أجر الاخرة أكبر لو كانوا يعلمون) (٥) ،

قوله : (لنموتنهم) جواب لقسم محذوف ، قال أبو حيان : ودل هذا الاخبار

بالموت كسد بالقسم على عظيم محل الهجرة لأنه بسببها ظهرت قوة الاسلام ، كما أن بنصرة الانصار قوت شوكته ، و (في الله) دليل على اخلاص العمل لله ، ومن هاجر بغير الله فهجرته لما هاجر اليه ، وفي الاخبار عن (الذين) بجملة القسم المحذوفة الدال عليها الجملة المقسم عليها دليل على صحة وقوع الجملة القسمية

(١) البحر المحيط : ٤١١/٥

(٢) الحجر : ٣٩

و(٣) سورة ص ٨٢

(٤) الفتوحات الالهية : ٥٤٥/٢ والبيضاوي ٥/٣ (مع حاشية الخطيب)

(٥) النحل : ٤١

- خبراً للمهتداً خلافاً لثعلب (١) وأجاز أبو الهقاء أن يكون (الذين) منصوباً بفعل محذوف (٢) يدل عليه (لنبوأنهم) وهو لا يجوز لأنه لا يفسر إلا ما يجوز له أن يعمل ولا يجوز (زيداً لغيره) فلا يجوز زيدا لأضيقه (٣)
- (٢٣) وقوله عز وجل (ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم أن تكون أمة هي أربى من أمة انما يملوكم الله به ، وليبين لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون) (٤)
- (٢٤) وقوله (ولتمثلن عما كنتم تعملون) (٥) ، فقوله : (وليبين . ولتمثلن) جوابان لقسم محذوف والسؤال يوم القيامة سؤال تهكيت لا سؤال استفهام وتفهم أو سؤال المحاسبة والمجازاة كما قاله أبو حيان . (٦)
- (٢٥) وقوله تعالى : (ما عندكم ينفد وما عند الله باق) ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون (٧) ،
- قوله : (وليجزين) قرأ ابن كثير وابن عامر بخلف عه ، وطاص بنون العظمة مراعاة لما قبله ، والهاقون بالياء على الغيب (٨) وهو جواب لقسم محذوف ،
- (٢٦) وقوله سبحانه : (من عمل صالحاً من ذكراً أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن الذى كانوا يعملون) (٩)
- اتفقوا على النون في (ولنجزينهم) لا أجل (فلنحيينه) قبله ، وهما جوابان لقسم محذوف .

(١) هو أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار النحوى الشيباني بالولاء أبو الهقاء ، المعروف بثعلب ، امام الكوفيين في النحو واللغة ولد سنة مائتين وثماني سنة احدى وتسعين ومائتين . وفيات الاعيان : ١٠٢/١ - ١٠٤ . وفي الوعاة : ٣٩٦/١ - ٣٩٧ . والاعلام : ٢٦٢/١ .

(٢) المعرى ٨١/٢ (٣) البحر المحيط ٤٩٢/٥ - ٤٩٣

(٤) النحل : ٩٢ (٥) النحل : ٩٣

(٦) البحر المحيط : ٥٣٢/٥ (٧) النحل : ٩٦

(٨) النشر لابن الجزرى ٣٠٤/٢ - ٣٠٥ والاتحاف ٢٨٠ وحجة القراءات لابن زنجلة : ص ٣٩٣ - ٣٩٤ .

(٩) النحل : ٩٧

- في الفتوحات : (ولنجزينهم) : قرأ ابن عامر في رواية بياء الغيبة ، وفي البحر : وروى عن نافع (وليجزينهم) بالياء بدل النون ونهضي أن يكون على اضرار قسم ثان فيكون من عطف جملة قسمة على قسمة مثلها حذفنا وقى جوابها ، (١)
- والصحيح ما أثبتناه ، ففي أمهات كتب القراءات : واتفقوا على النون في (ولنجزينهم) لا أجل (فلنحيينه) قبله ، (٢)
- (٢٧) وقوله عز وجل : (قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجداً) . (لنتخذن) اللام واقعة في جواب قسم مقدر ،
- (٢٨) وقوله : (أفرئيت الذي كهر بآياتنا وقال لا أتين إلا وولداً) (٤) ،
- قوله : (لا وتين) أي حلف يميناً فاجرة ، فان اللام في جواب قسم مقدر أي والله لا وتين ، وهذا من شدة تعنته في كفه (٥) ، قال الزمخشري : وحتمل أنه قد تمنى وطمع أن يؤتيه الله في الدنيا ما لا وولداً ولفظت به أشمبيته أن تألى على الله في قوله : (لا وتين) لأنه جوب قسم مضمرة ، ومن يتألى على الله يكذبه ، (٦)
- وفي البيان : رأيت : هنا بمعنى علمت ، يعتمد على مفعولين والذي وصلته فسي موضع المفعول الأول ، وقوله : (أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهداً) في موضع المفعول الثاني ، (٧) .
- (٢٩) وقوله سبحانه : (فلنأتينك بسحر مثله ، فاجمل بيننا وبينك موعداً نخلفه نحن ولا أنت مكاناً سوى) (٨) ،
- قوله : (فلنأتينك) جواب قسم محذوف تقديره : والله لنأتينك .

-
- (١) البحر المحيط ٥٣٤/٥ والفتوحات ٥٩٧/٢ .
(٢) كتاب السبعة لابن مجاهد ص ٣٧٥ والنشر في القراءات المشر لا ابن الجزري ٣٠٥/٢ والاتحاف : ٢٨٠ وحجة القراءات لابن زنجلة ٣٩٣ - ٣٩٤ .
(٣) الكهف : ٢١ (٤) مريم : ٧٧
(٥) الفتوحات : ٧٦/٣
(٦) الكشاف ٥٢٣/٢ والبحر المحيط ٢١٤/٦
(٧) البيان ١٣٥/٢ وقرأ حمزة والكسائي (ولداً) بضم الواو وسكون اللام ، انظر كتاب السبعة لابن مجاهد ص ٤١٢ والنشر ٣١٩/٢ وحجة القراءات لابن زنجلة ص ٤٤٧ (٨) طه ٥٨

(٣٠) وقوله : (فلا تقطن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولا صلبنكم في جذوع النخل ولتعلمن أيما أشد عذابا وألقى) (١)

اللام في الافعال الثلاثة لام القسم ، والفعلان الثاني والثالث معطوفان على

الاول .

(٣١) وقوله : (لنحرقنه ثم لننصنه في اليم نسفًا) (٢) ، اللام في الفعلين تدل على قسم مضمرة ، وهما جوابان له .

(٣٢) وقوله : (ولينصرن الله من ينصره ، ان الله لقوى عزيز) (٣) أقسم سبحانه على أنه ينصر من ينصره أي من ينصر دينه وأولياءه . (٤)

(٣٣) وقوله : (والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا ، ان الله لهو خير الرازقين) (٥) ، قوله (ليرزقنهم) جواب قسم مقدره ، والجملة القسمية وجوابها خبر قوله : (والذين هاجروا) وفيه دليل على وقوع الجملة القسمية خبرا للمبتدأ ، ومن يمنع ضمير قولها هو الخبر تحكي به هذه الجملة القسمية ، وهو قول مرجح . (٦) وقوله : (ليدخلنهم مدخلا يرضونه ، وان الله لعليم حلِيم) (٧) ، قوله : (ليدخلنهم) اما بدل من قوله (ليرزقنهم) في الآية السابقة أو مستأنفة

جواب لقسم مقدر .

(مدخلا) قرأ نافع بفتح الهم وضمه بضمها (٨) .

(٣٥) وقوله : (ذلك ومن عاقب يمثل ما عوقب به ثم بنى عليه لينصرنه الله ، ان الله لعفو غفور) (٩) ، (من) موصولة مبتدأ ، و (عاقب) صلته ، وقوله : (لينصرنه الله) خبره وهو جواب لقسم محذوف ، وصح أن تكون (من) شرطية ، (١٠)

(١) طه : ٧١	(٢) ظه : ٩٧
(٣) الحج : ٤٠	(٤) البحر المحيط : ٣٧٥/٦
(٥) الحج : ٥٨	(٦) الفتوحات : ١٧٦/٣
(٧) الحج : ٥٩	(٨) النشر لابن الجزرى : ٢٤٩/٢ والاتحاف
(٩) الحج : ٦٠	ص ٣١٦ وحجة القراءات لابن زنجلة : ٤٨١ - ٤٨٢ .
	(١٠) الفتوحات : ١٧٧/٣

وفي البيان : ولا تكون (من) ههنا شرطية لأنه لا لام فيها كما في قوله تعالى :
 (لمن تمك منهم لا ملان جهنم منكم أجمعين) (١) .
 (٣٦) وقوله : (قال عما قليل ليصبحن نادمين) (٢) ، في البحر : واللام في
 (ليصبحن) لام القسم و (عما قليل) متعلق بما بعد اللام إما بـ (يصبحن) وإما
 بـ (نادمين) وجاز ذلك لأنه جار ومجرور ، وتسامح في المجرورات والظروف
 ما لا يتسامح في غيرها ، ألا ترى أنه لو كان مفعولا به لم يجوز تقديمه ، لو قلت
 لأضون زيدا لم يجوز زيدا لأضون ، وهذا الذي قررناه من أن (عما قليل) يتعلق
 بما بعد لام القسم هو قول بعض أصحابنا ، وجمهورهم على أن لام القسم لا يتقدم شيء
 من ممولات ما بعدها عليها سواء كان ظرفا أو مجرورا أو غيرها ، فعلى قول هؤلاء
 يكون (عما قليل) يتعلق بمحذوف يدل عليه ما قبله ، تقديره : عما قليل تنصبر
 لأن قبلة (قال رب انصربي) وذهب الفراء وأبو عبيدة إلى جواز تقديم ممول ما بعد
 هذه اللام عليها مطلقا ، (٣)

(٣٧) وقوله : (لا قطمن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولا صلبنكم أجمعين) (٤)
 اللام في (لا قطمن) لام القسم ، (ولا صلبنكم) معطوف عليه .
 (٣٨) وقوله : (وتنفذ الطير فقال مالي لا أرى الهد همد أم كان من الغائبين
 لا عذبنه عذابا شديدا أو لا أدبحنه أو ليأتيني بسلطان هين) (٥)
 (لا عذبنه) جواب لقسم محذوف وما بعده معطوف عليه ، والحلف في الحقيقة
 على أحد الأولين بتقدير عدم الثالث ، فكلمة (أو) بين الأولين للتخيير ، وفي
 الثالث للترديد بينه وبينها و (أو) الثانية ترجع في المعنى إلى أنها بمعنى
 (إلا) وهي قيد في كل من الأمرين قبلها ، فكأنه قال لا عذبنه إلا أن يأتيني أو
 لا أدبحنه إلا أن يأتيني بسلطان هين . (٦)

(١) الاعراف : ١٨ وانظر البيان : ١٧٨/٢

(٢) المؤمنون : ٤٠

(٣) البحر المحيط : ٤٠٦/٦ والفتوحات : ١٩٢/٣

(٤) الشعراء : ٤٩ (٥) النمل : ٢٠ - ٢١

(٦) الفتوحات الالهية : ٣٠٨/٣

قال الزمخشري : فان قلت : قد حلف على أحد ثلاثة أشياء ، فحلفه
على فعلية لامقال فيه ، ولكن كيف صح حلفه على فعل الهد الهد ، ومن أين
درى أنه يأتي بسلطان حتى يقول : والله ليأتيني بسلطان ؟ قلت : لما نظم
الثلاثة " بأو " في الحكم الذي هو الحلف آل كلامه الى قولك : ليكون أحد
الأمر ، بمعنى وإن كان الاتيان بالسلطان لم يكن تمذيب ولا ذبح ، وإن لم يكن
كان أحدهما ، وليس في هذا ادعاء ، راية ، على أنه يجوز أن يتمقب حلفه بالفعلين
وحي من الله بأنه سيأتيه بسلطان مهين ، فثلث بقوله : (أو ليأتيني بسلطان
مهين) عن دراية وإيقان ، والسلطان : الحجة والمعزة ، (١)
(٣٩) وقوله : (ارجع اليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم
منها أذلة وهم صاغرون) . (٢)

(فلنأتينهم) : جواب قسم محذوف ، والفاء واقعة في جواب شرط محذوف
تقديره : ان لم يأتوني مسلمين فلنأتينهم ، وبين بهذا المقدر أن القسم المذكور
معلق عليه ، فلم يحدث سليمان في قسمه وإنما كان يحدث لو لم يكن قسمه معلقاً ،
(٤٠) وقوله سبحانه : (فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين) (٤) ،
(فليعلمن) جواب لقسم مقدر ، (وليعلمن) معطوف عليه ، ومعنى الآية :
(فليعلمن الله) بالامتحان (الذين صدقوا) في الايمان (وليعلمن الكاذبين)
فيه ، أي ليعلم موجوداً ما لم يزل يعلمه معدوماً (٥) .
(٤١) وقوله : (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم ولنجزينهم
أحسن الذي كانوا يعملون) (٦) ،

(١) الكشاف : ١٤٣/٣ وانظر أيضاً البحر المحيط : ٦٥/٦

(٢) النمل : ٣٧

(٣) البحر المحيط : ٧٤/٦ والفتوحات ٣١٤/٣

(٤) المنكوت : ٣

(٥) المنكوت : ٧

(٦) الكشاف : ١٩٦/٣

قوله : (والذين آمنوا) يجوز أن يكون مرفوعاً بالابتداء ، والخبر جملة القسم المحذوفة وجوابها هـ أى والله لنكفرن ، ويجوز أن يكون منصوباً بفعل مضمّر على الاشتغال ، أى ونخلص الذين آمنوا من سيئاتهم ، (١) واستدل أبو حيان وغيره بهذه الآية ونظائرها على وقوع جملة القسم وجوابها خبراً للمبتدأ خلافاً لما ذهب إليه ثعلب من أن جملة القسم لا تقع خبراً ، (٢)

(٤٢) وقوله : (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين) . (٣) هـ الكلام فيها مثل ما مر في الآية التي قبلها ، ومعنى (في الصالحين) فسي جملتهم .

(٤٣) وقوله (وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين) . (٤) هـ فيجازى الفريقين حسب أعمالهم ، واللام في الفعلين لام القسم .

(٤٤) وقوله : (وليحملن أثقالهم ، وأثقالاً مع أثقالهم وليسئرن يوم القيامة عما كنوا يفترون) . (٥) هـ اللام في الفعلين لام قسم ، (أثقالهم) يعنى أوزارهم (وأثقالاً مع أثقالهم) أى أوزار من أضلوا ، (٦) .

(٤٥) وقوله سبحانه : (قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينهم وأهلها إلا امرأته) الآية (٧) قوله : (لننجينهم) اللام لام القسم ، وقرأ حمزة والكسائي بتخفيف الحوهم (لننجينهم) والباقون بتشديد الحرفين (٨) .

(٤٦) وقوله : (وستعجلونك بالعذاب ، ولولا أجل مسمى لجاءهم العذاب وليأتينهم بغتته وهم لا يشعرون) . (٩) هـ اللام واقعة في جواب قسم محذوف .

- | | |
|---|---|
| (١) الفتوحات : ٣٦٢/٣ | (٢) انظر البحر المحيط : ١٤٥/٣ - ١٤٦ |
| (٣) المنكوت : ٩ | (٤) المنكوت : ١١ |
| (٥) المنكوت : ١٣ | (٦) معاني القرآن للقرآء : ٣١٤/٢ |
| (٧) المنكوت : ٣٢ | |
| (٨) كتاب السبعة لابن مجاهد ص ٥٠٠ والنشر لابن الجوزى ٢٥٨/٢ - ٢٥٩ | |
| (٩) المنكوت : ٥٣ | والاحتاف ٣٤٥ وحجة القراءات لابن زنجلة : ص ٥٥١ . |

(٤٧) وقوله : (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنهوئناهم من الجنة غرقا تجري من تحتها الأنهار) الآية (١) ،

(٢) (لنهوئناهم) جواب لقسم محذوف ، والجملة القسمية وجوابها خبر لـ (الذين)

(٤٨) وقوله : (والذين جاهدوا فإنا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين) (٣) (لنهدينهم) جواب لقسم محذوف ، (والذين) مبتدأ وخبره القسم المحذوف ، وجوابه (لنهدينهم) وهذا ونظيره رُد على أبي العباس ثعلب في منعه أن تقع جملة القسم والمقسم عليه ههنا للمبتدأ (٤)

(٤٩) وقوله : (ولنذيقنهم من المذاب الأذني دون المذاب الأكبر لعلمهم يرجعون) (٥) ، (ولنذيقنهم) اللام لام القسم ، والمذاب الأذني : مصائب تصيبهم في الدنيا دون عذاب الله يوم القيامة ، نقله الفراء عن مجاهد (٦) (٥٠) وقوله : (ولتعلمن نهأيكم حين) (٧) .

علم بمعنى عرف فهو متعد لمفعول واحد ، (٨) واللام قبلها لام قسم مقدرة أي والله (نهأه) أي صدق خبر القرآن أي ما أنهأه من الوعد والوعد وغيرها ، وفيه من التهديد ما لا يهفي ، (٩) .

(٥١) وقوله : (فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا ولنجزينهم أسوأ الذي كانوا يعملون) (١٠) .

(فلنذيقن) عهد شديد لكفار قريش ، والمذاب الشديد في الدنيا كوقعة بدر وغيرها والأسوأ يوم القيامة . أقسم الله تعالى على الجملتين ، وهما جوابان لقسم مقدر . (١١) .

- | | |
|---|---------------------------|
| (١) المنكبوت : ٥٨ | (٢) البحر المحيط : ١٥٩/٧ |
| (٣) المنكبوت : ٦٩ | (٤) البحر : ١٥٩/٧ |
| (٥) السجدة : ٢١ | (٦) معاني الفراء : ٣٣٢/٢ |
| (٧) سورة ص : ٨٨ | (٨) البيان : ٣٢٠/٢ |
| (٩) تفسير أبي السمود ٢٣٩/٧ ومعاني القرآن للفراء : ٤١٣/٢ | |
| (١٠) فصلت : ٢٧ | (١١) البحر المحيط : ٤٩٥/٧ |

(١)

(٥٢) وقوله : (فلننهثن الذين كفروا بما عملوا ولنذيقنهم من عذاب غليظ).
اللام في الفعلين لام قسم ، وهو جواب لقول الكافر (ولئن رجعت السبي
ربي إن لي عنده للحسنى) (٢) أى ليس الأمر كما يزعم وإنما له العذاب
الغليظ. (٣) .

(٥٣) وقوله : (ولو نشاء لأوهناكنهم فلمعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول
والله يعلم أعمالكم ، ولنهلونكم حتى تعلم المجاهدين منكم والصابرين ، ونهلوا
أخباركم) (٤) .

(ولتعرفنهم) اللام لام جواب القسم المحذوف ، والضمير عائشة
للمناققين ، وقوله : (ولنهلونكم) أيضا جواب قسم محذوف (٥) .
(٥٤) وقوله : (لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رؤسكنم
ومقصرين لا تخافون) (٦) .

قال أبو حيان : (لتدخلن) اللام واقمة في جواب قسم محذوف ، ومعنى
قول من جعله جواب (بالحق) ، والحق قسم لا تعلق له بـ (صدق) في قوله :
(لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق) (٧) .

(١) ، (٢) فصلت : ٥٠

(٣) الفتوحات : ٤٩/٤ وحاشية الجلالين على الفتوحات

(٤) سورة محمد : ٣٠ - ٣١

(٥) الفتوحات : ١٥٢/٤ والبحر : ٨/٨٥

(٦) سورة الفتح : ٢٢

(٧) البحر المحيط : ١٠١/٨ والفتوحات : ١٢٠/٤ .

(٥٥) وقوله سبحانه : (لترون الجحيم ثم لترونها عين اليقين ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم .) (١) هـ

(لترون) اللام واقعة في جواب القسم المحذوف هـ وقوله : (لترونها)

و (لتسئلن) تأكيد للجملة التي قبلها وزاد التوكيد بقوله (عين اليقين) نفياً لتوهم المجاز في الروئية . (٢)

واختلف في (لترون) فقرأ ابن عامر والكسائي (لترون) مضمومة التاء

مهنياً للمفعول هـ (ثم لترونها) مفتوحة التاء هـ وقرأ الباقون : (لترون)

(ثم لترونها) مفتوحتين جميعاً مهنياً للفاعل هـ (٣)

(٥٦) وقوله سبحانه : (كلالينهن في الحطمة) (٤) هـ (كلا) ردعاً وزجراً

ورداً لمقاتله هـ فلذلك حسن الوقف عليه هـ (٥)

(لينهن) دخلت اللام في جواب قسم محذوف (٦) هـ (في الحطمة)

التي تحطم كل ما ألقى فيها هـ فهذه جملة أنواع القسم المضمرة امتقاصاً أمثلتها

في القرآن الكريم هـ والله الموفق . هـ

* * *

(١) التكاثر : ٦-٨ (٢) البحر المحيط : ٥٠٨/٨

(٣) كتاب السبعة لابن مجاهد : ٦٩٥ والنشر لابن الجزري : ٤٠٣/٢ والاتحاف

ص ٤٤٣ وانظر توجيه القراءتين في معاني القرآن للقراء : ٢٨٨/٣ والبيان

لابن الانباري ٥٣١/٢ والحجة في القراءات لابن خالوة ص ٣٧٥ وحجة القراءات

لابن زجلة : ص ٧٧١ .

(٤) سورة الهمزة : ٤

(٥) ثلاثين سورة لابن خالوة : ص ١٨٢

(٦) الفتوحات : ٥٨٥/٤ .

(النوع الثاني من القسم الضمر :)

ألفاظ جرت في القرآن مجرى القسم :

قال أبو علي الفارسي^(١) : الألفاظ التي جرت في كلامهم مجرى القسم حتى أجيبست

بجوابه تستعمل على ضربين :

(أحدهما) : أن تكون كغيرها من الأخبار التي ليست بقسم فلا تجاب بجوابه كما لا تجاب

الأخبار ه كقوله : (وقد أخذ ميثاقكم ان كنتم مؤمنين .)^(٢) (وإذا

أخذنا منكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة .) الآية^(٣) ه

(يحلفون لكم ه)^(٤) فهذا ونحوه يجوز أن يكون قسما وأن يكون حالا لخلوه

من الجواب .

(والثاني) : ما يتلقى بجواب القسم ه كقوله : (وإذا أخذ الله ميثاق الذين أتوا

الكتاب للدينونة للناس ه)^(٥) (وأقسموا بالله جهدا أيانهم لئن أمرتهم

ليخرجن ه)^(٦) .

وكلامنا الان فيما يتلقى بجواب القسم ه وهذه الألفاظ هي العهد والميثاق

واليمين والعمر ولفظ تأذن وكتب وقضى ووعد وعظم وشهد وهدا وأوحى وظن ولفظ الحق وتم

وكلا ولا جرم ه

(١) العهد : كل ما عهد الله عليه وكل ما بين العباد من المواثيق فهو عهد ه قال

تعالى : (وأوفوا بالعهد ه ان العهد كان مستقولا)^(٧) والعهد : الوصية ه

يقال عهد القى في كذا أى أوصانى ه ومنه قوله تعالى : (ألم أعهد اليكم

يا بني آدم)^(٨) يعنى الوصية ه الأمر ه والعهد : الموثق واليمين يحلف بهما

(١) انظر امرباب القرآن المنسوب للزجيا ٢/٣٠٦ - ١٦٥ والبرهان للزركشى ٣/٤٥

(٢) الحديد ٨

ه والاتقان للسيوطى ٤/٤٨

(٣) آل عمران ١٨٧

(٤) التوبة ٩٦

(٥) البقرة ٦٣

(٦) يونس ٦٠

(٧) الاسراء ٣٤

(٨) النور ٥٣

الرجل ه والجمع عهد ه تقول : على عهد الله وميثاقه ه وتقول : على عهد الله
لأفعلن كذا ومنه قوله تعالى : (أفوالعهد الله اذا عاهدتم ه)^(١)

وقال السعدي بن عبد السلام : العهد هو الزام والتزام سواء كان فيه يمين أم لم
يكن ه^(٢)

وقال الجرجاني : العهد حفظ الشيء ومراعاته حالا بعد حال هذا أصله ثم
استعمل في الموثق الذي يلزم مراعاته وهو المراد^(٣) وحقق القرآن على الوفاء بالعهد وتوعد
من نقض العهود ه

وسأعرض الآيات التي مر فيها ذكر العهد وأجيب بجواب القسم :

(١) قوله عز وجل : (ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من
الصالحين ه)^(٤)

فقوله (عاهد الله) جرى مجرى القسم ه وأجيب بـ (لنصدقن) وحذف جواب
الشرط لاغناء جواب القسم عنه ه ويؤيد جمل (لنصدقن) جواب (عاهد) ماتضمنه سياق
الآيات من التصريح باليمين ه^(٥)

(٢) وقوله سبحانه : (ولما وقع عليهم الرجز قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك
ه لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بنى اسرائيل ه)^(٦)

(٣) وقوله : (وقالوا يأبها السا حر ادع لنا ربك بما عهد عندك اننا لمهتدون ه)^(٧)

يحتمل العهد في الآيتين أن يجري مجرى القسم والتقدير : بالذي عهد
عندك أو بعهدك عندك ه وتكون لنؤمنن ولنرسلن) في الآية الأولى ه و (اننا لمهتدون)

(١) النحل ٩١ ه وانظر الصحاح للجوهري ٥١٥/٢ - ٥١٦ ولسان العرب
لابن منظور ٣١١/٣

(٢) الفوائد في مشكل القرآن لعز الدين بن عبد السلام ص ٩٧ .

(٣) كتاب التمرينات للجرجاني ص ١٦٥ (٤) التوبة ٧٥

(٥) البحر المحيط ٧٤/٥ والفتوحات ٣٠١/٢

(٦) الأعراف ١٣٤ (٧) الزخرف ٤٩

في الآية الثانية جوابي القسم ه وتقدم الكلام في الأيتين مفصلاً ه (١)

(٤) وقوله سبحانه : (ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأديار ه) الآية (٢)

(عاهدوا الله) أجرى مجرى القسم ه وجوابه (لا يولون الأديار) منفصلي

ـ (لا) ه وجاء على لفظ القيبة على المعنى وطوجاً كما لفظوا به لكان التركيب لا نولسي الأديار ه (٣)

(٢) اليمين :

وقد سبق تعريف اليمين في الفصل الأول بالتفصيل وتقدم أيضاً أن اليمين والحلف

والإيلاء والقسم والميثاق بمعنى واحد ه كثيراً ما يطلق أحدهما على الآخر وقتلما تفرق بينهما المعاجم .

كما يطلق لفظ اليمين على الشهادة ه قال تعالى : (قالوا نشهد إنك لرسول

الله ه) (٤) ثم قال : (اتخذوا أيمانهم جنة) (٥) فسماها يمينا ه

والعهد يمينا ه قال الله تعالى : (وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم) ثم قال :

(ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها ه) (٦)

ولم يرد في القرآن الآية واحدة أجريت فيها اليمين مجرى القسم ه وهو قولسه

سبحانه : (أم لكم أيمان علينا بالغة إلى يوم القيامة ه ان لكم لما تحكمون ه) (٧)

تقول : لفلان على يمينا بكذا ه اذا ضمنته منه وحلفت له على الوفاء به ه وقوله :

(ان لكم لما تحكمون ه) جواب القسم ه لأن معنى قوله : (أم لكم أيمان علينا) أم

أقسمنا لكم ه (٨)

(١) أنظر ص من هذه الرسالة (٢) الأحزاب ١٥

(٣) البيان ٢/٢٦٥ والبحر ٧/٢١٩ والفتوحات ٣/٤٥٥ (٤) المنافقون ١

(٥) المنافقون ٢ (٦) النحل ٩١ (٧) القلم ٣٩

(٨) أنظر الكشاف ٤/١٤٦ والبحر ٨/٣١٥ ومعاني القرآن للفراس ٣/١٧٦ - ١٧٧

واعراب القرآن للنحاس ٣/٤٨٩ والبيان ٢/٤٥٤ - ٤٥٥ والمفني لابن هشام

(٣) الميثاق :

الموثق والميثاق : العهد ه وقال العزيز بن عبد السلام : هو نفس العهد
إذا أكد بيمين ه (١) والجمع الموثيق على الأصل (٢)

وفي التهذيب : الميثاق من الموائقة والمعاهدة ومنه الموثق تقول : واثقته بالله
لأفعلن كذا وكذا ه (٣) والموائقة المعاهدة ه ومنه قوله تعالى : (وميثاقه الذي واثقكم
به ه) (٤)

وأسوقنا فيما يلي الآيات التي أجرى فيها الميثاق مجرى القسم فأجيب بجوابه :

وذلك :

١ - قوله سبحانه : وان أخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الا الله . . . الآية (٥)

أختلف في (تعبدون) ه فقراه ابن كثير وحمزه والكسائي بالغيب ه لأن بني
اسرائيل لفظ غيبة ه والباقون بالخطاب حكاية لما خوطبوا به وليناسب (قوطوا
للناس) ه وقوله سبحانه : (لا تعبدون) يجوز أن يكون جوابا للقسم وذلك
لأن أخذ الميثاق بمعنى الاستحلاف قاله كثير من العلماء ومنهم الزجاج
وسيويه والعكبري وابن هشام ه فكأنه قال : أستحلفناهم لا يعبدون الا الله
ه ويوضحه قوله سبحانه : (وان أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب
لتبينته للناس ه) الآية (٦)

-
- (١) الفوائد في مشكل القرآن لعزالدين بن عبد السلام ص ٩٧
(٢) لسان العرب ١٠/٣٧١ (٣) تهذيب اللغة للأزهري
(٤) المائدة ٧ (٥) البقرة ٨٣ ٢٦٦/٩
(٦) النشر لابن الجزري ٢/٢١٨ والاتحاف ص ١٤٠ وحجة القراءات لابن زنجلة ص ١٠٢
(٧) إلى عمران ١٨٧ ه وانظر الكتاب لسيويه تحقيق عبد السلام هارون ٣/١٠٠ ه ١٠٦ ه
واعراب القرآن المنسوب للزجاج ٣/٩٦٣ - ٩٦٤ ه ومشكل اعراب القرآن لمكسي
١/١٠١ - ١٠٢ ه والمبكرى ١/٤٦ - ٤٧ والقرطبي ٢/١٣ والبحر المحييط
١/٢٨٢ - ٢٨٣ ومعنى اللبيب ص ٤٥١ ه وتكلم النحاس حول هـ هذه
الآية في معانيه .

وقال الكسائي والفراء^١ والاخفش ومن وافقهم : التقدير : بأن لا تمسداً
إلا الله ، ثم حذف الجارثم (أن) فارتفع الفعل ، كما في قوله تعالى : (أفتغير
الله تأمرؤنّ أعدا أيها الجاهلون)^(١) .
ونظيره قول الشاعر :^(٢)

ألا أي هذا الزاجرى أحضر الوضى وأن أشهد اللذات هل أنت مخلصى
قري^٣ (أخضر ينصب الرأ^٤ ورفعها) فالنصب على اضمار (أن) والرفع على حذفها ،
وجوز الفراء^٥ أن يكون الأصل النهى ثم أخرج مخرج الخبر ويؤيده أن بعده :
(وقلوا) (وأقيموا) (وأقو) وعلى هذا فليست بجواب القسم لأن الأمر لا يكون
جواباً لليمين^(٦) .

٢ - قوله سبحانه : (وإن أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من
دياركم ثم أقررتم وأنتم تشهدون)^(٤)

الكلام على هذه الآية مثلما تقدم في الآية السابقة سواء بسواء .

٣ - وقوله عز وجل : (وإن أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاكم
رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه) قال^٥ أقررتم وأخذتم على ذلك اصبروه .

(١) الآية ٦٤ من سورة الزمر ، قال السيرافى : أجود ما يقال فيه ما ذكره سيويه ، وهو
نصب (غير) بـ (أعيد) (وتأمرونى) غير عامل ، كما تقول هو يفعل ذاك بـ (بلغنسى)
كأنك قلت : هو يفعل ذاك فيما بلغنى ، قال : وقال سيويه : وإن شئت كان
بمنزله : ألا أي هذا الزاجرى أحضر الوضى وهو ضعيف ، لأنه يؤدي إلى أن يقدر
(أعيد) بمعنى عابداً غير الله ، وفيه فساد ، والذي عليه الناس هو الوجه الأول الذى
ذكرناه ، انظر كتاب سيويه تحقيق عبد السلام هارون ١٠٠/٣ ، حاشية (١) .

(١) وأنظر القول الثانى فى معانى القرآن للفراء^٥ ٣/١ والبيان ١/١ - ١٠٢ - ومعانى
القرآن للأخفش ١/١٢٦ ومعنى اللبيب ص ٤٥١ .

(٢) البيت لطرفة بن العبد فى معلقته ، أنظر الديوان ٢٢ والكتاب لسيويه ٩٩/٣ ومجالس

شعرب ٣٨٣ وأمالى ابن الشجرى . والاصناف ٣٢٧ والبيان ١/١٠١ وتفسير الطبرى (تحقيق

(٤) البقرة ٨٤

محمود شاکر ٢/٢٨٦

(٥) معانى الفراء^٥ ١/٥٣

ه قالوا أقررنا ه قال فاشهد وا وأنا معكم من الشاهدين (١)

أختلف في (لما آتيتكم) فقرأ حمزه بكسر اللام وتخفيف الميم على أنها لام الجر داخلية للتعليل متعلقة بـ (أخذ) و (ما) صدرية على معنى : أخذ الله ميثاقهم لتؤمنن بالرسول ولتنصرنه لأجل أني آتيتكم الكتاب والحكمة ه (٢)

واعترض على هذا التقدير لأن فيه اعمال ما بعد لام القسم فيما قبلها وهو لا يجوز ه وأجيب بأنه غير مجمع عليه ه (٣)

وذكر ابن الانباري أن (ما) في قراءة كسر اللام لا تكون الا موصولة ه قال : ولا تكون (ما) الا بمعنى (الذي) ه (٤)

وقرأ الباقر بالفتح (٥) ثم اختلفوا أهى لام الابتداء أم الموصولة وينبنى على هذا خلافاً في (ما) أهى موصولة أم شرطية ه

فمن العلماء من ذهب الى القول بأنها لام الابتداء (وما) موصولة ه والذي يعتمده صلة ه واللام التي في (لتؤمنن به ولتنصرنه) لام القسم ه وهو خبر لـ (ما آتيتكم من كتاب وحكمة ه) (٦)

وذهب آخرون الى أن اللام في (لما) موصولة لجواب القسم ه وأن (ما) شرطية، وقوله (لتؤمنن به) جواب لأخذ الميثاق ه لأن أخذ الميثاق في معنى الاستحلاف ه فعلى هذا تكون (ما) في موضع نصب بـ (آتيت) على أنه مفعول ثان والمفعول الأول ضمير المخاطب ه وتكون (آتيتكم) ومعطوفة أي (جاءكم) مجزومة

(١) آل عمران ٨١

(٢) واختلف أيضا في (آتيتكم) فقرأه نافع (آتياكم) بالنون والألف على التعظيم والباقر بتاء مضمومة بلاألف ه انظر النشر لابن الجزري ٢/٢٤١ والاحقاف ١٧٧ وحجبة القراءات لابن زنجلة ١٦٨-١٦٩ ه والكشاف ١/٤٤١

(٣) البحر المحيط ٢/٥١٢ (٤) البيان ١/٢٠٩

(٥) النشر ٢/٢٤١ والاحقاف ١٧٧ (٦) معاني القرآن للأخفش ١/٢٠٩

ب (ما) الشرطية (١)

٤ - وقوله عز وجل : (وان أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبدوه وورا^٢ ظهورهم) الآية (٢)

وقوله : (لتبيننه للناس ولا تكتمونه) قرأ أبو بكر عن عاصم وأبو عمرو وابن كثير بيا^٣ فيهما ه حطوه على لفظ الغيبة على ما تقدم من ذكر الغيبة القريبة منه في قوله : (الذين أوتوا الكتاب) وعلى ما أتى بعده من لفظ الغيبة في قوله : (فنبدوه وورا^٣ ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا ه فيئس ما يشترون ه) لينتظم الكلام على سنان واحد .

وقرأ الباقر بالتاء فيهما حطوه على الخطاب ه ونظيره : (وان أخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الا الله) الآية (٤) وقوله (وان أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم) الآية (٥) ولو حمل على ما قبله لقال (لا يعبدون ه آتيتهم) وفي القراءة بالتاء معنى توكيد الأمر ه لأن التاء للمواجهة ه (٦) ولما كان أخذ الميثاق في معنى الاستحلاف واليمين جاء باللام والنون في الفعل جوابا للقسم ه ولم يأت بها في (يكتمون) اكتفاء بالتوكيد في الفعل الأول ه لأن (تكتمونه) توكيد ه (٧)

-
- (١) أنظر معاني الفراء ٢٢٥/١ والبيان ٢١٠/١ والمكبرى ١٤٢/١ واعراب القسيران للزجاج ٩٥٨/٣ والكتاب لسيويه بتحقيق عبد السلام هارون ١٠٧/٣ - ١٠٨ واعراب القرآن للنحاس ٣٤٨/١ - ٣٤٩ ومغنى اللبيب ص ٤٥٦ ومشكل اعراب القسيران لمكي بن أبي طالب ١٦٥/١ - ١٦٧ والكشف له ٣٥٢/١
- (٢) ه آل عمران : ١٨٧ (٤) البقرة ٨٣
- (٣) ه آل عمران ٨١
- (٤) النشر لابن الجزري ٢٤٦/٢ والاتحاف ص ١٨٣ والكشف لمكي ٣٧١/١ وهججـة القراءات لابن زنجلة ١٨٥ - ١٨٦
- (٥) المكبرى ١٦١/١ والبحر ١٣٦/٣ والفتوحات ٣٤٥/١

٥ - وقوله عز وجل : (ولقد أخذ الله ميثاق بنى اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيصا ، وقال الله انى معكم لئن اقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلى وعزتموهم وأقرضتم الله قرضا حسنا لا تكفرن عنكم سيئاتكم ولأد خلنكم جنات تجري من تحتها الأنهار الى قوله سواء السبيل ه) (١)

قيل : أجرى الميثاق فى الآية مجرى القسم فأجيب بجوابه وهو قوله : (لا تكفرن عنكم) (ولأد خلنكم) قال الأخفش : فاللام الأولى على معنى القسم والثانية على قسم آخر ه (٢)

قال أبو حيان : اللام فى (لئن اقمتم) هى المؤذنة بالقسم والموطئة بما بعدها ومعد أداة الشرط أن يكون جوابا للقسم ه ويحتمل أن يكون (لا تكفرن) جوابا لقوله : (ولقد أخذ الله ميثاق بنى اسرائيل) ويكون قوله : (وبعثنا) والجملة التى بعده فى موضع الحال أو يكونان جملة اعتراض ه وجواب الشرط محذوف لدلالة جواب القسم عليه ه (٣)

وهذا الاحتمال الثانى هو اختيار الزجاج ه (٤)

وقال الزمخشري : وهذا الجواب يعنى (لا تكفرن) ساد مسدّ جواب القسم والشرط جميعا ه (٥) قال أبو حيان : وليس كما ذكر ه ولا يسدّ (لا تكفرن) مسدّهما بل هو جواب القسم فقط وجواب الشرط محذوف كما ذكرنا ه (٦)

٦ - وقوله عز وجل : (قال لن أرسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله لتأتننى به)

(٢) معانى القرآن للأخفش ٢٥٦/١

(٤) اعراب القرآن المنسوب للزجاج ٣ / ٩٥٨

٩٦٢ - ٩٦٤ ه

(١) المائدة ١٢

(٣) البحر المحيط ٣ / ٤٤٤

(٥) الكشاف ١ / ٦٠٠

(٦) البحر ٣ / ٤٤٤

الا أن يحاط بكم ه فلما أتوه موثقهم قال الله على بقول وكيل ه (١)
قوله : (لتأتني به) جواب قسم على المعنى ه لأن الميثاق بمعنى اليمين
ه قال الزمخشري في معنى قوله : (حتى تؤتون موثقا من الله ه) أي حتى
تعطوني ما أتوثق به من عند الله ه أراد أن يحلفوا له بالله ه وإنما جعل الحلف
بالله موثقا منه لأن الحلف به مما تؤكد به العهود وتشدد ه (لتأتني بسه)
جواب اليمين ه لأن المعنى : حتى تحلفوا لتأتني به (الا أن يحاط بكم) أي
الا أن تغلبوا فلا تطيقوا الاتيان به أو الا أن تهلكوا ه (٢)

٤ - الشهادة :

خبير قاطع ه تقول منه : شهد الرجل على كذا ه عن الأخفش : وقولهم : أشهد
بكذا أي أحلف ه والشهادة مشتقة من المشاهدة وهي المعاينة ه لأن الشاهد يخبر
عما شاهده ه (٣)

وقد وردت الشهادة بمعنى الحلف وأجيب بها بجواب به القسم في موضع واحد من
القرآن الكريم ه وهي آية المنافقين وهي قوله عز وجل : (إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد
أنك لرسول الله ه والله يعلم أنك لرسوله ه) الآية (٤)

فمعنى قوله (شهد) نحلف ه أجرى مجرى القسم وأجيب بجوابه وهو : (أنك
لرسول الله) وصدربان واللام لأن الجطة اسمية ثم قال : اتخذوا أيمانهم جنة ه (٥)
فسمى الله الشهادة منهم أيمانهم ه (٦)

(١) يوسف ٦٦

(٢) الكشاف ٣٣٢/٢ والمعكبري ٥٥/٢ ومعاني القرآن للفراء ٥٠/٢

(٣) الصحاح للجوهري ٤٩٤/٢ ولسان العرب ٢٣٩/٣ وكشاف القناع ٤٠٤/٦

(٤) المنافقون ١ (٥) المنافقون ٢

(٦) السكشاف ١٠٧/٤ - ١٠٨ والبيحر ٢٦٩/٨ والقرطبي ١٢٢/١٨ وفتح القدير ٣٠/٥

٥- كتب :

أجرى (كتب) مجرى القسم في ايتين وثالثة على قراءة كسر (أن) فيها ه وأجاز الكوفيون فتح (أن) وقمت جوابها القسم دون لام ه والصحيح وجوب الكسر وهو مذهب البصريين ه قال ابن خروف لم يسمع فتحها بمد اليمين ولا وجه له ه (١) وهو كما قال ه والايات الثلاث كما يلي :

١ - كتب على نفسه الرحمة ليجمعنكم الى يوم القيامة لاريب فيه لاية (٢)

٢ - كتب الله لأعلن أنا ورسلى ه الاية (٣)

٣ - كتب ريك على نفسه الرحمة انه من عمل منكم سوا بجهالة ثم تاب من بعده فانه غفور رحيم ه (٤)

قرأ عاصم وابن عامر الاية الأخيرة بفتح الهزتين ونافع بفتح الأولى فقط والباقون بكسرهما ه (٥)

قال الزجاج : ان كسر همزة (أن) انما هولمكان القسم لأن (كتب) بمعنى أوجب في الايات الثلاثة فنزلت منزلة القسم وأجيب بجوابه ه (٦)

وقال ابن الأنبارى : اللام في ليجمعنكم (لام جواب القسم وهو جواب (كتب) لأنه بمعنى أوجب ففيه معنى القسم ه (٧)

وقال في قوله تعالى : كتب الله لأعلن : (كتب) أجرى مجرى القسم ولهذا أوجب بما يجاب به القسم ه فقيل (لأعلن) ه (ورسلى) في موضع رفع

(١) الجنى الدانى في حروف الصماني ٤١١ - ٤١٣ والكتاب لسبيويه ١٤٦/٣

١٤٨ - وابن خروف هو على بن محمد بن على بن محمد الحضرمي أبو الحسن : عالم بالعربية ه أندلس من أهل اشبيلية نسبتة الى حضرموت

ولعل أصله منها ه (٥٢٤ - ٦٠٩ ه) الأعلام ٣٣٠/٤

(٢) الأنعام ١٢ (٣) المجادلة ٢١ (٤) الأنعام ٥٤

(٥) النشر لابن الجزرى ٢/٢٥٨ والاتحاف ٢٠٨ - ٢٠٩ وكتاب التيسير للدانى

ص ١٠٢ والحجة لابن خالويه ١٣٩ وحجة القراءات لابن زنجلة ٢٥٢ -

٢٥٣ والكشف لطفى ٤٣٣/١

(٦) اعراب القرآن المنسوب للزجاج ٢/٩٥٨ - ٩٦٠

(٧) البيان ٣١٥/١

بالعطف على الضمير في (لاغلبين) ه وانما جاز العطف على الضمير المرفوع المستتر لتأكيد
بقوله : (أنا) وانذا أكد الضمير المنفصل أو المستتر جاز العطف عليه ه (١)

وذهب ابن هشام الى أن اللام لام جواب القسم ه وانها منقطعة مما قبلها
ان قدر قسم أو متصلة به اتصال الجواب بالقسم ان أجرى (كتب) مجرى القسم ه (٢)

- ٦ - قضى :

القضاء فصل الأمر قولاً كان ذلك أو فعلاً ه (٣)

قال تعالى : (وقضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الأرض مرتين
ولتعلنن علوا كبيرا ه) (٤)

قيل بجواز اجراء (قضى) فى الآية مجرى القسم فيكون (لتفسدن) جواباً
له ه قال الزمخشري : أى وأوحينا اليهم وهياً مقضياً أى مقطوعاً مبتوتاً بأنهم
يفسدون فى الأرض لا محالة ويميلون أى يتمطمون بيهمون ه (فى الكتاب) فى القرآن
ه و (لتفسدن) جواب قسم محذوف ه ويجوز أن يجرى القضاء الميتوت مجرى القسم
فيكون (لتفسدن) جواباً له ه كأنه قال : وأقسمنا لتفسدن ه (٥)

وكذا قال أبو حيان : ان اللام فى (لتفسدن) جواب قسم ه فاما أن يقدر
محذوفاً ويكون متعلق القضاء محذوفاً وتقديره : وقضينا الى بنى اسرائيل بفسادهم
فى الأرض وطلوهم ه ثم أقسم على وقوع ذلك ه وأنه كائن لا محالة فحذف متعلق
(قضينا) وأبقى منصوب القسم المحذوف ه

ويجوز أن يكون (قضينا) أجرى مجرى القسم ه و (لتفسدن) جوابه ه كقولهم
قضاء الله لأقوم ه (٦)

-
- (١) البيان ٤٢٧/٢
(٢) مفتى اللبيب لابن هشام ص ٤٥٤ وانظر أيضاً مشكل اعراب القرآن لمكي بن أبى طالب
٢٤٦/١ والموافقات للشاطبي ٣٦٠/٣ وكشف السرائر فى معنى الوجوه والأشياء
والنظام لرلمحمد بن العماد المصرى ص ١١٤
(٣) مفردات القرآن للراغب ص ٤٢١ (٤) الاسراء ٤ (٥) الكشاف ٤٣٨/٢
(٦) البحر المحيط ٧/٦ - ٨

- ٧ - وعد :-

قال الله عز وجل : (وعد الله الذين آمنوا منكم وعطوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا) الآية (١)

اللام في (ليستخلفنهم) جواب قسم محذوف ه أي وعدهم الله وأقسمهم ليستخلفنهم ه وعلى تقدير حذف القسم يكون مفعول (وعد) محذوفاً وتقديره : استخلافكم وتمكين دينكم ودل عليه جواب القسم المحذوف ه أو أجرى وعد الله لتحقيقه مجرى القسم فأجيب بما يجاب به القسم ه كأنه قيل : أقسم الله ليستخلفنهم ه (٢)

والعدة قول يصلح فيها (أن) وجوب اليمين فتقول : وعدتك أن أتيتك ووعدتك لأتيتك ه (٣)

و (وعد) في الأصل يتمدى الى مفعولين ه ويجوز الاقتصار على أحدهما كما في الآية ه (٤) تقديره : وعدهم الله الاستخلاف في الأرض وتمكين دينهم وتبديل خوفهم بالأمن ه

- ٨ - تأذن :-

قال الله عز وجل : (١) (وإن تأذن ربك ليعيثن عليهم الى يوم القيامة) يسومهم سوء العذاب ه الآية (٥)

تأذن أظلم من الأذن وهو الاعلام ه قاله الحسن وابن قتيبة واختاره الزجاج

-
- (١) النور ٥٥
(٢) الكشاف ٧٣/٣ - ٧٤ والبحر ٤٦٧/٦ والفتوحات الآلهية ٢٣٥/٣
(٣) مما نى القرآن للفراسة ٢٥٨/٢
(٤) البيان ١٩٩/٢ واللمبكرى ١٥٩/٢
(٥) الأعراف ١٦٧

وأبو علي ه وقال عطاء^(١) تأذن : حتم ه وقال قطرب : وعد ه وقال أبو عبيدة
أخبر وهو راجع لمعنى أعلم ه وقال مجاهد : أمر ه وعنه قال : وقيل أقسم ه
وروي عن الزجاج ه^(٢)

وقال الزمخشري : (تأذن ريك) : عزم ريك ه وهو تفعل من الايدان وهو
الاعلام ه لأن العازم على الأمر يحدث نفسه به ويؤذنها بفعله ه وأجرى مجرى فعمل
القسم ه (تأذن الله) و (تأذن الله) ولذلك اجيب بما يجاب به القسم ه وهو قوله (ليبعثن) ه
والمعنى : وان حتم ريك وكتب على نفسه (ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من
يسومهم سوء العذاب ه) فكانوا يؤذون الجزية الى المجوس الى أن بعث الله محمد
صلى الله عليه وسلم فضربها عليهم ه ومعنى (ليبعثن عليهم) ليسلطن عليهم ه
كقوله : (بعثنا عليكم عبادنا أولى بأس شديدا ه)^(٣)

٢ - وقال الله عز وجل : (وان تأذن ربك لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم ان
عذابي لشديد ه)^(٤)

اللام في (لئن) موطئة للقسم ه و (لأزيدنكم) جواب لقسم محذوف ،
وقيل جواب (تأذن) ه اذ أنه يتلقى بما يتلقى به القسم كما مرفى الآية
الأعراف التي سبقت ه^(٥)

قال الزمخشري : ولا بد في (تفعل) من زيادة معنى ليس في
(أفعل) كأنه قيل : وان أذن ربك ايذانا بليغا تنفي عنده الشكوك

(١) هو عطاء بن أبي رباح أسلم بن صفوان مولى بنو فهر ه أبو محمد تابعي ه من أجدلاء
الفقهاء ه توفي سنة أربع عشرة ومائة على الأصح وعمره ثمان وثمانون سنة ه وفيه
٢٦١/٣ - ٢٦٣ وتذكرة الحفاظ ٩٨ والأعلام ٢٣٥/٤
(٢) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢٣١/١ وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ١٧٤ والعكبري
٢٨٨/١ والبحر المحيط ٤/٤١٤ والقرطبي ٣٠٩/٧
(٣) الكشاف ١٢٧/٢ والآية من الاسراء : ه (٤) ابراهيم: ٧
(٥) البحر المحيط ٤٠٧/٥

(١) وتنزاح الشبه هـ

وقوله (ولئن كفرتم ان عذابي لشديد) مطوف على ما قبله هـ .

علم :

- ٩

قد يأتي (علم) مثل شهد فيكون بمنزلة القسم هـ قال ابن السجري : الأثرى أنهم يستعملون (علم الله) بمعنى أقسم بالله فيقولون : علم الله لأفعلن : هـ فهذا عندهم قسم صريح هـ (٢) كما في قوله عز وجل :

(٣) (قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون هـ) فقوله (ربنا يعلم) جاء مجرى القسم في التوكيد مثل قولهم : شهد الله وعلم الله هـ (٤)

قال الآلوسى (٥) استشهد وا بعلم الله تعالى وهو جار مجرى القسم في

التأكيد والجواب بما يجاب به هـ وزيد التأكيد به وباللام على ما قبله لزيادة
الانكار هـ (٦)

٢ - وقوله تعالى : (ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاقه) (٧)

قال المالقي : وقد تضمن (علمت) معنى القسم هـ فتدخل السلام

فيما بعدها دلالة على ذلك هـ ومنه قوله تعالى : (ولقد علموا لمسئ

(٨) اشتراه ماله في الآخرة من خلاق هـ)

-
- | | | |
|-----|---|-------------------------------------|
| (١) | الكشاف ٣٦٨/٢ | (٢) الأمل الشجرية ٢٥٣/١ - ٢٥٤ - ٢٥٩ |
| (٣) | سورة يس ١٦ | |
| (٤) | كتاب سيبويه تحقيق عبد السلام هارون ٥٠٤/٣ والمفتصب للهرود ٣٢٥/٢ والكشاف ٣١٨/٣ | |
| (٥) | هو محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسى شهاب الدين أبو الثنا هـ ١٢١٧ - ١٢٢٠ هـ (الأعلام ١٧٦/٢) | |
| (٦) | روح المعاني للآلوسى ٢٢٢/٢٢ وتفسير الجلالين ص ٥٨٣ | |
| (٧) | البقرة ١٠٢ | |
| (٨) | رصف البيان لما لقي ص ٢٤٣ | |

٣ - وقوله تعالى : (ولقد علمت الجنة أنهم لمحضرون ه) (١)

أى وبالله لقد علمت الجنة التى عظموها بأن جعلوا بينها وبينه تعالى
نسبا وهم الملائكة أن الكفرة لمحضرون النار مذبون بها لكذبهم وافترائهم
فى قولهم ذلك . واللام فى (لمحضرون) لام جواب القسم ه (٢)

قيل : اذا دخلت اللام مع العلم جرى مجرى ال قسم فيكون حكمه حكم
القسم ه (٣)

١٠ - بدا :

قال الله عز وجل : (ثم بداهم من بعد ما رأوا الآيات ليسبحنّه حتى حين) (٤)
بدا الأمر : فى اللفظة أى ظهر ه وهذاه فى هذا الأمر بداه ه ممدود
ه أى نشأ له فيه رأى ه (٥)

وقوله (ليسبحنّه) اللام فيه لام يمين كما قال الفراء ه وأنه وقع جوابا

-
- (١) الصافات ١٥٨
(٢) معانى القرآن للفراء ٤٤/٢ - ٣٥٥/٣
(٣) يوسف ٣٥
(٤) أنظر الصحاح للجوهري ٢٢٧٨/٦
(٥) وفى فاعل (بدا) ثلاثة أوجه : (الأول) أن يكون الفاعل مصدرا مقدرا دل
عليه (بدا) تقديره (ثم بداهم بداه) واليه ذهب الجرد وابن السكيت
ه قال فى أماليه التقدير : ثم بداهم بداه ه لا بد من تقدير هذا الفاعل
ه لأن الفعل مطالب بفاعله ولا يصح اسناده الى (ليسبحنّه) لأن اسناد
الفعل الى الفعل مستحيل (الأمالى الشجرية ٣٠٥/١) (والثانى) :
أن يكون محذوفا دل عليه (ليسبحنّه) وقام مقامه ه واليه ذهب سيويه أى بداه
سبحنه ه (الكتاب لسيويه ١١٠/٣) ه (والثالث) أن يكون الفاعل
محذوفا ه وأن لم يكن فى اللفظ ما يقوم مقامه ه بل دل عليه الكلام ه وتقديره
ثم بداهم رأى ه (انظر هذه الأوجه الثلاثة فى البيان لابن الأثير ٤١/٢
والمعبرى ٥٣/٢ ومشكل اعراب القرآن لمصطفى ٣٨٧/١ واعراب القرآن للنحاس
١٤١/٢ والكشاف ٣١٩/٢ والقرطبي ١٨٦/٩

ل (بدا) لا جرائها مجرى القسم ك (علم) و (شهد) ه وقال الفراء : صار قوله عز وجل (وتمت كلمة ربك) يمينا كما تقول حلفي لأضربنك وبدالي لأضربنك^(١) وقال ابن هشام : ويجوز أن يكون (ليسجننّه) جوابا ل (بدا) ه لأن أعمال القلوب لا فادتها التحقيق تجاب بما يجاب به القسم ه وقال أيضا : الصواب أن اللام في (ليسجننّه) لام جواب القسم (خلافا لمن قال^(٢) انها بمعنى أن المصدرية حيث لم يثبت مجيء اللام مصدرية) وانها منقطعة مما قبلها ان قدر قسم ه أو متصلة به اتصال الجواب بالقسم ان أجبري (بدا) مجرى (أقسم) ه^(٣)

- ١١ - تَمَّ :

قال تعالى : (وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم) الآية^(٤) قيل : (تمت) أجرى مجرى القسم فأجيب بجوابه ه قال الفراء صار قوله عز وجل : (وتمت كلمة ربك) يمينا كما تقول : حلفي لأضربنك ه وبدالي لأضربنك ه وكل فعل كان تأويله كتأويل بلغني ه وقيل لي ه وانتهى الي ه فان (اللام وأن) تصلحان فيه فتقول : بدالي لأضربنك ه وبدالي أن أضربك ه فلو كان : " وتمت كلمة ربك أن يملأ جهنم " كان صوابا ه^(٥)

- ١٢ - ظَنَّ :

قيل اذا وقع النفي بعد الظن جرى مجرى القسم فيكون حكمه حكم القسم ه كما في قوله تعالى : (وظنوا ما لهم من محيص) ه ويكون (ما لهم من محيص)

(١) مما نى القرآن للفراء ٣١/٢ و ٤٤

(٢) هو أبو البقاء المبركي. املا ما من به (٣) معنى اللبيب ص ٤٤٨ و ٤٥٥

الرحمن ٥٣/٢ (٥) مما نى القرآن للفراء ٣١/٢

(٤) هو ١١٩

(١) جوابه هـ

قال الزجاج : (وظنوا) أى أيقنوا وبلغ أمرهم باليقين كأنهم
أقسموا عليهم من محيص هـ (٢)

وفى البرهان : كلمة (ظن) أصلها للاعتقاد الراجح كقوله تعالى :
(ان ظنا أن يقيما) (٣) وقد تستعمل بمعنى اليقين لأن الظن فيه طرف من
اليقين لولاه كان جهلا كقوله تعالى : (يظنون أنهم ملأوا قلوبهم) (٤) انسى
ظننت أنى ملاقى حسابيه هـ (٥) وظن أنه الفراق هـ (٦)

١٣ - الحق :

قال الله عز وجل : (قال فالحق والحق أقول لأملأن جهنم منك ومن تبمك
منهم أجمعين هـ) (٧)

قرأ عاصم وحزمه (قال فالحق) بالرفع هـ والباقون بالنصب هـ ولا اختلاف
فى نصب الثانى بـ (أقول) هـ (٨)

-
- (١) الآية ٤٨ من فصلت هـ وانظر معانى القرآن للفراء ٤٤/٢ والبيان ٣٤٢/٢ وشرح
الرضى ٣١٤/٢
- (٢) اعراب القرآن المنسوب للزجاج ٩٥٩/٣
- (٣) البقرة ٢٣٠ (٤) البقرة ٤٦
- (٥) الحاقة ٢٠
- (٦) القيامة ٢٨ هـ انظر البرهان للزركشى ١٥٦/٤ ومفردات الرافى (ظن) والكتاب
لسيبويه ١٦٧/٣
- (٧) سورة ص ٨٤
- (٨) النشر لابن الجزرى ٣٦٢/٢ والتيسير للدانى ص ١٨٨ والاتحاف ص ٣٧٤ وهجئة
القراءات لابن زنجلة ٦١٨ - ٦١٩

قيل : (الحق) الأول مرفوع بالابتداء^١ ، والخبر محذوف ، تقديره : فالحق
قسى ، وحذف الخبر كما حذف في "لمرك لأقومي" ، وفي بيت أمرى القيس :
فقلت يمين الله أبحر قاعدا ولو قطعوا رأسي لديك وأوصالي^(١)
أى لمرك قسمى ويمين الله قسمى ، وهذه الجملة هي جملة القسم وجوابه
(لأملأن) ، (والحق أقول) اعتراض بين المقسم به والمقسم عليه ، ومعناه
ولا أقول إلا الحق ،

وعلى قراءة النصب يكون (الحق) الأول مقسم به ، حذف منه حرف القسم
فانتصب بنزع الخافض ، و(لأملأن) جواب القسم ، فيخرج من هذا الباب^(٢)

١٤ - لمرك :

تأتى بمنزلة القسم فتجانب بما يجاب به القسم ، وقد وردت في القرآن الكريم في
موضع واحد ، وهو قوله عز وجل : (لمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون) ،^(٣)
واللام في (لمرك) للابتداء^٤ ، عمر : مبتدأ ، والكاف مضاف اليه ،
والخبر محذوف ، تقديره : قسمى أو ما أقسم به ،
وجواب القسم : (انهم لفي سكرتهم يعمهون) فأقسم بحياة الرسول صلى
الله عليه وسلم ، وجملة القسم جملة اسمية^(٤)

-
- (١) ديوان أمرى^١ القيس ص ١٤١
(٢) الكشاف ٣/٣٨٤ والبحر ٧/٤١١ ومعاني القرآن للفراء ٢/٤١٢ - ٤١٣ والمقتضب
٢/٣٣٥ - ٣٢٦
(٣) الحجر ٧٢
(٤) انظر الكتاب لسبويه ٣/٥٠٢ والمقتضب ٢/٣٢٥ - ٣٢٦ وعراب القرآن المنسوب
للزجاج ٣/٩٥٩ والبحر المحيط ٥/٤٦٢ والفتوحات ٢/٥٥١

١٥ - بمزتك :

كما في قوله عز وجل : (قال فبمزتك لأغوينهم أجمعين) (١) وكما في قوله :
(وقالوا بعزة فرعون انا لنحن الغالبون ه) (٢)
وقد أشار شيخ الاسلام عز الدين بن عبد السلام الى لطيفة أدبية تدل على
حسن تدوقه لأساليب القرآن الكريم ، ملخصها أن ما يحذف من القسم يختلف
باختلاف عادة المقتسمين فيقول فرعون لأقطعن (أيديكم) فبمزتسي
لأقطعن أيديكم ه لأنه كان لا يقرب الله فيقسم به ه والذي عهد في عصره قول السحرة
(بمزة فرعون انا لنحن الغالبون ه) (٣)

١٦ - لا جرم :

جاءت في القرآن الكريم في خمسة مواضع مطلوة بأن واسمها ولم يجيء بعدها
فعل ه والمشهور بعدها فتح (أن) كقوله تعالى (لا جرم أن لهم النار) (٤)
وذكر اللغويون والمفسرون في معناها أقوالا :
(أحدها) : أن (لا) نافية ردا للكلام المتقدم و (جرم) فعل ماضى معناه
حقق ه و (أن) مع ماضى حيزها فاعل ه وهذا مذهب الخليل وسيبويه والأخفش
ه فقوله تعالى : (لا جرم) معناه أنه رد على الكفار وتحقيق لخسرانهم .
(الثاني) أن (لا) زائدة ه و (جرم) معناه كسب كما في قوله تعالى لا يجرمكم
شقاقي (٥) ويكون فاعلها على هذا القول ضمير مستتر ه و (أن) مع صلتها في
موضع نصب بالمفعولية ه والتقدير : كسب لهم كفرهم أن لهم النار ه (٦)

- | | | |
|-----|---|----------------|
| (١) | سورة ص ٨٢ | (٢) الشعراء ٤٤ |
| (٣) | كتاب الاشارة الى الايجاز في بعض أنواع المجاز ص ١٤ | |
| (٤) | النحل ١٠٩ | (٥) هود ٨٩ |
| (٦) | انظر كتاب سيبويه تحقيق عبد السلام هارون ١٣٨/٣ وشرح الرضى ٣٢٦/٢ -
٣٢٧ وأما القالى ٢١٠/٣ والكشاف ٤٢٩/٣ والبحر المحيط ٤٨٣/٥ -
والمخصص ١١٧/١٣ والخزانة ٣١٠/٤ - ٣١٢ والبرهان للزركشى ٣٦٢/٤ -
والاقتان ٢٣١/٢ | |

(والثالث) لا جرم كلمتان ركبتا وصار معناهما حقا ه وأكثر المفسرين يقتصر على
ذلك ه (١)

(والرابع) أن (لا) نافية و (جرم) اسم (لا) وهى بمعنى لا بد ولا محالة ه وأن الواقعة
بعدها فى موضع نصب باسقاط الخافض على تقدير : لا جرم من أن لهم النار ه
وهو قول الكوفيين ه فد (جرم) عندهم اسم ه قال الزمخشري من الجرم
وهو القطع ه (٢)

(والخامس) قول بعض الكوفيين أن (جرم) أصله الفعل الماضى فحوّل عن طريق الفصل
ومنع التصرف فلم يكن له مستقبل ولا دائم ولا مصدر وجعل مع (لا) قسما ه
وتركت الميم على فتحها الذى كان لها فى الماضى (٣) وهذا اذا وقسع
بعدها ما يصلح جوابا للقسم ه وأقرب ذلك الفعل المضارع الذى دخلت عليه
لام القسم ونون التوكيد كما جاء فى كتاب (الفاضل) للبرد : (. . . .) قال
يزيد بن معاوية : لا جرم لا قاسمته الجاشزة ه (٤)

ومما حكاه الفراء ه قال : العرب تقول لا جرم لا تيتك ه ولا جرم لقد أحسنت
ه فتراها بمنزلة اليمين ه قال ابن مالك : ولا جرائمها مجرى اليمين حكى عن العرب كسر
(ان) بعدها ه وقال المرادى : والظاهر أن (ان) اذا كسرت بعدها فهى جواب قسم ،
مقدر بمد (لا جرم) وهو ظاهر قول ابن مالك فى التسهيل : (وربما أغنت (لا جرم)
عن لفظ القسم مراداه) (٥) ويؤيد ذلك أن بعض العرب صرح بالقسم بعدها فقال :
لا جرم ه والله لا فارتكك ه (٦)

- | | | | |
|-----|-------------------------|-----|----------------------------------|
| (١) | البرهان ٣٦٣/٤ | (٢) | معانى الفراء ٨/٢-٩ والكشاف ٤٢٩/٣ |
| (٣) | المخصص لابن سيده ١١٨/١٣ | | والجنى الدانى ص ٤١٤ |
| (٤) | الفاضل للبرد ٩٣/٢ | (٥) | التسهيل ص ١٥٤ |
| (٦) | الجنى الدانى ص ٤١٥ | | |

ومذهب سيوييه والبرد أن فتح همزة (انّ) واجب بعد (لا جرم) (١) وهو ما جاء في القرآن في الآيات الخمس في القراءات السبعية .

وقد قرئ في الشوان بكسر همزة (انّ) على أن (لا جرم) بمنزلة القسم (٢) في (انّ) مكسورة الهمزة لأنها وقعت في جواب القسم . وهذه الآيات كما يلي :

- ١ - قوله عز وجل : (لا جرم أنهم في الآخرة هم الأخسرون) (٣)
- ٢ - لا جرم أن الله يعلم ما يسرون وما يملتون . انه لا يحب المستكبرين (٤)
- ٣ - ويجملون لله ما يكروهون وتصف ألسنتهم الكذب أن لهم الحسنى . لا جرم أن لهم النار وأنهم مفرطون (٥)
- ٤ - لا جرم أنهم في الآخرة هم الخاسرون (٦)
- ٥ - لا جرم أنما تدعونني إليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة وأن مردنا إلى الله وأن السرفين هم أصحاب النار (٧)

١٧ - كلا :

قال ابن مالك : كلا حرف ردة وزجر . وقد تؤول ب (حقا) وتساوي (إي) معنى واستعمال (٨)

فتقع (كلا) في تصريف الكلاف على أوجه . لانها :

- ١ - قد تكون ردا للكلام الأول نحو قوله سبحانه : (فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى انا لمدركون . قال كلا ان معي ربى سيهدين) (٩)

-
- | | |
|-----|--|
| (١) | الكتاب ١٣٨/٣ والمقتضب للبرد ٣٥١/٢ = ٣٥٢ |
| (٢) | مختصر في شوان القرآن لابن خالويه ص ٧٢ والبحر المحيط ٤٨٣/٥ هـ ٥٠٦ |
| (٣) | سورة هود ٢٢ انظر البحر المحيط ٢١٢/٥ |
| (٤) | النحل ٢٣ وانظر البحر المحيط ٤٨٣/٥ |
| (٥) | النحل ٦٢ وانظر البحر المحيط ٥٠٦/٥ |
| (٦) | النحل ١٠٩ (٧) غافر ٤٣ |
| (٩) | شمراء ٦١ - ٦٢ (٨) التسهيل لابن مالك ص ٢٤٥ |

ب - وقد تكون للردع والزجر كما في قوله عز وجل : (قال رب ارجعون لظلي أعل
صالحا فيما تركت ه كلا انها كلمة هو قائلها ه) الآية ^(١) وقوله : (أطلع

الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا ه كلا سنكتب ما يقول ويأتينا فردا ه) ^(٢)

ج - وقد تكون صلة لليمين بأن تأتي قبل اليمين لتأكيدہ وتقويته ه نحو قوله
سبحانه : (كلا والقمر) ^(٣)

د - وقد تكون بمعنى (ألا) التي للتنبيه يستفتح بها الكلام ه نحو قوله تعالى
(كلا ان كتاب الأبرار لفي طيبين) ^(٤)

ه - وقد تكون بمعنى (حقا) أي للتحقيق لما بعده من الأخبار نحو قوله
عز وجل : (كلا لو تعلمون علم اليقين ه) ^(٥)

وقد صرح الرضى بأنها تقوم مقام القسم ه قال : ولما يقوم مقام
القسم (كلا) اذا لم يكن ردعا نحو (كلا لينذرن) ^(٦)

وقال أبو البركات الانباري : فأما قولهم : (كلا لا تطلقن) فانما
أقسموا بها لأنهم أجروها مجرى حق ه والحق معظم في النفوس ه بخلاف
الظن الذي فيه معنى الشك ه ^(٧)

فبينما أن (كلا) تأتي في معنى اليمين اذا لم يكن قبلها ما يتوجه
اليه الردع والزجر فتجاب بما يجاب به القسم ه

وقد وردت (كلا) مقترنة بالقسم في أربع آيات كلها مكية وهي قوله

(٢) مريم ٧٨ - ٧٩

(٤) المطففين ١٨

(١) المؤمنون ٩٩ - ١٠٠

(٣) المدثر ٣٢

(٥) التكاثر ٦

(٦) شرح الرضى ٣١٠٧/٢ والآية من سورة الهمزة ٤

(٧) الانصاف في مسائل الخلاف ص ٤٠٠ ه ٤٠٢

سبحانه :

- ١ - كلا والقمر والليل اذ أدبر والصبح اذا أسفرا نها لا حدى الكبر ه (١)
- ٢ - كلا لئن لم ينته لنسفمن بالناصية ه (٢)
- ٣ - كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون ه كلا لو تعلمون علم اليقين لتسرون الجحيم ه (٣)
- ٤ - كلا لينهذنّ في الحطمة ه (٤)

فوردت (كلا) في الآيات المذكورة مقترنة بالقسم الصريح والمضمر أما فى الصريح فهى صلة لليمين جاءت لتأكيدہ وتقويته ه وأما فى القسم المضمر فانك اذا أجريت (كلا) مجرى القسم يكون الجواب له كما ذهب اليه الرضى وأبو البركات الأنبارى ه والا تكون صلة لليمين وا لجواب للقسم المقدر ه (٥)

(النوع الثالث من القسم المضمر) :

القسم الذمى دلّ عليه المعنى :

قوله عز وجل : (وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضياً ه) (٦) جملته

بمعنى العلماء من القسم المضمر الذى دل عليه المعنى ه منهم الزركشى ه (٧) واستدلوا

-
- (١) المدثر ٣٢ - ٣٦ (٢) الطلق ١٥
 - (٣) التكاثر ٤ - ٦ (٤) الهمة ٤
 - (٥) وانظر تفاصيل (كلا) فى : (مقالة كلا وما جاء منها فى كتاب الله ه لابن فارس ه وكتاب المقصد لتلخيص ما فى المرشد فى الوقف والابتداء لآبى يحيى زكريا الأنصارى ص ٩ وشمسار الهدى للأشمونى ص ١٧ وابن يعيش ٩/١٦ والبرهان للزركشى ٣١٣/٤ - ٣١٦ والاتقان للسيوطى ٢٤٦/١ - ٢٤٧ ه ٢٢١/٢ - ٢٢٢ والطهش لابن الجوزى ص ١٩ وكتاب التسهيل لابن مالك ص ٢٤٥ والجنسى الدانى للمرادى ٥٧٧ - ٥٧٩ ودراسات لأسلوب القرآن الكريم للشيخ محمسن عبد الخالق عظيمه ٣٨٥/٢ - ٣٩٨
 - (٦) مريم ٧١
 - (٧) البرهان ٤٣/٣ وتهذيب اللغة للأزهري ٤٣٨/٣

بحدِيث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ^(١) الثَّابِتُ فِي الْمُنَحِّيِّينَ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَا يَمُوتُ لِمُسْلِمٍ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْوَلَدِ فَيَلْجُ النَّارَ إِلَّا تَحَلَّهُ الْقَسْمُ " قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ : (وَأَنَّ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدَهَا) ه ^(٢)

قَالُوا : الْمُرَادُ بِالْقَسْمِ الْمَذْكُورِ فِي هَذَا الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ هُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى : (وَأَنَّ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدَهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ه وَهُوَ مَعْنَى مَا ذَكَرْنَا عَنِ الْبُخَارِيِّ قَوْلَهُ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ : (وَأَنَّ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدَهَا) ه

وَقَالَ أَبُو عَبْدِ الْقَاسِمِ بْنِ سَلَامٍ فِي مَعْنَى الْحَدِيثِ : كَأَنَّهُ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : لَا يَرِدُ النَّارَ إِلَّا بِقَدَرٍ مَا يَبْرُرُ اللَّهُ قَسْمَهُ الْمَذْكُورَ فِي آيَةِ مَرْيَمَ ^(٣)

وَالَّذِينَ اسْتَمْدَلُوا بِالْحَدِيثِ الْمَذْكُورِ عَلَى أَنَّ الْآيَةَ الْكَرِيمَةَ قَسَمًا اخْتَلَفُوا فِي مَوْضِعِ الْقَسْمِ مِنَ الْآيَةِ ه فَقَالَ بَعْضُهُمْ هُوَ مَقْدَرٌ ه دَلَّ عَلَيْهِ الْحَدِيثُ الْمَذْكُورُ ه أَيْ وَاللَّهِ إِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدَهَا .

وَقَالَ بَعْضُهُمْ : هُوَ مَعْطُوفٌ عَلَى الْقَسْمِ قَبْلَهُ (فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمُ وَالشَّيَاطِينَ) ^(٤) وَالْمَعْطُوفُ عَلَى الْقَسْمِ قَسْمٌ ه

وَقَالَ بَعْضُهُمْ : الْقَسْمُ الْمَذْكُورُ مُسْتَفَادٌ مِنْ قَوْلِهِ : (كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ه) أَيْ قَسَمًا وَاجِبًا كَمَا رَوَى عَنْ ابْنِ سَعْدٍ وَمُجَاهِدٍ وَعُكْرَمَةَ وَقَتَادَةَ ه ^(٥)

وَقَالَ بَعْضُهُمْ : يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِالْقَسْمِ مَا دَلَّ عَلَى الْقَطْعِ وَالْبَيِّنَاتِ مِنَ السِّيَاقِ ه فَانْ قَوْلُهُ تَعَالَى : (كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا) تَدْبِيرٌ وَتَقْرِيرٌ لِقَوْلِهِ (وَأَنَّ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدَهَا) وَهَذَا بِمَنْزِلَةِ الْقَسْمِ فِي تَأْكِيدِ الْإِخْبَارِ بِلِ هَذَا أَيْ لِحَصْرِ فِي الْآيَةِ بِالنَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ ه ^(٦)

(١) هُوَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ صَخْرٍ الدَّوْسِيِّ أَبُو هُرَيْرَةَ ه هُوَ مَشْهُورٌ بِكُنْيَتِهِ ه وَهَذَا أَشْهُرُ مَا قِيلَ فِي أَسْمِهِ وَأَسْمَ أَبِيهِ ه وَاخْتَلَفَ فِي تَارِيخِ وَفَاتِهِ فَقِيلَ سَبْعٌ وَقِيلَ ثَمَانٌ وَقِيلَ تِسْعٌ وَخَمْسِينَ مِنْ

الْمُهْجَرَةِ . (الْإِصَابَةُ ٥١٤٠ وَالْكُنَى فِي الْإِصَابَةِ ١١٩٠)

(٢) صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ ه كِتَابُ الْجَنَائِزِ ه بِأَبِ فُضْلِ مِنْ مَاتَ لَهُ وَلَدٌ فَاحْتَسَبَ ه ٩٣/٢ وَرَوَاهُ أَيْضًا فِي كِتَابِ الْإِيمَانِ وَالنَّذْرِ ه بِأَبِ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ١٦٧/٨ وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ فِي كِتَابِ الْبِرِّ وَالصَّلَةِ وَالْأَدَابِ ه بِأَبِ فُضْلِ مِنْ يَمُوتُ لَهُ وَلَدٌ فَيَحْتَسِبُهُ ه حَدِيثٌ ٢٦٣٢ ه (٢٠٢٨/٤)

(٣) أَمَّا الْمُرْتَضَى ٥٠/٢ (٤) مَرْيَمَ ٦٨ (٥) الدَّرُ الْمُنْتَوِرُ لِلْسَيُوطِيِّ ٢٨٣/٤

(٦) أَضْوَاءُ الْبَيَانِ ٣٥٠/٤

وقد رد الشنقيطي^(١) على هؤلاء بقوله : الذي يظهر لي والله أعلم أن الآية لا يتمين فيها قسم لأنها لا تقترن بأداة من أدوات القسم ، ولا قرينة واضحة دالة على القسم ، ولم يتمين عطفها على القسم ، والحكم بتقدير قسم في كتاب الله دون قرينة ظاهرة فيه زيادة على معنى كلام الله بغير دليل يجب الرجوع إليه ، وحد يث أبي هريرة المذكور المتفق عليه لا يتمين منه أن في الآية قسما ، لأن من أساليب اللغة العربية التعبير بتحلة القسم عن القلة الشديدة وإن لم يكن هناك قسم أصلا ، يقولون : ما فعلت كذا إلا تحلة القسم يمتنون إلا فعلا قليلا قدر ما يحل به الحالف قسمه ، وهذا أسلوب معروف في كلام العرب ، ومنه قول كعب بن زهير في وصف ناقته :^(٢)

تخدو على يسرات وهي لاصقة ذوا بيل مسهن الأرض تحليل

يعنى أن قوائم ناقته لا تص الأَرْض لشدة خفتها إلا قدر تحليل القسم ومعلوم أنه

لا يمين من ناقته أنها تص الأرض حتى يكون ذلك الصّ تحليلًا لها كما ترى .

وعلى هذا المعنى المعروف : فمعنى قوله صلى الله عليه وسلم : (إلا تحله القسم)

أى لا يلج النار إلا وطوجا قليلا جدا ، لا ألم فيه ولا حر ،^(٣)

وقد سبق الشنقيطي إلا هذا القول المرتضى^(٤) حيث قال في أماليه بمسند أن

ذكر قول أبي عبيدة بن سلام المتقدم أعفا : وفيه مذهب آخر أشبه بكلام العرب ومعانيهم

وهو أن العرب إذا أرادوا تقليل مكث الشيء ، وتقصير مدته شبهوه بتحلة القسم ، وذلك

(١) هو محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر بن محمد بن أحمد بن نوح بن محمد

بن سيدى أحمد بن مختار الحكنى الشنقيطي (١٣٠٥ - ١٣٩٣) هـ

(٢) الوخيد : ضرب من السير ، اليسرات جمع يسرة وهو القوائم ، لاصقة : ثابتة مطمئنة

ذوا بيل : منات ، شرح الديوان ص ١٢

(٣) أضواء البيان ٤ / ٣٥٠ - ٣٥١

(٤) هو على بن الحسين بن موسى بن محمد بن إبراهيم أبو القاسم بن أحفاد الحسين

بن على بن أبي طالب ، أحد الأئمة في علم الكلام والأدب والشعر ، معتزلى

المذهب (٣٥٥ - ٤٣٦ هـ) الأعلام ٤ / ٢٧٨

أن يقول الرجل بحد حلفه : ان شاء الله ه فيقولون : ما يقيم فلان عندنا الا تحله القسم ه وما ينام الليل الا كتحليل الألية ه وهو كثير مشهور ه ثم أثبت أن هذا من أساليب اللغة العربية بما ساقه من أشعار العرب ه وقال : ان معنى الخبر على هذا التأويل أن النار لا تصه الا قليلا كتحليل اليمين ثم ينجيه الله منها ه (١)

وقد أشار شيخ الاسلام عز الدين بن عبد السلام حول الآية والحديث سـؤالين وأجاب عليهما ه

(أولهما) : أن هذا يدل على أن كل أحد يدخل النار وليس كذلك فانه قد ورد في الحديث الصحيح أنه يدخل من هذه الامة الجنة سيمون ألفا بغير حساب ولا عذاب (٢)

(والثاني) : أن قوله (الا تحله القسم) اشارة الى قوله (حتما مقضيا) وأين القسم في هذه ؟

والجواب عن الأول أن (الورود) يطلق على الدخول كقوله تعالى : (لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها) (٣) ويطلق على البلاسة من غير دخول كقوله : (ولما ورد مساء مدين) (٤) ولم يدخل البئر ه وانما كان كذلك فالمراد بالورود ههنا الصبور على الصراط لأنه على متن جهنم والناس يمرّون عليه ه

والجواب عن الثاني : أن قوله عز وجل (حتما مقضيا) صيغة تأكيد، والقسم وضع لتأكيد المخبر عنه ه فلما كان هذا توكيدا أطلق عليه القسم تشبيها به ه (٥)

-
- (١) أمالي المرتضى (غرر الفوائد ودرر القلائد) ٢ / ٥٠ - ٥٢ والذي ذكره هو قول ابن قتيبة .
 - (٢) وهو حديث ابن عباس في صحيح البخاري كتاب الرقاق باب يدخل الجنة سيمون ألفا بغير حساب ه ٨ / ١٤٠
 - (٣) الأنبياء ٩٩ (٤) القصص ٢٣
 - (٥) الفوائد في مشكل القرآن ه للمزبن عبد السلام ص ١١٤ - ١١٥

ورد أبو حيان أيضا على من جعل في الآية قسما لمخالفته لأقوال النحويين ه قال
وذهل عن أقوال النحويين أنه لا يستغنى عن القسم بالجواب لدلالة المعنى الا اذا كان ه
الجواب باللام أو بـان ه والجواب هنا جاء على زعمه ب (ان) النافية ه فلا يجوز حذف
القسم على ما نصوا ه

ثم رد على ابن عطية لذهابه الى أن الواو في (وان منكم الا واردها) تقتضى
القسم ه فقال : وقوله (والواو تقتضيه) يدل على أنها عنده وا والقسم ه ولا يذهب
نحوى الى أن مثل هذه الواو واقسم ه لأنه يلزم من ذلك حذف المجرور وإبقاء الجار ه
ه ولا يجوز ذلك الا ان وقع في شعر أو نادر كلام بشرط أن تقوم صفة المحذوف مقامه ه وهذه
الآية ليست من هذا الضرب إذ لم يحذف المقسم به وقامت صفة مقامه ه (١)

وقد انتقد ابن هشام أبا حيان لحطة كلام ابن عطية على غير محطه ه قال : وما
يحتمل جواب القسم و (وان منكم الا واردها) وذلك بأن نقدر الواو عاطفة على (ثم لنحسن
أعلم) فانه وما قبله أجوبة لقوله تماما لى (فوريك لنحشرنهم والشياطين) وهذا مراد ابن
عطية من قوله : (هو قسم والواو تقتضيه) أى هو جواب قسم والواو هى المحصلة لذلك
لأنها عطفت ه وتوهم أبو حيان عليه مالا يتوهم على صغار الطلبة وهى أن الواو حرف قسم
ه فرت عليه بأنه يلزم منه حذف المجرور وبقاء الجار وحذف القسم مع كون الجواب منفيا
ب (ان) ه (٢)

وأخيرا فقله سبحانه : (كان على ربك حتما مقضيا) يعنى أن ورودهم النار المذكور
كان حتما على ربك مقضيا أى أمرا واجبا مفعولا لا محالة ه والحتم : القضاء والجمع الحتموم ه
قال الشاعر : (٣)

بكفئك المنايا والحتموم

عبادك يخطئون وأنت رب

(١) البحر المحيط ٢٠٩/٦

(٢) مفتى اللبيب لابن هشام ص ٤٥١

(٣) البيت لأمية بن أبى الصلت ه أنظر الصحاح للجوهري ١٨٩٢/٥

ومعنى الحديث على هذا التأويل - والله أعلم - : لا يموت لمسلم ثلاثة من الواسد
فتصه النار ألبته لكن تحلة اليمين لا بد منها وتحله اليمين الورود والورود لا يقع فيه مسس
ولا أذى كما قال سبحانه : (ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا ه)^(١)

فتكون بردا وسلاما على المؤمنين خلافا للكفار حيث يقومون فيها جثيا ه

وأقرب الأقوال من قالوا : ان في الآية قسما قول من قال : انه معطوف على

قوله : (فوربك لنحشرنهم ه) لأن الجمل المذكورة بعده معطوفة عليه ه كقوله ه (ثم

لنحشرنهم) وقوله : (ثم لننزعن) وقوله (ثم لنحن أعلم) لدلالة قرينة لام القسم في الجمل

المذكورة على ذلك ه أما قوله : (وان منكم الا واردها ه) فهو محتمل للمطف أيضا ومحتمل

للاستئناف ه والمعلم عند الله تعالى ه^(٢)

واحتمال القسم انما هو في صورة المطف على قوله تعالى : (فوربك) ه وأما

في صورة الاستئناف فلا يتعين في الآية قسم لعدم وجود أداة من أدوات القسم ه أو قرينة

واضحة دالة على القسم ه فصالتأكيد المستفاد من الآية ليس من طريق القسم وانما هو من

وجود الفاظ التأكيد في الآية من (حتما) و (مقضيا) ثم اشتغال الآية الكريمة على النفي و

الاستثناء ه ولا شك أنه يستفاد منها التوكيد ه والله تعالى أعلم ه

٢ - وقوله سبحانه : (وأتيناها من الكنوز ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة ه) الآية^(٣)

قال سييويه وتقول اذا أردت معنى اليمين ه أعطيته ما ان شوه خير من جيد ما معك

ه وهؤلاء الذين ان أجهنهم لأشجع من شجماكم ه وقال الله عز وجل : (وأتيناها من الكنوز

ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة ه) ف (أن) صلة ل (ما) ه كأنك قلت : ما

(١) مريم ٢٢

(٢) أضواء البيان ٤ / ٣٥٤ - ٣٥٥

(٣) القصص ٢٦

والله ان شره خير من جيد مامك ه (١) فيقدر القسم بين (ما) وصلته وهى (ان)
المشدره ه وكذلك قوله فى كلام مشابه ه

٣ - ومن القسم البذى يدل عليه المصنى ما ذكره سيبيويه فى قوله تما لى (ان كسيل
نفس لما عليها حافظ) (٢) وقوله : (وان كل لما جميع لدينا محضرون ه) (٣)

قال رحمه الله : وأما (ان) فتكون للمجازاة ه وتكون (ان) مبتدأ ما بعد هـ
فى معنى اليمين وفى اليمين ه كما فى الآيتين المذكورتين ه وحدثنى من لا أتهم عن رجل
من أهل المدينة مؤثوق به أنه سمع عربيا يتكلم بمثل قولك : (ان زيد لذاهب) وهى فى قوله
جل ذكره : (وان كانوا ليقولون لو أن عندنا نكرا من الأولين ه لكنا هاهنا الله المخلصين) (٤)
٤ - وقوله سبحانه : (وحرام على قرية أهلكتها أنهم لا يرجعون ه) (٥) قولهم : وحرام
الله لا أفعل كقولهم يمين الله لأفعل ه

هذا آخر ما أردت تسويده فى هذا الباب ه وان ما أوردته وما يورده الآخرون من
وجهات نظر إنما هو بحسب ما يظهر من نسق السياق ومنطوق الكلام ومفهومه استنتاجيا
واستظهارا ه وأسرار كلام الله أجل وأعظم من أن تدركها عقول البشر ونستمد من الله العون
وحسن التوفيق .

-
- (١) الكتاب لسيبيويه ١٤٦/٣
(٢) الطارق ٤
(٣) يس ٣٢
(٤) الصافات ١٦٧ - ١٦٩ وانظر كتاب سيبيويه ١٥٢/٣
(٥) الانبياء ٩٥ وانظر الصحاح للجوهري ١٨٩٦/٥ والمخصص لابن سيدة ١١٦/١٣
وأساس البلاغة للزمخشري ص ٨١

الباب الثاني

ويشتمل على ثلاثة فصول :

(الفصل الأول) : في السبهاات الواردة على
أقسام القرآن وطرق العلماء في الجواب عنها .

(الفصل الثاني) : تتبع الأقسام الصريحة في
القرآن الكريم وبيان وجه المناسبة بين القسم به والقسم عليه .

(الفصل الثالث) : في ذكر بعض ما في أقسام القرآن
من أبواب البلاغة ولفظاتها .

ويليه الخاتمة : وفيها بيان أهم نتائج هذا البحث .

الباب الثاني

ويشتمل على ثلاثة فصول :

الفصل الأول : ذكر الشبهات الثلاث الواردة على أقسام القرآن :

وطرق العلماء في الجواب عنها :

ان الشبهة على أقسام القرآن من وجوه :

أ - القسم نفسه لا يليق بجلالة ربنا ه فان الذي يحلف على قوله يهين نفسه
ويضعها موضع من لا معول على حديثه ه وقد جاء في القرآن : (ولا تطع كسلا
حلاف مهين) (١) فجعل الحلف من خلال المذمومة ه ونهى المسيء
الحواريين عن الحلف مطلقا فقال لهم : (ليكن قولكم نعم نعم أو لا لا ولا تحلفوا)
فكيف يليق بجلالة ربنا أن يقسم في كتابه ويكثر من ذلك اكشارا يشير الانتباه ويلفت
النظر ه

ب - القسم في القرآن جاء على أمور مهمة كالعماد والتوحيد والرسالة ه ولا فائدة فيها
للقسم الا للمكربها فانه يطلب الدليل والبرهان ه والقسم ليس في شيء منه ه
ولا للمؤمن فانه قد آمن بها ه

ج - القسم يكون بالذي عظم وجل ه وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : (من كان
حالفا فليحلف بالله أو ليصمت) ه ففي صحيح البخاري عن عبد الله بن عمر رضي
الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أدرك عمر بن الخطاب وهو يسير
في ركب يحلف بأبيه فقال : ألا ان الله ينهاكم أن تحلفوا بأبائكم ه من كان
حالفا فليحلف بالله أو ليصمت ه (٢)

(١) القلم . ١

(٢) صحيح البخاري ه كتاب الايمان باب لا تحلفوا بأبائكم (٧ / ٢٢١) .

فنهى عليه الصلاة والسلام عن القسم بغير الله فكيف يليق بجلالة ربنا أن يقسم
بالمخلوق لا سيما بأشياء مثل التين والزيتون (١)
فهذه ثلاث شبهات ه أشيرت حول أقسام القرآن يجب مناقشتها وبيان تنساول
علماء المسلمين لها

طرق العلماء في الجواب عن هذه الشبهات :

طريق الامام الرازي :

قال رحمه الله في تفسير سورة (الصافات) (٢) : للناس في هذا الموضع قولان :
(الأول) : قول من يقول المقسم به ههنا خالق هذه الأشياء لا أعيان هذه الاشياء ه
واحتجوا عليه بوجهه :

- أ - أنه صلى الله عليه وسلم نهى عن الحلف بغير الله فكيف يليق بحكمة الله أن
يحلف بغير الله .
- ب - أن الحلف بالشئ ه في مثل هذا الموضع تعظيم عظيم للمخلوف به ومثل ههنا
التمظيم لا يليق الا بالله عز وجل .
- ج - أن هذا الذى ذكرناه تأكد بما أنه تعالى صرح به في بعض السور وهو قوله تعالى :
(والسما ه وما بناها ه والأرض وما طحاها ونفس وما سواها) (٣)
ثم نقض هذا القول بذكر القول الثانى ه فقال رحمه الله :
(القول الثانى) قول من يقول : ان القسم واقع بأعيان هذه الأشياء ه واحتجوا عليه

بوجهه :

(١) انظر ذكر هذه الشبهات الثلاث في ايمان في أقسام القرآن ص ٤

(٢) تفسير الفخر الرازي ٢٦/١١٧ - ١١٨

(٣) الشمس ٥ - ٧

- ١ - أن القسم وقع بهذه الأشياء بحسب ظاهر اللفظ فالمدول عنه خلاف الدليل ه
- ب - أنه تعالى قال : (والسما وما بناها) فعلق لفظ القسم بالسما ه ثم عطف عليه القسم بالباني للسما ه فلو كان المراد من القسم بالسما * القسم بمن ينسب السما لزم التكرار في موضع واحد ه وأنه لا يجوز ه
- ج - أنه لا يبعد أن تكون الحكمة في قسم الله تعالى بهذه الأشياء التنبيه على شرف ذواتها وكمال حقائقها ه لاسيما اذا حطنا هذه الألفاظ على الملائكة (يقصد في سورة الصافات) فانه تكون الحكمة في القسم بها التنبيه على جلالة درجاتها وكمال مراتبها والله أعلم ه

ثم ذكر رحمة الله الشبهة الثانية من الشبهات الثلاث التي تقدم ذكرها فقال :

فان قيل ذكر الحلف في هذا الموضع غير لائق وبهانه من وجوه :

(الأول) أن المقصود من هذا القسم اما اثبات هذا المطلوب عند المؤمن أو عند الكافر ه والأول باطل لأن المؤمن مقره سواء حصل الحلف أو لم يحصل ه فهذا الحلف عديم الفائدة على كل التقديرات ه

(الثاني) أنه تعالى حلف في أول هذه السورة على أن الاله واحد ه وحلف في أول سورة (والذاريات) على أن القيامة حق فقال : (والذاريات ذروا . . . الى قولسه) انما توعدون لصادق وان الدين لواقع) ، واثبات هذه المطالب العالية الشريفة على المخالفين من الدهرية وأمثالهم بالحلف واليمين لا يليق بالعقلاء ثم أجاب عن هذه الشبهة فقال :

والجواب من وجوه :

(الأول) أنه تعالى قرر التوحيد وصحة البعث والقيامة في سائر السور بالدلائل اليقينية ، فلما تقدم ذكر تلك الدلائل لم يبعد تقريرها فذكر القسم تأكيدا لما تقدم ه

بلاسيما والقرآن انما أنزل بلفظة المرء واثبات المطالب بالحلف واليمين طريقة

مألوفة عند العرب هـ (١)

(والوجه الثاني في الجواب) : أنه تعالى لما أقسم بهذه الأشياء على صحة قولــــه
تعالى : (ان الهكم لواحد) ذكر عقيبه ما هو كالدليل اليقيني في كــــون
الاله واحدا هـ وهو قوله تعالى : (رب السموات والأرض وما بينهما ورب المشارق)
وذلك لأنه تعالى بيّن في قوله (لو كان فيها ألّهة الا الله لفسدتا) (٢) أن
انتظام أحوال السموات والأرض يدل على أن الاله واحد هـ فهبنا لما قال (ان
الهكم لواحد) أردفه بقوله (رب السموات والأرض وما بينهما ورب المشارق) كأنه
قيل قد بينا أن النظر في انتظام هذا العالم يدل على كون الاله واحدا فتأطوا
في ذلك الدليل هـ ليحصل لكم العلم بالتوحيد هـ (٣)

(الوجه الثالث في الجواب) : أن المقصود من هذا الكلام الردّ على عبدة الأصنام
في قولهم بأنها الهة فكأنه قيل هذا المذهب قد بلغ في السقوط والركاكة السي

(١) قال الفراهي " فيما ذكر من نزول القرآن بلفظة العرب وكون اليمين طريقــــة
مألوفة عندهم أيضا جواب للشبهة الأولى هـ

وحاصل هذا الوجه أن القسم انما هو مسبوق بالدلائل هـ فالمحمول
عليها هـ وأما ايراد القسم فهو للتأكيد المحض كما هو عادة العرب هـ والظاهر
أن هذا الجواب يناقضه القرآن فانك في أوائل الوحي ترى القسم أكثر مما تــــراه
بمعد استيفاء الدلائل " (امعان في أقسام القرآن ص ٥)

(٢) الانبياء ٢٢

(٣) قال الفراهي : وحاصل هذا الجواب أن القسم هبنا مردف بقول فيه الحجة هـ
فلا احتجاج بها هـ وأما القسم فلمحض التنبيه وهذا الجواب يشبه الجواب الأول
وكلاهما ساكت عن بيان حكمة هذه الصور المتنوعة للقسم هـ فأى فائدة للمسدول
عن القسم بالله الى القسم بهذه الأشياء هـ (امعان ص ٦)

حيث يكفي في ابطاله مثل هذه الحجة ه والله أعلم ه (١)

ثم نذكر من حكمة القسم في تفسير سورة الذاريات (٢) ما يشبه بالجواب عن الشبهات

فقال : قد ذكرنا الحكمة في القسم وهي من المسائل الشريفة والمطالب المعظيمة فسسى سورة (والصفات) ه ونعيد ها ههنا وفيها وجوه :

(الأول) : أن الكفار كانوا في بعض الأوقات يعترفون بكون النبي صلى الله عليه وسلم

غالبا في اقامة الدليل وكانوا ينسبونه الى المجادلة والى أنه عارف في نفسه

بفساد ما يقوله ه وأنه يفلينا بقوة الجدل لا يصدق المقال ه كما أن بعض

الناس اذا أقام عليه الخصم الدليل ولم يبق له حجة ه يقول انه ظننى بعلمه بطريق

الجدل وعجزى عن ذلك ه وهو في نفسه يعلم أن الحق بيدي ه فلا يبتسى

للمتكلم المبرهن طريق غير اليمين فيقول والله ان الأمر كما أقول ولا أجادلك

بالباطل ه وذلك لأنه لو سلك طريقا آخر من ذكر دليل آخر ه فاذا تم الدليل

الأخر يقول الخصم فيه مثل ما قال في الأول ان ذلك تقرير بقوة علم الجسد

فلا يبقى الا السكوت أو التمسك بالإيمان وترك اقامة البرهان (٣)

(١) قال الفراهي : هذا الجواب سخيف جدا كأنه بمد ما اعترف في الوجهين الأولين

بأن القسم لا حجة فيه ه قال ان مذهب الخصم كان جديرا بأن يجاب عنه بما ليس

من الحجة في شى * ه (امان ٦)

(٢) الفخر الرازى ٢٨ / ١٩٣ - ١٩٤

(٣) قال الفراهي : وفي هذا الجواب خلط بين الفث والسمين ونقض لما قال في تفسير

سورة (والصفات) فانه رحمه الله أجاب هناك في الوجه الثانى بأن القسم يتبعه

الدليل وانما كان القسم لأجل التأكيد ه والأمر كذلك ه فان القرآن لا يسكت على

القسم ه فلو قال : ان الدليل المحقق ربما لا ينجح في الخصم اذا كان قليل

المعرفة بالاستدلال وقليل الاعتماد على نظره أو متبهما للمتكلم بخلافة بيانسه

فيحسن في هذه الحالات شوب الحجة باليمين فلو قال هكذا لكان أقرب ه

(امان ص ٧)

(الثاني) : هو أن العرب كانت تحترز عن الأيمان الكاذبة وتمتدق أنها تدع الديسار بلاقع ه ثم ان النبي صلى الله عليه وسلم أكثر من الايمان بكل شريف ولم يزد ذلك الا رفعة وشبانا ه وكان يحصل لهم العلم بأنه لا يحلف بها كاذبا والا لأصابه شؤم الأيمان ولناله المكروه في بعض الأزمان ه (١)

(الثالث) وهو أن الأيمان التي حلف الله تعالى بها كلها دلائل أخرجها في صورة الأيمان ، مثاله قول القائل لمنعه : وحق نعمك الكثيرة اني لا أزال أشكرك ه فيذكر النعم وهي سبب مفيد لدوام الشكر ويسلك مسلك القسم ه كذلك هذه الأشياء كلها (أى التي أقسم بها في أول الذاريات) دليل على قدرة الله تعالى على الاعادة ه فان قيل : فلم أخرجها مخرج الأيمان ؟ نقول لأن الانسان اذا شرع في أول كلامه يحلف يعلم السامع أنه يريد أن يتكلم بكلام عظيم فيصغى اليه أكثر من أن يصغى اليه حيث يعلم أن الكلام ليس بحمير ه فبذلك الحلف وأدرج الدليل

(١) وفي هذا الجواب كأنه أشار الى سبب كون اليمين طريقة مألوفة عند العرب كما مر ه وقد أصاب في ذلك لولم يزد عليه ما قال : من أن النبي صلى الله عليه وسلم أكثر من الايمان بكل شريف كأنه بين سبب خوفهم وأراد أنهم اذا أقسموا بكلمة شريف خافوا سخطه ان كذبوا في يمينهم به ه وضمف هذا القول ظاهرا فان أقسام القرآن ربما يكون بما ليس فيه شرف ه

٢ - والقرآن يهدى الى أن لا يخاف الا الله ه

٣ - وأى شؤم يخاف من التين والزيتون ه

٤ - ثم ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يبلغ القرآن من الله عز وجل بالقسم منه تعالى ه وهو لا يخاف أحدا ه

فلواقصر على الجزء الأول من جوابه وقال : ان العرب كانت تحترز عن الأيمان الكاذبة وتخاف مفيتها ه وتمتدق أن الرجل لا يحلف كذبا ه فاذا حلف أحد أصغوا اليه كان أقرب الى ما يجب به عن الشبهين الأولى والثانية جوابا ضيفا .

(أنظر امعان ص ٧ - ٨)

في صورة اليمين حتى أقبل القوم على سماعه فخرج لهم البرهان الصريح والتبيان المتين
في صورة اليمين ه (١)

ومن خلال قراءتي لتفسيره رحمه الله تبين لي أنه ما جزم بشئ معتقدا بصحته وإنما
تحرير بين عدة احتمالات في الإجابة على هذه الشبهات يتمذرع على القارى الترجيح
أو الجمع بينها ه

فمرة يقول بتعين التمسك بالإيمان لعدم فائدة الدليل لأجل مكابرة الخصم وعناده
كما فعل ذلك في سورة يس (٢) والذاريات (٣) والواقعة (٤)

وأحيانا يذكر أن هذه الأقسام التي أقسم الله بها ليست مجرد الحلف وإنما هي
دلائل أخرجهما في صورة الأيمان ه كما فعل ذلك أيضا في سورة يس والصفات والذاريات
والواقعة والمصر ه

وهذا الجواب يكفي لدفع الشبهة الثانية كما قاله الغرا هي رحمه الله ه ولكن
يلزم على القائل به أن يبين وجه الاستدلال بالمقسم يد على المقسم عليه ه وهذا مع كونه
ظاهرا في بعض المواضع كثيرا ما يحتاج إلى إصمان شديد ه ولملح لهذا السبب لم يتمدد
عليه الا في السور المذكورة ه

وأحيانا يدعى بأن القسم وقع برب هذه الأشياء وليس بأعيانها ه إذ ثبتت أن
الحلف لا يجوز بهذه الأشياء ه حيث ورد الخطر بأن يقسم الانسان بغير الله تعالى فيقول بحذف
المقسم به كما فعل ذلك في سورة والصفات (٥) والزخرف (٦) والدخان (٧) والنجم (٨)
والواقعة (٩) والانشقاق (١٠) والشمس (١١) فرارا عن شبهات واردة على القسم .

(١)	تفسير الفخر الرازي ١٩٣/٢٨ - ١٩٤	(٢) الفخر الرازي ٤١/٢٦
(٣)	١٩٣/٢٨	(٥) ١١٧/٢٦
(٦)	١٩٤/٢٧	(٨) ٢٧٧/٢٨
(٩)	١٨٨/٢٩	(١١) ١٨٩/٣١

وأحيانا ينكر وجود القسم اذا أمكنه الانكار كما قال في تفسير سورة القيامة
في ذكر (لا) التي تبتدىء بها السورة : " الاحتمال الثاني أن (لا) ههنا لنفسى
القسم كأنه قال لا أقسم عليكم بذلك اليوم وتلك النفس ولكنى أسألك غير مقسم أتحسب أننا
لا نجمع عظامك اذا تفرقت بالموت فان كنت تحسب ذلك فاعلم أنا قادرون على أن نفضّل
ذلك . وهذا القول اختيار أبى مسلم وهو الأصح (١)

قال الفراهي : هذا القول غير مختار عند المعارف بكلام العرب فانه لو كان المراد
كما فهم لكان وجه القول نفي مجرد القسم لا ذكر الأشياء الخاصة كالنفس اللوامة والخنفس
الجوارى الكنفس وغيرها . ثم هذا مخالف لأسلوب كلامهم فانهم يستعملون كلمة (لا) قبل
القسم منقطعة (٢)

وهو مختار الزمخشري . قال في تفسير سورة القيامة : " ادخال (لا) النافية
على فعل القسم مستفيض في كلامهم وأشعارهم . قال امرؤ القيس :
لا وأبيك ابنة المامرى
لا يدعى القوم أنى أفرّ
وفائدتها تأكيد القسم . وقيل ان (لا) نفي لكلام ورد له قبل القسم كأنهم
أنكروا البعث فقيل : لا أى ليس الأمر على ما ذكرتم ثم قيل : أقسم بيوم القيامة .

فان قلت : قوله تعالى : (فلا وربك لا يؤمنون الآية) والأبيات التي أنشدتها
المقسم عليه فيها نفي . فهلا زعمت أن (لا) التي قبل القسم زبدت موطئة للنفسى
بحد . ومؤكدة له وقدّرت المقسم عليه المحذوف ههنا منفيًا كقولك : لا أقسم بيوم القيامة
لا تتركون سدى ؟ قلت : لو قصر الأمر على النفي دون الاثبات لكان لهذا القول مسباغ

(١) تفسير الفخر الرازى ٢١٥/٣٠

(٢) ايمان للفراهي ص ٩

(٣) الكشف ١٨٩/٤ - ١٩٠

ولكنه لم يقصر هـ ألا ترى كيف لقي (لا أقسم بهذا البلد) بقوله : (لقد خلقنا الانسان)
وكذلك (فلا أقسم بمواقع النجوم) بقوله : (انه لقران كريم) هـ اهـ

وكذلك نقل الفخر الرازي في سورة الحاقة في قوله تعالى (فلا أقسم بما تصـرون)
قول من قال ان (لا) ههنا نافية للقسم هـ كأنه قال لا أقسم على أن هذا القرآن (قول
رسول كريم) يعنى أنه لوضوحه يستغنى عن القسم هـ (١) كما نراه أيضا متعبرا بين أقوال ..
متباينة في سورة الواقعة فيذكر ضمن أقوال متعددة أن قوله (لا أقسم) لا يريد به القسم
ونفيه وإنما يريد الاعلام بأن الواقعة ظاهرة هـ أو أن المقسم به فوق ما يقسم به لكونه فى
فاية الجزم هـ (٢)

وأحيانا يريد أن يتخلص من الاشكال بقوله ان القسم للتأكد والتنبيه على شرافية
المقسم به هـ قال في تفسير سورة (والطور) : ان الأماكن الثلاثة وهى الطور والبيت
المحرم والبحر المسجور هـ أماكن كانت لثلاثة أنبياء - ينفردون فيها للخلوة برهبهم والخلاص
من الخلق والخطاب مع الله هـ أما الطور فانتقل اليه موسى عليه السلام هـ والبيت محمد صلى
الله عليه وسلم هـ والبحر المسجور يوعى عليه السلام ثم قال فصارت الأماكن شريفة
بهذه الأسباب فحلف الله تعالى بها هـ (٣)

وقال في سورة المرسلات : " واعلم انك قد عرفت أن المقصود من القسم التنبيه
على جلاله المقسم به هـ (٤)

وقال في سورة (والفجر) : انما أقسم الله بهذه الأشياء لشرفها وكونها مخصوصة

-
- (١) الفخر الرازي ١١٦/٣٠
(٢) الفخر الرازي ١٨٨/٢٩
(٣) الفخر الرازي ٢٤٠ - ٢٣٩/٢٨
(٤) الفخر الرازي ٢٦٥/٣٠

بفضائل لا تحصل في غيرها (١)

وعلى هذا الأصل قال في تفسير سورة (والتين) : " اعلم أن الأشكال هو أن التين والزيتون ليسا من الأمور الشريفة فكيف يليق أن يقسم الله بهما فلاجل هذا السؤال حصل فيه قولان هـ " ثم ذكر فوائدهما ان كان المراد منهما هذه الأثمار وذكر شرافتهما ان كان المراد منهما مسجدين أو بلدين هـ (٢)

ونهبج نفس المنهج في سورتي (الماديات والمصر) فقال في (العاديات) فوجه القسم به من وجوه هـ أحدها : ما ذكرنا من المنافع الكثيرة فيه . . . الخ (٣)

وقال في سورة (والمصر) : ان كان المراد به الدهر هـ فكان الدهر والزمان من جملة أصول النعم فلذلك أقسم به هـ وان أراد به صلاة المصر فكأنه أقسم بصلاة المصر لفضلها تفخيما لشأنها بدليل قوله (والصلاة الوسطى) صلاة المصر في مصحف حفصية ، وان أراد بالمصر زمن الرسول عليه الصلاة والسلام فأقسم بالزمان المختص به وبأتمته كما أقسم بحمره في قوله (لعمرك) وذلك كله كالظرف له هـ فاذا وجب تمطيط حال الظرف فحال المظروف ثم وجه القسم هـ (٤)

ولا شك أن التمسك بهذا القول (أى شرافة المقسم به) مع كونه بآدى الخلل لا يزيل الشبهة الثالثة فان هذه الأشياء التي أقسم الله عز وجل بهأنى القرآن من الماديات ضبها والجواري الكس والليل والصبح والتين والزيتون والشمس والقمر ليست من الجلالة بمكان يقسم بها ، خالقها وربها ان كان القسم لأجل شرافتها هـ

(١) الفخر الرازي ١٦٣/٣١ - ١٦٥

(٢) الفخر الرازي ٨/٣٢ - ١٠

(٣) الفخر الرازي ٦٣/٣٢

(٤) الفخر الرازي ٨٤/٣٢ - ٨٦

وهذا هو الأمر الذي جعل الامام الفخر الرازي يتحير في أمر القسم ويتردد بين احتمالات وأخرى وجعله يعترف بعدم توصله الى شيء يجزم به في مواضع من تفسيره ، فمثلا يقول في تفسير سورة (والنازعات) :

” واعلم أن الوجوه المنقولة عن المفسرين غير منقولة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم نصّا حتى لا يمكن الزيادة عليها ، بل انما ذكروها لكون اللفظ محتملا لها ، فاذا كان احتمال اللفظ لما ذكرناه ليس دون احتمال له للوجوه التي ذكروها لم يكن ما ذكرناه أولى ما ذكرناه الا أنه لا بد ههنا من دققة ، وهو أن اللفظ مختل للكل ، فان وجدنا بين هذه المعاني مفهوما واحدا مشتركا حطنا اللفظ على ذلك المشترك وحينئذ يجمع هذه الوجوه ، أما اذا لم يكن بين هذه المفهومات قدر مشترك تعذر حمل اللفظ على الكل ، لأن اللفظ المشترك لا يجوز استعماله لفادة مفهومية معا ، فحينئذ لا نقول مراد الله تعالى هذا ، بل نقول يحتمل أن يكون هذا هو المراد ، أما الجزم فلا سبيل اليه ههنا (١)

كما أعاد هذا الكلام في تفسير سورة (والفجر) فقال: وكل هذه الوجوه التي ذكرناها محتمل ، والظاهر لا اشعار له بشيء من هذه الاشياء على التمييز ، فبان ثبت في شيء منها خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو اجماع من أهل التأويل حكم بأنه هو المراد وان لم يثبت ، فيجب أن يكون الكلام على طريقة الجواز لا على وجه القطع ، (٢)

(١) الفخر الرازي ٣١/٣٣

(٢) الفخر الرازي ٣١/١٦٥

طريقة الملامة ابن القيم رحمه الله

في تأويل أقسام القرآن لدفع الشبهات

سلك رحمه الله مسلك الاستقراء في كتابه (التبيان في أقسام القرآن) فمهد
أولاً أن أقسام القرآن كلها بالله وصفاته وآياته فقال في أول كتابه : (وهو سبحانه يقسم
بأمر على أمور ه وانما يقسم بنفسه الموصوفه لصفات وآياته المستلزمة لهاته وصفاته ه
وإن سلمه ببعض المخلوقات دليل على أنه من عظيم آياته ه

ثم بين رحمه الله أن المقسم عليه يراد بالقسم توكيده وتحقيقه فلا بد أن يكون
مما يحسن فيه ذلك كالأمر الغائبة والخفية اذا أقسم على ثبوتها ه فأما الأمور الظاهرة
المشهوره كالشمس والقمر والليل والنهار والسما والأرض فهذه يقسم بها ولا يقسم عليها ه
وما أقسم عليه الرب فهو من آياته فيجوز أن يكون مقسماً به ولا ينعكس ه (١)

ثم تكلم عن المقسم عليه فقال : " اذا عرف هذا فهو سبحانه يقسم على أصول الايمان
التي يجب على الخلق معرفتها تارة يقسم على التوحيد وتارة يقسم على أن القرآن حق
وتارة على أن الرسول حق وتارة على الجزاء والوعد وتارة على حال الانسان (٢)
وصفته وعاقبته ه وهذا الاخير اعتبره من القسم على الجزاء فليس هو أمراً مستقلاً .

وأعاد الكلام نفسه في سورة القيامة ه فقال : " فقد تضمن الأقسام ثبوت الجزاء
ومستحق الجزاء ه وذلك يتضمن اثبات الرسالة والقرآن والمعاد ه وهو سبحانه يقسم على
هذه الأمور الثلاثة ويقررها أبلغ التقرير لحاجة النفوس الى معرفتها والايمان بها " (٣)

- (١) التبيان في أقسام القرآن ص ٣
(٢) التبيان ص ٤
(٣) التبيان ص ١٠

فكما ترى ليس القسم عنده على اليمين والمعاد فقط في سورة القيامة ه بل يشمل النبوة والقرآن أيضا لأن هذه الأمور كلها متلازمة عنده لا يجوز التفريق بينها ه

وقال في الفصل الثالث من كتابه في ذكر القسم الذي تبتدى به ~~سورة~~ (الماديات والمصر والتين) : وحذف جواب القسم لأنه قد علم بأنه يقسم على هذه الأمور (أى التوحيد والنبوة والمعاد) وهى متلازمة ه فمتى ثبت أن الرسول حق ثبت القرآن والمعاد ه ومتى ثبت أن القرآن حق ثبت صدق الرسول الذى جاء به ه ومتى ثبت أن الوعد والوعيد حق ثبت صدق الرسول وصدق الكتاب الذى جاء به ه والجواب يحذف تارة ولا يراد ذكره بل يراد تعظيم المقسم به وأنه مما يحلف به ه (١)

وهذه الأقسام عنده دلالات على صفات الله تعالى ه كمال قال في سورة (الصفات) فان الأقسام كالدليل والآية على صحة ما أقسم عليه من التوحيد ه (٢) وقال في سورة (الذاريات) " أقسم سبحانه بهذه الأمور الأربعة لمكان الصبر والآية والدلالة الباهرة على ربوبيته ووحدانيته وعظيم قدرته " . (٣) وكذلك قال في سورة (الطور) " تضمن هذا القسم خمسة أشياء وهى مظاهر آياته وقدرته وحكمته الدالة على ربوبيته ووحدانيته " (٤) وقال في سورة (القلم) : " فكان في ذكر هذه الحروف التنبيه على كمال ربوبيته وكمال احسانه وانعامه ه فهى أولى أن يقسم بها من الليل والنهار والشمس والقمر والسما والنجوم

(١) التبيان ص ٧ ه ٨

(٢) التبيان ص ٢٧٢

(٣) التبيان ص ١٧٤

(٤) التبيان ص ١٦٥

وغيرها من المخلوقات فهي دالة أظهر دلالة على وحدانيته. وقد رتته وحكمته وكما له وكلامه
وصدق رسله " . (١)

وقال في ذكر القسم الذي ورد في وسط سورة الحاقة وهو قوله عز وجل : (فلا
أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون) (٢) : " ويدخل في ذلك الملائكة كلهم والجن والانس والعرش
والكرسى وكل مخلوق ه وكل ذلك من آيات قدرته وربوبيته وهو سبحانه يصرف الأقسام كما
يصرف الآيات " (٣)

وقال في ذكر القسم الذي جاء في وسط سورة المدثر ه وهو قوله تعالى : (كلا
والقمر ه والليل ان أدبر والصبح ان اأسفر ه) (٤) : " أقسم سبحانه بالقمر الذي هو آية
الليل ه وفيه من الايات الباهرة الدالة على ربوبية خالقه وبارئه وحكمته وعلمه وعنايته بخلقه
ما هو معلوم بالمشاهدة ه . . . وقال : وأقسم سبحانه بهذه الأشياء الثلاثة على المفسر
لما في القسم من الدلالة على القسم عليه ه فانه يتضمن كمال قدرته وحكمته وعنايته بخلقه
وابدا الخلق واعادته كما هو مشهود في ابداء النهار والليل واعادتها الخ " . (٥)

وقال في (سورة القيامة) : يجوز أن يكون الجواب ما حذف لدلالة السياق عليه
والعلم به ه ويجوز أن يكون من القسم المقصود به التنبيه على دلالة القسم به وكونه آية ه
ولم يقصد به تقسما عليه معينا ه فكانه يقول أن ذكر يوم القيامة والنفس اللوامة تقسما بهما
لكونها من آياتنا وأدلة ربوبيتنا " (٦)

وقال في سورة (المرسلات) : " فان القسم به لا بد أن يكون آية ظاهرة تدل
على الربوبية " (٧)

(٢) الحاقة ٣٨ - ٣٩

(٤) المدثر ٣٢ - ٣٤

(٥) التبيان ص ١٠٢ ه ١٠٥ ه ١٠٦ ه ١٠٨

(٧) التبيان ص ٩٠

(١) التبيان ص ١٢٧

(٣) التبيان ص ١١٠

(٦) التبيان ص ٩٢

وقال في سورة (النازعات) : " وجواب القسم المحذوف يدل عليه السياق وهو الهمث المستلزم لصدق الرسول وثبوت القرآن ه ثم قال : فان اقسامه سبحانه بهذه الأشياء لأظهر دلالتها على ربوبيته ووحدانيته وعلمه وقدرته وحكمته ه فالاقسام بها فسي الحقيقة اقسام بربوبيته وصفات كماله فتأمل ه (١)

وهكذا قال في ذكر القسم الذي في أواخر سورة الانشاق : " وهذه (أى الشفق والليل والقمر) وأمثالها آيات دالة على ربوبيته مستلزمة للعلم بصفات كماله " (٢) ثم قال : " فالمقسم به والمقسم عليه من أعظم الأدلة على ربوبيته وتوحيده وصفات كماله وصدقته وصدق رسله وعلى المعاد " (٣) ه وقال : وقوله : " لتركين طبعا عن طبق " (٤) الظاهر أنه جواب القسم ه ويجوز أن يكون من القسم المحذوف جوابه ه و(لتركين) وما بعده مستأنف (٤)

وهذا لما قلت أنه لا يحتاج الى جواب القسم ه فان المقسم عليه عنده معلوم متعين ه وهو أحد الأمور الثلاثة التي مر ذكرها ه

وكذلك قال في سورة (البروج) : " وكل ذلك من آيات قدرته وشواهد وحدانيته " . . . ثم قال : والأحسن أن يكون هذا القسم مستغنيا عن الجواب ه لأن القصد التنبيه على المقسم به ه وأنه من آيات الرب العظيمة ه (٥)

وقال في سورة (الطارق) : " والمقصود أنه سبحانه أقسم بالصاع وهجومه المضيئة وكل منها آية من آياته الدالة على وحدانيته " ثم قال في ذكر القسم الذي جاء في وسط السورة : فأقسم سبحانه بالسميا ذات المطر والأرض ذات النبات ه وكل ذلك آية من آيات الله تعالى الدالة على ربوبيته " (٦)

- | | |
|---------------------|-------------------------------------|
| (١) التبيان ٨٢ | (٢) التبيان ٦٩ |
| (٣) التبيان ٧١ | (٤) التبيان ٧٠ والآية من الانشاق ١٩ |
| (٥) التبيان ٥٦ - ٥٧ | (٦) التبيان ٦٣ و ٦٧ |

وقال في سورة (البلد) : " . . . الاقسام ببلده المشتغل على رسوله وعهده
هو من أعظم آياته ودلائل وحدانيته وربوبيته ، فمن اعتبر حال بينه وحال نبيه وجد ذلك من
أظهر أدلة التوحيد والربوبية " (١)

وقال في سورة (الشمس) : " قد أقسم الله بهذه الأشياء التي ذكرها لأنها
تدل على وحدانيته " (٢) وقال في سورة (الليل) : " فيكون قد أقسم باقبال الليل والنهار وعلى
انصرام الليل ومجيء النهار عقبيه ، وكلاهما من آيات ربوبيته " (٣)

وقال في سورة (الضحى) : " . . . فهو قسم على النبوة والحمد ، وأقسم
بآيتين عظيمتين من آياته دالتين على ربوبيته وحكمته ورحمته وهما الليل والنهار " (٤)

وقال في سورة (التين) : " . . . وذلك من أعظم الآيات الدالة على وجوده
وقدرته وحكمته وعلوه وصفات كماله " . (٥) هذا هـ

وقد تبين لى باستقراء ما كتبه فى كتابه (التبيان) أنه رحمه الله اقتصر القسم على
ثلاثة أمور هـ وهى التوحيد والرسالة والحمد هـ وهذه الثلاثة مآلها واحد وهو صفة الله
عز وجل من الوحدانية والربوبية ، فبعد هذا التمهيد لم يبق له كبير حاجة الى جواب
القسم هـ فان القسم بنفسه دلالة على المقسم عليه المعلوم الصميم هـ وهو أحد الأمور الثلاثة
المذكورة هـ وانما استقصيت هذا الاستقصاء لأبين للقاءى توحيد منهجه فى باب القسم هـ
فالمنهج الذى اختاره اعتمد عليه كل الاعتماد هـ وسار عليه من أول كتابه الى آخره فى تفسير آيات
القسم عكس صنيعه الرازى رحمهما الله هـ

ولعل العلامة ابن القيم اتبع فى كتابه منهج شيخه العلامة ابن تيمية وان كان
لا يوجد للثانى مؤلف مستقل فى هذا الباب الا أنه توجد نماذج من آرائه فى فتاواه هـ

(٢) المرجع نفسه ص ١٥

(٤) المرجع نفسه ص ٤٦

(١) التبيان ص ٢٤

(٣) التبيان ص ٣٥

(٥) التبيان ص ٢٨ - ٢٩

وإذا نظرنا في الفصل الذي عقده ابن تيمية رحمه الله في أقسام القرآن وجدنا كلاماً مماثلاً لما ذكره ابن القيم في تمهيد كتابه هـ فمن ذلك مثلاً اتفاقهما على ان أقسام القرآن كلها بالله وصفاته وآياته هـ وانها كالديل والآية على صحة ما أقسم عليه هـ قال في فتاواه : (وهو سبحانه يقسم بأمر على أمور هـ وانما يقسم بنفسه المقدسه الموصوفة بصفاته أو بآياته المستلزمة لذاته وصفاته هـ واقسامه ببعض المخلوقات دليل على انه من عظيم آياته هـ)^(١)

وقوله : (ان المقسم عليه يراد بالقسم توكيده وتحقيقه فلا بد أن يكون مما يحسن فيه ذلك كالأمر الغائبة والخفية اذا أقسم على ثبوتها . فأما الأمور المشهورة الظاهرة فهذه يقسم بها ولا يقسم عليها هـ وما أقسم عليه الرب عز وجل فهو من آياته فيجوز أن يكون مقسماً به ولا ينعكس .)^(٢)

ثم أراد أن يفصل مقاله مجتلاً في فصل عقده لهذا الغرض هـ وان كان يوجد هناك بعض السقط في الكلام فبقي الفصل ناقصاً هـ قال رحمه الله :

" وهو سبحانه وتعالى لما أقسم بـ (الصفات) و (الإذاريات) و (المرسلات) ذكر المقسم عليه هـ فقال تعالى : (ان الهكلم لواحد) وقال تعالى : (انما توعدون لصادق وان الدين لواقع) وقال تعالى : (انما توعدون لواقع) . ولم يذكره في النازعات فان الصفات هي الملائكة وهو لم يقسم على وجودها كما لم يقسم على وجود نفسه هـ ان كانت الأمم معترفة بالصفات هـ وكانت معرفته ظاهرة عندهم لا يحتاج الى أقسام بخلاف التوحيد هـ فانه كما قال تعالى : (وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون هـ)^(٣)

وكذلك الملائكة يقربها عامة الأمم كما ذكر الله عن قوم نوح وعاد وثمود وفرعون مع شركهم وتكذبهم بالرسل هـ انهم كانوا يعرفون الملائكة هـ قال قوم نوح : (ما هذا الا رجل يريد أن يتفضل عليكم ولو شاء الله لأنزل ملائكة هـ)^(٤) وقال عن عاد وثمود : (فان

(١) مجموع فتاوى شيخ الاسلام أحمد بن تيمية ١٣ / ٣١٤

(٢) مجموع فتاوى شيخ الاسلام أحمد بن تيمية ١٣ / ٣١٥

(٣) يوسف ١٠٦ (٤) المؤمنون ٢٤

أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود ه ان جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم أن لا تعبدوا الا الله ه قالوا لو شاء ربنا لأنزل ملائكة (١)

وقال فرعون : (أم أنا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين ه قلولا ألقى عليه أسورة من ذهب أو جاء معه الملائكة مقترنين ه) (٢)

وكذلك مشركوا الصرب ه قال تعالى : (وقالوا لولا أنزل عليه ملك . ولو أنزلنا ملكا لقضى الأمر ثم لا ينظرون) (٣) وقال تعالى (وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشى في الأسواق لولا أنزل اليه ملك فيكون معه نذيرا ه) (٤)

وقال تعالى عن الأمم مطلقا : (وما منع الناس أن يؤمنوا ان جاءهم الهدى الا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا . قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا ه) (٥)

فكانت هذه الأمم المكذبة للرسول المشركة بالرب مقرة بالله وملائكته ه فكيف بمن سواهم فعلم أن الاقرار بالرب وملائكته معروف عند عامة الأمم ه فلهذا لم يقسم عليه وإنما أقسم على التوحيد ه لأن أكثرهم مشركون ه

وكذلك (الذاريات) و (الحاملات) و (الجاريات) هي أمور مشهودة للناس . و (المقسمات أمرا) هم الملائكة ه فلم يكن فيما أقسم به ما أقسم عليه ه فذكر المقسم عليه فقال : (إنما توعدون لصادق ه وان الدين لواقع) ه

و (المرسلات سواها كانت هي الملائكة النازلة بالوحي والمقسم عليه الجزاء في الآخرة ه أو الرياح أو هذا وهذا فهي معلومة أيضا . وأما (النازعات) فهي الملائكة

(٢) الزخرف ٥٣

(٤) الفرقان ٧

(١) فصلت ١٣ - ١٤

(٣) الأنعام ٨

(٥) الاسراء ٩٤ - ٩٥

القابضة للأرواح وهذا يتضمن الجزاء وهو من أعظم المقسم عليه قال تعالى : (قل يتوفاكم
ملك الموت الذى وكل بكم ه ثم الى ربكم ترجعون) (١) وقال تعالى (توفته رسلنا وهم
لا يفرطون ه ثم ردوا الى الله مولا هم الحق) (٢)

ونرجع الى المقصود فنقول اننا اذا قارنا بين ابن القيم والفخر الرازى لا يخفى علينا
الفرق بين طريق الرازى رحمه الله الذى أشار الى أجوبة مختلفة ربما يناقش بعضها بعضا وبين
طريق ابن القيم رحمه الله الذى عمد الى نهج واحد واجتهد أن يعول عليه فى جميع
الأقسام ه واعتبر كل الأقسام كالدليل والآية على صحة ما أقسم عليه من التوحيد ه وهذا
الطريق أحسن ه

وقد بين الفراهى رحمه الله أن طلاك الأمر فى جواب ابن القيم رحمه الله لدفع
هذه الشبهات اعتماده على أصليين :

(الأول) : انه سبحانه وتعالى انما أقسم بنفسه وآياته وأما القسم بالمخلوقات فهو أيضا
من باب القسم بذاته فانها من آياته ه وأراد بهذا الأصل ازالة الشبهة
الثالثة وهى تمظيم المخلوق فوق مكانته ولكنها لم تنزل ه فان المقسم تعلق
صريحا بالمخلوقات وكونها من آياته ودلائل صفاته لا يخرجها عن كونها المقسم
بها ه

وقوله (والجواب يحذف تارة ولا يراد ذكره بل يراد تمظيم المقسم
به وانه ما يحلف به) (٣) تصريح منه بأنه سبحانه أقسم بغير ذاته
القدسة وأراد تمظيم بعض مخلوقاته ففاية الأمر أنه تعالى لم يقسم بها

(١) السجدة : ١١

(٢) الأنعام ٦١ - ٦٢

(٣) من هنا سقط بعض الكلام انظر مجموع فتاوى ابن تيمية ١٣ / ٣١٨ - ٣٢٠

(٣) التبيان لابن القيم ص ٨

الا من جهة شريفة ه ولا بأس بأن يجعل الله تعالى لبعض مخلوقاته شرفا وكرامة ولكن الشبهة ليست في معنى شرافة بعض الأشياء قرب صغير كبير ورب ضئيل نبيل لا اختلاف الاعتبارات بل الشبهة في وضعها موضع ما يقسم به الرب تعالى شأنه عظيما كبيرا .

(والأصل الثاني) : الذي اعتمد عليه هو أن الأقسام كلها دلالات على المقسم عليه ه وأراد بهذا الأصل إزالة الشبهة الثانية كما فعل الرازي رحمه الله حين ذكره فسي وجوه أخر فلم يعتمد عليه ه وأما ابن القيم رحمه الله فاغضب على هذا الأصل كل الاعتماد وفسر أكثر آيات القسم على طريق يظهر به دلاله المقسم به على المقسم عليه ه وإذا أشكل عليه الربط جعل المقسم عليه محذوقا وجعل القسم دالا على صفات الله وغيرها ه ومع هذا الوهن في جوابه والتصريح أحيانا بأن القسم لتمظيم المقسم به لقد أجاد وأصاب أو قد كان في غير موضع من كتابه ه (١)

(١) ايمان في أقسام القرآن للفراهي ص ١٢ - ١٣

الرأى السائد عند عامة العلماء والمفسرين

فى أقسام القرآن



الرأى السائد عند عامة العلماء والمفسرين (١) أن هذا القسم يحطل معنى التعظيم للمقسم به ه وظنوا أن ما أقسم الله به هو من عظيم خلقه وجليل آياته ه وسادات هذه الفكرة فألجأتهم الى اعتساف فى بيان وجه التعظيم فى كل ما أقسم به القرآن الكريم وراحوا يتأولون نواحي العظمة وسر هذه المقسم بها وجلال قدرها ه

ويلاحظ كذلك أنهم فى أكثر آيات القسم خلطوا بين الاعظام وبين الحكمة فى خلق المقسم به (٢) وما من شىء من مخلوقات الله لم يخلق لحكمة ظاهرة أو خفية ه أما الاعظام فلا يهون القول به لمجرد بيان وجه لظاهر الحكمة فى المقسم به ه

ولما لم يكونوا مقتنمين بفكرة التعظيم وما طاعتهم أنفسهم بها قالوا : ان لله أن يقسم بما شاء وليعين للمبد أن يقسم الا بالله ه وذلك فرارا عن شبهات وارادة على القسم بالمخلوقات فى القرآن الكريم .

والسبب يرجع الى الخطأ فى فهم أصل معنى القسم ه فرما ترى أن الخطأ فى معنى كلمة واحدة يصرف عن تأويل السورة بأسرها على وجه مستقيم فيتوجه المرء الى سمى كلما مر فيه بعد عن الفهم ه ومن ذلك ما حدث من خطأ فى فهم معنى القسم وتأويل الايات التى ورد فيها على وجه صحيح الا من سدده الله منهم ه ولو بدأوا سيرهم من

(١) انما تكلمت فيما مضى عن الامام الرازى والامام ابن القيم لأنى لم أشر على كتاب من القدماء فى هذا الباب غير كتاب التبيان ه أو ما ذكر فى التفسير الكبير للعلامة الرازى ومن أتمه رحمهم الله تعالى والآن أتكلم عن العلماء عامة .

(٢) كما ترى الفخر الرازى وابن القيم فى شرح القسم بالتين والزيتون .

معرفة أصل معنى الكلمة لما سادتهم فكرة تعظيم المقسم به ولما صرفوا آيات القسم عن تأويلها الصحيح ولتبيين لهم تأويل أكثر السور التي فيها القسم .

وانى لم أطلع بعد كتاب " التبيان " للإمام ابن القيم رحمه الله على كتاب يبحث عن معنى القسم وحكمته الا كتاب (ايمان فى أقسام القرآن) للإمام عبد الحميد الفراهى رحمه الله يذهب فيه مذهباً يخالف العلماء جميعاً جزئياً أو كلياً ويرى فيه رأياً أخصه بما يلى :

طريق الامام عبد الحميد الفراهى

فى تأويل أقسام القرآن

لقد وافق الفراهى رحمه الله العلماء الذين قالوا ان هذه الاقسام دلالات واعتبرهم أحسن قولاً ثم خالفهم فى ظنهم يكون القسم مشتقاً على تعظيم المقسم به لا محالة ، ووصفه بالظن الباطل الذى صار مجازاً على فهم أقسام القرآن ومنشأً للشبهات .

فأبطل هذا الظن أولاً : ببيان أصل معنى القسم مجرداً عن المقسم به بأن القسم فى أصله للقطع ومنه قسمت الشئ وقسمته ، والقطع يستعمل لفتح الريب والشبهة وكذلك الحلف معناه القطع والحدة فيشابه كلمة القسم يقال : سئمان حليف أى قاطع ولسان حليف أى حد يد نلق فقولهم حلف على أمر كقولهم قطع به ، وهذا هو الأصل ثم اختصاً بشدة الفصل والجزم فى القول ، فليس القسم أو الحلف فى أصلها الا الجزم والتأكيد المحض .

ثم استدلل بذلك على أن القسم ليس فى شئ من التعظيم ولا يلزمه المقسم به حتى يقدر كلما لم يذكر فضلاً عن تعظيمه .

ثم بين رحمه الله أصل معنى القسم اذا كان فيه مقسم به فقال : بعد ما علمت معنى القسم المجرد عن المقسم به لا يبعد عنك فهم معناه اذا أقسم فيه بشئ ، فانما هو ضم المقسم به مع المقسم كالشاهد على قوله .

ويؤيد هذا التأويل ما عرف من تاريخ القسم وطرقه فانهم لم يقسموا الا على رؤوس
الاشهاد فكانوا شهداء على ايمانهم لتأكيد هـ فان الرجل يجتنب أن يجعل نفسه كسانها
في عيون الناس فضلا عن كون الكذب في الشهادة أكبر اثما وأشد ذمًا .

ويشهد على هذا المراد ما جاء في القرآن في ذكر ميثاق النبيين حيث قال عز من
قائل : (وان أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما
معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا
وأنا معكم من الشاهدين هـ فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون)^(١) أي قسده
أوثقنا هذا الصهد بمشهدى ومشهدكم فلا يسوغ الانكار بعد ذلك الا بالفسق هـ

وأصل هذا التأكيد أن المرء اذا قال أشهد به فقد صرح بأنه يقول بملحه ومشهده
لا بسماعه فلا يمكن له المذر ان كذب هـ ولذلك قال أخوة يوسف عليه السلام (وما شهدنا
الا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين)^(٢)

ثم نرى صريح قولهم في أقسامهم (أنا أشهد) و (الله يشهد) و (الله يعلم)
وهذا في أكثر اللغات هـ فانا نرى الأمم في المشرق والمغرب مع اختلاف كثير في عاداتهم
لا يختلفون في أنهم اذا قالوا (الله شهيد على ذلك) أو ما يشبهه أرادوا به القسم .

ويفصل هذه القضية ما جاء في القرآن من التصريح بكون الشهادة والاشهاد يمينًا
حيث قال تعالى : (اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد أنك لرسول الله والله يعلم أنك
لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون هـ اتخذوا ايمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله
الآية)^(٣) فسعى الله الشهادة منهم ايمانًا هـ

(١) آل عمران ٨٦ - ٨٢

(٢) يوسف ٨١

(٣) المنافقون : ١ - ٢

وإذا نظرنا في أقسام العرب الدينية سواء في الجاهلية أو في الإسلام لا يخفى علينا أنهم لم يريدوا بها إلا اشهاد الآلهة المعبود الذي جعلوه شاهدة وبذلك جعلوه وكيفا وكفيلة على الحقود ه ومرادهم أنهم ان كذبوا بعد ذلك أسخطوا الله كما صرح به النابغة الذبياني في أبياته : (١)

فلا لمر الذي مسحت كعبته وما هريق على الأصاب من جسد
والؤمن العائدات الطير تصحها ركبان مكة بين الفيل والسمه
ما قلت من سيء مما أتيت به إذا فلا رفعت سوطي التي يدي
إذا فعاقبتني ربي معاقبة قرت بها عين من يأتك بالفند

وأما مراد الصلحاء من اشهاد الله تعالى فليس إلا اعتمادهم وتوكلهم على ربهم وإظهار جدتهم في شهادتهم كما صرح به النبي صلى الله عليه وسلم في خطبة البلاغ فقال بعد ما بلغهم عوازم الأمور : (أأهل بلغت اللهم اشهد) (٢) فجعل الرب شاهدا على ما عاهدهم عليه .

وجدة الكلام ان الأيمان عامة أصلها الاشهاد بها ه وانما انضم بها معنى التمثيل من جهة المقسم به (فهو من عوارض القسم) لا من جهة معنى الاشهاد الذي هو أظهر معنى القسم بالشئ ه

ثم قال رحمه الله : قد تبين ما ذكرنا أنهم كانوا يقسمون بالشهادة من أنفسهم أو بالشهادة بالله تعالى ه وإذا كانت الشهادة بالله أكبر الشهادات كثر القسم بهما ه

(١) ديوان النابغة ص ٨٦ جمع وشرح : محمد الطاهر بن عاشور

(٢) صحيح البخاري ه كتاب الحج باب الخطبة أيام منى ه ٦١٩/٢ (دار القلم) .

وصحيح مسلم ه كتاب الحج ه باب حجة النبي صلى الله عليه وسلم رقم الحديث

ولذلك ظن من قلّ التفاتة الى أساليب الكلام وفنون بلاغته أن الاشهاد لا يكون الا بالمعبود
وعلى جهة التمجيد ه ولكنك اذا سرحت النظر في كلام العرب وغيرهم وجدت أنهم ربما
أشهدوا بأشياء لم يصيدوها ولا عظموها وانما أرادوا الاستدلال بجمل المقسم به هاهنا
على أقوالهم ه ثم ضرب المؤلف أمثلة القسم الاستدلالي من الشعر العربي ووضح مفهومه ه

فمنها ما قال أبو الصبر الطائي يمدح حاتما الجواد :

قد علموا والقدر تعلمه	ومستهلّ الفرار مطرد
أن ليس عند اعتراضها	لديك الا استلالها مدد (١)
ومنها ما قال الراعي :	(٢)
ان السماء وان الريح شاهدة	والأرض تشهد والأيام والبلد
لقد جزيت بني بدر ببقيتها	يوم الهباءة يوما ماله قسود

أراد به الشاعر شدة وضوح المقسم عليه بمعنى أن الأمر بلغ غاية الشهرة والمعرفة
حتى أن كل شيء يشهد به فذهب في آفاق السماء وأقطار الأرض وجرت به الريح في كل
جانب وبلغ كل بلد وكفلت الأيام بابقائه على صفحات الدهر، وغاية التأكيد في أن هذه الاشياء
التي لا روح لها تشهد به فكيف بأهل السمع والبصر والنطق .

وهذا بحسب الظاهر مبالغته ولكنه بنى على الصدق فان المراد به غاية الشهرة

وعوم العلم به ه

ومنها ما قلنا سيفة الذبياني :

والخيل تعلم أنا في تجادلنا عند الطمان أولوبؤس وانعام (٣)

(١)

(٢) الراعي : هو عبيد بن حصين بن معاوية بن جندل النعمري ه أبو جندل شاعر من فحول
المحدثين ه والراعي لقب غلب عليه لكثرة وصفه الابل وجودته نمته اياها ه عاصر
جريرا والفرزدق ه توفي سنة تسعين ه كتاب الأغاني للأصفهاني ٢٣ / ٣٤٨ والاعلام

١٨٨ / ٤

(٣) ديوان الناهضة (جمع وشرح محمد الطاهر عاشور) ص ٢٣١

ومنها قول عنتره :

والخيل تعلم والفوارس أننى
(١) فرقت جمعهم بظمنة فيصل

فقد رأيت فى هذه الأمثلة أنهم أشهدوا بالقدور والمدية والسما والريح والأرض ه
والأيام والبلد والخيل والفوارس وليس المراد إلا أنك لو سألتهم ونطقن لشهدن على دعوانا ه

ومن هذا الأسلوب ما قال الفضل بن عيسى بن ابان فى وعظه : " سل الأرض فقلل

من شق أنهارك وفرس أشجارك وجنى ثمارك ه فان لم تجيبك حوارا ه أجايتك اعتبارا ه

ومثل هذا ما جاء فى صحف موسى عليه السلام : " أشهد عليكم السماء والأرض قد

جعلت قد اذك الحياة والموت والهركة واللعنة فاختر الحياة لكى تحيا أنت ونسلك ه " فأراد

بهذا الاشهاد أن عهدى هذا بكم لا يؤخذ سرا بل نجعله مشهورا ومشتهرا فان نقضتموه

لزمكم عاره دائما أبدا ه فمتى ما أظلمتكم السماء وأظلمتكم الغبراء جاءكم اللعنة والمذاب من

فوقكم وتحتكم ه ف ضرب السماء والأرض مثلا لدوام العهد ولزوم ذلة النقض ه فكأنه عليه

السلام أقام عليهم شاهدين لا يفصلتون منهما أبدا وأيتين لا تفرقان عنهم ه

ومما يجلوا الشبهة عن القسم الذى يشهد فيه بما ينطق بلسان الحال أنهم كما

أشهدوه بكلمة (يشهد) و (يعلم) أو ما يشبهها فكذلك أشهدوه بكلمات خصت بالقسم

أو نصت له مثل واو القسم و (لصر) أو ما يشبهها، فان لم يطمئن قلبك بالأمثلة السابقة

فدوئك أقساما صريحة بأمر ناطقة بلسان الحال ه

(٢) فمنها قول عروة بن مرة الهذلى :

وقال أبو أمامه بالبكر
فقلت ومرخة دعوى كبيسر

(١) ديوان عنتره بن شداد (تحقيق وشرح عبد المنعم شليب) ص ١١٩

(٢) شرح أشعار الهذليين ضعه أبى سعيد الحسن السكرى ٦٦٤/٢

يستهنى* الشاعر بأبي أمانة على استفائته بقبيلة بكره ثم هرب المرخة مثلا بقبيلة بكر التي استفات بهم أبو أمانة فشبهم بالمرخة ه فقال هذه دعوى كبيرة ه أى ما أصغر من يدعوهم لنصره ه فأقسم بشجرة صغيرة لا تقوى من يلوز بها وضربها مثلا لا ضعف الاشياء ملاذا ه

(١) ويتضح هذا المعنى مما قال أبو جندب الهذلى :

وكنت اذا جاردعا لمضوفة أشمر حتى ينصف الساق مئزى
فلاتحسبن جارى لدى ظل مرخة ولا تحسبنه فقع قاع بقرقر

ومنها قسم الهجرس حين قتل جساسا قاتل أبيه فقال : * وفسى وأذنيه ورمحسى ونصليه وسيفى وفراربه ه لا يترك الرجل قاتل أبيه وهو ينظر اليه * (٢) فأقسم بهذه الاشياء استدلالا بها كأنه قال فكيف أترك قاتل أبى وأنا قادر على الكر والفر والطمع والضرب فذكر فى قسمه ما يصدق دعواه ويستدل به على وجوب ما أراد به ه

(٣) ومنها قسم طرفة :

وقربة ذى القربى وجدك إننى حتى يك أمر للنكيسة أشهد

أراد أنه كيف لا يشهد مجلس ذوى القربى اذا اجتمعوا لأمر كبير ولا يراض منزلة

(٤) الرحم وهى عناية عندهم وكانوا ينشدون بالله والرحم فأقسم بها استدلالا على لزوم مشهده

(١) انظر شرح ديوان الهذليين للسكرى ٣٥٨/١

(٢) كتاب الأغانى للأصبهاني ١٥١/٤

(٣) ديوان طرفة بن المصد ص ٣٥ : وفيه : وقربت بالقربى وجدك إننى ه

(٤) لأنه يرضى حق الرحم ولا يقبل مثله لا يستغنى عن حضوره تلك المجالس ه

ومنها قول الحصين بن حمام (١) يرثى نعيم بن الحرث (٢) خليله :
قتلنا خمسة ورموا نعيمًا وكان القتل للفتيان زينًا
لمصر الباكيات على نعيم لقد جلت رزيتة علينا (٣)

فلم يقسم بالباكيات الا لأن حالهن يشهد على جلالة هذه الرزية ه

فترى في هذه الأمثلة المضروبة أن القسم لا يختص بالآله وبذلك ظهر خطأ من زعم
أن القسم لا يكون الا بالمعبود على جهة التعظيم ه كما تبين لنا من هذه الأمثلة
استعمال القسم على وجه الاستدلال وضرب المثل وليس المراد منه تعظيم المقسم به ه
فان كان المقسم به في نفس الأمر عظيمًا فهذا من محض الاتفاق ه ولا يتعلق به عرض
القسم ه بل محض القسم ساكت عن عظمته كما رأينا عروة بن مرة الذي مر شعره كيف أقسم
بالمرخة وضربها مثلاً لفاية الذل وا لضعف .

ثم استشهد الفراهي بكلام "ديما ستنس" أعظم بلغاء اليونان ه وكلام "بوليوس"
الشاعر اليوناني على أن الناس من عرب وعجم يقسمون بأشياء عادية للافاية تعظيمها
أولكونها مقدسة عندهم بل على وجه الاستدلال لتكون شاهدا على ما يقولون ودليلاً على
ما يدعون ه

ثم جاء الكاتب الى أقسام القرآن فبيّن أنها لا تكون للتعظيم الا اذا كان المقسم
به هو الله وشعائره وما عدا ذلك فهو لمحضى الاستدلال ه وفي فصل طويل راجح يأتي
بالبرهان تلو البرهان وهي الأدلة المأخوذة من نفس القرآن على أن ما أقسم الله به بيمينه

(١) هو الحصين بن حمام بن ربيعة المريّ الذبياني ه أبو يزيد : شاعر فارس جاهلي .
ويلقب "مانع الضيم" في شعره حكمة ه مات قبيل ظهور الاسلام ه الأغاني ١٢ / ١٢٣
(بولاق) والاعلام ٢ / ٢٦٢

(٢) هو نعيم بن الحرث بن عباد بن حبيب بن واقلة بن سهل ه قتلته بنو صرمة يوم
دائرة موضوع ه وكان وادًا للحصين .

(٣) انظر الأغاني ١٢ / ١٢٦ (ط : بولاق)

مخلوقاته لا لتمظيمه وانما لمحضى الاستدلال به على ما أقسم عليه سبحانه

الأدلة المأخوذة من نفس القرآن

على ما فيه من الأقسام الاستدلالية

قال الفراهي رحمه الله تعالى : بعد ما تبين لك أن القسم أصله الاستشهاد وأنه لا يراد منه التعظيم الا اذا كان بالله تعالى وشعائره ه وعلمت أنه ربما يكون لمحضى الاستدلال لا يخفى عليك أن أقسام القرآن التي بنى عليها الممترغى الشبهتين الاخيرتين ليست الا للاستدلال والاشهاد بالآيات الدالة ه

فان قال قائل هب أن أصل القسم هو الاشهاد ولكنه لكثرة استعماله للتعظيم صار كالمنقول وأصله كالمذحول عنه ولذلك نهى عن القسم بغير الله تعالى فلا يصار الى الأصل الا بدليل واضح بين ه قلنا سلمنا ولكننا لم نذهب الى هذا المعنى الخاص لأقسام القرآن الا بدلالة القرآن من وجوه كثيرة ودونك بيانها :

(الأول) : ما علمنا من سنة القرآن من استعماله بعض الكلمات مرة للمجد وأخسرى لله تعالى ه وهينئذ يميز بين وجوهها حتى لا يكون مخالفا بجلالة ربنا جلّت عظمتة مثل كلمة (الصلاة) فانها الدعاء من العبد والرحمة من الله تعالى ه وكلمة (الشكر) فانها من العبد الاعتراف بالنعمة ومن الله تعالى قبوله الحسنات من عبده ه وهكذا التوبة والسخط والحكرو والكيد والأسف والحسرة وغيرها ه بل ما من كلمة الا يميز بين وجوه معانيها اذا استعملت لله تعالى ه ويؤخذ بأحسنها ويترك ما لا يليق بجلاله المقدسة ه وقد علمنا الوجوه العديدة (١) للقسم فحملناه على وجه يليق بجلالة ربنا ه

(١) يقصد وجوه القسم الثلاثة :

أ - القسم على وجه التقديس للمقسم به وذلك الايمان الدينية ولا يجوز الا بالله

وأخذنا بما " هو خير وأحسن تأويلاً " .

(والثاني) : ما تمتهدى إليه من حمل النظر على النظر ه وتفسير الآيات بعضها ببعض ه فانك ترى القرآن يذكر الأمور الدالة تارة على أسلوب القسم بها وأخرى على أسلوب الآية والعبرة وكلها اشهاد لمن يتفكر فيها ه قال تعالى : (إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري فسي البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون) (١)

ومثل هذا كثير فيذكر الله تعالى آياته ويحتج بها ه

ثم ترى هذه الآيات أشهد بها القرآن على أسلوب القسم فأشهد بالسماء

سبحانه وأسمائه وصفاته ه

ب - والقسم على وجه الأكرام للمقسم به ه وذلك إذ يكون المقسم به عند المتكلم كريماً ومضنوناً به لكنه لا يكون مما يعبده ويقدمه ه نحو قولهم لعمري ولعمرك ومنه قوله سبحانه : (لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون) الحجر : ٧٢ . أكرم الله نبيه عليه السلام بهذا الخطاب ه ومنه قوله تعالى (فلا وربك لا يؤمنون حتى تنضحكم ، الآية) النساء : ٦٥ .

ج - القسم على وجه الاستدلال بالمقسم به وقد مر ذكره مفصلاً .

(١) البقرة : ١٦٤

والأرضي والشمس والقمر والليل والنهار ه والفجر والضحى والرياح والسحاب ه
والجبال والبحر والبلد والانسان والوالد والولد والذكر والأنثى والشفع
والوتر ه فكونها آيات دالة له نظير ولا سبيل الى ارادة تعظيمها ه

(والثالث) : ما يدلك عليه نفس المقسم به ه فان العاقل لا يتوهم أن الله تعالى يضع
مخلوقاته موضع المحبوب المقدس ولا سيما الذي ليس له كبير تقديس كالخييل
العادية والرياح الذارية ه وقد صرح القرآن بكون هاتيك المقسم بها من
السما ه والأرضي والشمس والقمر والنجوم وغيرها سخرة مذلة طائفة ه ففى
نفس المقسم بها دلالة على أن المراد محض اشهادها .

(والرابع) : ماترى من الضاسبة الظاهرة بين المقسم به والمقسم عليه ه فان القرآن وضع
أكثر هذه الأقسام بحيث لا يخفى على العاقل جهة دلالتها على ما أقسم
عليه ه ولذلك ترى صاحب التفسير الكبير رحمه الله مع ظنه بأن المقسم للتعظيم
وتكلفه لبيان فضائل التين والزيتون لم تخف عليه جهة عامة فى دلالة الأقسام
التي جاءت فى أول سورة (الذاريات) فقال : (انها كلها دلائل أخرجها
فى صورة الأيمان) (١) . ولو تأمل فى سائر أقسام القرآن التي جاءت على
وجه الاستدلال لاختار هذا التأويل فى جميعها ه

(والخامس) : ماترى من تصميم المقسم به على طريق تصميم الآيات الدالة كما قال تعالى :
(فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون) (٢) . فلم يترك شيئا الا وقد أقسم به
كما قال : (وان من شئ الا يسبح بحمده ه) (٣) . فلم يترك شيئا الا وقد

(١) تفسير الفخر الرازى ٢٨ / ١٩٤

(٢) الحاقة ٣٨ - ٣٩

(٣) الاسراء ٤٤

أنطقه بحمده وأشهده بمجده ه ويشبه هذا التعميم استعمال المتقابلين
حيث أقسم بالليل والنهار والأرض والسما ه فكيف يخاف أن الله عظيم ككل
شي ه والسبيل الى جعله آية دالة ظاهرة فلا يصار إلا اليه ه

و(السادس) : ما يتبع القسم به من التنبيه على كون القسم به دليلا للمقلا كما قال
تمالى : (والفجر وليال عشر ه والشفع والوتر والليل اذا يسره هل فى ذلك
قسم لذى حجر ه) (١) فهذه الجطة الأخيرة مثل ما تجد كثيرا فى القرآن
بعد ذكر الدلائل كما جاء فى سورة النحل : (ان فى ذلك لآيات لقوم
يعقلون ه) (٢) أو كما جاء فى سورة طه : (ان فى ذلك لآيات لأولى النهى) (٣)
أو كما جاء فى سورة آل عمران : (ان فى ذلك لعبرة لأولى الأبصار ه) (٤) وهذا
كثير ه

فهكذا همنا بعد ذكر الأقسام نبه على كونها دلائل لذى عقل وبصيرة ه
ويشبه ذلك ما جاء من التنبيه بعد القسم فى سورة الواقعة حيث قال : (فلا
أقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم ه) (٥) أى ان فيها دلالة
عظيمة وشهادة كبيرة ه فصرح بعظمة القسم لا بعظمة القسم به ه

و(السابع) : ما ترى فى ذكر المقسم به على صفة خاصة تشير الى جهة الاستدلال كقوله تعالى :
(والنجم اذا هوى) (٦) وقوله تعالى : (فلا أقسم بالخنس الجوارى الكنس) (٧)
وقوله تعالى : (والصفات صفا فالزاجرات زجرا فالتاليات ذكرا ه) (٨) وقوله

-
- | | |
|---------------------|------------------|
| (١) الفجر ١ - ٥ | (٢) النحل ١٢ |
| (٣) طه : ١٢٨ ٥ ٥٤ | (٤) آل عمران ١٣ |
| (٥) الواقعة ٧٥ - ٧٦ | (٦) النجم ١ |
| (٧) التكوير ١٥ - ١٦ | (٨) الصفات ١ - ٣ |

تعالى : (والذاريات ذروا فالحاطات وقرا فالجاريات يسرا فالمقسمات أمرا ه) ^(١) وقوله
تعالى : (ولا أقسم بالنفس اللوامة) ^(٢) وغيرها ه فهوى الثريا وخنوس النجوم وصف
الملائكة وذرو الرياح وتقسيمها الأمور وملاحة النفس أقرب الى الاستدلال منها السببي
التعظيم ه

(والثامن) : ما يسبق المقسم به من صريح ذكر الآيات الدالة ثم يمبر عن المقسم به على
وجه يشير الى تلك الآيات كأنه مهد من قبل لما أريد من وجه الاستدلال وهذا
ما يهتز له المتدبر في نظام القرآن ه ويتضح ذلك بالمثال ه قال تعالى :
في سورة (الذاريات) : (وفي الأرض آيات للموقنين وفي أنفسكم
أفلا تبصرون ه وفي السماء رزقكم وما توعدون) ^(٣) أى أن لكم فيهن آية على
الربوبية والدينونة كما فصل ذلك في غير موضع من القرآن فبعد ما ذكر أن الأرضي
والسما ه قد اشتملت على آيات الجزاء بل على نفس الجزاء جاء بقوله : (فويرب
السما والأرض انه) أى الدين والجزاء وليس المراد به القرآن كما توهموه
لحق ظلما أنكم تنطقون ه) ^(٤) فلا يخفى أن هذا القسم مع دلالة على
التقدير لكن يشهد الله تعالى قد تضمن الاستدلال بآيات في الأرضي
والسما لما عبر عن المقسم به على صفة تشير الى ما سبق من صريح الاستدلال
بالآيات الدالة ه ولما كان وجه التعظيم في هذا القسم أظهر وكان يشغل
عن وجه الاستدلال حسن التمهيد له من قبل ه وفي هذا القدر كفاية
ان شاء الله تعالى ه ^(٥)

-
- | | |
|-----|---------------------------------|
| (١) | الذاريات ١ - ٤ |
| (٢) | القيامة ٢ |
| (٣) | الذاريات ٢٠ - ٢٢ |
| (٤) | الذاريات ٢٣ |
| (٥) | امعان في أقسام القرآن ص ٤١ - ٤٤ |

بعض أسباب خفاء الوجه الصحيح في تأويل

أقسام القرآن :

لم يكتفِ العلامة الفراهي رحمه الله بإتيانه بهذه الأدلة من القرآن الكريم على القسم الاستدلالي ه بل بين خفاء الوجه الصحيح في تأويل أقسام القرآن ه لأن هذا المعنى للقسم ليس بهدع كما تبين من خلال المباحث المتقدمة بيد أنه خفي على الملمساء بمعنى وجوهه ومعانيه فلم يتسكوا به كل التسك ه فإما أنهم تركوه في بعض المواضع وإما خلطوا به معنى آخر كما رأينا ابن القيم رحمه الله في كتابه التبيان .

فذكر رحمه الله بعض أسباب الخفاء ليظهر عذرهم رحمهم الله ه

(فالسبب الأول) :

أنه في بعض المواقع كان المقسم به في نفسه شريفاً مثل القرآن والطور ومكة ه أو الشمس والقمر والشمس ه أو العصر والليل والنهار ه فلم يحتاجوا إلى جعل الأقسام بسببه استدلالاً ه وقد ظنوا أن القسم بالشريف العظيم عام شائع ه فإذا وجدوا المقسم به في احتمالات أخذوا منها ما يشبه بالشرافة وبهذا السبب منعوا عن التبريح إلى سمت الصحيح وذهبوا من القسم في مذهب عام كما أن الماء يجري إلى الخفي إن لم يصرفه صارف .

(والسبب الثاني) :

أن الحكماء نجحتهم الأمور الكلية فلا يمجهم رأي ينخرم بعض جوانبه ه ووجه الدلالة في الأقسام مع ظهوره في بعض الأمثلة كان خفياً في بعضها ه ولما لم يتبين لهم وجه الدلالة فيه زعموا أن هذه التسمية لا تصح هينا ه وليس ممن دأب أكثرهم أن يقرأ بالعجز ويحولوا العلم إلى الله تعالى كما ترى ذلك في مسألة نظم القرآن فإنه ظاهر واضح في أكثر المواضع ولم يشكل كل الأشكال إلا في

قليل ه فلو اعترفوا بالجهل كما فعل بعضهم لكان حريا بهم ه ولكن تراهم لـــــــ
يمتدوا على وجود النظم ه وانما أرادوا بذلك أنه ليس كليا فظن العوام أن لا نظم
في القرآن وكلها اقتضاب ه

والصواب أن نتحرى في كل أمر ما هو الأولى والأحسن ه وقد دلت عليه
دلائله ومدت مغايله وترجح جانبه وتوضح لاجبه ه ونكون كما قال تعالى : (الذين
يستمعون القول فيتعلمون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب)^(١)
فإن أشكل علينا معنى وجوهه نسبناه إلى قلة علمنا وسيجعل الله يسرا بمد عسر
وجبرا بمد كسر ه والمعلوم متزايدة ه والله يهدي من يشاء . فمحض غمـــــــ
جهة الاستدلال في بعض الأقسام لا يصرفنا إلى رأى باطل مع سخافته ه ألا ترى الآيات
الدالة ليست كلها ظاهرة الدلالة بحيث لا تحتاج إلى تأمل والقرآن صرح بذلك
ونذب إلى التذكير والتدبر فيها بل صرح بأنها لا يفهمها إلا العاقلون المتقون ه
كما جاء كثيرا في القرآن والصحف الأولى ه ومع ذلك لا نشك في أنها دلائل قاطعة
وهجج ساطعة ه فهذا التحرى هو الخطوة الأولى للتأمل واعمال العقل حتى تنحل
الاشكالات ويطمئن القلب بمد العلم ه وإنى بحمد الله تعالى لم أطمئن لهـــــــ
الرأى إلا بمد أن تأطت جميع أقسام القرآن حتى تبين لى أنها دلائل ه ولم يدلنى
عليه إلا القرآن من وجوه عديدة كما مر ذكرها آنفا .

(والسبب الثالث) : وهو مدار الأولين أنهم لما وجدوا القسم بالله تعالى وشعائره
شائما غلب على ظنهم أن ذلك أصله فإذا وجدوا القسم بغيره جعلوه مجازا ،
ثم رأوا أن المجاز لا يصار إليه إلا إذا تمذرت الحقيقة ه ولكن معنى الكسرة
ليس دليل الأصلية ولا المصير إلى المجاز مشروطا بتعذر الحقيقة بل الصواب أن
تأخذ من المعانى ما هو أحسن وأحرى وأشبه بالسياق وماله نظائر في باقى الكلام ،

فلما جعلوا الفرع أصلاً خفي عليهم حقيقة معنى القسم بالشئ^١ وهو الاشهاد به .
فقولهم في بعض الأقسام أنها دلائل لم يكن الا لشدة وضوح هذا المراد فيها .
كان القرآن دعاهم بصوت جهوري وجذبهم ببطش قسوري الى صحيح معنساء .
ومع ذلك هم على الثآن الأول . فلم يكن الخفاء من جهة القرآن بل من بعض الظن
منهم . عفا الله عنهم .

(والسبب الرابع) :

شهرة بعض أمور ذات وجوه على وجه خاص . مثل قصة هلاك فرعون وقومه . فسان
المشهور أنهم أهلكوا بمحى الماء ولا يرون فيه دخلاً للريح وحقيقة الأمر أنه كان من
عجائب تصاريفها بأمر ربها . وهكذا الأمر في طوفان نوح عليه السلام كما بيناه فسى
تفسير سورة (والذاريات) فمهما كانت المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه منوطمة
ببعض هذه الوجوه خفي وجه الاستدلال على من خفي عليه ذلك الوجه . ولما لم
يكن تفصيل هذا القصص من مهمات العقائد والأحكام لم يلتفت اليها علماءنا رحمهم
الله تعالى .

(والسبب الخامس) :

وهو يشبه ما قبله أن علماءنا رحمهم الله تعالى شغلتهم العلوم العقلية والنقلية
المشهوره عن علوم هي أكبر منها نفما في التفسير وذلك هو علم لسان أوحى به اليها
والى من قبلنا وتاريخ هذه الأمم السامية وعلومهم وآدابهم . وانما هي لا تتخذ بصقلة
القسم لا نيسط القول فيها ولا حاجة الى استقصاء أسباب الخفاء فليكن هذا القصد
منها . (١)

الفرق بين ما يحسن وما لا يحسن من القسم :

لما كان في القسم إما اشهاد بنفس المتكلم أو اشهاد بالله تعالى ه وفي ذلك مغاطرة المرء بعزّة ودينه لم يحسن التلاعب به فيتجه النهي إليه من ثلاث جهات :

١ - إما من جهة المقسم عليه ،

٢ - أو من جهة المقسم به ،

٣ - أو من كليهما ،

فأما من جهة المقسم عليه فمن حلف على أمور سخيفة أظهر عدم مبالاة به بشرف نفسه ولذلك جاء في القرآن صيغة المبالغة في شناعة الحلف حيث قال تعالى : (ولا تطع كل حلاف مهين ه)^(١) فدل على أن من حلف على كل أمر جليل أو دق فقد أهان نفسه سواء حلف بالله أو بغيره كالذي يفضب من غير سبب أو يضحك من غير عجب ه فهذا من جهة المقسم عليه ه

أما من جهة المقسم به ه فإذا أقسم عهد قسماً دينياً بغير الله تعالى فكأنه اتخذها آية فالمنع عن القسم بغيره تعالى على العموم سدّ لأبواب الشرك ه كالمنع عن السجدة لغيره تعالى أو كالمنع عن نحت الأصنام ه كما جاء في الأحكام العشرة ه ولذلك جاء في سفر التثنية : (الرب الهك تتقى وإياه تعبد وباسمه تحلف ه)^(٢) وهكذا نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن القسم بغير الله تعالى كما سبق ه^(٣)

وأما من جهة كليهما مما فذلك أن يقسم بالله تعالى على أمور سخيفة ه وهذا جمع بين قلة المروءة وقلة التقوى معا ه والى هذا يشير قوله تعالى : (ولا تجعلوا الله

(١) سورة القلم . ١٠

(٢) سفر تثنية ٦ : ١٣ وانظر الأحكام العشرة في تثنية ٥ : ٧ - ٢١

(٣) أنظر صحيح البخاري ه كتاب الأيمان ه باب لا تحلفوا بأيمانكم ٢٢١ / ٧

عرضة لأيمانكم هـ (١) فهذه هي الوجوه المحظورة في اليمين هـ فأما دون ذلك فلا ينهسى عنه لاسيما اذا دعت اليه دواعي المعاشرة (٢) وشريعتنا قد أنزلت للناس كافة هـ فتسراعي حاجات التمدن وتميز بين دقائق الأحكام وتنظر الى ضعف فطرة الانسان هـ كما قال تعالى : (يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا هـ) (٣) فلا ينبغي فيها النهي المطلق عن أمر هو المفزع عند جد الأمر وعزائم الأمور المدنية والدينية هـ كما لا ينبغي فيها المؤاخذة على يمين لم يتملذ بها ذمة الشبهكم بل نطق بها ما جرت به العادة في التحاور فقال تعالى : (لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم هـ والله غفور حلیم هـ) (٤) وذلك بأن الأعمال بالنيات فيمين اللغو وان كانت خلاف المرءة لا يؤاخذ عليها هـ لأن الرب غفور لعباده يرحمهم لضعفهم فلا يؤاخذ عما تمهم على كل صغيرة هـ وهذا الذي ذكرنا يتعلق بالأيمان العامة .

فأما أقسام القرآن فلكون جلها استدلالا لا مخاطرة فيها لشرف ولادين فلا تسمها مصرية. ثم انها على التوحيد والمواد والرسالة هـ وذلك أعظم الأمور جلالة فهو أجسدر ما يقسم عليه هـ هل نفس أحد أشرف من أن يخاطر بها لهذه الشهادة هـ أم يخاف أحد على دينه لسخوف الكذب فيها هـ اذ الأدين له هـ أم هو يستحي من اشهاد الله تعالى على هذه الأمور هـ ثم قد شهد به الله والملائكة والعالمون هـ فالقسم عليه محمول على حقيقة معنى الشهادة التي تبلغها الانبياء صراحة هـ فان النبي في عموم تبليغه يقول إن الله تعالى أرسله بعلوه ويشهد على صدقه وهو يلون به ويعتمد عليه ويتخذة وكهلا على ما يقول هـ وهذه المعاني هي التي تفهم من القسم بالله سبحانه هـ (٥) فأى حرج ان ذكرها

(١) البقرة ٢٢٤

(٢) أنظر الفصل السادس والعاشر من كتاب المعاني في أقسام القرآن للفراهي هـ

(٣) النساء : ٢٨

(٤) البقرة ٢٢٥

(٥) أنظر الفصل العاشر من كتاب " المعاني "

بأسلوب القسم هـ

ولا يخفى أن القسم إذا كان من الله بخلقه وكلماته فلا مظنة فيه للشرك هـ ولا معنى له إلا الشهادة الخالية من معنى التمظيم هـ وجبلة الكلام أن الاعتراض على أقسام القرآن أو على أقسام الأنبياء هـ والصلحاء الذين أظهروا بأقسامهم توكلهم على الله وفرارهم إليه واستمانتهم به هـ وكذلك النهي المطلق عن اليمين هـ لم ينشأ إلا من قلة التدبير والتمييز بين الأمور هـ والله أعلم هـ (١)

(١) انظر امعان في أقسام القرآن للفراهي ٥٦ - ٥٨

طريقتى فى تأويل أقسام القرآن

قد اخترت أن يكون طريق العلامة عبد الحميد الفراهى منهاجى فى هذا الباب
لوضوح آرائه وشمولها على اعتماده على أصل هو أن هذه الأقسام دلالات كل الاعتماد
وبذلك أزال الشبهات الواردة على أقسام القرآن وحسم جرائم الاعتراض

فمعدت الى نهجه الموحد واجتهدت أن أعول عليه فى جميع أقسام القرآن ورجحت
فى ضوء ماساق من البراهين الواضحة القول بأن هذه الأقسام كلها دلائل يذكرها القرآن
تارة على أسلوب القسم وأخرى على أسلوب الآية والمعبرة وكلها اشهاد لمن يتفكر فيها
كما قال به الفخر الرازى أيضا فى غير موضع من تفسيره: (إن الأيمان التى حلف الله بها
كلها دلائل أخرجها فى صورة الأيمان) (١)

ولما كان هذا الرأى يلزم القائل به أن يبين وجه الاستدلال بالمقسم به على
المقسم عليه وتتبع أقسام القرآن وجملتها فى محثين الأول : ذكرت فيه القسم
بالكتاب والثانى أوردت فيه القسم بالمخلوقات والأخير هو مورد للشبهات وانمسا
أضفت اليه الأول لبيان وجه دلالة المقسم به على المقسم عليه وذكرت أقوال العلماء فى
هذه الأقسام ورجحت ما ترجح عندى بدلائله وحاولت ما وسمنى أن أبين وجه المناسبة بين
المقسم به والمقسم عليه حسب تيسير الله وتوفيقه سبحانه ثم استفادتى من كتب تفسير
القرآن وطومه والتزمت أن أورد الآيات حسب ترتيبها فى المصحف والله الموفق ونعم
الوكيل

الفصل الثانى

تتبع القسم فى القرآن الكريم وبيان وجه الاستدلال بالقسم به على المقسم عليه :

ويشتغل على محثين :

المبحث الأول : القسم بالقرآن الكريم

(١) "سورة يسن"

قال الله عز وجل : "يسن والقران الحكيم ه انك لمن المرسلين ه على صراط مستقيم ه" (١)

قال السيوطى : ظهر لى وجه اتصال هذه السورة بما قبلها انه لما ذكر فى سورة فاطر قوله : (وجاءكم النذير) (٢) وقوله : (وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من احدى الأمم فلما جاءهم نذير ما زادهم الا نفورا ه) (٣) والمراد به صحف صلى الله عليه وسلم ه وقد أعرضوا عنه وكذبوه ه فافتتح هذه السورة بالاقسام على صحة رسالته ه وانه على صراط مستقيم لينذر قوما ما أنذر آباءهم ه وهذا وجه بين ه (٤)

ففى الاية المذكورة أقسم الله سبحانه بالقرآن الحكيم (أى ذى الحكمة أو الناطق بالحكمة) على صدق رسالته عليه الصلاة والسلام فقال (انك) يا محمد (لمن المرسلين) وهو جواب القسم ه وموجب التوكيد لكونه من المرسلين هو انكار الكفار لذلك فى قوله تعالى : (ويقول الذين كفروالست مرسلا ه) (٥) وما ورد فى قوله تعالى فى سورة البقرة :

(١) سورة يسن ١ - ٤

(٢) فاطر ٤٢ وفيه اشارة الى أن المرء كانت تسمع من اليهود أن لهم نبيا يبعث فيهم لينذرهم ه

(٤) تناسق الدرر فى تناسب السور للسيوطى ص ١٢٧

(٥) الرعد ٤٣

(تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق ه وانك لمن المرسلين ه)^(١) يفهم من تأكيده هنا بأن واللام أن الكفار ينكرون رسالته عليه السلام ه كما تقرر ذلك في فن المعاني من أن الكلام يؤكد بأن واللام ان كان مستعمدا من المخاطب ه

قال النقاش : لم يقسم الله لأحد من أنبيائه بالرسالة في كتابه الا لمحمد صلى الله عليه وسلم تعظيما له وتمجيذا^(٢) يقصد القسم الصريح والا قد وردت أقسام مضمرة كثيرة على صحة رسالة الأنبياء عليهم السلام ه

وقال الفخر الرازي : ان هذا ليس مجرد الحلف ه وانما هو دليل خرج في صورة اليمين ه لأن القرآن معجزة ه ودليل كونه رسلا هو المعجزة ه والقرآن كذلك ه فان قيل فلم يذكر في صورة الدليل ؟ وما الحكمة في ذكر الدليل في صورة اليمين ؟ قلنا : الدليل ان ذكره في صورة الدليل قد لا يقبل عليه سامع فلا يقبله فؤاده ه فاذا ابتدئ به على صورة اليمين ه واليمين لا يقع لاسيما من العظيم الا على أمر عظيم ه والأمر العظيم تتوفر الدواعي على الاصغاء اليه فلصورة اليمين تشرع اليه الأجسام ولكونه دليلا شافيا يتشربه الفؤاد فيقع في السمع وينفع في القلب ه^(٣)

والمناسبة بين المقسم به والمقسم عليه أن هذا القرآن الحكيم أي المحكم الذي لا يتناقض ولا يتخالف ه (كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير ه)^(٤) والذي عجز الخلق عن ممارضته لا عجزه لأفضل دليل على صدق رسالته عليه السلام ه فانه لو كان من صنع البشر لما عجزوا عن الإتيان بمثله ه والرسول هو بشر مثلهم فجاء بما عجزوا عن نفسه ه فلا مندوحة لهم بعد هذا من الاقرار بصدقه عليه السلام في دعواه النبوة وكونه رسلا اليهم من عند الله تعالى ه

(٢) فتح القدير للشوكاني ٤/٣٦٠

(٤) سورة هود

(١) البقرة ٢٥٢

(٣) تفسير الفخر الرازي ٢٦/٤١

٢ - "سورة ص"

قال الله عز وجل : (ص وَالْقُرْآنَ ذِي الذِّكْرِ هـ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ) (١)

قد سبق الكلام عن الحروف المقطعة هـ والذي أميل اليه أن (ص) من الحروف المقطعة المفتتح بها السور وأنها من المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلا الله .

وقوله تعالى : (ذِي الذِّكْرِ) فيه وجهان من التفسير مصروقان عند العلماء هـ (أحدهما) :

أن الذكر بمعنى الشرف هـ والمرب تقول : فلان مذكور يحنون له ذكر أى شرف هـ ومنه قوله تعالى : (وَاهِ لَذِكْرِكْ وَلِقَوْكْ هـ) (٢) أى شرف لكم على أحد القولين هـ

(والوجه الثانى) :

أن الذكر اسم مصدر بمعنى التذكير هـ لأن القرآن العظيم فيه التذكير والمواعظ هـ وهذا قول الجمهور واختاره ابن جرير رحمه الله هـ (٣)

أين جواب القسم ؟

قد اختلفوا فى جواب هذا القسم هـ فقول انه مذكور هـ وقيل انه محذوف والذين

قالوا انه مذكور اختلفوا فى تعيينه هـ وفى أقوالهم كلها نظر هـ واليك بيانها :

- ١ - فمنهم من قال : ان المقسم عليه هو قوله تعالى : (ان ذلك لحق تخاصم أهل النار) (٤) وهذا قول الزجاج والكسائى والكوفيين (٥) غير الفراء حيث ضعف هذا الرأى لتأخره عن القسم والمفصل بينهما بقصص مختلفة هـ وقال : لانجده مستقيماً لتأخره جـدا

(١) سورة ص ١ - ٢
(٢) الزخرف ٤٤
(٣) تفسير الطبرى ١١٩ / ٢٣ والكشاف ٥٣ / ٤ والبحر ٣٨١ / ٧ - ٣٨٢
(٤) سورة ص ٦٤
(٥) البحر ٣٨٣ / ٧ وفتح القدير ٤١٩ / ٤

عن قوله (والقرآن) (١)

٢ - وقال قوم : الجواب (كم أهلكنا) (٢) وتقديره : لكم أهلكنا ولما طال الكلام حذف لام القسم^١ حذف في (قد أفلح من زكاتها) (٣) ونسب هذا القول الى ثعلب والفراء^(٤) والفراء حكاه في معاني القرآن ولم يعقب عليه^(٥)

٣ - وقال آخرون : الجواب (ان كل الاكذب الرسل) (٦) ونسب هذا القول الى الأخفش الأوسط^(٧) وقد رأيت للأخفش في كتابه كلامين عن جواب القسم ه كلاما ذكره في أول سورة البقرة عند كلامه على الحروف المفتحة بها السور ه وينص على أن القسم قد وقع على (بل الذين كفروا ه) لأن (بل) انما هي (ان) ه قال في معانيه : (ص والقرآن) فأقسم ثم قال : (بل الذين كفروا في عزة وشقاق) فملى هذا وقع القسم ه ولذلك أنهم زعموا أن (بل) ههنا انما هي (ان) فلذلك صار القسم عليها^(٨)

أما في سورة (ص) فذكر أن موضع القسم في (ان كل الاكذب الرسل)

قال : (ص والقرآن ذي الذكر) فيزعمون أن موضع القسم في قوله : (ان كل كذب الرسل ه) (٩)

وقد تنبه لهذا الخطأ أي نسبة القول الثاني الى الأخفش الدكتور عبد العزيز

المهيب قال في رسالته : الظاهر أن الذي نسيه الى الأخفش أخذوا ما ذكره في

ص ولم يظلموا على ما ذكره في البقرة ه مع أن ما ذكره في البقرة نص منه أن القسم

(٢) سورة ص ٣

(٤) البيان لابن الأنباري ٣١٢/٢

والمحرر ٣٨٣/٧ والفتوحات ٣٠٧/٣

(١) معاني الفراء ٣٩٢/٢

(٢) الشنص ٩

(٥) معاني القرآن ٣٩٢/٢

(٦) سورة ص ١٤

(٧) انظر البحر المحيط ٣٨٣/٧ والفتوحات ٥٦٠/٣ والاخفش هو الامام أبو الحسن

سميد بن سعدة المجاشعي البلخي البصري المتوفى سنة ٢١٥ ه صاحب كتاب

(معاني القرآن) مطبوع (معاني القرآن ٤٥٣/١)

واقع على (بل) لأنها بمعنى (ان) ه أما في (ص) فلم يزد على أن قال : يزعمون أن موضع القسم كذا ه (١)

ولذلك فالذى أرجح نسبته للأخفش هو القول بأن الجواب (بل) لأنها بمعنى (بل) الشددة ه وان كان قد ذكر في سورة (ص) أن الجواب (إن كل الا كذب الرسل) من غيره ه

ورد أبو حيان هذه الأقوال الثلاثة فقال : وهذه الأقوال يجب إطراحها ه ثم قال : وينبغي أن يقدر هنا ما أثبت جوابا للقرآن حين أقسم به ه وذلك في قوله تعالى : (يعن والقرآن الحكيم إنك لمن المرسلين ه) (٢) ويقوى هذا التقدير ذكر النذارة هنا في قوله : (بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم) وقال هناك (لتندرقوا ه) فالرسالة تتضمن النذارة والبشارة ه و (بل) للإنتقال من هذا القسم والمقسم عليه الى حالة تعذر الكفار ومشاقتهم في قبول رسالتك وامثال ما جئت به واعتراف بالحق ه (٣)

واستبعد ابن القيم أن يكون جواب القسم (كم أهلكنا) ه لأن (كم) لا يتلقى بها القسم ه وقال : وهؤلاء لما لم يخف عليهم ذلك احتاجوا أن يقدروا ما يتلقى بها الجواب ، أى (لكم أهلكنا) ه وأبعد من هذا قول من قال : الجواب في قوله : (ان كل الا كذب الرسل) وأبعد منه أن يكون (ان هذا ليرزقنا ماله من نفاق) (٤) وأبعد منه قول من قال : الجواب (إن ذلك لحق تخاصم أهل النار ه) (٥)

ثم قال : وأقرب ما قيل في الجواب لفظا وان كان بعيدا معنى عن قتادة وفيه انه في قوله : (بل الذين كفروا ه) كما قال (ق والقرآن المجيد بل عجبوا أن

(١) القسم والشرط في القرآن الكريم : د . عبد العزيز اللمهيبي ص ٤٢٧ - ٤٢٨
(٢) يعن ١ - ٣ البحر المحيط ٣٨٣ / ٧
(٣) سورة ص ٥٤
(٤) سورة ص ٦٤

جاءهم منذر منهم ه (١) وشرح صاحب النظم هذا القول فقال: معنى (بل) توكيد الخبر الذي بعده فصار كأن الشديدة في تثبیت ما بعدها ه وقيل : انها ههنا بمنزلة (إِنَّ) لأنه يؤكد ما بعدها من الخبر ه فكأنه عز وجل قال (صَّ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ه ان الذين كفروا في عزة وشقاق ه قال : واحتج صاحب هذا القول بأن هذا النظم وان لم يكن للصربية فيه أصل ولا لها رسم فيحتمل أن يكون نظماً أحدثه الله عز وجل لما بيّننا من احتمال أن تكون (بل) بمعنى (إِنَّ) ه (٢)

وقد رت على هذا القول الدكتور عبد العزيز اللهيبي فقال : وأما من قال : ان الجواب (بل) ه وأن القرآن أحدث هذا الأسلوب وهو اجابة القسم بـ(بل) ان لم يكن مصروفاً للعرب ه فلا أراه وجيها لأن القرآن نزل بلسانهم وعلى أساليبهم التي ألفونها ه وهذا القول يفتح باباً للطحدين فيفسرون نظم القرآن حسب أهوائهم ه فاذا قيل لهم : هذا مخالف لأصل كلام العرب ه قالوا : هذا أسلوب أحدثه القرآن ه (٣)

٤ - وذكر النحاس وغيره وجها آخر في الجواب وهو أنه محذوف تقديره : والقرآن ذي الذكر ما الأمر كما يقوله هؤلاء الكفار ه ودل على المحذوف قوله تعالى: (بل الذين كفروا) وهذا إختيار ابن جرير ه قال رحمه الله : ان قوله (بل) لما دلت على التكذيب وحلت محل الجواب استغنى بها عن الجواب ان عرف المعنى ه (٤)

٥ - وقيل ان القسم عليه هو قوله (صَّ) قالوا معنى (صَّ) صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم والقرآن ذي الذكر ه وعلى هذا فالقسم عليه هو صدقه عليه السلام ه وهو صبي على أن جواب القسم يجوز تقدمه وهو ضعيف ه (٥)

(١) سورة ق ١ - ٢

(٢) القسم والشرط في القرآن الكريم ص ٤٣١

(٣) التبيان لابن القيم ص ١٠ وتفسير الطبري ١١٩/٢٣

(٤) فتح القدير ٤١٩/٤

٦ - وقيل المعنى هذه (ص) أى السورة التى أعجزت العرب (والقرآن ذى الذكر)^(١)
الى غير ذلك من الأقوال التى لا يخفى بعدها ولم تسلم من ضعف والقرآن لا يحمل
على وجه ضميمه

أقوال من قال ان الجواب محذوف :-

ذكر ابن القيم أن كثيرا من المفسرين متقدميهم وتأخريهم قالوا : ان الجواب محذوف ،
وتقديره : (ان القرآن لحق ه) فان فى المصنف من تمظيم القرآن ووصفه بأنه ذى الذكر
المتضمن لتذكير العباد ما يحتاجون اليه وللمشرف والقدر ما يدل على المقسم عليه وكونه حقا
من عند الله غير مفتري كما يقوله الكافرون ه ثم قال : وهذا مطرد فى كل ما شأنه ذلك^(٢)
وقدره الحوفى : (لقد جاءكم الحق) ونحوه^(٣) والزمخشري : (انه لمصجز ه)^(٤)
وابن عطية : (ما الأمر كما يزعم الكفار ه)^(٥) وفى البحر : وينبغى أن يقدر هنا ما أثبت
جوا با للقرآن حين أقسم به وذلك فى قوله (يئنوا لقرآن الحكيم ه انك لمن المرسلين ه)
ويقوى هذا التقدير ذكر النذارة هنا فى قوله (عجبوا أن جاءهم منذر منهم ه)^(٦) وقال
هناك (لتنذر قوما ه)^(٧)

وقد أطال فى تقدير الجواب الشيخ محمد أمين الشنقيطى رحمه الله : فقَالَ
الذى يظهر صوابه بدليل استقراء القرآن أن جواب المقسم محذوف ه وأن تقديره : والقرآن
ذى الذكر ما الأمر كما يقوله الكفار ه وأن قولهم المقسم على نفيه شامل لثلاثة أشياء
متلازمة ه

(٢) العثمان لابن القيم ص ٨
(٤) الكشاف ٣٥٩ / ٣
(٦) سورة ص ٤

(١) الكشاف ٣٥٩ / ٣
(٣) البحر ٢ / ٢٨٢
(٥) البحر ٢ / ٢٨٢
(٧) سورة يئن ٦

(الأول) منها : أن النبي صلى الله عليه وسلم مرسل من الله حقا وأن الأمر ليس كما يقول الكفار في قوله تعالى عنهم : (ويقول الذين كفروا لست مرسلا)^(١)

(الثاني) : أن المعبود جلّ وعلا واحد ه وأن الأمر ليس كما يقوله الكفار في قوله تعالى عنهم : (أجعل الآلهة ألها واحدا ه ان هذا لشيء عجاب)^(٢)

(الثالث) : أن جلّ وعلا يبعث من يموت وأن الأمر ليس كما يقوله الكفار في قوله تعالى عنهم (وأقسموا بالله جهنم أيمانهم لا يبعث الله من يموت ه)^(٣) وقوله : (زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا)^(٤) وقوله تعالى : (وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة)^(٥)

أما الدليل من القرآن على أن المقسم عليه محذوف فهو قوله تعالى : (بل الذين كفروا في عزة وشقاق) لأن الإضراب بقوله (بل) دليل واضح على المقسم عليه المحذوف ، أي ما الأمر كما يقوله الذين كفروا ه بل الذين كفروا في عزة أي في حمية وألفة واستكبار عن الحق ه وشقاق أي مخالفة وممانعة .

أما دلالة استقراء القرآن على أن المنفى المحذوف شامل للأمر الثلاثة المذكورة فلدلالة آيات كثيرة ه

أما صحة رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم وكون الآله المعبود واحدا لا شريك له فقد أشار لها هنا ه أما كون الرسول مرسلا حقا ففي قوله تعالى هنا : (وعجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكفرون هذا ساحر كذاب)^(٦) . يعني لا وجه للحجب المذكور ه لأن يجي المنذر الكائن منهم ه لاشك في أنه بإرسال من الله حقا ه وقولهم (هذا ساحر كذاب) إنما ذكره تعالى إنكارا عليهم وتكذيبا لهم ه فصرف بذلك أن في ضمن المعنى (والقرآن

(٢) سورة ص ه

(٤) التغابن ٧

(٦) ص ٤

(١) الرعد ٤٣

(٣) النحل ٣٨

(٥) سبأ ٣

ذى الذكر) انك مرسل حقا ولو عجبوا من شريكك منذ را لهم وزعموا أنك ساحر كذاب ه أى فهم الذين عجبوا من الحق الذى لا شك فيه وزعموا أن خاتم الرسل وأكرمهم على الله ساحر كذاب ه

وأما كون الاله المعبود واحدا لا شريك له ففى قوله هنا : (أجمل الآلهة الهيا واحدا ان هذا لشيء عجاب) ^(١) لأن الهمزة فى قوله " أجمل " للانكار المشتمل على معنى النفي ه فهى تدل على نفي سبب تعجبهم من قوله صلى الله عليه وسلم ان الاله المعبود واحد

وهذان الأمران قد دلت آيات أخر من القرآن العظيم على أن الله أقسم على نفسه تكذيبهم فيها واثباتها بالقسم صريحا كقوله تعالى مقسما على أن الرسول حق : (ييس والقمران الحكيم انك لمن المرسلين) ^(٢) فهى توضح معنى (ص والقمران ذى الذكر) انك لمن المرسلين ه وقد جاء تأكيد صحة تلك الرسالة فى آيات كثيرة كقوله تعالى : (تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وانك لمن المرسلين) ^(٣)

وأما كونه تعالى هو المعبود الحق لا شريك له فقد أقسم تعالى عليه فى غير هذا الموضع كقوله تعالى : (والصف صفا فالزجرات زجرا فالتاليت ذكرا ه ان الهكم لواحد) ^(٤) ونحو ذلك من الآيات ه فدل ذلك على أن المعنى تضمن ما ذكر ه أى (والقمران ذى الذكر) ان الهكم لواحد ه كما أشار اليه بقوله (أجمل الآلهة . . .) الآية ^(٥)

وأما كون البحث حقا فقد أقسم عليه أقسا ما صحيحا صريحا فى آيات من كتاب الله كقوله تعالى : (قل بلى وربى لتبعثن) ^(٦) وقوله تعالى : (قل بلى وربى لتأتينكم الآية) ^(٧)

(٢) ييس - ١ - ٣
(٤) الصافات ١ - ٤
(٦) التغابن ٧

(١) ص ٣
(٣) البقرة ٢٥٢
(٥) ص ٥
(٧) سبأ ٣

أى الساعة وقوله : (قل أى وربى انه لحق الآية) (١)

وأقسم على اثنين من الثلاثة المذكورة وحذف المقسم عليه الذى هو الاثنان المذكوران وهى كون الرسول مرسلا والبحث حقا وأشار الى ذلك اشارة واضحة وذلك فى قوله تعالى : (ق والقرآن المجيد ه بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكفرون هذا شىء عجيب ه أهذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد ه) (٢) فاتضح بذلك أن المعنى : ق والقرآن المجيد ه ان المنذر الكائن منكم الذى عجبتم من مجيئه لكم منذرا رسول منذركم من الله حقا ، وان البحث الذى أنكرتموه واستبعدتموه غاية الانكار والاستبعاد فى قوله تعالى عنكم : (أهذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد) أى ذلك الرجوع الذى هو البحث رجع بعيد فسى زعمكم واقع لا محالة ه وانه حق لا شك فيه كما أشار له فى قوله تعالى : (قد علمنا ما تنقص الأرض منهم وعندنا كتاب حفيظ) (٣) أى المعنى أن ما أكلته الأرض من لحومهم ومزقتهم من أجسامهم وعظامهم يحمله جل وعلا ولا يخفى عليه منه شىء فهو قادر على رده كما كان واحياء تلك الأجساد المبالية والشعور المتمزقة والعظام النخرة كما قد منا موضعا بالآيات القرآنية فى سورة يس فى الكلام على قوله تعالى (ونفخ فى الصور فاذا هم من الأجداث السرى بهم ينسلون) (٤) وكونه صلى الله عليه وسلم مرسلا من الله حقا يستلزم استلزاما لا شك فيه أن القرآن العظيم منزل من الله حقا وانه ليس بسحر ولا شمر ولا كهانة ولا أساطير الأولين .

ولذلك أقسم تعالى فى مواضع كثيرة على أن القرآن أيضا منزل من الله كقوله تعالى فى

أول سورة الدخان : (حم والكتاب المبين ه انا أنزلناه فى ليلة مباركة ه انا كنا منذرين) (٥)
وقوله تعالى فى أول سورة الزخرف (حم والكتاب المبين ه انا جعلناه قرآنا عربيا لملككم تعقلون ه وانه فى أم الكتاب لدينا لعلى حكيم) (٦)

(٢) ق ١ - ٣

(١) يونس ٥٣

(٣) ق ٤

(٤) سورة يس ٥١ انظر أضواء البيان ٦/٦٦٢

(٥) الدخان ١ - ٣

(٦) الزخرف ١ - ٤

(٦) انظر أضواء البيان للشنقيطى ٧/٨ - ١٢

والذى يظهر - والله أعلم - أن القول بالحذف أولى وحذف الأوجه ليس غريباً ففى

اللغة العربية وهو كثير فى القرآن الكريم وقالوا فى فائدته انه أبلغ من الذكر ، لأن الذكر يقتصر على وجه ، والحذف يذهب فيه الوهم كل مذهب لما قد تضمنه من التفتيم ، كقوله سبحانه : (ولو أن قرآنا سیرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى ، بل لله الأمر جميعاً)^(١) كأنه قيل : لكان هذا القرآن أولما آمنوا به ، وإنما صار الحذف فى مثل هذا أبلغ من الذكر لأن النفس تذهب فيه كل مذهب ولو ذكر الجواب لقصر على الوجه الذى تضمنه البيان^(٢) .

ومن أمثله أيضاً قوله تعالى : (ولو ترى اذ وقفوا على النار فقالوا ياليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين)^(٣) وقوله : (ولو ترى اذ فرعوا فلا فوت - وأخذوا من مكان قريب)^(٤) وقوله : (ولو يرى الذين ظلموا اذ يرون العذاب أن القوة لله جميعاً وأن الله شديد العذاب)^(٥)

فحذف الجواب فى هذه الآيات وشبهها أولى من ذكره ليدل على عظمة ذلك المقام وأنه لهوله وشدته وفضاعته لا يمكن أن يعبر عنه بلفظ ولا أن يدرك بوصف .

والى الحذف ذهب كثير من العلماء فنرى شيخ الاسلام عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام عقد فصلاً فى كتابه (الاشارة الى الایجاز فى بعض أنواع المجاز) بعنوان (حذف أوجه القسم) وقال : ولا بد أن يكون السياق السابق أو اللاحق دالاً عليه ومرشداً اليه ثم مثل ذلك قوله تعالى (ص وَالْقُرْآنَ ذِى الذِّكْرِ) تقديره : لنهلكن أعداءك ، لأنه مردف بقوله : (كم أهلكنا قبلهم من قرن)^(٦)

-
- | | |
|-----|--|
| (١) | الرعد ٣١ |
| (٢) | الأنعام ٢٧ |
| (٥) | البقرة ١٦٥ |
| (٦) | سورة ص ٣ . وانظر كتاب الاشارة الى الایجاز فى بعض أنواع المجاز ص : ٢٣ |

والى الحذف ذهب الامام عبد الحميد الفراهي ه فقال رحمه الله وأما اذا كان القسم على اثبات وانكار مما اتبع بكلام يناسب هذا الموقع ه فربما يذكر في الجواب الاثبات والانكار مما كما في سورة الحاقة في قوله تعالى : (فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون انه لقول رسول كريم ه (هذا ذكر الاثبات) وما هو بقول شاعر قليلا ماتؤمنون ولا بقول كاهن قليلا ماتذكرون ه (هذا ذكر الانكار) ه تنزيل من رب العالمين) أعاد الاثبات كما تثنى الانكار ه (١)

وربما يحذف كلاهما ويؤتى بما يدل على المقسم عليه أ ويمتد على ظهوره من موقع الكلام كما ترى في قوله تعالى : (صّ والقرآن ذى الذكر ه بل الذين كفروا في عزة وشقاق) (٢)

وقال أيضا : وانما كان الحذف شاعرا لا بد لنا أن نعلم أساليبهم في الحذف ه لكي لا تخطئ ه في تقدير المحذوف ه فان الذى نقدره ربما يغير معنى الكلام ه ثم ذكر مثلا لذلك فقال : ان النحاة تكلفوا في تكميل الكلام حسب قواعد النحو فذهبوا كل مذهب ه كما قال الكسائي والفراء رحمهما الله في جواب (صّ والقرآن ذى الذكر) انه (ان ذلك الحق تخاصم أهل النار ه) (٣)

وخلاصة القول أن المقسم عليه هنا محذوف تقديره : ان القران لحق في اخباره ووعد ه ووعيده كما هو ظاهرا في سياق الآيات في السورة ونظائرها في غيرها ه ولما أن في نفس المقسم به ما يدل على المقسم عليه ويساند ذلك قوله سبحانه في آخر السورة : (ان هو الا ذكر للعالمين ولتعلمن نبأه بعد حين ه) (٤) فختم السورة بما بدأ به ه والله تعالى اعلم .

(١) تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان ه سورة القيامة للامام عبد الحميد الفراهي (مخطوط)

(٢) أساليب القرآن للفراهي ص ٤ والآية من سورة ص : ٢٠ (٣) سورة ص ٦٤ وانظر أساليب

(٤) سورة ص ٨٧ - ٨٨ القرآن ص ٤

أما قوله سبحانه : (بل الذين كفروا في عزة وشقاق) ه فيقول في تفسيره الاقسام
الشوكاني : ولما كان الاقسام بالقرآن دالا على صدقه وانه حق وانه ليس بمحل للريب ه
قال سبحانه : (بل الذين كفروا في عزة وشقاق ه) فأضرب عن ذلك ه وكأنه قال :
لا ريب فيه قطعا بل ان في هذا القرآن لذكر لمن يتذكر وعبرة لمن يمتبر ه ولم يكن عدم
قبول المشركين له لريب فيه ه وانما لم ينتفعوا به لأنهم في عزة واستكبار عن قبول الحق
وشقاق أي ومغالفة وامتناع عن قبول الحق (١)

٣ - سورة الزخرف :

قال الله عز وجل : (حم ه والكتاب المبين ه انا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون
وانه في أم الكتاب لدينا لنحلى حكيم ه) (٢)

وقوله (حم) تقدم الكلام على الحروف المقطعة ه والواو في (والكتاب) واو المقسم
(المبين) أي البين الواضح الجلي الممانى والألفاظ لأنه نزل بلفظة العرب والتي هي
أفصح اللغات على الاطلاق ه

وقوله سبحانه : (انا جعلناه قرآنا عربيا) جواب القسم ه ومعنى جعلناه سميناه
ووصفناه ه وقال السدي : أنزلناه وقال مجاهد : قلناه ه وقال الزجاج وسفيان الثوري
بيناه ه (٣) وفي هذه التفاسير المختلفة رد على القائلين بحدوث القرآن ه

وكلمة (لعل) في (لعلكم) انما هي بمعنى (كي) أي لكي تعقلون معناه
ولئلا تقولوا لولا فصلت آياته ه ولا يجوز أن يراد بها التمني والترجي حيث لا يليق بمن كان عالما

(١) فتح القدير ٤/١٩٩ وانظر أيضا ابن كثير ٤/٢٦

(٢) الزخرف ١ - ٤

(٣) القرطبي ١٦/٦١ والفتوحات الإلهية ٤/٧٦ وفتح القدير ٤/٤٤٧ ه

(١) بمواقب الأمور هـ

وقوله سبحانه (وانه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم هـ) مطوف على جملة
الجواب فهو منها مقسم عليه هـ

(أم الكتاب) أي أصل الكتاب وهو اللوح المحفوظ هـ لقوله سبحانه (بل هو
قرآن مجيد في لوح محفوظ هـ) (٢)

وقد اتحد المقسم به والمقسم عليه في هذه الآية هـ وفيه بلاغة بديعة في رفعة شأن
القرآن وهو من الأقسام الحسنة البديعة لتناسب المقسم به والمقسم عليه وكونهما من واحد
هـ ووجه المناسبة أنه أقسم بالقرآن ثم جعل المقسم عليه تعظيم القرآن ورفع شأنه بأنه قرآن
عربي مرجوه أن يعقل به العالمون هـ فكان جواب القسم مصححا للقسم هـ (٣)

٤ - سورة الدخان :-

قال الله عز وجل : (حم والكتاب المبين هـ انا أنزلناه في ليلة مباركة انا كنا
منذرين هـ) الآيات (٤)

الكلام فيها مثل ما مر في سورة الزخرف معنى واعرابها هـ الواو في (والكتاب) واو

القسم هـ

وقوله : (انا أنزلناه في ليلة مباركة هـ) جواب المقسم هـ كمال قال بذلك أكثر المفسرين (٥)

لقربه من المقسم به هـ ويكون (أتي) من الحروف التي يتلقى بها القسم ولأن الانذار لم يقع الا بعد

(١) تفسير الفخر الرازي ١٩٤/٢٧

(٢) قرأ حمزه والكسائي (إم الكتاب) بكسر الألف وصلا والياقون بالضم هـ أنظر النشر

لابن الجزري ٣٦٨/٢ والاتحاف ص ٣٨٤

(٣) الكشاف ٤٧٧/٣ والبحر المحيط ٥/٨

(٤) الدخان ١ - ٤

(٥) الكشاف ٤٩٩/٣ والفخر الرازي ٢٣٨/٢٧ وفتح القدير ٥٥٤/٤

نزوله فلأن نجعل جملة الانزال جوابا للقسم أجود من أن نجعل جملة الانذار جوابه هـ

وقد أنكر بعض النحويين أن تكون هذه الجملة أى (انا أنزلناه) جوابا للقسم ولأنها

صفة للمقسم به هـ ولا تكون صفة المقسم به جوابا للمقسم هـ وقال : الجواب (انا كنا
مذرين) واختاره ابن عطية هـ (١)

وجعل الزمخشري قوله (انا كنا مذرين هـ فيها يفرق كل أمر حكيم) جملتين

مستأنفتين فسربهما جواب القسم الذى هو قوله تعالى (انا أنزلناه فى ليلة مباركة هـ) كأنه
قيل أنزلناه لأن من شأننا الانذار والتحذير من العقاب هـ وكان أنزلنا اياه فى هـ
الليلة خصوصا لأن انزال القرآن من الأمور الحكيمة هـ وهذه الليلة مفرق كل أمر حكيم هـ (٢)

وقيل : ان قوله (انا كنا مذرين) جواب ثان هـ أو جملة مستأنفة مقررة للانزال

وفى حكم الملة له هـ كأنه قال : انا أنزلناه لأن من شأننا الانذار هـ قاله الشوكانى هـ (٣)

وان جعلت الجواب (حم) هـ كانت هذه الجملة أى (انا أنزلناه) مستأنفة وهو

خلاف رأى جمهور المفسرين هـ كما لم يشبت كون هذه الحروف مقسما به بدليل قطعى .

ثم فى أكثر مواقع (ان) التى فى جواب القسم كانت اللام فى خبرها الا هذه الآية

وآية الزخرف التى مرت والآيتان مما لا يصح دخول اللام فى خبر (ان) فيها هـ لأنه ماضى
منصرف هـ (٤)

(٥) والليلة المباركة هى ليلة القدر هـ كما فى قوله تعالى : (انا أنزلناه فى ليلة القدر)

وعليه جمهور المفسرين (٦) ومن قال : انها ليلة النصف من شعبان فقد أبعد النجاسة هـ

(١) الفتوحات الالهية ٩٩/٤ وفتح القدير ٥٥٤/٤

(٢) الكشاف ٥٠٠/٣ (٣) فتح القدير ٥٥٤/٤ والفتوحات ٩٩/٤

(٤) دراسات فى أساليب القرآن : عبد الخالق عضيبة ٤٨٢/١

(٥) القدر: (١)

(٦) ابن كثير ١٣٧/٤ والقرطبي ١٢٥/١٦ - ١٢٦ وفتح القدير ٥٧٠/٤ والكشاف ٥٠٠/٣

والفخر الرازى ٢٣٨/٢٧ - ٢٤١

فان نصّ القرآن أنها في رمضان ه قال سبحانه (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن) (١)
وما روى من الآثار في فضلها فقله لا تعارض به النصوص هذا على فرض صحتها ه والا فهي ما
بين مرسل وضعيف ه (٢)

قال الفخر الرازي : اعلم أن المقصود من هذه الآيات تعظيم القرآن من ثلاثة
أوجه :

(أحدها) : بيان تعظيم القرآن بحسب ذاته <

(والثاني) : بيان تعظيمه بسبب شرف الوقت الذي نزل فيه ؛

(والثالث) : بيان تظيمه بحسب شرف منزلته .

أما بيان تعظيمه بحسب ذاته فمن ثلاثة أوجه :

(أحدها) : أنه تعالى أقسم به وذلك يدل على شرفه ه

(وثانيها) : انه تعالى أقسم به على كونه نازلا في ليلة مباركة ه وقد ذكرنا أن القسم

بالشيء على حاله من أحوال نفسه يدل على كونه في غاية الشرف ه

(وثالثها) : انه تعالى وصفه بكونه مبينا وذلك يدل أيضا على شرفه في ذاته ه

وأما النوع الثاني) : وهو بيان شرفه لأجل شرف الوقت الذي أنزل فيه فهو قوله :

(إنا أنزلناه في ليلة مباركة) وهذا تنبيه على أن نزوله في ليلة مباركة يقتضى شرفه وجلالته ه

ثم ذكر عقيب هذه الكلمة ما يجري مجرى البيان لكلا الأمرين ه أما بيان أنه تعالى لم أنزله

فهو قوله (انا كنا منذرين) يعنى الحكمة في انزال هذه السورة أن انذار الخلق لا يتم

الا به ه وأما بيان أن هذه الليلة مباركة فهو أمران ه

(١) البقرة ١٨٥

(٢) تفسير ابن كثير ٤/١٣٧

(أحدهما) : انه تعالى يفرق فيها كل أمر حكيم .

(والثاني) : أن ذلك الأمر الحكيم مخصص بشرف انه انما يظهر من عنده ، واليه الاشارة

بقوله : (أمرا من عندنا) .

وأما (النوع الثالث) فهو بيان شرف القرآن لشرف منزلته وذلك هو قوله (انا كنا
مرسلين) ، فبيّن أن ذلك الانذار والارسال انما حصل من الله تعالى ، ثم بيّن أن
ذلك الارسال انما كان لأجل تكميل الرحمة وهو قوله (رحمة من ربك) ، وكان الواجب أن يقال
رحمة منه ، الا أنه وضع الظاهر موضع المضمرا ، اذ انما بأن الربوبية تقتضى الرحمة على
المربوبين ، ثم بيّن أن تلك الرحمة وقعت على وفق حاجات المحتاجين لأنه تعالى بسمع
تضرعاتهم ويفلم أنواع حاجاتهم فلماذا قال : (انه هو السميع العليم) ، فهذا ما خسر
بالبال في كيفية تعلق بضم هذه الآيات ببعضه (١) وانما نقلته بحروفه لما فيه من تفضيل
يديع ليس عند غيره .

(١) تفسير الفخر الرازي ٢٧ / ٢٤٠ - ٢٤١

٥ - سورة (ق) :-

قال الله عز وجل : (ق وَالْقُرْآنَ الْمَجِيدَ هٗ بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ هٗ أَئِنَّا لَمِتَنَا وَكُنَّا فُرُوقًا رِزْقِكَ رَجِعَ بِمَعِيدِ هٗ) (١)

(ق) حرف من حروف الهجاء وقد تقدم ذكرها في الباب الأول عند الكلام عن المقسم به في القرآن الكريم وقد ترجح عندي كون هذه الحروف من المتشابه الذي أسستأثر الله بعلمه هٗ فذكرت ذلك بدلائله هٗ

والكلام في (ق وَالْقُرْآنَ الْمَجِيدَ بَلْ عَجِبُوا) كالكلام في (ص وَالْقُرْآنَ ذِي الذِّكْرِ هٗ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا) سواء هٗ بسواء لالتقاءهما في أسلوب واحد هٗ (٢)

ثم هذه السورة وسورة (ص) تشتركان في افتتاح أولهما بالحرف الممجم والقسم بالقرآن وقوله (بَلِ) والتعجب هٗ ويشتركان في شيء آخر هٗ وهو أن أول السورتين وآخرهما متناسبان وذلك لأن (ص) قال في أولها (وَالْقُرْآنَ ذِي الذِّكْرِ) وقال في آخرها : (إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ) (٣) هٗ وفي (ق) قال في أولها (وَالْقُرْآنَ الْمَجِيدَ) وقال في آخرها : (فَذَكَرَ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ) (٤) فافتتح بما اختتم به هٗ

ثم في سورة (ص) صرف العناية الى تقرير الأصل الأول وهو التوحيد بقوله تعالى (أَجْعَلِ لِلْأَلْمَةِ آلِهَةً وَاحِدًا) (٥) وقوله تعالى (أَنْ أَمْشُوا وَأَصْبُرُوا عَلَى الْهَيْتِكُمُ الْآيَةِ) (٦)

وفي هذه السورة الى تقرير الأصل الآخر وهو الحشر بقوله تعالى (أَئِنَّا لَمِتَنَا وَكُنَّا

(٢) الكشاف ٣/٤

(٤) ق: ٤٥

(٦) ص: ٦

(١) سورة ق: ١ - ٣

(٣) ص: ٨٧

(٥) ص: ٥

ترايا ذلك رجوع بعيد (١) . ولما كان افتتاح السورة في (ص) في تقرير الجهد أ قال فسو
آخرها : (إن قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من طين ه) (٢) وختمه بحكاية بد * خلق
آدم ه لأنه د ليل الوجدانية ه ولما كان افتتاح هذه لبيان الحشر قال في آخرها : (يوم
تشقق الأرض عنهم سراعا ذلك حشر علينا يسير ه) (٣)

ومعنى (المجيد) : ذو المجد والشرف على غيره من الكتب (٤) وقيل الكريم
المظيم ه (٥) . وقيل كثير الكرم ه (٦) . وقيل الرفيع القدر (٧) ه والقرآن يحتوى على
كل هذه الصفات .

واختلفوا في جواب القسم ه فقال الكوفيون هو قوله (بل عجبا) ه وقال ابن كيسان
جوابه (ما يلفظ من قول) وقيل هو مجذوف وتقديره : أنزلنا اليك لتتذرع كأنه قيل :
ق والقرآن المجيد أنزلناه اليك لتتذرع به الناس ه (٨) وحكى ابن جرير عن بعض النحاة
أنه قوله تعالى : (قد علمنا ملتقى الأرض منهم وعندنا كتاب حفيظ) بتقدير اللام أى
لقد علمنا ه (٩) قال ابن كثير : وفي هذا نظر ه بل الجواب هو مضمون الكلام بصدد
القسم وهو اثبات النبوة واثبات المعاد وتقديره وتحقيقه وان لم يكن القسم يتلقى لفظا ه
وهذا كثير في أقسام القرآن كما تقدم في قوله : (ص ه والقرآن ذى الذكر ه بل الذين كفروا
في عزة وشقاق ه) وهكذا قال هنا (ق ه والقرآن المجيد ه بل عجبا ان جاءهم
منذر منهم فقال الكافرون هذا شىء عجيب) أى تعجبوا من ارسال رسول اليهم مسن
البشر كقوله جل وعلا : (أكان للناس عجبا أن أوحينا الى رجل منهم أن أنذر الناس
الآية) (١٠) أى وليس هذا بعجيب ه فان الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس ه ثم قال

(١) ق ٣	(٢) سورة ص ٧١	(٣) سورة ق ٤٤
(٤) الكشاف ٣/٤	(٥) ابن كثير ٢٢١/٤	(٦) الفخر الرازى ١٤٨/٢٨
(٧) فتح القدير ٧١/٥	(٨) فتح القدير ٧١/٥	(٩) تفسير الطبرى ٩٣/٢٦
(١٠) يونس ٢		والمكبرى ٢٤١/٢

عز وجل : مخبرا عنهم في تعجبهم أيضا من المعاد واستبعادهم لوقوعه : (أفذا متنا وكنا
ترابا ذلك رجع بميد ه) (١) أي يقولون أفذا متنا وبلينا وتقطعت الأوصال منا وصرنا
ترابا كيف يمكن الرجوع بعد ذلك الى هذه البنية والتركيب ؟ (ذلك رجع بميد) : أي بميد
الوقوع ه والمعنى أنهم يعتقدون استحالة وعدم إمكانه، قال الله تعالى رآنا عليهم :
(قد علمنا ما تنقص الأرض منهم) (٢) أي تأكل من أجسادهم في البلى نعلم ذلك ولا يخفى
علينا أين تفرقت الأبدان وأين ذهبت والى أين صارت ه (وعندنا كتاب حفيظ) (٣) أي
حافظ. لذلك فالعلم شامل ه والكتاب أيضا فيه كل الأشياء مضبوطة ه (٤)

واختار هذا الرأي صاحب أضواء البيان (٤) وخلاصة ما قال : ان المقسم عليه في
سورتي (ص ه ق) محذوف وهو تكذيب الكفار في انكارهم رسالة النبي صلى الله عليه وسلم ه
وانكار البعث وانكارهم كون المعبود واحدا ه وقد أشار رحمه الله الى الآيات الدالة على
ذلك في سورة ص ه وذكر هناك أن المقسم عليه في سورة (ق) المحذوف يدخل فيه انكارهم
لرسالة النبي صلى الله عليه وسلم بدليل قوله تعالى : (بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم)
وتكذيبهم في انكارهم للبعث بدليل قوله سبحانه (فقال الكافرون هذا شيء عجيب) وهين
وجه ايضاح ذلك بالآيات المذكورة هناك وغيرها وقد ذكرت في سورة (ص) فأغنى ذلك عن
إعادته هنا .

ونذهب الفخر الرازي الى احتمال أمرين لكونهما مقسما عليه لأحد هما اثباتات
الرسالة وكونه عليه السلام رسلا منذرا ه والثاني اثبات الحماة ه لأن الأمرين ورد القسم عليهما
ظاهرا أما الأول فيدل عليه قوله تعالى (يس والقران الحكيم إنك لمن المرسلين) السبي

(١) سورة ق : ٣

(٢) سورة ق : ٤

(٣) تفسير ابن كثير ٤ / ٢٢١ - ٢٢٢

(٤) انظر أضواء البيان ٧ / ٧ - ١٢

أن قال (لتندرقوما ما أنذر آباؤهم الآية)^(١) وأما الثاني فدل عليه قوله تعالى :
(والطور وكتاب مسطور) الى أن قال : (إن عذاب ربك لواقع)^(٢)

ثم رجح الوجه الأول وجعله أقرب من الثاني لأن الحروف المقطعة ذكرت مسج
القرآن والمقسم عليه كونه مرسلًا ومنذرا ه وما ذكرت هذه الحروف ويعدّها الحشر ه ولأن
القرآن معجزة دالة على كون محمد رسول الله ه فالمقسم به عليه إشارة الى الدليل على
طريقة القسم ه وليس هو نفسه دليلا على الحشر ه بل فيه إشارات مفيدة للجزم بالحشر بحسب
صراحة صدق الرسول عليه السلام ه^(٣)

وذهب الأخفش الى أن الجواب محذوف ه كأنه قال : ق ه والقرآن المجيد لتبمثن ،
يدل عليه (أئذا متنا وكنا ترابا)^(٤) وهو قول وجهه ه كأن الله سبحانه أقسم بهم هذا
القرآن بحيث كونه خيرا عن الجزاء على اثبات الجزاء وتقديره ه ولما كان القوم في جهنم
وانكار واستبعاد لوقوع المعاد حذف جواب القسم حتى لا يتنفروا من أول وهلة ويسدوا على
أنفسهم أبواب الهداية فما صرح ما أقسم عليه بل ساق المهم دلائل تدل عليه وهو إمكان وقوع
المعاد والجزاء وعدم استحاله وتدعو المخاطب الى التفكر فيه والايمان به ه والله أعلم
وذهب ابن القيم الى اتحاد المقسم به والمقسم عليه وهو القرآن ه فأقسم بالقرآن
على ثبوته وصدقته وأنه حق من عنده تعالى ه ولذلك حذف الجواب ولم يصرح به لما فسى
القسم من الدلالة عليه ه^(٥)

وكلامه رحمه الله حق لا غبار عليه الا أنه لوجمل المقسم عليه اثبات القرآن بحيث كونه
منذرا بالبعث مخبرا عن الجزاء والحساب لكان أقرب الى الصواب ه لأن عمود السورة

(١) سورة يونس : ٦٠-١ (٢) والطور : ١-٢ (٣) تفسير الفخر الرازي ٢٨/١٤٩

(٤) هكذا ذكرها الشوكاني (٥/٢١) ووجدت في معاني الأخفش (٢/٤٨٣) خلاف هذا

حيث يقول (ق والقرآن المجيد) قسم على (قد علنا ما تنقص الارض منهم)

(٥) التبيان ص ٢٧٠

وسياقها يدل دلالة واضحة أنها نزلت لاثبات البعث والجزاء وانذار الناس به لا لتقرير ثبوت هذا القرآن وكونه من عند الله .

(١) وقوله تعالى هـ (بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب)
قد سبق قول من جعله جواب القسم وهو صئبي على عدم الدقة لأن القسم لا يجاب بـ " بل " .
كأنه قيل : والقرآن المجيد هـ أنزلناه اليك لتتذرب به الناس حسبما ورد في صدر سورة الاعراف : (كتاب أنزل اليك فلا يكن في صدرك حرج منه لتتذرب به وذكرى للمؤمنين) (٢)

وقيل انه اضراب عما ينبيء عنه جواب القسم المحذوف هـ ثم أخذ سبحانه في بيان عجب الكفار من غير عجب بل بما لا ينبغي أن يقع سواه كما قال سبحانه : (الرّ هـ تلك آيات الكتاب الحكيم هـ أكان للناس عجباً أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذرا للناس وبشّر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم الآية) (٣) كأنه قيل بعد ذلك : ما آمنوا به وجملوا كلا من المنذر والمنذر به وهو القرآن والمنذر منه وهو البعث والجزاء عرضة للتكبير والتصجب مع كونها أوفق شيء لقضية العقول وأقربه إلى التلقى بالقبول هـ بل العجب كسل العجب قولهم وتكذب بهم كما قال تعالى : (وان تعجب فاعجب قولهم أنذا كنا تراباً أناسا لفي خلق جديد هـ) (٤)

وقيل : التقدير : والقرآن المجيد انك لمنذر ثم قيل بعد انهم شكوا فيسه هـ ثم اضرب عنه وقيل : بل عجبوا أي لم يكتفوا بالشك والرتب بل جزموا بالخلاف حتى جملوا ذلك من الأمور المجيبة هـ ثم فسر ما حكاه عنهم من كونهم عجبوا هـ بقوله (فقال الكافرون

(٢) الاعراف ٢

(١) سورة ق ٢

(٣) يونس ١ - ٣ قدم صدق : سابقه فضل ومنزلة رفيعة

(٤) الرعد ٥

هذا شيء عجيب (يكون لفظ (هذا) إشارة الى مبهم يفسره ما بعده من قوله (أفذا
قتنا) الخ وهو تعجبهم من الهمث ه وقيل هو اضراب عما يفهم من وصف القرآن
بالمجيد كأنه قيل : ليس سبب اعتناهم عن الايمان بالقرآن أنه لا مجد له ولكن
لجهلهم ه (١)

وقوله (بل عجبوا . . . الآية) : موقع الجملة تشنيع لقولهم وهو انكار
الهمث و الجزاء مع امكان وجوده ووضح دلالته وجطة التشنيع ربما تأتي بعد القسم
وجواب القسم يفهم ولا يذكر كما في هذه الآية الكريمة وكما في قوله عز وجل : (والسما
ذات البروج واليوم الموعود وشاهد ومشهود قتل أصحاب الأخدود ه) (٢) والله
تعالى أعلم .

(١) انظر فتح القدير ٧١/٥ ومحاسن التأويل للقاسمي ١٥١/٩ والفخر الرازي
١٤٩/٢٨ وأبو السعود ١٢٦/٨ والتبيان : ٢٧١ وقرأ الجمهور (أفذا)
بالاستفهام وقرأ ابن عامر في رواية عنه بهمزة واحدة ه فيحتمل الاستفهام
كقراءة الجمهور وهمزة الاستفهام مقدرة ويحتمل أن معناه الاخبار ه (الاتحاف
ص ٣٩٨)

(٢) البروج ١ - ٤ وانظر تفسير نظام القرآن للفراهي سورة الذاريات تفسير قوله
تعالى : (انكم لفي قول مختلف) .

المبحث الثاني : القسم بالمخلوقات

١ - سورة الصافات :-

قال الله عز وجل : (والصافات صفا ، فالزاجرات زجرا ، فالتاليات ذكرا ، ان
المهكم لواحد ، رب السموات والأرض وما بينهما ورب المشارق) (١)

المراد بالصافات : طوائف من الملائكة بدليل اقراءهم في آخر السورة : (وما ضا
الا له مقام معلوم ، وانا لنحن الصافون ، وانا لنحن المسيحون) (٢) والصفات الثلاثة
لموصوف واحد .

فأقسم سبحانه بطلائقته الصافات للمعبودية بين يديه كما قال النبي صلى الله عليه
وسلم لأصحابه : ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها ؟ تتمون الصفوف الأول وهمراصون
في الصف (٣)

وقيل المراد الملائكة الصافات أجنحتها في الهواء واقفة فيه منتظرة لأمر الله
تعالى ، كما قال سبحانه : (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا ، سبحانه ، بل عباد مكرمون ،
لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون) (٤)

(فالزاجرات زجرا) : يقال زجرت البعير فأنا أزجره زجرا : اذا هتتته
ليمضى ، وزجرت فلانا عن سو ، فانزجر أى نهيته فانتهى ، فعلى هذا الزجر للبعير

(١) الصافات ١ - ٥ قرأ أبو عمرو وحمره بادغام التاء فيما يليه في الآيات الثلاثة. النشر لابن

الجزري ٣٥٦/٢ و لا تحاف ص ٣٦٧

(٢) الصافات ١٦٤ - ١٦٦

(٣) صحيح مسلم ، كتاب الصلاة ، باب الأمر بالسكون في الصلاة الخ حديث ١١٩ (١ / ٣٢٢)

وسنن أحمد : ١٠١ / ٥ وسنن أبي داود : كتاب الصلاة باب تسوية الصفوف (١ / ١٥٣)

(٤) الأنبياء : ٢٦ - ٢٧ أنظر التبيان ٢٧١ وا لكشاف ٣ / ٣٣٣ وفتح القدير ٤ / ٣٨٦

كالحث ه ولانسان كالنهي ه واطلاق الزاجرات على الملائكة يحتمل وجوها : اما لأنها تزجر السحاب فتأتى بها من موضع الى موضع بأمر الله تعالى ه واما لأنها تزجر بنى آدم عن المعاصى ه واما لزجرها الشياطين عن التعرض لبنى آدم بالشر والابذاء ه (١)

(فالتاليات ذكرا) : أى الملائكة التى تتلو كلام الله عز وجل ه وكلها صفات لموصوف واحد كما مرّ واكتفى بها عن تسمية الموصوف كما هو شائع فى كلام العرب وكثير فى القرآن ه والقول بأن المراد بها جماعات الملائكة هو قول أكثر أهل العلم ه (٢)

وقوله سبحانه : (ان الهكم لواحد) جواب القسم ه فأقسم سبحانه بهذه الأقسام على أنه واحد لا شريك له ه وذلك أن العرب فى الجاهلية كانت تزعم أن هناك قرابة بين الله وبين الجن ه ثم تدعى أن الملائكة إناث وأنهى بنات الله ه وقد ذكر سبحانه انحرافهم فى قضية الألوهية فى آخر هذه السورة حيث قال : (فاستفتهم الربك البنات ولهم البنون ه أم خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون إلا إنهم من أفكهم ليقولون ولد الله وانهم لكانبون أصطفى البنات على البنين ه مالكم كيف تحكمون ه أفلا تذكرون ه أم لكم سلطان مبين ه فاتوا بكتابكم إن كنتم صادقين ه وجعلوا بينه وبين الجنة نسيان ه ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون ء سبحانه الله عما يصفون ه) (٣)

فذكر سبحانه عنهم فى الملائكة ثلاثة أقوال فى غاية الكفر وافتراء الكذب ه

(فأولا) : جعلوهم بنات الله ه فجعلوا لله ولدا ه سبحانه وتعالى عما يقولون .

(ثانيا) : جعلوا ذلك الولد أنثى ه

(ثالثا) : ثم عبدهم من دون الله تعالى وتقدس ه

-
- (١) الفخر الرازى ٢٦/١١٤ - ١١٥ وفتح القدير ٤/٣٨٦ والصاحح للجوهرى ٢/٦٦٨ : (زجر)
- (٢) تفسير القرطبي ١٥/٦١ - ٦٢ وتفسير ابن كثير ٤/٢
- (٣) الصافات ١٤٩ - ١٥٩ كما وردت آيات أخرى فى انحراف المشركين فى قضية الألوهية وادعائهم أن الملائكة بنات الله ه أنظر سورة النساء ١١٧ والأنعام ١٠٠ والنحل ٥٥٢ ه ٥٨ والاسراء ٤٠ ه .. والزخرف ١٦ ه ١٩ والطور ٣٩ والنجم ٢١ ه ٢٧

ثم رد عليهم زعمهم السخيف وقولتهم الباطلة بأشهاد الملائكة أنفسهم حيث أنها صافات للمعبودية والعبادة بين يديه سبحانه ه وهى مشغولة دائما بذكر الله تعالى وتلاوة آياته (ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون ه يسبحون الليل والنهار لا يفترون)^(١) وهى تعلم وظائفها وتتبادر الى تنفيذ أوامر ربها ه ولا بطل افتراء هؤلاء المشركين فى ادعائهم النسب بين الله وبين الملائكة جاء تعقيبهم فى آخر السورة باعلان تنزيه الله عما يصفه به هؤلاء المشركون ه وذلك قولهم : (وما منّا الا له مقام معلوم ه وانا لنحن الصافون ه وانا نحن السبحون ه)^(٢)

وقد أسلفت القول أن القسم بالمخلوقات فى القرآن الكريم ورد لمحض الاشهاد والاستدلال ه فهنا أقسم سبحانه بالملائكة التى لها هذه الأوصاف الثلاثة وهى قيامهم صافين أما ربهم ومباشرتهم الوظائف الموكلة اليهم وانشغالهم فى الذكر والتسبح وأشهادهم بصفاتهم على كونهم عبيدا مطاعا ونفى بذلك شركهم فى الألوهية أو كونهم بنات الله ه لأن هذه صفات العبد وليست صفات الآله . وبذلك أثبت سبحانه الوحدةانية فى الألوهية ه وهو من أعظم مقاصد القرآن .

ثم أقام الدليل على ما أقسم عليه بقوله : (رب السموات والأرض وما بينهما ورب المشارق ه)^(٣) لأن انتظام أحوال السماوات والأرض وإيجاد المخلوقات فيها على هذا الشكل البديع من أوضح الدلائل على أن الآله واحد ه كما قال فى سورة الأنبياء : (لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون ه)^(٤)

قال ابن القيم : فان الأقسام كالدليل والآية على صحة ما أقسم عليه من التوحيد

(١) الانبياء ١٩ - ٢٠

(٢) الصافات : ١٦٤ - ١٦٦

(٣) الصافات : ٥

(٤) الأنبياء : ٢٢

وأقسم سبحانه بذلك على توحيد ربوبيته وآلهيته وقرر توحيد ربوبيته فقال : (ان آلهم
لواحد رب السموات والأرض وما بينهما ورب الشارقي) وهو من أعظم الأدلة على أنه
آله واحد ولو كان معه إله آخر لكان الآلهة مشاركا له في ربوبيته ، كما شاركه في إلهيته ، تعالى
الله عن ذلك علوا كبيرا ، وهذه قاعدة القرآن يقرر توحيد الإلهية بتوحيد الربوبية ، فيقرر
كونه معبودا وحده بكونه خالقا رازقا وحده (١)

٢ - سورة الذاريات :-

قال الله عز وجل : (والذاريات ذروا ، فالحاملات وقرا ، فالجاريات يسرا ، فالمقسمات
أمرنا ، إنما توعدون لصادق ، وإن الدين لواقع) (٢)

قوله عز وجل : (والذاريات) أي الرياح الذاريات ، فان الذرو هو نثر الغبار
والرماد والأوراق ، (٣) وذلك من الوصف المعلوم للرياح ، فاكتفى بالوصف عن تسمية الموصوف
كما هو شائع في كلام العرب وكثير في القرآن .

(فالحاملات وقرا) : عطف الصفات بالفاء دليل على ترتيب في الصفات ، وذلك

يدل على كونها صفات شئ واحد ، بل ربما يعطف بالواو مع كون القسم بشئ واحد كما في
أول سورة (المرسلات) ، والى هذا ذهب الفخر الرازي فقال : الأقرب أن هذه صفات
أربع للرياح (٤) وعبد الحميد الفراهي حيث قال : القول بأن هذه الصفات لأشياء
مختلفة يخالف النظائر وكلام العرب ، مثلا : (والماديات ضيحا ، فالمويرات قدحسا ،
فالمغويرات صيحا ، فأثرن به نقما ، فوسطن به جمعا) (٥)

(٢) الذاريات : ١ - ٦

(١) التبيان لابن القيم ص ٢٧٢

(٣) لسان العرب : ١٤ / ٢٨٢ - ٢٨٣

(٤) تفسير الفخر الرازي ٢٨ / ١٩٥

(٥) الماديات : ١ - ٥

وقال ابن زيّاب :

(١) الصابح فالغائم فالأعب

بالهف زياية للحارث

ثم لا حاجة الى جعل هذه الصفات لأشياء متعددة ه فانها كلها مناسبة

بالموصوف الواحد ه (٢)

ونذهب ابن كثير وابن القيم غير هذا المذهب ه فجعلوا الصفات الأربع لأشياء

متباينة ه فقالوا : ان الذاريات هي الرياح والحاملات هي السحاب والجاريات هي

السفن ه والمقسمات هي الطائفة ه (٣)

ونذكر صاحب الكشاف القولين ه (٤) والمذهب الأول أقرب الى الصواب بأن نجعل

هذه الصفات لشيء واحد ه حمل الآيات على نظائرها ه ولترابط الآيات فيها بينها ربطا

ظاهرا ه ثم دلالة هذه الآيات مجتمعة على المقسم عليه أبين دلالة ه كما سيأتى بيانه

ان شاء الله تعالى ه

(والوقر) : الثقل والحمل ه (٥) وههنا مطلق فيجوز أن يراد به السحاب

لثقله ه كما قال تعالى : (وينشئ السحاب الثقال ه) (٦) ومن وصف الرياح حملا

السحاب ه كما جاء في القرآن : (وهو الذي يرسل الرياح بشارا بين يدي رحمته حتى

إذا أقلت (٧) سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء ه) الآية (٨) وقوله : (فالجاريات

يسرا) : أي الريحاح في الجو جرياً وقوله سهلا وقوله : (فالمقسمات

أمرا) قسم الأمر : تميزه وفسقه يسرق يسرق يسرق

وجوهه ه وكذلك قسم الأمر ه وفي الأول مهالفة مثل كسر وكسر ه (٩)

(١) وهو ان الحماسة لأبي تمام : شعر الحماسة ٦٧/١

(٢) نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان للفراهي ه سورة الذاريات ه (مخطوط)

(٣) تفسير ابن كثير ٢٣٢/٤ والتبيان لابن القيم ١٧٤ - ١٧٥

(٤) الكشاف ١٣/٤ (٥) لسان العرب ٢٨٩/٥

(٦) الرد - ١٢ (٧) أقل الشيء يقله ه اذا رفعه وحمله

(٨) الأعراف : ٥٧ ه لسان العرب ٥٦٥/١١

(٩) الصحاح ٢٠١٠/٥ ولسان العرب ٤٨٠/١٢

والرياح بتصاريفها تفرق بين قوم وقوم ه فتكون رحمة لهذا وثقمة لذلك ه ونسبسة

الأفعال الارادية الى غير زوى المقول شائع جدا في كلام الناس والقران الكريم .

(انما توعدون لصادق) توعدون من الوعد ه أى ما وعدكم الله على لسان رسوله

وأقام عليه دلائل بينه ه وقد كثر في القرآن أن القيامة والبعث والجزاء حسب الأعمسال

الحسنة والسيئة ه كل ذلك وعد من الله تعالى مثلا قوله عز وجل : (اليه مرجعكم جميعا ه

وعد الله حقا ه انه يبدء المخلوق ثم يعيده ليعزى الذين آمنوا وعطوا الصالحات بالقسط ه

الآية (١) . أيضا (وأقسموا بالله جهنم أيمانهم لا يبعث الله من يموت ه بل وعدا عليه

حقا ه) الآية (٢) أيضا : (كما بدأنا أول خلق نعيده ه وعدا علينا انا كنا فاعلين ه) (٣)

أيضا : (ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها ه) الآية (٤)

ثم ان هذا الوعد يشمل كلا . الفريقيين ه كما قال تعالى في حق المؤمنين :

(لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة ه هذا يومكم الذى كنتم توعدون ه) وفى حق

الكفار : (قدرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون ه) (٦)

(وان الدين لواقع) : أى الدينونه والجزاء ه (٧) وذلك داخل في ما توعدون

ه فالمطوف من قهليل عطف الخاص على العام ه والجزء على الكل ه وذلك يكون لبيان

الاعتناء بالمعطوف ه وهو ظاهر ههنا ه فان الدين لواقع الجزاء هو المقصود من البصوت

بعد الموت كما صرح بذلك في كثير من المواضع ه (٨)

ثم قال (والسماوات الحيك) قال الزمخشري : الحيك : الطرائق مشـ

حك الرمل والماء اذا ضربته الريح ه وكذلك حيك الشمر آثار تشنيه وتكسره ه قال زهير :

(١) يونس ٤ (٢) النحل ٣٨ (٣) الأنبياء ١٠٤

(٤) الكهف ٢١ (٥) الأنبياء ١٠٣ (٦) المصارج ٤٢

(٧) انظر الصحاح ٢١١٨/٥ ولسان العرب ١٦٩/١٣

(٨) انظر نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان ه سورة الذاريات .

كحلل بأصول النجم تنسيجه ربيعٌ خريق لضاحي مائه حُبك (١)

والدرع محبوبكة ه لأن حلقها مطرق طرائق ه ويقال : ان خلقة السماء كذلك ه وعن الحسن حبكها نجومها والمعنى هها تزينها كما تزين ان يسمى طرائق الوشي ه وقيس حبكها صفاتها واحكامها من قولهم : فرس محبوبك المماقم : أى محكمها ه واذنا أجمار الحائك الحياكة قالوا ما أحسن حبك ه وهو جمع حباك كضال ومثل ه أو حبيكة كطريقه وطرق (٢) والى هذا ذهب عامة المفسرين .

وقد وافق الفراهي الزمخشري في تفسيره معنى (الحبك) واستدل أيضا بقولسه الفراء في هذه الآية : (الحبك تكسر كل شى كالرطة اذا مرت عليها الريح الساكنة ه والماء القائم اذا مرت به الريح ه والدرع من الحديد لها حبك أيضا ه والشمرة الجعدة تكسرها حبك ه وفي الحديث في صفة الدجال : " ورأسه حبك " أى جمعد الشمر ه (٣)

ثم خالفه في أن يكون المراد بالسماء هى التى فيها النجوم اما لاحكامها أو لكونها مجردة بالكواكب ه فان الحبك ههنا ليس بالمصدر ه انما هو جمع بمعنى الخطوط والتكسر والفضون ه فلا يكون وصفا لهذا السقف المكوكب لا من جهة احكامه ولا من جهة نجومه ه

(١) انظر شرح ديوان زهير بن أبى سلى ه صنعه الامام أبى العباس أحمد بن يحيى الشيباني ثعلب : ص ١٧٦ ه وفيه : قال الأصمى : النجم : الثبت الذى يقال له الثيل ه وقال غيره : هو كل شى ه من النبات ليس له ساق يثبت حول الماء كالكليل ربيع خريق : اذا هبت هبوا شديدا ه لضاحي مائة : ماضحا للشخص من الماء أى برز ه وحبك ه طرائق الماء .

(٢) الكشاف ١٤/٤ والصحاح ١٥٧٨/٤ ولسان العرب ١٠/٤٠٨

(٣) معانى القرآن للفراء ٨٢/٣ ه والحديث أخرجه الامام أحمد بن حنبل بسنده عن هشام بن عمار ه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان رأس الدجال من ورائه حبك حبك . . . الحديث (مسند أحمد ٢٠/٤) وكذلك أخرجه عن أبى قلابه رضى الله عنه ه انظر مسند أحمد ٣٧٢/٥

ثم قال : ان السماء يطلق على معان ومنها السحاب (١) كما في قوله تعالى :
(وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء اقلصي) (٢) وهو المراد ههنا وذلك لوجوه :

١ - ان القسم السابق هو بالرياح والمناسبة بين الرياح والسحاب أظهره وقد ذكرنا
معا في مواضعه (٣)

٢ - ان المناسبة بين المقسم عليه والمقسم به تقتضى ذلك (٤)

٣ - ان الوصف بذات الحيك يدل عليه دلالة واضحة فان السحاب يوصف بذلك والحيك
فيه تجمّد قطعاته مثل الموج المزبد المتراكم أو كبائب القطن

قال امرؤ القيس يصف القصور الشامخات المكلفة بالسحب :

تلاعب أولاد الوعول رباعها دوين السماء في رؤس المجادل
مكلاة حمراء ذات أسيرة لها حيك كأنها من وصائل (٥)

أى مكلاة بسحب حمراء ذات طرائق وهذا وصف سحاب الشتاء من جهة لونه

وقطعته

فقوله سبحانه : (والسماء ذات الحيك) اشهاد بالسماء الشتوية التي تكثُر

فيها الرعد والصاعقة وكونها أظهر في الانذار والتخويف يبين شناعة استمرارهم في غفلة

(١) في اصلاح الوجوه والنظائر للدافاني : " السماء : السحاب كما في قوله تعالى :

(وأنزلنا من السماء ماء) (البقرة ٢٢) يمتنى من السحاب والسماء : المطر

كما في قوله تعالى : (يرسل السماء عليكم طرارا) نوح ١١ هـ يمتنى المطر هـ

ونحوها في سورة هود : ٤٤ هـ والأنعام : ٩٩ هـ ويراد السماء بعينها كما

في قوله تعالى : (والسماء بنيناها بأيدي) الآية الذاريات ٤٧

(٢) هود ٤٤

(٣) أنظر مثلا البقرة : ١٦٤ هـ والأعراف : ٥٧ هـ والحجر : ٢٢ والفرقان ٤٨ والنمل ٦٣

والروم ٤٦ هـ ٤٨ هـ وفاطر : ٩ والجمانية : ٥ (٤) كما سيأتى بيانه ان شاء الله

(٥) ديوان امرؤ القيس ص ٩٦ (دار الحمارف) هـ الوعول : التيوس والرباع : الفصلان

المتوجة في الربيع والمجادل : الحصون ويريد الجبال المرتفعة الضخمة هـ وقوله

دوين السماء : وصف الجبال بالطول والارتفاع حتى يخيل للناظر أنها قريبة من السماء

وقوله : مكلاة حمراء يمتنى أن رؤس المجادل مكلاة بالحمراء وأراد بالحمراء سحابة حمراء

هـ والأسرة : الطرائق وكذلك الحيك وهما من نعت الحمراء على أنه أراد بالأسرة

والحيك : الطرائق في السحابة ثم شبهها بالوصائل وهي ضرب من البروقه المخبطة ،

وغرور واختلاف وظنون ه كما جاء في قصة عاد : (فلما رأوه عارضا مستقبلا أوديتهم قالوا هذا عارض مطرنا ه بل هو ما استعجبناكم به ه ریح فيها عذاب أليم ه تدمر كل شئ ه بأمر ربها ه فأصبحوا لا يرى الا مساكنهم كذلك نجزي القوم المجرمين ه)^(١) فلم ينتهوا عن غفلتهم وقد جاءهم العذاب ه ورأوا آيته في السماء المقطعة السحب ذات الحيك ه

ثم قال سبحانه : (انكم لفي قول مختلف) أي في أمر وقوع الدين ه كما قال تعالى : (عم يتساءلون عن النبأ العظيم الذي هم فيه مختلفون كلا سيعلمون ه)^(٢) وموقع الجمة تشنيع قولهم وليست بجواب القسم فانه قد سبق بهد القسم السابق ه فأغنى عن ذكره ه^(٣)

وقوله : (يؤفك عنه من أفك) : جمة مستقلة ه وليست بصفة لقول مختلف والمعنى انه يصرف عن الايقان بالدينونة من أصيب في بصيرته ه فان الافك هو قلب الشئ ه ظهر لبطان ه ووضه الإفك : للكذب ه والمأفوك لفاقد البصيرة ه أو الضعيف العقل والرأى ه - والمؤتفكات : المدن التي قلبها الله تعالى على قوم لوط عليه السلام^(٤)

بيان وجه الاستشهاد بالمقسم به على المقسم عليه :

قد تبين مما ذكرت أن قوله تعالى : (والذاريات ذروا ه فالحاملات وقتلن) ه فالجاريات يسرا ه فالمقسمات أمرا ه اشهاد بالرياح ه وقوله تعالى : (والسماء ذات الحرك ه) اشهاد بالسماء المشطوبة التي تكثر فيها الرعد والصاعقة ه بقى أن أبين وجه الاستشهاد بالمقسم به على المقسم عليه وهو اثبات المعاد والجزاء ه

(١) سورة الأحقاف ٢٤ - ٢٥ (٢) سورة النبأ : ١ - ٤

(٣) وجمة التشنيع ما تأتي بعد القسم ه وجواب القسم يفهم ولا يذكر ه نحو قوله سبحانه : (والسماء ذات البروج ه واليوم الموعود وشاهد ومشهود ه قتل أصحاب الأخدود ه) سورة البروج (٤) فقوله قتل أصحاب الأخدود ليس بجواب القسم هل موقع الجمة تشنيع وإنكار ه وهو دليل على جواب القسم وهو اثبات الجزاء ه

(٤) أنظر الصحاح ٤ / ٥٧٣ ه وتفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان ه للفراهي ه سورة الذاريات ه (مخطوط)

فقال ابن القيم : أقسم الله سبحانه بهذه الأمور الأربعة لمكان المبصرة والآية ، والدلالة الباهرة على ربوبيته ووحدانيته وعظيم قدرته ^(١) فجعلها دلائل الربوبية عامة .

وجعل الفراهي هذا الاستشهاد على الدينونة التي هي مقتضى وحدانية الله سبحانه وربوبيته وحكمته وعدله ولأنها هي القسم طيبها في الآيات المذكورة ، فجعلها دلائل الربوبية عامة ودلائل الدينونة خاصة فان كل آية من آيات الربوبية والقدرة والحكمة والرحمة تدل على المخاد .

قال رحمه الله تعالى : اعلم أن كلا الاشهادين في الحقيقة اشهاد بايات الله الظاهرة وأوامره الجارية ، فتأتى بهرج فتحمل السحاب الثقال متموجة السسى الأرض الجزر ، وتحمل السفن الموقرة وتجري بها الى المنافع ، وربما تمصيف فتذرو الرمال وتنقلب حاصبا فتطير الحجارة ، وربما تنقلب صرصرا فتأتى بالبرد والصواعق ، وربما تصير طو فانا فتأتى بالطر الشديد وتهيج البحر ، وفي كل ذلك تقسيم الأمور . فان من عجائب قدرة الله تعالى وحكمته وتسخير الرياح أنها ربما تنفع بشدتها وربما تهلك بلينتها ^(٢) . بل الأمر الواحد يشتمل نعمة للمؤمنين ونقمة على الكافرين ففرقا بين الرحمة والعذاب ومقسما لأمر الرب كقمل ذوى المقول ^(٣) .

ومن أجمع الايات فيه قوله تعالى : (ان في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجرى في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض آيات لقول يعقلون) ^(٤) أي آيات على التوحيد والقدرة والربوبية والرحمة والحكمة والمدل .

وبالجمل يقف تصريف الرياح والسحب لنفمهما العام وضررها المخصوص حسب مشيئه تعالى دلالة على :

١ - أن أمور الخلق لا يجرى باطلا وعيثا ونبه على ذلك بتقسيم الرياح وتفريقها في جريانها بين البر والفاجر .

- (١) التبيان لابن القيم ص ١٧٥
(٢) كما ترى في قصة فرعون ، فان الله تعالى نجى موسى عليه السلام وقوه بالريح الشديدة وأهلك فرعون وجنوده بالريح اللينة كما سيأتى ذكره .
(٣) ويشبه ذلك ما جاء في مزامير داود : (يرسل كلمته في الأرض سريما جدا يجرى قوله ، الذي يمطى الثلج كالصوف ، ويذرى الصقيع كالرماد يلقسى جمده كفتات ، قدام برده من يقف ، يرسل كلمتها فيذيبها ، يهب بريحه فتسيل المياه) مزامير : ١٤٧ : ١٦ - ١٩) ، فسق الرياح كلمة السرب وقوله ، وهذا من ألطف العبارة ، فان في الصبرانية لفظة واحدة مشتركة بين الكلام والريح (تفسير سورة الذاريات : للفراهي) (٤) البقرة : ١٦٤

٢ - وأيضا على احاطة أمره فان كل شيء حتى هذه الرياح التي لا ترى أنها تعقل شيئا .
تجرى بأمر الله تعالى حسب حكمته وعدله كما قال تعالى : (ولله جنود السموات
والأرض) الآية (١)

٣ - وعلى غلبة حمزه ه ففيه بشارة وانذار كما صرح بذلك في سورة (والصفات)
التي أقسم في أولها بجنوده الموكلة ه فقال تعالى : (ولقد سبقنا لكم المهادنا
المرسلين ه انهم لهم المنصورون ه وان جندنا لهم الغالبون ه) (٢) وفي كل
ذلك دلالة واضحة على الدينونة ه

ثم هناك ارتباط وثيق بين هذه الأقسام وبين ما أتمهها الله سبحانه من ذكر الحوادث
المشتملة على قصص قوم لوط وفرعون وعاد وشمود وقوم نوح عليه السلام ه فان انتقام الله
عز وجل من هذه الأمم ونصره المؤمنين عليهم كان بتصاريف الرياح أو بالصاعقة أو بكتيهمما
كما سيأتي بيانه ان شاء الله فعلى هذا بدأ سورة بشواهد الرياح والسما ذات الحيك
ه وقد مر أن المراد بها سما الشتاء التي تأتي بالبرد والصواعق الهائلة ه

ان قوم لوط عليه السلام أهلكوا بالريح الذارية :-

اعلم أن الله تعالى أرسل على قوم لوط عليه السلام ريحا ذارية فاشتدت وانقلبست
حاصبا فأمرت عليهم حجارة من طين وبلغت من شدتها الى أن أفكت مساكنهم كما قال
تعالى : (فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ه) (٣) وكما قال تعالى ه (قلما جاءنا سميرنا
جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل منضود ه) (٤) أي هبت الزمازع
فهدمت بيوتهم وعروشهم وغطتهم بالحصى والرمال ه كما قال تعالى : (والمؤتفة أهوى
ففشاهما ما غشى ه) (٥) في لسان العرب : المؤتفكات : الرياح التي تقلب الأرض

(٢) الصفات : ١٧١-١٧٣

(٤) هود : ٨٢

(١) الفتح ٤ ه ٧

(٣) المنكوت : ٤٠

(٥) النجم : ٥٣ - ٥٤

أى يجعل بطنها ظهرا كالذى يحترث الأرض ه وانا جاء سيل عظيم فغطت الأرض بما
ترك عليها من الطين والرمل فهى أيضا مؤتفكة أو جرت ريح فغطتها قليلا فهى مؤتفكة ه (١)
(تنبيه) : يرى فى بادى النظر أن التوراة تخالف القرآن فيما أمطر على قوم لوط وفى
الحقيقة لا مخالفة بينهما الا من سوء الترجمة فانه قد أخطأ مترجمو التوراة فى فهم ما أمطر
على قوم لوط فجعلوه نارا وكبريتا ه فأما النار فليس المراد بها الا البرق والصاعقة ه لأن
التوراة كثيرا ما تمبر عن الصاعقة بالنار (٢)

وأما ما ذكرت التوراة فى قصة قرية لوط من أن ابراهيم عليه السلام رأى من بعيد
ارتفاع الدخان فليس الا ما راه من ارتفاع الغبار الأسود من بعيد ه

وأما الكبريت كما جاء فى سفر التكوين : (فأمر الرب على سدوم وعمورة كبريتا
ونارا من عند الرب من السماء ه) فليس المراد به الا الحجارة ه وبيان ذلك أن الكلمة التى
ترجموه كبريتا هى الحصبا ه ودخل من هذا الباب غلط فى لسان الانكليز فى معنى يسرم
اسطون (BRIMSTONE) (الحجر المحروق) فظنوا أنه الكبريت ه ولكن
التوراة شاهدة على أن المراد به الحصبا ه فانك ترى فى سفر أيوب حيث يذكر موت الأشرار
(يسكن فى خيمته من ليس له) (أى الأجناس الذى ليس من أهله) يذرع على مريضه كبريت
أى يفضد على قبره جنادل كما هو العادة ه ولا معنى لذرو الكبريت على مرقده ه فقد تبين
ما ذكرنا أن الله تعالى أرسل على قوم لوط ريحا نارية شديدة فغطتهم وساكنتهم ه وان
صح ما فى نسخة التوراة فأنزل عليهم الصاعقة أيضا .

إن فرعون وقومه أغرقوا بالريح الشرقية :-

اعلم انه قد ذكر قصة موسى عليه السلام وفرعون فى التوراة والقرآن اجمالا وتفصيلا ه

(١) لسان العرب ١٠ / ٣٩١

(٢) أنوار سفر الخروج : ٩ : ٢٣ ومزامير ١٤٨ : ٨

(٣) تكوين ١٩ : ٢٤

(٤) أيوب : ١٨ : ١٩

ه ولم يستوعب كل الاستيماب في سورة بل اكتفى بمحض التلميح لشهرتها ومعرفسة الناس بها ه وهى مفصلة في التوراة ، وفيها التصريح بحمل الريح المصيب في هذه الواقعة ه فاكثفى في القرآن ببعض الاشارة اليه ه وبيان ذلك انه جاء في سفر الخروج : (ومد موسى يده على البحر ه فأجرى الرب البحر بريح شرقية شديدة كل الليل وجمسل البحر يابسة وانشق الماء ه فدخل بنو اسرائيل في وسط البحر على اليابسة والماء سور لهم عن يمينهم وعن يسارهم ه) (١)

ثم أهدأ الريح في الصبح فحين اشتدت الريح حطت الماء الغمر الى المغرب ففى خليج سويس وترك أرض الخليج الشرقى خليج العقبة يسا وحين جرت يسرا رجعت بالماء ففى محله ففشى الذين أتبعوا طريق موسى في البحر ه وجاء تصديق ذلك في القرآن ففى سورة الدخان (٢) : (فأسر بعبادى ليلا انكم تبصون واترك البحر رهوا (أى ساكنا فسان الرهو هو السكون (٣) وسكون البحر يكون بسكون الريح ه) انهم جند مفترقون ه) وفى سورة طه : (ولقد أوهينا الى موسى أن أسر بعبادى فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا لا تخاف دركا ولا تخشى ه فأتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ماغشيهم (٤) وفى سفر الخروج : (نفخت بريحك فغطاهم البحر) (٥) وفى سفر التثنية : (والتى علمها بجيش مصر بخيلهم ومراكبهم حيث أطاف مياه بحر سوف على وجوههم حين سمعوا وراءكم فأبادهم الرب الى هذا اليوم ه) (٦)

وجطة القول أن الله تعالى نجى موسى عليه السلام وقومه بالريح الشديدة وأهلك فرعون وجنوده بالريح اللينة وذلك من أعاجيب تصاريفها ه

-
- (١) خروج : ١٤ : ٢١ - ٢٢
(٢) في الصحاح : رها البحر أى سكن ه ٢٣٦٦/٦ واللسان ١٤/٣٤٠ - ٢٤١
(٣) طه : ٧٧ - ٧٨
(٤) خروج : ١٥ : ١٠
(٥) تثنية : ١١ : ٤

ان عاد ا هلكوا بالصرصر والصاعقة وأما ثمود فأهلكوا بالصاعقة فقط :

ما جاء في القرآن من ذكر عاد ه لا يخفى على المتوسم أن الصرصر التي أهلكوا بها كانت مصحوبة بالسما الشاتية التي تأتي بالصاعقة فانه كما صرح بأنهم أهلكوا بالريح فكذلك تجد التصريح بأن جاءهم سحاب خال وصاعقة ه ففي سورة الأحقاف : (فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا بل هو ما استعجلتم به ه ريح فيها عذاب أليم ه تدمر كل شئ بأمر ربها) الآية (١) ولا شك ان هذا كان في الشتاء حين تهبّ الشمال بالصرصر في أيام النحر والصفية كما جاء في سورة القمر (انا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا في يوم نحس مستمر) (٢) وكما جاء في حم السجدة : (فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا في أيام نحسات) الآية (٣) ولا يخفى أن هبوب الصرصر والأيام النحر من أحوال الشتاء ه وهذه الريح الشتوية كثيرا ما تأتي بالسحب المقطعة الحمرة ذات الحبك وبالبرد والصواعق كما جاء ذكرها في كلام العرب وقد سبق بمضه في تفسير قوله عز وجل (والسما ذات الحبك) . ثم ترى التصريح بالصاعقة في عذاب عاد كما جاء في حم السجدة : (فان أعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود ه) الآية (٤) . وهذا لا يفاد رشيبة في أن أرسل عليهم صاعقة ه فقد تبين ما ذكرنا أن الله تعالى أرسل عليهم سحابا خاليا وريحا شديدة تحمل الوقر الثقيل وصاعقة هائلة ه وانما أكثر ذكر الريح لأن عطلها كان أشد فيهم فحطتهم وألقتهم صرعى على الأرض كما جاء في سورة الحاقة (وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية ه سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية ه) (٥)

وكذلك تبين أن الصاعقة من آثار السما الشتوية فملنا استدلالا من الأثر على

(٢) سورة القمر : ١٩

(٤) فصلت : ١٣

(١) سورة الأحقاف : ٢٤ - ٢٥

(٣) سورة فصلت : ١٦

(٥) الحاقة ٦ - ٧

المؤثر بأن ثمود أرسل عليهم السماء ذات الحبك التي أنزلت عليهم الصاعقة الهائلة والصيحة الصاخة ه كما أرسل على عاد عارضا ذا صاعقة ه وان كسان هلاك ثمود بمحض الصاعقة كما جاء في سورة القمر : (انا أرسلنا عليهم صيحة واحدة

فكانوا كهشيم المحتضر) (١) اكتفى بذكر الصاعقة ولم يذكر السحاب وهسي تدل عليه التزام هذا كما أكثر ذكر الريح في قصة عاد وانما ذكر السحاب مرة واحدة ه والقرآن كثيرا ما يترك تفاصيل القصة حذرا عن محض التكرار واختصارا للايجاز واكتفاء بما يكفي للمعظة والمبرة ه وربما يلح اليه الماعا كما قال تعالى : (هل أتاك حديث الجنود فرعون و ثمود ه بل الذين كفروا في تكذيب) (٢) وهكذا ترى في الزبور تلميحات الى الوقائع المملومة فمن مر عليها من غير تأمل خفي عليه وجود نظامها .

ان قوم نوح عليه السلام أهلكوا بالريح الشديدة :-

لم يذكر في هذه السورة من قصة نوح وقومه غير اشارة الى أنهم أخذوا مثل هذه الأمم ولكن النظر فيما ذكر منها في التوراة والقرآن يدل تصريحها واشارة على أنهم أهلكوا بالريح الشديدة ه وذلك بأنه جاء في سورة المنكبوت : (ولقد أرسلنا نوحا بالبينات فاستغاثهم فاجابوا بغير حق فغمرناهم بالماء فماتوا) (٣) ولا شك أن الطوفان صدر بمعنى الدوران ويستعمله المرعب لما يطوف من الريح الشديدة (٤) ومن خاصية هذه الريح شدة الطر وفوران الماء من البحر ه ويطابق ذلك ما جاء في تصوير طوفان نوح عليه السلام في

(٢) البروج ١٧ - ١٩

(١) القمر ٣١

(٣) المنكبوت : ١٤

(٤) انظر القاموس المحيط للفيروز ابادي ١٧٥/٣ والصحاح ١٣٩٧/٤ ه

ولسان المرعب ٢٢٧/٩

القرآن والتوراة ه قال تعالى في سورة القمر : (ففتحنا أبواب السماء بمناها
منهم ه وفجرنا الأرض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر ه)^(١) وفي سفر
التكوين : (.....) في ذلك اليوم انفجرت كل ينابيع الغمر العظيم وانفتحت
طاقات السماء ه)^(٢) وفي سورة هود : (وهي تجري بهم في موج
البحال)^(٣) ومن ركب البحر علم أن الأمواج كالبحال لا تنشأ الا ببريح شديدة ه
وفي ذكر الأثر دلالة على المؤثر ه وقد صرح القرآن في غير ما آية بما يبسبب
نشأة الأمواج والريح من الملازمة كما قال تعالى : (هو الذي يسيركم في البر
والبحر حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ریح
عاصف وجاءهم الموج من كل مكان ه) الآية^(٤) وفي قوله تعالى (وهي تجري
بهم في موج كالبحال)^(٥) دلالة على الريح كما يؤيده قوله تعالى : (ومن
آياته الجوار في البحر كالأعلام ه ان يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد طلسی
ظهره ه) الآية^(٥) وقوله تعالى : (ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات
ولمذيقكم من رحمته ولتجري الفلك بأمره) الآية^(٦)

وهذا القدر يبين أن الله تعالى أرسل على قوم نوح ريحا شديدة دارة
محصرة أنزلت مطرا شديدا وهيجت الماء من بحور حول أرضهم وأنشأت الأمواج
العظيمة وأجرت سفينة نوح الى جبل الجودي ثم سكنت ه^(٧)

-
- (١) القمر : ١١ - ١٢ (٢) سفر التكوين ٧ : ١١ (٣) ه (٤) هود : ٤٢
(٤) يونس : ٢٢ (٥) الشورى : ٣٢ - ٣٣ (٦) الروم : ٤٦
(٧) (تنبيه) : جاء في سفر التكوين : (وأجاز الله ريحا على الأرض فهدأت
المياه وانسدت ينابيع الغمر وطاقات السماء فامتنع الطر ه) (١) ويتبادر
من ذلك أن الله سكن الطوفان ببريح أخرى لينة ه ولكن الأقرب أن المصراع
به مجرد أمر الرب كما جاء في سورة هود : (وقيل يا أرض ابلعي ماءك
وياسما ابلعي وغيض الماء وقضى الأمر ه) (٢) وذلك لما في العبرانية
من كلمة مشتركة بين " الريح والأمر والكلمة " فجاء القرآن بصحيح الخبر
... وأنه ربما يأتي بما يصلح ما أدخلوه في كتاب الله من التحريف
والتبديل (سفر التكوين : ٨ : ١ - ٢) سورة هود : ٤٤

ثم قال تعالى :

(فو رب السما والأرض انه لحق مثل ما أنكم تنطقون) (١)

هذا القسم يتضمن الدليل على المصادق ه وذلك ظاهر مما ذكر من آيات الأرض والسما في قوله : (وفي الأرض آيات للموقنين وفي أنفسكم أقبلا تبصرون ه وفي السما رزقكم وما توعدون ه) (٢) ثم أشهد برهنا ولولا ذلك لما جاء بقاء التعقيب ه فهذه الجطة في غاية الاتصال بما قبلها ه ثم في كلمة الرب إشارة الى أصل الاستدلال وهو أن كل آية في الأرض والسما والنفس انما هي آيات على الربوبية. ودلائل المصادق كلها مبنية عليها ه

وقوله : (انه لحق) المقسم عليه ه هنا هو المقسم عليه في أول السورة وهو قوله تعالى (إنما توعدون لصادق وإن الدين لواقع) وقد مر أيضا ذكر كسر (ما توعدون) آنفا فاكفى ه هنا بالضمير كأنه قيل : فو رب السما والأرض إن بمثكم وجزاكم حق لا ريب فيه .

(١) سورة الذاريات : ٢٣

وقوله تعالى : (مثل ما أنكم تنطقون) قرأ أبو بكر وحمره والكسائي

بالرفع وضمه الباقون ه

وهجة من رفعه أنه جعته صفة ل (حق) وحسن ذلك لأنه نكرة ه (ما : زائدة ه) (مثل) مضاف الى (أنكم) وأنكم في موضع خفض باضافة (مثل) اليه ه (وأن) وما بمدها مصدر في موضع خفض والتقدير : (أنه لحق مثل نطقكم ه) وأما من نصب (مثل) فعلى كونه حالا من الضمير في (انه) وعاطفها حسب اصطلاحهم شبه الفعل أي (لحق) كقولك زيد حسن ضاحكا ه أي ما توعدون من البحث والرجوع الى ربكم والجزاء حسب أعمالكم فهو حق لا مجال فيه للشك وحاله يشبه حال نطقكم ه ومن الذين ينصبونه من يظنه مرفوعا في المحل ولكنه يجعله مبنيا على الفتح لا ضافته الى اسم غير متمكن ه وهو (أن) وكل ذلك راجع الى معنى واحد . انظر الاتحاف ٣٩٩ ه وتوجيه القراءتين في الكشف لمكي بن أبي طالب ٢٨٧٢ - ٢٨٩ ه والمكبرى : ٢٤٤ / ٢ (٢) الذاريات . ٢ - ٢٢

الاستدلال على المماثل بالنطق الانساني
في قوله تعالى : (انه لحق مثل ما أنكم تنطقسون .) :

لا يخفى أن المفهوم من قوله تعالى (مثل ما أنكم تنطقون) مع ما قبله
ان بمسئكم وجزاءكم حق أى واقع ولا ريب فيه مثل ما أنكم تنطقون فلا تشكون فيه ،
وهذا القدر في غاية الظهور من الكلام ، ثم في هذا التمثيل من الحكمة ما
يحتاج الى التدبر وقد نبه على ذلك بما اختار مثال النطق فلم يقل : مثل
ما أنكم تنظرون أو تسمعون أو تأكلون أو تشربون أو غير ذلك من الأفعال الظاهرة ،
فإذا تفكرت في حكمة اختيار هذا المثال هديت الى أمرين عظيمين ،
الأول : هو كون النطق ، أولى باليقين من سائر أطوار النفس ،
والثاني : كونه متضمنا لما يستدل به على المماثل .

أما الأمر الأول :-

وهو كون النطق أولى باليقين فمن ثلاث جهات :-

- ١ - ان النطق أقرب الى النفس من سائر أطوارها وذلك بأن النفس تنتهيه
على كل شئ ، بوساطة الفكر ، وأما الفكر فليس بينه وبين النفس واسطة ،
والفكر هو النطق الحقيقي ، ولذلك سعى العقل نفسا ناطقة ، والنطق
السموع انما هو ظهور ذلك النطق الحقيقي ، فلم النفس بنطقها
الحقيقي هو أبده البديهيات وأولى باليقين ،
- ٢ - ان النطق أرسخ في النفس وذلك بأنه داخل فطرة الانسان وخاصته ،
ولذلك عرفوا الانسان بالحقى الناطق ، وقد عرفت العرب ذلك ، قال
المرقش الأكبر :
(١)

(١) هو عوف (أو عمرو) بن سميح مالك بن ضبيعة من بني بكر بن وائل شاعر
جاهلي ، وهو عم المرقش الأصغر ، والثاني هو عم طرفة بن العبد توفي نحو
٧٥ ق هـ ، انظر الأغانى (طبعة دار الكتب) ١٢٧/٦ وخزانة الأدب
٥١٥/٣ والأعلام ٦٥/٥ .

هل بالديار أن تجيب صم لوأن حيا ناطقا كلم
٣ - انه ليس في أطوار النفس ما يساوي النطق في كثرة الشهادات المتواطئة
هـ ولا يخفى أن تطابق الشهادات على شئ^١ أمر زائد على كونه بديهيا
أو فطريا هـ واليقين انما يتم بكثرة الشهادات فاذا نظرت الى النطق
من هذه الجهة وجدت أوفر نصيبا من غيره هـ وذلك بأن الناطق أو لا
يفكر وهو النطق الحقيقي ثم يرى فكره يجرى على لسانه مطابقا لما فكر ثم
يسمع بأذنه ما نطق به لسانه فيجد هما مطابقين ثم يسمع الجواب مسن
المخاطب فحسبا لما تكلم به هـ ثم هذه الشهادات تتكرر بأن في كل كلمة
بل كل حرف شهادة على هذه المطابقات فلا شئ^٢ كالنطق دليلا على
وجود النفس هـ ومن ههنا حسن اختيار فعلية النطق فلم يقل مثل نطقكم
بل قال تعالى هـ (مثل ما أنكم تنطقون) وتبين ما قد منا أن اليقين بكل
شئ^٣ فرع على اليقين بالنطق فهو أصل اليقينية والاستدلالات هـ

وأما الأمر الثاني :-

وهو كون هذا الحثال متضمنا للدليل على العماد هـ فلا يخفى أن التشثيل
ربما يكون محض دعوى كما تجد كثيرا في كلام الشعراء^٤ وربما يكون دليلا وذلك اذا
علم من نفس الكلام أو المقل أن بين الحثال وبين ما ضرب له المثل أمرا جامعا
يستلزم اشتراكهما في الحكم هـ كما تقول في مسكر أنه حرام مثل الخمر فانك بهذا
التشثيل قد دلت على طة الحرمة هـ وهذا الجامع يسمى مناط الحكم هـ ثم اذا كان
مناط الحكم فيما ضرب له الحثال أقوى مما هو في المثل كان اثبات الحكم نفس الأول
بطريق الأول ويسمى قياس الأول كما ترى في قوله تعالى (مثل نوره كشكوة
فيها مصباح الآية)^(١) فعلى هذا تشثيل النطق ههنا ليس دعوى محضاً

ولكنه دليل استدلال به على ثبوت المعاد ه فانك اذا تأملت نظم الكلام اتضح لك وجوه من الاشتراك والمماثلة بين النطق للإنسان وقضية المعاد ه والآن نذكر هذه الوجوه ه وبالله التوفيق ه

(الوجه الأول) :

ما يدل عليه نفس القسم ههنا فان القسم هو الاشهاد كما بيناه في (كتاب الامعان) فالاشهاد بكونه تعالى رب السما والأرض وقد سبق أنهما ملائتان من آيات الربوبية الدالة على المعاد اشهاد بها وآيات فيها فهي تشهد بأنكم مروهون ومجازون ، وهذا النطق منها واضح لا على النهي ه كما قال تعالى : (قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شئ) الآية ^(١) وقال تعالى : (وان من شئ الا يسبح بحمده) الآية ^(٢) فكانه قيل كما انكم تنطقون فكذلك هذه تنطق بلسان المعاد الى الرب تعالى حق لا شك فيه ه

(والوجه الثاني) :

ما يدل عليه التدبر في أمر النطق فان الله تعالى جعل الانسان قادرا على تأليف الكلمات فيلقيها حسبما يريد ثم يجد نفسه قادرا على اعادة ما فكم ونطق به ه بل على أن يأتي به أحسن وأبين وذلك من كماله وأكبر نعم الرب كما قال تعالى : (خلق الانسان علمه البيان) الآية ^(٣) فاذا الانسان في هذه القدرة منه سبحانه لم يمكنه الانكار بأن الرب تعالى قادر على ايجاد الخلق بمد فناء ه فان الخلق منه تعالى انما هو بمجرد نطقه ه فان الرب تعالى يخلق ما يشاء بكلمة منه من غير احتياج الى مادة وآلة كما قال تعالى : (إنما قولنا لشيء إذا

(١) سورة فصلت : ٢١

(٢) الاسراء : ٤٤

(٣) الرحمن : ٣ - ٤

أردناه أن نقول له كن فيكون هـ (١) وأن ليس الخلق الا كلمة منه وقد خلـق
السما والارض بكلمة منه هـ واذا شاء أعاد بكلمة بل هو على اعادة مرة أخرى أقدر
كما قال تعالى : (وهو الذى بيد الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه) الآية (٢)
واذا كان ذلك كذلك فهو على اعادة الانسان أقدر كما قال تعالى : (أوليس
الذى خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم) أى يعيدهم بمسـ
إما تتهم فان سياق الكلام فى اثبات المماد وقد صرح بذلك فى آيات أوردت فى
إثبات المماد بناء على محض كمال صفة الخلق والملم كما تجد فيما أتبعه ههنا
فقال تعالى (: بلى وهو الخلاق المليم هـ انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له
كن فيكون فصبحان الذى بيده ملكوت كل شىء واليه ترجعون هـ) (٣) وهكذا قال
تعالى فى المماد : (انا كل شىء خلقناه بقدر وما أمرنا الا واحدة كلمح بالبصر) (٤)
وبالجطة ففى " انكم تنطقون لكم شهادة بينة على أن الرب تعالى أكبر قدرة على محضكم
منكم على اعادة ما نطقتم به هـ ثم هو أهون عليه هـ لئلا أنكم فى نطقكم محتاجون الى
أسباب جعلها الله لكم هـ وربما لا تقدرون على بعضها فتمجزون عنه هـ وربما
تنسون ما نطقتم به فلا تقدرون على اعادة كلاً أو بعضاً هـ وأما الرب تعالى فقد رتب
على النشأة الآخرة كقدرته على الأولى هـ وقد صرح ما ذكرنا فى مواضع مثلاً :
(أيعسب الانسان أن لن نجعل عظامه بلى قادرين على أن نسوي بنانه هـ) (٥)
وأيضاً : (ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون هـ) (٦) وأيضاً : (...) قال
من يحيى العظام وهو رميم هـ قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق
عليم هـ) (٧) وهذا كثير هـ وهذا الاستدلال لإثبات المماد على من أنكره لمحضى
الاستبصار فجوابهم ابطال ذلك .

(٢) النحل : ٢٤

(٤) القمر : ٤٩ - ٥٠

(٦) الواقعة : ٦٢

(١) النحل : ٤٠

(٣) يس : ٨١ - ٨٢

(٥) القيامة : ٣ - ٤

(٧) يس : ٧٩

(والوجه الثالث) :

ان النطق يرجع الى الناطق هـ والا لكان أصمّ والأصم لا يدّ أن يكون أخرس هـ
هـ واذا كان أمر النطق هكذا فالخلق منه تعالى أكبر وأعظم مثلا من نطق الانسان
كما مرّ فلا بدّ من رجوع الخلق الى الخالق وذلك لكمال ملكه هـ فان الخلق قائم بأمره
ولا يخرج عن ملكه وقدرته وطمه والى ذلك اشارة فى قوله تعالى : **وَالَّذِي**
خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ هـ وانما
أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون هـ فسبحان الذى بيده ملكوت كل شىء هـ
واليه ترجعون (^(١)) وعلى هذا فكيف يمكن أن يخلق الرب تعالى ولا يرجع اليه
كله هـ أينطق الرب ولا يسمع ويخلق ولا يرى أو يأتى بالخلق من العدم ثم يفسوت
من قبضته أو يدبره ثم لا يطك منه شيئا هـ تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا هـ

وهذا الاستدلال لافحام من يستبعد المعاد من جهة رجوع الممدوم كما
جاء ذكرهم فى قوله تعالى : **(أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ هـ قَسَدٌ**
طَمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ هـ) ^(٢) **وَأَيْضًا : (قَالُوا إِذَا مِتْنَا**
وَكُنَّا تُرَابًا وَمَعَاذَ آئِنَا لَبِئْسَ مَا لَدْنَا هـ لَقَدْ وَدَّعْنَا مَا رَبَّانَا هـ وَإِنَّا لَنَرَاهُ لَفِي هَدَدٍ
الِاسْتِدْلَالِ الْأَوَّلِينَ هـ قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ هـ سَيَقُولُونَ
لِلَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ هـ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْمَظِيمِ هـ سَيَقُولُونَ
لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ هـ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ هـ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنْتُمْ
تَعْلَمُونَ هـ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ هـ) ^(٣) **فانظر كيف أكد على كون الخلق**
فى ملكه بأن كله له وأنه ربه وان ملكوته بيده وأنه مجبره وحفيظه هـ وهذا الاستدلال
بالطك على إعادتهم كثير ولا حاجة الى الاستقصاء هـ

(١) يث ٨١ - ٨٣

(٢) سورة ق : ٣ - ٤

(٣) المؤمنون : ٨٢ - ٨٩

(والوجه الرابع) :

وهو الاستدلال بصفة الربوبية ومماثلتها بالنطق مع زيادة المدل وهو أصل الاستدلال وقد جاء في القرآن كثيرا على وجوهه والمدل داخل فسي الربوبية فان السماء والأرض قيامها بالمدل كما قال عز وجل : (ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن) الآية ه (١) فحمد ذكر السماء والأرض وآياتهما استدلال بالربوبية على الممداد وذكر مثل النطق فكانه قيل ه ان كل ما تفعلون وتمطون فبدأت من تدبير ونطق نفسى منكم ه وهذا تتازون من أشياء غير ذات نفس ناطقة ثم الرب تعالى حكيم عادل . فكلما ترون في السموات والأرض من عجائب الصنع والتقدير فهو دليل على تدبير وأمر من حكيم مدبر أمره . وذلك يدل دلالة ظاهرة على تقدير وغاية وحكمة ورحمة فذلك دليل على أنكم لم تخلقوا هشا ولا بد من ايضا كل ذى عمل حقه ليفرق بين المحسن والمسيء . وقد صرح بذلك في كثير من المواضع مثلا قوله تعالى : (أفحسبتم انما خلقناكم هشا وانكم الينا لا ترجعون ه) (٢) وقوله تعالى : (أفنجعل المسلمين كالمجرمين مالكم كيف تحكمون ه) (٣) وقوله تعالى : (وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا ه ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار ه أم نجعل السفين آمنوا وعطوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار ه) (٤) وهذا النمط كثير في القرآن وعلى وجوهه أصلها أن الحكمة والرحمة والمدل كل ذلك يستلزم الممداد ه وبالجملة فكانه قيل كما تنطقون عن فكر ومقصد فكذلك خلقت السماء والأرض والنفوس انما هو عن غاية يؤل اليها بل هذا أشبه وأظهر لكون الرب متصفا بكمال الحكمة والمدل ه وما ذكرنا تبين أن كل هذه الأدلة فيها

(١) المؤمنون : ٧١

(٢) المؤمنون : ١١٥

(٣) القلم : ٣٥ - ٣٦

(٤) سورة قصص : ٢٧ - ٢٨

الاستدلال بطريق الأولى وهذا لا يحيط بمعاني كلامه الا هو (١)

٣ - (سورة الطور) :

قال الله عز وجل : (والطور ه وكتاب مسطور ه في رق منشور ه والبيت الممور ه والسقف المرفوع والبحر المسجور ه ان عذاب ربك لواقع ه ماله من دافع) (٢)

قوله تعالى : (والطور) الطور بالسريانية الجبل (٣) والمراد به ههنا الجبل الذي كلم الله عليه نبيه وكليمه موسى عليه السلام وهذا ما ذهب اليه جمهور المفسرين من السلف والخلف (٤) وقد أقسم الله تعالى بالطور في قوله أيضا : (والتين وا لزيتون و طور سنين ه) (٥) وذكر القرآن الكريم هذه الكلمة في موضع آخر باسم (طور سينا) ففي سورة المؤمنون قال سبحانه : (وشجرة تخرج من طور سينا تنبت بالدهن وصيغ للأكين) (٦) وقيل هما طوران : يقال لأحد هما طور سينا وللآخر طور زيتا ه لأثهما ينبتان التين والزيتون ه وقيل ان الطور كل جبل ينبت وما لا ينبت فليس بطور ه (٧) وقوله : (وكتاب مسطور) : مسطور : مكتوب (في رق منشور) قيل هو القرآن العظيم ونكر لأنه كتاب مخصوص من بين سائر الكتب وقد أكثر الله سبحانه من الاقسام بالقرآن في كتابه ه

وقيل : التوراة وليس بيميد لذكره عقب الطور ه ولأن التوراة أنزلت مكتوبة في الألواح ه قال الجوهري : الرق بالفتح ما يكتب فيه ه وهو جلد رقيق ومنه قوله تعالى : (في رق منشور ه) (٨) وجمعه رقوق ه وأما الرق بالكسر فهو

-
- (١) أنظر التفاصيل في تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان للإمام عبد الحميد الفراهي ه (سورة الذاريات) ه (مخطوط)
- (٢) الطور ١ - ٨ (٣) فتح القدير ٩٤/٥ والصحاح ٢٢٧/٢
- (٤) الكشاف ٢٢/٤ وأضواء البيان ٦٨٣/٧ (٥) التين ١ - ٢
- (٦) المؤمنون ٢٠ (٧) فتح القدير ٩٤/٥ وابن كثير
- (٨) الصحاح للجوهري ١٤٨٣/٤ (رقق) ٢٣٩/٤

المطوك هـ (١) والشعور : المبسوط .

وقيل المراد به اللوح المحفوظ .

وقيل ماتكتبه الحفظة هـ قال الفراء وغيره هـ ومثله (ونخرج له يوم القيامة

كتابا يلقيه منشورا) (٢) وقوله : (واذنا الصحف نشرت) (٣)

قوله : (والبيت المعمور هـ والسقف المرفوع) :

(والبيت المعمور) : قال ابن كثير ثبت في الصحيحين أن رسول

الله صلى الله عليه وسلم قال في حديث الاسراء بعد مجاوزته الى السماء السابعة هـ

ثم رفع الى البيت المعمور واذنا هو يدخله كل يوم سبعون ألفا لا يعودون اليه

اخر ما عليهم * يعنى يتمددون فيه ويطوفون كما يطوف أهل الأرض بكمبتهم هـ

كذلك ذاك البيت المعمور هو كعبة أهل السماء السابعة هـ ولهذا وجد ابراهيم

الخليل عليه الصلاة والسلام سندا ظهره الى البيت المعمور لأنه بانى الكعبة

الأرضية هـ والجزء من جنس الصل وهو بحيال الكعبة وفى كل سما بيت يتمدد

فيه أهلها ويصلون اليه والذى فى السماء الدنيا يقال له بيت المزة هـ والله أعلم (٤)

وكذا قال غير واحد من السلف هـ

وقيل هو بيت الله الحرام هـ وهو معمور بالحجاج والمعار والطائفين به

والماكين والركع السجود هـ (٥)

وقيل المراد به هذه الأرض المعمورة هـ لأنه أقسم بمد ذلك بـ (السقف

المرفوع) وهو السماء عند جمهور المفسرين هـ سماها سقفا لكونها كالسقف

(١) مجاز القرآن لأبى عبيدة ٢٠ / ٢٣٠ (٢) الاسراء ١٣

(٣) التكويم ١٠ وانظر الفخر الرازى ٢٨ / ٢٣٩ والكشاف ٤ / ٢٢ وفتح القدير

٥ / ٩٤ وابن كثير ٤ / ٢٣٩ وأضواء البيان ٧ / ٦٨٣ ومعانى القرآن للفراء

٣ / ٩١

(٤) تفسير ابن كثير ٤ / ٢٣٩ (٥) الكشاف ٤ / ٢٢ وفتح القدير

٥ / ٩٤ والفخر الرازى ٢٨ / ٢٣٩

العرفوع للأرض ومنه قوله تعالى : (وجعلنا السماء سقفا محفوظا)^(١) والقسم
بالسما والأرض كثير في القرآن الكريم ه لما فيها من آيات بينات على ربوبيته
الله سبحانه ثم على حكمته من خلقه وهي الرحمة والعدل والجزاء ه وهو عندي
أرجح حلا لهذه الآية على نظائرها التي أقسم الله سبحانه فيها بالسما و
الأرض ه أولفت أنظار الناس الى كونها آيتين عظيمنتين من آيات الكبرى ه وهي
كثيرة: قوله سبحانه : (والبحر المسجور ه) :

اختلف في (المسجور) ه فقيل المطو ه هذا قول جميع أهل اللغة
قال الفراء : المسجور في كلام العرب المطو ه يقال سجرت الانا اذا ملأه^(٢)
وفي الفخر الرازي : هو المطو ماء المتوج ه^(٣)

وقيل الموقد ه من السجر : وهو ايقاد النار في التنوير ه ومنه قوله : (واذا
البحار سجرت)^(٤) وقد روي أن البحار تسجر يوم القيامة فتكون نارا ه^(٥)
وقيل أنه من أسماء الأضداد يقال : بحر مسجور أي مطو وحر مسجور
أي فارغ ه^(٦)

وقيل المسجور : المسوك ومنه ساجور الكلب ه لانه يسك ه^(٧)
واللمنى على هذا أنه محبوب بقدره الله أن يفيض على الأرض فيخرقها فان ذلك
مقتضى الطهيمه أن يكون الماء غامرا للأرض فوقها و كما أن الهواء فوق الماء ه ولكن
أسكه الذي يسك السموات والأرض أن تزولا ه وفي هذا حديث ذكره أحمد مرفوعا

-
- (١) الأنبياء : ٣٢ (٢) معاني الفراء ٩١/٣
(٣) الفخر الرازي ٢٣٩/٢٨ (٤) التكويم : ٦
(٥) الكشاف ٢٢/٤ - ٢٣ والفخر الرازي ٢٣٩/٢٨ وفتح القدير ٩٤/٥ والخازن
٢٤٩/٤ ومفردات الراغب ٢٢٩ - ٢٣٠ وأضواء البيان ٦٨٤/٧
(٦) التبيان لابن القيم ١٦٨، وفتح القدير ٩٤/٥

(ما من يوم الا والبحر يستأذن ربه أن يفرق بين آدم ه) (١)

قال ابن القيم : وانما اشتهرت أسلوب القرآن ونظمه ومفرداته رأيت اللفظة تدل على ذلك كله ه فان البحر محبوب بقدره الله ه ومطوء ما ه ويذهب ما ه يوم القيامة ويصير ناراً ه فكل من المفسرين أخذ معنى من هذه المعاني ه والله أعلم (١) وقوله (ان عذاب ربك لواقع) هو جواب القسم ه أى كائن لا محاولة لمن يستحقه . (ماله من دافع) يدفعه ويرده عن أهل النار ه وهذه الجملة خبر ثان لـ (ان) أو صفة (لواقع) ه

أقسم الله سبحانه بهذه الأمور على المماد والجزاء ووقوع العذاب . قال سبحانه فى سورة (الذاريات) : (وان الدين لواقع ه) (٢) وهو عام ه وههنا خصّ العذاب لكى ينتهبوا عن نوم غفلتهم . وفيما ذكر من الآيات الباهرة دلالة على الساعة ففى ذلك الطور والبحر المتلاطم دلالة على ما يقع فى القيامة ه وفى الأرض والسماء دلالة على أن المتصرف الوحيد فى هذا الكون هو الله سبحانه ثم فيما أنزله الله من الكتب دلالة على الجزاء لأنها أنزلت لقصد إقامة القسط كما قال الله عز وجل (لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتب والميزان ليقوم الناس بالقسط) (٣) وطلبه سبحانه القسط من الناس يلزم الجزاء

فان ما يرضاه لعباده كيف لا يرضاه لنفسه ه والله أعلم .

(١) التبيان ١٦٨ - ١٦٩ : والحديث فى مسند الامام أحمد ٤٣/١

(٢) الذاريات : ٦

(٣) الحديد : ٢٥

٤ - (سورة النجم) :-

قال الله عز وجل : (والنجم اذا هوى ، ماضل صاحبكم وما هوى . وما ينطق عن الهوى ، ان هو الا وهى يوهى ، علمه شديد القوى ، ذ ومرة فاستوى وهو — بالافق الاطى ، ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى ، فأوحى الى عبده ما أوحى ، ما كذب الفؤاد ما رأى ، أفتمارونه على ما يرى ، ولقد رآه نزلة أخرى ، عند سدرة المنتهى ، عندها جنة المأوى ، ان يخشى السدرة ما يخشى ، ما زاغ البصر وما طغى ، لقد رأى من آيات ربه الكبرى (١) .

اختلف العلماء فى المراد بالنجم فى هذه السورة الكريمة ، فقيل : أقسم بالقرآن اذا نزل نجما على رسوله ، روى ذلك عن ابن عباس ومجاهد (٢) واختاره الفراء فى معانيه (٣) ونقله ابن قتيبه فى تفسير غريب القرآن (٤)

وعلى هذا فسئى القرآن نجما لتفرقه فى النزول ، والمرب تسمى التفرق تنجما ، والمفرق نجما ، ونجوم الكتاب أقساطها ، وأصل هذا أن الرب كانت تجعل مطالع منازل القمر وساقطها مواقيت لحلول ديونها وأجالها ، فيقولون اذا طلع النجم - يريدون الثريا - حل عليك الدين .

ومنه قول زهير فى دية جملة نجوم على الماقل :

بنجمها قوم لقوم فرامة ولم يهرقوا بينهم ط * معجم (٥)

ثم جعل كل تنجيم تفرقا وان لم يكن موقتا بطلوع النجم ، ومعنى (هوى)

-
- (١) سورة النجم ١ - ١٨
(٢) تفسير الطبرى ٢٧/٢٤ - ٢٥ تفسير ابن كثير ٤/٢٤٦ والدر المنثور ٦/١٣٢
(٣) معانى القرآن للفراء ٣/١٩٤
(٤) تفسير غريب القرآن ص ٤٢٧
(٥) ديوان زهير بن أبى سلى ص ٧٠

على هذا القول أنه نزل من أعلى إلى أسفل ه (١)

والى هذا المعنى جنح الشنقيطي ه قال : أظهر الأقوال عندى وأقربها للصواب فى نظرى ه أن المراد " بالنجم اذا هوى " هنا و" بمواقع النجوم " نفسى الواقعة هونجوم القرآن التى نزل بها الطك نجما منجما ه وذلك لأمرين :

(أهدهما) : أن هذا الذى أقسم الله عليه بالنجم اذا هوى ه هو أن النبى صلى الله عليه وسلم على حق وانه ماضل وما غوى وما ينطق عن الهوى ه ان هو الا وهى يوحى ه موافق فى المعنى لما أقسم عليه بمواقع النجوم وهو قوله : (انه لقران كريم فى كتاب مكنون - الى قوله - تنزيل من رب العالمين) (٢)

والإقسام بالقران على صحة رسالة النبى صلى الله عليه وسلم وعلى صدق القرآن العظيم وانه منزل من عند الله جاء موضعا فى آيات من كتاب الله ه كقوله تعالى : (يقران القرآن الحكيم انك لمن المرسلين على صراط مستقيم تنسيز المميز الرحيم ه) (٣) وقوله : (حم والكتاب المبين ه انا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون ه وانه فى أم الكتاب لدينا لعلى حكيم ه) (٤)

وغير ما يفسره القرآن ه

(والثانى) : أن كون المقسم به المبرع به بالنجوم هو القرآن العظيم أنسب لقوله بعمده (وانه لقسم لو تعلمون عظيم) (٥) لأن هذا التعظيم مسن الله يدل على أن هذا المقسم به فى غاية العظمة ه ولا شك أن القرآن الذى هو كلام الله أنسب من نجوم السماء ونجم الأرض ه والعلم عنسند

-
- (١) التبيان لابن القيم ص ١٥٢ وانظر ايضا : الصحاح ٢٠٣٩/٥
(٢) الواقعة ٧٧ - ٨٠
(٣) سورة يقران ١ - ٤
(٤) الزخرف ١ - ٤
(٥) الواقعة ٧٦

(١) الله تعالى

وقيل النجم هنا هو الزهرة ه لأن قوما من العرب كانوا يعبدون بها . وقيل
النجم هنا النبات الذي لا ساق له كما في قوله (والنجم والشجر يسجدان) (٢)
قاله الأخفش ه وقيل النجم محمد صلى الله عليه وسلم . (٣)

وقال جماعة من المفسرين : التمرير للجنس والمراد به جنس النجوم ه
وعليه فهو من اطلاق المفرد وارادة الجمع ه

وقيل : اللام لتمرير المصهد ه والمراد به الثريا ه وهو اسم غلب فيهما
ه فلا تكاد العرب تطلق لفظ النجم مجردا الا عليها (٤) ومنه قول النابغة
الذبياني :

أقول والنجم قد مالت أو اخره الى المغيب تثبت نظرة حار (٥)

فقوله والنجم يعنى الثريا ه

قال مجاهد في الآية : يعنى بالنجم الثريا اذا سقطت مع الفجره وكذا
روى عن ابن عباس وسفيان الثوري واختاره ابن جرير ه (٦)

وعلى هذا فمضى (هوى النجم) سقوطه من علوه ه يقال هوى النجم

يهوى هويا : اذا سقط من علوه الى أسفل ه وقيل طلوعه وقيل غروبه (٧) وهذان

القولان الأخيران لهما اتجاه صحيح كما سيأتى ه الا على قول من قال انه

(١) أضواء البيان ٧/٢٠٠ - ٢٠١

(٢) سورة الرحمن: ٦

(٣) الفخر الرازى ٢٨/٢٧٩ وفتح القدير ٥/١٠٤ - ١٠٥

(٤) الكشاف ٤/٢٧٩ والفخر الرازى ٢٨/٢٧٩ وفتح القدير ٥/١٠٥

(٥) ديوان النابغة ص ٣٥ (والبيت من مملقته) تحقيق فوزى عطوى .

(٦) تفسير الطبرى ٢٧/٢٤ - ٢٥ وابن كثير ٤/٢٤٦

(٧) الصحاح للجوهري ٦/٢٥٣٨

الشجر الذي لاساق له أو انه محمد صلى الله عليه وسلم فلا يظهر للبهوى معنى صحيح .

وقد رجح ابن القيم القول بأن المراد بالنجم : النجوم التي ترى بها الشياطين اذا سقطت في آثارها عند استراق السمع ، وهو قول ابن عباس فسى رواية عكره ، والحسن .

قال رحمه الله : قد أقسم الله سبحانه بهذه الآية الظاهرة المشاهدة التي نصبها الله سبحانه آية وحفظا للوحي من استراق الشياطين له على أن ما أتى به رسوله حق وصدق ، لا سبيل للشيطان ولا طريق له اليه ، بل قسم أحرس بالنجم اذا هوى رصدا بين يدي الوحي وحرسا له ، وعلى هذا فالارتباط بين المقسم به والمقسم عليه في غاية الظهور ، وفي القسم به دليل على المقسم عليه ، وليس بالبين تسمية القرآن عند نزوله بالنجم اذا هوى ، ولا تسمية نزوله هويا ، ولا عهد في القرآن ذلك فيحمل هذا اللفظ عليه ، وليس بالبين تخصيص هذا القسم بالثريا وحدها اذا غابت وليس بالبين أيضا القسم بالنجوم عند انتشارها يوم القيامة ، بل هذا ما يقسم الرب عليه ويدل عليه آياته ، فلا يجعله نفسه دليلا لعدم ظهوره للمخاطبين ، ولا سيما أنكروا البعث ، فانه سبحانه انما استدل بما لا يمكن جمده ولا المكابرة فيه ، فأظهر الأقوال قول الحسن ، والله أعلم .

وبين المقسم به والمقسم عليه من التناسب ما لا يخفى ، فان النجوم التي ترى الشياطين آيات من آيات الله ، يحفظ بها دينه ووحيه وآياته المنزلة على رسوله ، بها ظهر دينه وشرعه وأسمائه وصفاته ، وجعلت هذه النجوم المشاهدة خدما وحرسا لهذه النجوم الهاوية (١)

(١) التبيان لابن القيم ص ١٥٣

والقول الثاني أن المراد بالنجم الثريا ه فهو أظهر النجوم عند الرأسي لأن له علامة لا يلتبس بغيره في السماء ه ويظهر لكل أحد ه فأقسم سبحانه بذلك على صدق رسوله عليه السلام وعلى رؤيته جبريل عليه السلام نازلاً متدلهاً بالأفق المبين وطقبه الوحي منه على يقظة الفؤاد والبصر ه

قال الفراهي : القسم بالنجم على رؤية جبريل عليه السلام أقرب آية لمن تفكر ه فان ذا البصر لا يتماهى في رؤية النجوم الزاهرة ه ومنها الثريا ه فكيف صاحب البصيرة الكاطبة ه فانه لا يبعد أن يرى النجم الزاهر المعنوي ذي قوة شديدة صاحب مكانة عند الله مطاع وممتد عليه ومن رأى النجم أتاه نور ه فمن رأى الروح لا بد أن يستضيء بنوره ه وهو قوله سبحانه (وما ينطق عن الهوى ه ان هو الا وحي يوحى ه) (١) أى ما ينطق صاحبكم من قبل نفسه تابعاً لهواه ه بل هو وحي يوحى اليه من ربه بتوسط الروح ه وقد تجلى الروح على النبي صلى الله عليه وسلم ه ودنا منه فألقى الى العبد المصطنع ما أوحى الرب ه فلا مجال للمراء ه فأما الروح فهو كريم بنفسه فمحال أن يكذب ه وذو قوة فلا ينسى وذو مكانة عند الطك فخري بالأمانة وأرفع عن الريب ه وممتد عليه بالصدق من قبل المباد فيطاع ه ومن قبل الرب فجعل أميناً ه أما النبي فتجلى عليه الروح بالأفق المبين ه وراه مرتين ه وما زاغ البصر وما طفى ه وصدق الفؤاد بما رأى واطمأن به ه ولم تكن الرؤية من بعد ه فمرة كان أدنى من قباب قوسين ومرة أخرى قد غشى السدرة والنبي عند السدرة ه فأما البصر فلم يزعج وأما الفؤاد فلم يكذب ه وأما المكان فكتب وأما الأفق فمبين ه وأما المرة فاشتتات ه وأما المرسل فكريم النفس شديد القوى ومكين المكان ومطاع الأمر وأمين الرسالة ه (٢)

أفبعد هذا كله هل يبقى مجال للشك أو المارة في صدقه أو عذري جهمود

(١) سورة النجم ٣ - ٤

(٢) مذكرات القرآن للفراهي ه سورة النجم (مخطوط)

ما أتى به من عند ربه ۞

وكلا القولين أعنى أن اللام في (النجم) لتعريف المهيد أو لتعريف
الجنس في غاية من الوجاهة والجمال كما مرّ تفصيل ذلك ۞ يتمذر الترجيح في
مثل هذه الحال ۞

وقوله سبحانه : (ما ضلّ صاحبكم وما غوى) قال البيضاوي : ما عدل
محمد عن الطريق المستقيم وما اعتقد باطلا ۞ (١)

وقال ابن كثير : الضال هو الجاهل الذي يسلك على غير طريق بنعيم
علم ۞ والغاوى هو العالم بالحق العادل عنه قصدا إلى غيره ۞ (٢) وهذا
الفرق أقرب إلى الصواب ۞ والله أعلم ۞

وقال الشنقيطي : إن لفظ الضلال يطلق في القرآن وفي اللغة العربية
ثلاثة اطلاقات :

(الأول) : الضلال بمعنى الذهاب عن طريق الحق إلى طريق الباطل ۞ كالذهاب
عن الإسلام إلى الكفر ۞ وهذا أكثر استعمالاته في القرآن ۞ ومنه قوله
تمالئ : (غير المفضوب عليهم ولا الضالين) (٣) وقوله : (ولا تتبموا
أهواء قوم قد ضلوا من قبل ۞ وأضلوا كثيرا ۞ وضلوا عن سواء السبيل ۞) (٤)

(الثاني) : هو اطلاق الضلال على الهلاك والاضمحلال والفيضية ۞ ومنه
قرآن : ضل السمن في الطعام ۞ . . . إذا غاب فيه واضمحلت ۞

(١) تفسير البيضاوي ص ٦٩٧

(٢) تفسير ابن كثير ٤/٢٤٦ - ٢٤٧

(٣) سورة الفاتحة : ٧

(٤) المائدة : ٧٧

ومنه بهذا المعنى قوله تعالى (وذل عنهم ما كانوا يفترون)^(١) أى غاب
واضمحل ه وقوله فى الكهف : (الذين ذل سميهم فى الحيوة الدنيا)^(٢)
أى بطل واضمحل ه ومن هنا سمى المرب الدفن فى القبر اضمحلالا ه
لأن المدفون تأكله الأرض فيفنى فيها ويضمحل ه . ومن اطلاق الضلال على
الدفن قول النابغة ذبيان^(٣)

فآب مزلوه بعين جليمة
وفودر بالجولان حرم ونائل
فقوله : (مزلوه) : يعنى دافنيه فى قبره ه ومن هذا المعنى قولسه
تعالى : (قالوا أئذا ضللنا فى الأرض أئنا لفي خلق جديد)^(٤) يعنون
إذا دفنوا وأكلتهم الأرض فضلوا فيها أى غابوا واضمحلوا ه

(والثالث) : يطلق الضلال مرادا به الذهاب عن حقيقة الشىء ه فتقول المرب
فى كل من ذهب عن علم حقيقة شىء ضل عنه ه وهذا الضلال ذهب عن
علم شىء ما ه وليس من الضلال فى الدين ه

ومن هذا المعنى قول الله سبحانه فى الشعراء : (قال فعلتسما اذا
وأنا من الضالين ه)^(٥) أى من الذاهبين عن علم حقيقة العلوم ه والأسرار
التى لا تعلم الا عن طريق الوحي ه لأنى فى ذلك الوقت لم يوح الى ه ومنه طسى
التحقيق : (ووجدك ضالا فهدى ه)^(٦) أى ذاهبا عما طلك من العلوم
التى لا تدرك الا بالوحي ه ومنه على التحقيق قوله سبحانه عن أولاد يعقوب (ان
أبانا لفي ضلال مبين)^(٧) وقوله : (قالوا تالله انك لفي ضلالك القديم)^(٨)

-
- (١) هود : ٢١ ه والنحل : ٨٧ (٢) الكهف : ١٠٤
(٣) ديوان النابغة الذبياني صنعة ابن السكيت ص ١١٩ (دار الفكر)
(٤) سورة السجدة : ١٠ (٥) الشعراء : ٢٠
(٦) الضحى : ٧ (٧) يوسف : ٨
(٨) يوسف : ٩٥

أى ذهابك عن العلم بحقيقة أمر يوسف ومن أجل ذلك تطمع في رجوعه إليك .
وذلك لا يطمع فيه . على أظهر التفسيرات . ومن هذا المعنى قوله تعالى : (قال
علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى) ^(١) فقوله (لا يضل) أى لا يذهب
عنه علم شيء كائنا ما كان . وقوله تعالى : (فان لم يكونا رجلين فرجل وأمرأتان
فمن ترضون من الشهداء أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى) ^(٢) فقوله :
(أن تضل إحداهما) : أى تذهب عن علم حقيقة المشهود به بدليل قوله بصدده
(فتذكر إحداهما الأخرى) ^(٣)

والإطلاق الثالث هو الذى يليق بذات الرسول صلى الله عليه وسلم كما أشار
إليه ابن كثير أيضا . وقال الزمخشري : الضلال نقيض الهدى . والغى نقيض الرشد
. أى هو مهتد راشد وليس كما تزعمون من نسبتكم إياه إلى الضلال والغى . ^(٤)

وتأمل كيف قال سبحانه (ماضل صاحبكم) ولم يقل ماضل محمد . تأكيداً
لإقامة الحجة عليهم بأنه صاحبهم . وهم أطم الخلق به . بحاله وأقواله وأعماله . وأنهم
لا يعرفونه بكذب ولا غي ولا ضلال . ولا ينتقمون عليه أسرا واحدا قط . وقد نبه على هذا
المعنى بقوله : (أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون) ^(٥) وقوله : (وما صاحبكم
بمجنون .) ^(٦)

(وما ينطق عن الهوى) أى وما أتاكم به من القرآن ليس بمنطق يصدر عن هواه
ورأيه وإنما هو وحي من عند الله يوحى إليه . وقوله (وما ينطق عن الهوى) خصاص

-
- (١) سورة طه : ٥٢
(٢) البقرة : ٢٨٢
(٣) أضواء البيان ٤/١٩٢ - ١٩٤ هـ ٦/٣٧١ - ٣٧٣
(٤) الكشاف : ٢٨/٤
(٥) المؤمنون : ٦٩
(٦) التكويم : ٢٢ وانظر التبيان لابن القيم ص ١٥٤

ههنا بأمر القرآن كما قال : (ان هو (أى المنطوق) الا وحي يوحى ه). فأما سائر كلامه فلا ذكر له فى هذه الآية ه وأما فى نفس الأمر فما ينطق الرسول عمن هوى النفس أبدا ه ولكنه ربما يخطأ ه فان الله تعالى (يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا) (١) فلا بد أن ينبه ان سها أو نسي أو أفرط لفرط الشغف بالأمة والرافة بهم ه (٢)

وقوله : (يوحى) : صفة لوهى تفيد الاستمرار التجددى ه وتفيد نفسى المجاز ه أى هو وحي حقيقة لا لمجرد التسمية ه (٣)

ثم أخبر تعالى عن وصف من علم الوحي والقرآن ه مما يعلم أنه ضلساد لأوصاف الشيطان معلم الضلال والفواية ه فقال (علمه شديد القوى) (٤) وهذا نظير قوله (ذى قوة عند ذى المرش مكين) (٥)

وقوله (ذومرة) أى ذو حصافة فى عقله ورأيه ومثانة فى دينه (٦) وقال ابن القيم : جميل المنظر حسن الصورة ه ذو جلاله ه وهذا تعديل لسلسند الوحي والنبوة وتزكية له ه كما تقدم نظيره فى سورة التكوير ه فوصفه بالعلم والقوة وجمال المنظر وجلالته ه

ثم ذكر استواء هذا المعلم بالأفق الأعلى ه ودنوه وتدليه وقربه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وإيحائه ما أوحى الله به إليه ه فصور سبحانه لأهليل الايمان صورة الحال من نزول جبريل من عنده الى أن أستوى بالأفق ه ثم

-
- (١) سورة الجن ٢٢
 - (٢) مذكرات القرآن للفراهى : سورة النجم (مخطوط)
 - (٣) فتح القدير ١٠٥/٥
 - (٤) النجم : ٥
 - (٥) التكوير : ٢٠
 - (٦) الكشاف ٢٨/٤

دنا وتدلى وقرب من رسوله ه فأوحى اليهما أمره الله بما يحاكه حتى كأنهم يشاهدون صورة الحال ويحامينوها هابطا من السماء الى أن صار بالأفق الأعلى ه مستويها عليه ه ثم نزل وقرب من محمد صلى الله عليه وسلم وخاطبه بما أمره الله به ه وأخبر سبحانه عن صافية هذا القرب بأنه قدر قوسين أو أدنى من ذلك وليس هذا على وجه الشك بل تحقيق لقدرة الصافية ه وأنها لا تزيد عن قوسين ألبتة ه وهذا المعنى أحسن وألطف وأدق من قول من جعل (أو) في هذا الموضع بمعنى (بل) ومن قول من جعلها للشك بالنسبة الى الرثى ه وقول من جعلها بمعنى الواو (١)

وفي هذه العرة ظهر جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم كاملا على صورة نفسه الحقيقية دون الصورة التي كان يتمثل بها كلما هبط بالوحي ه وكان ينزل في صورة دحية الكلبي ه ورآه النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الصورة مرتين مرة في الأرض ومرة في السماء ه

قوله : (وهو بالأفق الأعلى) والأفق الأعلى هو المبين المذكور في سورة التكويد (ولقد رآه بالأفق المبين) (٢) وذلك لأن أعلى الجوّ أقل غيرة فيكون مبينا ه

(ثم دنا فتدلى ه فكان قاب قوسين) أي مقدار قوسين (أو أدنى) (فأوحى الى عبده ما أوحى) وفيه تفخيم للوحي الذي أوحى اليه ه وقد فسروا المراد بالوحي في هذه الآية بتفاسير هي الى الظن أقرب ه والحمل على الابهام أولى لما فيه من التمظيم ه

ثم أخبر سبحانه عن تصديق فؤاده لما رآته عيناه وأن القلب صدق العين وليس كمن رأى شيئا على خلاف ما هو به ه فكذب حمرّاده بصره ه بل ما رآه ببصره

(١) التبيان لابن القيم ص ١٥٢

(٢) التكويد : ٢٣

صدقه الفؤاد وعلم أنه كذلك ه فقال (ما كذب الفؤاد ما رأى)^(١) و (ما)
أما تكون مصدرية ه فيكون المعنى : ما كذب فؤاده رؤيته ه واما أن تكون
موصولة ه فيكون المعنى : ما كذب الفؤاد الذى رآه بعينه ه وعلى التقديرين
فهو اخبار عن تطابق رؤية القلب لرؤية البصر ه وتوافقها وتصديق كل منهما
بصاحبه ه

ثم أنكر سبحانه عليهم مكابرتهم ~~م~~ على ما رآه ه كما ينكر على
الجاهل مكابرتة للمالم وما رآته له على ما علمه ه^(٢) فقال (أفتمارونه على
ما يرى) من المراء وهو الملاحاة والمجادلة ه

ثم أخبر سبحانه عن رؤيته لجبريل عليه السلام مرة أخرى عند سدرة
المنتهى ه فالمرّة الأولى كانت دون السماء بالأفق الأعلى ه والثانية كانت فوق

(١) (ما كذب) قرأ هشام بتشديد الذال والباءين تخفيفها والمعنى واحد ه

(النشر ٣٧٩ / ٢ والكشف ٢٩٤ / ٢ - ٢٩٥) .

(٢) التبيان ص ١٥٧ - ١٥٨ ه وقوله (أفتمارونه فيه قراءتان : أفتمارونه

وأفتمرونه ه فمن قرأ بفتح التاء حطه على (مرى يمرى) اذا جهد

فتقديره أفتجدون على ما يرى ه ان كان شأن المشركين

الجهود لما يأتيهم بسنة محمد صلى الله عليه وسلم

ه ومن قرأ بضم التاء حطه على (مارى يمارى) اذا جادل

وكابر ه لأن (تمارون) يتعدى بـ (على) ولا يتعمد

(جهد) بـ (على) فالألف أليق به لدخول (على)

بعده ه فالمعنى : أفتجادلونه فيما علمه ورآه كما

قال : (يجادلونك فى الحق) : الأنضال ٦) ه وقصد

تواترت الأخبار بمجادلة قريش النبي صلى الله عليه وسلم فى أمر الاسراء

والقراءتان متداخلتان ه لأن من جادل فى ابطال شئ فقد جهده ه

ومن جهد شيئاً جادل فى ابطاله ه (الكشف ٢٩٤ / ٢ - ٢٩٥)

السما عند سدرۃ المنتهى (١) فقال (ولقد رآه نزله أخرى ، عند سدرۃ المنتهى)
وهذه السدرۃ هى فى السما السادسة كما فى الصحيح ، وروى أنها فى السما
السابعة ، (والمنتهى) مكان الانتهاء ، وقيل اليها ينتهى علم الخلائق ولا يعلم
أحد منهم ما وراءها ، وقيل غير ذلك ،

وقوله (عندها جنة المأوى) أى عند تلك السدرۃ جنة تعرف بجنة المأوى
، (ان يفضى السدرۃ ما يفضى) : هو تعظيم وتكثير لما يفضاها ، فقد طسم
بهذه العبارة أن ما يفضاها من الخلائق الدالة على عظمة الله وجلاله أشيئا
لا يكتننها النعت ولا يحيط به الوصف ،

وقوله تعالى : (ما زاغ البصر وما طغى) أى ما زاغ بصر رسول الله صلى الله
عليه وسلم يمينا ولا شمالا ولا جاوز ما أمر برؤيته ، فنفى عن نبيه ما يعرض للرأى السدى
لا أدب له بين يدي الطوك والمظالم من التفاته يمينا وشمالا ومجاوزه بصره لطاين
يديه ، وأخبر عنه بكمال الأدب فى ذلك المقام وفى تلك الحضرة ان لم يلتفت جانبها ،

(١) وقد صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه رأى جبريل عليه السلام على صورته التى
خلق عليها مرتين كما فى الصحيحين عن زرين هبش أنه سئل عن قوله
تعالى (فكان قاب قوسين أو أدنى) قال : أخبرنى ابن سمود أن النبى
صلى الله عليه وسلم رأى جبريل له ستائة جناح ، وفى الصحيحين أيضا
عن عبد الله بن سمود (ما كذب القواد ما رأى) قال : رأى جبريل
فى صورته له ستائة جناح ، وقال البخارى عنه : رأى رفرقا أخضر
يسد الأفق وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة (ولقد رآه نزلة أخرى)
قال : رأى جبريل عليه السلام ، أنظر صحيح البخارى ، كتاب بسد
الخلق ، باب اذا قال أحدكم آمين واللائكة فى السما فوافقت احداهما
الأخرى غفر له ماتقدم من ذنبه ، ١٤٠ / ٤ ، وكتاب التفسير باب فكسان
قاب قوسين أو أدنى ، ١٧٦ / ٦ ، وصحيح مسلم كتاب الايمان ، باب فى ذكر
سدرۃ المنتهى حديث ١٧٤ ، ١٧٧

ولم يمد بصره الى غير ما أرى من الآيات ه وما هناك من المعجائب ه بل قام مقسام
العبد الذى أوجب أدبه اطراقه واقباله على ما أرى دون التفاتة الى غيره ه ودون
تظلمه الى مالم يره مع ما فى ذلك من ثبات الجأش وسكون القلب وطمانينته
ه وهذا غاية الكمال ه (١)

وقوله : (لقد رأى من آيات ربه الكبرى ه) أى والله لقد رأى تلك الليلة
من آيات ربه المظلم ومن عجائب ملكوت الله ما لا يحيط به الوصف ه رأى كل هذا
مثل ماترون الثريا لا تضامون فى رؤيته ولا يلتبس عليكم غيره ه فلماذا لا تقيسون رؤيته
لهذه الأمور الممنوية وهو صاحب بصيرة على رؤيتكم لأمر مادية ه وكيف تمارونه
على هذه الرؤية وما أخبر عنها وهو صاحبكم وأنتم أعلم الخلق به بحاله وأقواله
وأعماله ه وقد شهدتم له بالصدق والأمانة قبل أن يأتيكم بنبا الرسالة ه والله أعلم.

٥ - (سورة الواقعة) :

قال الله عز وجل : (فلا أقسم بمواقع^(١) النجوم ه وانه لقسم لو تعلمون
عظيم ه انه لقرآن كريم ه في كتاب مكنون ه لا يسه الا المطهرون ه تنزيل ممن
رب العالمين ه)^(٢)

من الظواهر الأسطورية في البيان القرآني مجيء فعل القسم بعد (لا)
كما في الآية المذكورة ه ونرى أن (لا) قد وقعت قبل فعل القسم مقترنة بالفاء
في خمس آيات^(٣) ومجموعة منها في آيتين وهما اللتان وردتا في مفتتح سورتي
القيامة والبلد ه

وقد كثر كلام الملماء في تأويل (لا) وتوجيه القسم بعدها ه ولكن الأقوال
على اختلافها تؤول الى مذهبين :
(الأول) : أنها لتعني القسم ه
(والثاني) : أن استخدام (لا) قبل القسم ليست لنفسه ه وإنما هو أسلوب ممن
أساليب الكلام عند العرب ه

وسأتناول هذين المذهبين بالدراسة والتحقيق ه

(المذهب الأول) : قيل أنها نافية^(٤) . ثم اختلفوا في تأويل التعني بها ه
منهم من قال انها تنفي شيئاً تقدم في سورة أخرى ه ففي آية القيامة أنكر المشركون
البعث فقيل لهم : لا ليس الأمر كذلك ه ثم استوفى المقسم ه (أقسم) ه ووجهه

(١) قرأ حمزه والكسائي (بموقع) بالتوحيد من غير ألف ه لأنه مصدر يدل
على القليل والتثنية ه فلم يحتاج الى جمع ه وقرأ الهاقون بالجمع على
المعنى ه لأن مواقع النجوم كثيرة ه (النشر ٢ / ٣٨٣) والكشف لكسائي
بن أبي طالب ٣٠٦٢

(٢) الواقعة ٧٥ - ٨٠

(٣) وهي السورة المذكورة والهاقة ٣٨ - ٤٠ والممارج ٤٠ - ٤١ والتكوير ١٥ -
١٩ والانشقاق ١٦ - ١٩ .

(٤) انظر الكشاف ٤ / ١٦٣ وتفسير الفخر الرازي ٨ / ٢٧٧ والمكبري ٢ / ٢٧٤
ومفني اللبيب ١ / ٢٤٩ وتفسير أبي السعود ٥ / ١٣٤

هذا التأويل عندهم أن القرآن كله كالسورة الواحدة ، ولهذا يذكر الشئ " فسي
سورة وجوابه في سورة أخرى ، مثل قوله سبحانه : (ما أنت بنعمة ربك بمجنون)^(١)
ردا على ما في سورة أخرى : (وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر انك
لمجنون)^(٢) وردّ بأنه لا يجوز ، لأن في ذلك حذف اسم (لا) وخبرها وليمن
جوابا لسائل يسأل فيحتمل ذلك ،^(٣)

ونذهب بعضهم الى أنها تنفي الفعل (أقسم) وذلك على أن يكون
اخبارا لا انشا ، على تقدير أن القسم به يستحق ا عظاما فوق القسم ، واختصاره
الزمخشري^(٤) لأن (لا) وقعت أول الكلام والصلة لا تكون كذلك ، فالنفي لتعظيم
القسم به .

وقيل ان التعظيم المستفاد من النفي متسلط على القسم عليه ، فكان -

المعنى : لا أقسم بهذه الأشياء على اثبات المطلوب ، فانه أعظم من أن يقسم
عليه . وضعفه أبو السعود ، لأن تعيين القسم به يرد ذلك ،^(٥) فان قوله
سبحانه (وانه لقسم لم تعلمون) تأكيد على أن ههنا قسما مثبتا .

(المذهب الثاني) : انها زائدة ، وهذا قول عامة المفسرين ، كما ذهب اليه
كثير من النحاة ، على خلاف ذلك في فائدتها ، فمنهم من قال : انها زهدت
لمجرد التأكيد وتقوية الكلام ، ونظيره آية الحديد : (لعل يعلم أهل الكتاب)
الآية^(٦) وردّ بأنها لا تزداد لذلك في صدر الكلام ، لأن زيادة الحرف تسدل
على اطراجه ، وكونه في أول الكلام يدل على قوة المنية به فلا يجوز أن يكون

-
- | | |
|-----|---------------------------------------|
| (١) | القطم ٢ |
| (٢) | البحر المحيط ٢١٣/٨ |
| (٤) | انكشاف ١٦٣/٤ ومفني اللبيب ٢٤٨/١ - ٢٤٩ |
| (٥) | تفسير أبي السعود ١٣٤/٥ |
| (٦) | الحديد ٢٩ |

مطرحا معنيا به في حالة واحدة ه وانا قبح الجمع بينهما لم يجوز أن تجمل
(لا) في هذه الآية زائدة ه

وفرق ابن الشجري بين (لا) اذا كانت أول الكلام نحو (لا أقسم)

وبين وقوعها أثناء الكلام وذلك اذا تقدمت الفاء عليها نحو (فلا أقسم) ، ففي
الأول تحتل أوجها وفي الثاني لا تكون الا زائدة للتأكيد ه (١)

ومنهم من قال : انها زيدت توطئة وتمهيدا لنفي الجواب محذوفا

ه وتقديره في آية القيامة : (لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس

اللواة) لا يتركون سدى ه ورد هذا التأويل بأنه لا وجه لتقدير جوابه والجواب

صريح مثبت في مثل آيات : (فلا أقسم برب المشارق والمغرب انا لقسادرون)^(٢)
(ولا أقسم بهذا البلد ثم قال لقد خلقنا الانسان في كبد)^(٣)

(وقول ثالث) انها ليست نافية ولا زائدة وانما هي لام الابتداء ه

أشبهت فتحتها فتولدت عنها ألف ه كقول الشاعر : أعوذ بالله من المقرب ه
وهو ضعيف لأن لام الابتداء لا تدخل على الفعل .^(٤)

والصواب ما ذهب اليه الفراء والزمانى وابن الشجري والفراهي^(٥)

وغيرهم أن (لا) في قوله تعالى : (لا أقسم) منفصلة ه وان استخدام (لا) قبل

القسم انما هو أسلوب من أساليب الكلام عند العرب يقصد به الرد على كسلام

(١) الأمل الشجرية ٢٢٢/٢ وانظر تفصيل القولين في بيان اعجاز القرآن
لأبي سليمان الخطابي ٦٠-٦٤ وأعراب القرآن للنحاس ٣/٥٠١ ه ٥٥١ -
٥٥٢ ودفع ايها الاضطراب للشنقيطى ٣٢١ - ٣٢٩ والاعجاز البيانى
للقرآن لبنت الشاطى ص ٢٥٩ - ٢٦٤ ودراسات في الأدوات النحوية
ه د . مصطفى النحاس ٧٥ - ٩٧

(٢) المعارج ٤٠ (٣) البلد ١ - ٤

(٤) وانظر أسباب تضعيف الزمخشري لهذا القول في الكشاف ٦١/٤

(٥) معانى الفراء ٣/٢٠٧ ومعانى الحروف للزمانى ص ٨٤ والأمل الشجرية
٢١٩/٢ - ٢٢٦ وتفسير نظام القرآن للفراهي سورة القيامة (مخطوط)

سابق ه وأن (لا) في مثل هذه الأساليب ينطق بها وحدها وتكون بذاتها
جملة مستقلة ه فكأنه قيل : لا ليس الأمر على ما تقولتموه من انكاركم ليوم القيامة
أو باطل ما يحسب الانسان أن لا بعث وجزا * ه فالقول بزيادة (لا) خطأ من جهتين ه
احدهما : أن الزائدة لا يبتدأ بها ه والأخرى : أن (لا) إنما تزداد في النفي
ه والقول بأنها متصلة سقيم لضمف المعنى ولتصريح القرآن بخلافه حيث قال :
(فلا أقسم بمواقع النجوم ه وأنه لقسم لو تعلمون عظيم ه) (١)

وهذا الأسلوب شائع في كلامهم إذا أرادوا شدة الانكار لظن سابق ه
لأن في تقديم (لا) دلالة على أن الكلام جواب وردّ لما قيل من قبل ه وعلى أن
الانكار به لا يحتمل مكا ه فان القسم عادته الابتداء ه وإنما قدمت عليه كلمة
الانكار لشدة الاعتناء به ه والقسم على الأكثر تأكيد الاثبات ه فإذا كان الانكار
ينبغي أن يصدر الكلام بالنفي ه ولذلك قالوا : (لا والله) وان قيل (والله لا) كان
ضعيفا ه ومنه قول امرئ القيس (٢)

فلا وأبيك ابنة العاصري لا يدعى القوم أنني أفر

وقول أبي تمام (٣)

فلا والله ما في الميش خير ولا الدنيا إذا ذهب الحياء

وأعود الى تفسير الآيات فاختلفنا في النجوم التي أقسم الله بمواقفها

فقيل : هي آيات القرآن ه ومواقفها نزولها شيئا بعد شيء ه

وقيل : النجوم هي الكواكب ومواقفها مساقطها عند غروبها ه

(١) الواقعة ٧٥ - ٧٦

(٢) ديوان امرئ القيس ص ١٠٩ (دار صادر)

(٣) ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي باب الهجاء ٢٩٧/٤ وأبو تمام

هو حبيب بن أوس بن الحارث الطائي ه الشاعر الأديب أهد أمراء

البيان . (١٨٨ - ٢٣١ ه) أنظر الأعلام : ١٦٥/٢

وقيل : مواقعها انتشارها وانكدارها يوم القيامة .

والقول الثاني أرجح ، لأن الرب سبحانه يقسم بالنجوم وطلوعها وجرانها وغروبها ، إذ فيها وفي أحوالها الثلاث آية وعبرة ودلالة ، ويرجح هذا القول أيضا أن النجوم حيث وقعت في القرآن فالمراد منها الكواكب ، أي ان في مواقع النجوم دلالة عظيمة وشهادة كبيرة على كرامة هذا القرآن وعظمته ، فصرح بمظمة القسم والمقسم عليه لا بمظمة المقسم به .

والمقسم عليه ههنا قوله (انه لقرآن كريم) ووقع الاعتراض بين القسم وجوابه بقوله : (وانه لقسم لو تعلمون عظيم) ووقع الاعتراض بين الصفة والموصوف في جملة هذا الاعتراض بقوله (لو تعلمون) ، قال ابن القيم : فجا' ههنا الاعتراض في ضمن هذا الاعتراض ألطف شيء ، وأحسنه موقعا ، وهو للتأكيد أو التنبيه (١)

(انه لقرآن كريم) : وصف القرآن بما يقتضى حسنه وكثرة خيره وضافه له وجلالته ، فان الكريم هو البهي ، الكثير الخير ، العظيم النفع ، وهو من كل شيء أحسنه وأفضله ، قال الأزهري : الكريم اسم جامع لما يحمد . والله كريم جميل الفعال ، وانه لقرآن كريم يحمد لما فيه من الهدى والبيان والعلم والحكمة ، وبالجملة فالكريم الذي من شأنه أن يعطي الخير الكثير بسهولة ويسر وضده اللئيم الذي لا يخرج خيره النزر الا بمسسر وصعوبة (٢)

(في كتاب مكنون) : أي ستحر مصون محفوظ عن الباطل ، واختلف

المفسرون في هذا فقيل هو اللوح المحفوظ كما في قوله سبحانه : (بل هو

(١) التبيان لابن القيم ١٣٨ والكشاف ٥٨/٤ - ٥٩ وفتح القدير ١٦٠/٥ والأمالى الشجرية ٢١٤/١

(٢) التبيان ص ١٤١ وفتح القدير ١٦٠/٥

قرآن مجيد ه (في لوح محفوظ) (١) وقيل انه الكتاب الذي بأيدي الملائكة ه
وهو المذكور في قوله تعالى : (في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة ه بأيدي
سفرة ه كرام بررة ه) (٢) ويدل عليه قوله : (لا يصح الا الطهرون) (٣) أي
انه بأيدي الملائكة الأطهار ه ولا تصل اليه أيدي الشياطين بوجه مفضلا أن
تنزل به كما قال تعالى : (وما تنزلت به الشياطين وما ينهى لهم وما يستطيمنون) (٤)
وهذا أبلغ في تعظيم القرآن وتنزيهه . من قول من قال ان المراد به أن المصحف
لا يصح الا طاهر ه وهذا وان كان لا يدل عليه نص الآية ه الا أنه يمكن
الاستدلال عليه بالآية من باب التنبيه والاشارة ه كما قرره شيخ الاسلام ابن تيمية ه
وذلك اذا كانت الصحف التي في السماء لا يصحها الا الطهرون فكذلك الصحف
التي بأيدينا من القرآن لا ينهى أن يصحها الا طاهر ه كما دلت الآية بإشارتها
وأيضا أنها لا يدرك معانيه ولا يفهم الا القلوب الطاهرة ه وحرام على القلب
الصلوث بنجاسة البدع والمخالفات أن ينال معانيه وأن يفهم كما ينهى ه
وذكر التنزيل مضافا الى ربوبيته سبحانه للعالمين ه المستلزمة تطكسه
لهم وتصره فيهم وحكمه عليهم وأحسانه وانعامه عليهم ه وأن من هذا شأنه مع
الخلق كيف يليق به مع ربوبيته التامة أن يتركهم سدى ويدعهم هلا ويخلقهم هشا ه
ولا يأمرهم ولا ينهاهم ولا يثيبهم ولا يعاقبهم ه فمن أقر بأنه رب العالمين أقـر
بأن القرآن تنزيله على رسوله واستدل بكونه رب العالمين على ثبوت رسالة رسوله
وصحة ما جاء به ه وهذا الاستدلال أقوى وأشرف من الاستدلال بالمعجزات و
الخوارق وان كانت دلالتها أقوى الى أن هان عموم الناس ه وتلك انما لخواص
المقلاء ه وأين الاستدلال بأوصاف الرب تعالى وكماله المقدس على ثبوت النسب

(٢) سورة عبس ١٣ - ١٦

(١) البروج ٢١ - ٢٢

(٤) الشعراء ٢١٠ - ٢١١

(٣) الواقعة ٧٩

وبحثه من الاستدلال عليه ببعض مخلوقاته ؟ (١)

أما المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه ، فإن في مواقع النجوم دلالة ظاهرة على كونها سخيرات ومقدرات بحقادر الأجزاء ، وذلك يرجع الى الميزان الذى وضعه الله فى هذا الكون ، لولا ذلك لفسد نظام الكون واختل ، وذلك الميزان ظاهر فى نظام الكواكب ومقاديرها وقواها وسافاتها وجريانها لستقر لها ، ثم ان الله سبحانه لم يضع هذا الميزان فى كون الجماد فقط بل فى كون الاحياء أيضا ، ويمكن تعبيره بالمدل ومراعاة الحقوق فى الناس ، فلو نزع ذلك من بينهم اختل معاشهم ، فكما أن بقاء الكون يخضوه أمام هذا الميزان كذلك بقاء الانسان باذعانه لقواعد المدل والقسط ورعايته الحقوق ، عن طريق ايمانه بالكتاب الذى نزل بتفاصيل المدل ، وقد بين سبحانه أن كتابه النزل هو أحسن الميزان ، قال سبحانه : (الله الذى أنزل الكتاب بالحق والميزان) (٢) وهو سبحانه كما أنزل الآيات المتلوة بينات كذلك جعل الآيات المخلوقة بينات ، يتفكر فيها ، فتقدير مواقع النجوم وما ذكر قبلها من الآيات والدلائل من اخراج النبات من الأرض وانزال الماء من السماء ، وخلق النار من الشجر واجراء الأمور على الحكمة كسبل ذلك من تصرفاته سبحانه ومقتضى عدله وحكمته ، واستمدل بذلك على أن هذا القرآن انما هو تنزيله وليس لغيره المقدرة على هذا الكلام الطاهر. أنزله بمقتضى رحمته وحكمته لاقامة القسط فى عباده فلا يقبل منهم الجور بعد انزال كتابه بالحق والميزان والذى هو أساس قوامهم وسر بقاءهم فى هذا الكون ، والله أعلم .

(١) التبيان ١٤٣ - ١٤٦ (باختصار) .

(٢) الشورى ١٧ وكذلك قوله سبحانه : (لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط) الآية. الحديد ٢٥ .

ثم ان هذا القسم مثل قوله سبحانه : (والنجم اذا هوى)^(١) والنجوم
بهويتها يسبحن لربها ، فوقمها سجدتها ، فكأنها تدعو الى السجود ، ثم
هى أنوار ، ونورها ينزل الينا وهى هدى يهتدى بها الناس فى ظلمات البر
والبحر وكذلك نور الوحي وآيات القرآن يهتدى بها فى ظلمات الحق والجهل
، فتلك هداية فى الظلمات الحسية وآيات القرآن فى الظلمات المعنوية ، فجمع
بين الهدايتين ، مع ما فى النجوم من الرجوم للشياطين وكذلك آيات القرآن هى
رجوم للشياطين الانس والجن تمحو الهدعات والضلالات ثم لاتصل أيدى الشياطين
الى النجوم فكذلك القرآن ، والنجوم آيات الله المشهورة المماينة والقرآن آياته
المتلوة السمعية ، مع ما فى مواقع النجوم عند الغروب من العبرة والدلالة على آياته
القرآنية ومواقمها عند النزول ، هذا ، ولا يحيط بعلم كتابه الا هو سبحانه
(٢) وتعالى .

(١) سورة النجم : ١
(٢) أنظر هذه الوجوه من المناسبات فى التبيان ص ١٣٨ وذكرات القرآن
للغراهمى سورة الواقعة (مخطوطة) .

٦ - (سورة القلم) :

قال الله عز وجل : (ن والقلم وما يسطرون ه ما أنت بنعمة ربك بمجنون ه
وان لك لأجرا غير ممنون وانك لعلی خلق عظیم ه) (١)

قال الفراهي : كما أن السورة السابقة مرآة لجمال الخالق فكذلك سورة
(ن) مرآة لجمال خبير الخلق ه ولكن أسلوب السورة تهدد بتسليية وتصوير الضد ه
والأشياء تتبين بأضدادها ه فان بلغت هذا المطمح فلا يبعد عنك ان (القلم
وما يسطرون) عبارة جامعة عن الخلق كله ه والناظر في نطق هذا القلم لا يسرى
أعجب وأحسن من خلق جميل بين زاميه وصفغضيه فيرى كمال الصبر والاحسان
الى المسيئين وهم المحبب والمدح كما ترى ما يشبه ذلك في يوصف عليه السلام
ه والله أعلم ه (٢)

وقوله تعالى (والقلم) فيه قولان :

(اهدهما) : أن القسم به هو الجنم وهو واقع على كل قلم يكتب به من في السما
ومن في الأرض ه قال الله تعالى ه (اقرأ) وربك الأكرم ه الذي علم بالقلم ه
علم الانسان ما لم يعلم (٣) ، فمن بتيسير الكتابة بالقلم كما من بالنطق فقال (خلق
الانسان ه علمه البيان) (٤)

(والثاني) : أن المقسم به هو القلم المصهور الذي جاء في الخبره كما في
سنن أبي داود عن عبادة بن الصامت ه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول : ان أول ما خلق الله القلم (أي عند أول خلقه) فقال له اكتسب ه
قال : يارب ه وما اكتب؟ قال اكتب مقادير كل شيء ه حتى تقوم الساعة ه (٥)

-
- (١) سورة القلم ١ - ٤
(٢) مذكرات القرآن للفراهي ه سورة القلم (مخطوط)
(٣) الملق ٣ - ٥ (٤) الرحمن ٣ - ٤
(٥) تفسير الفخر الرازي ٧٨/٣٠ والتبيان لابن القيم ص ١٢٩ ه وتفسير الطبري
١٠ - ٩/٢٩ ه وتفسير ابن كثير ٤٠٠/٤ - ٤٠٢ ه وانظر الحديث في سنن أبي
داود كتاب السنه ه بابغي القدره ه ٧٦/٥ ه وسنن الترمذي ه أبواب القدر
الحديث رقم ٢٢٤٤ (٣١١/٣) وسند أحمد ٣١٧/٥

وقوله سبحانه (ومايسطرون) يحتمل أن (ما) مع ما بعد ها في تقدير مصدر المصدر ه فيحتمل أن يكون المراد وسطهم فيكون القسم واقعا بنفس الكتابة ه ويحتمل أن تكون (ما) موصولة فيكون المراد السطور والمكتوب وعلى التقديرين فان حطنا القلم على كل قلم في مخلوقات الله كان المسمى ظاهرا وكأنه تعالى أقسم بكل قلم وكل ما يكتب بكل قلم ه (١)

والأقلام متفاوتة في الرتب ه وقد ذكر ابن القيم في كتابه اثني عشر نوعا من القلم وبين أن بها انتظام صالح المالم ه وأنه ان خانت هذه الأقلام فسد المالم أعظم فساد ما ستقامته يستقيم أمر العالم وكلامه هذا ان تأطت تفسير لما قاله الفراهي : ان القلم ومايسطرون عبارة جامعة عن الخلق كله ه

ثم لما ذكر سبحانه المقسم به وهو لقسم بالقلم والكتابة أتبعه بذلك المقسم عليه وهو تنزيه نبيه ورسوله عما يقول فيه أعداؤه ه فقال عز من قائل : (ما أنت بنعمة ربك بمجنون ه)

قال ابن القيم : وأنت اذا طبقت بين هذا القسم والمقسم به وجدت أنه والا عليه أظهر دلالة وأبينها ه فان ماسطر الكاتب بالقلم من أنواع العلوم التي يطلقها البشر بعضهم عن بعض لا تصدر من مجنون ه ولا تصدر الا من عقل وافر ه فكيف يصدر ما جاء به الرسول من هذا الكتاب الذي هو في أعلى درجات العلوم؟ بل العلوم التي تضمنها ليس في قوى البشر الا تيان بها ه ولا سيما من أرى لا يقرأ كتابا ولا يخط بيمينه ه مع كونه في أعلى أنواع الفصاحة ه سليما من الاختلاف ه بريئا من التناقض يستحيل من العقلاء كلهم لو اجتمعوا في صعيد واحد أن يأتوا بمثله ه ولو كانوا في عقل رجل واحد منهم فكيف يتأتى ذلك من مجنون لا عقل له يميز به ما عسى كثير من الحيوان أن يميزه ه وهل هذا الا من أقبح البهتان وأظهم

(١) الفخر الرازي ٣٠/٧٨ - ٧٩ وفتح القدير ٥/٢٦٧

الافك .

فتأمل شهادة هذا المقسم به للمقسم عليه ودلالته عليه أتم دلالة ، ولو
أن رجلا أنشأ رسالة واحدة بديعة منتظمة الأول والأخر متساوية الأجزاء يصدق
بعضها بعضا ، أو قال قصيدة كذلك ، أو صنف كتابا كذلك ، لشهد له العقلاء
بالعقل ، ولما استجاز أحد رمية بالجنون مع إمكان - بل وقوع - ممارضتها
ومشاكتها والاتيان بمثلها أو أحسن منها ، فكيف يرمى بالجنون من أتى بمسا
عجزت العقلاء كلهم قاطبة عن ممارضته ومماثلته ، وعرفهم من الحق مالا تهتدى عقولهم
اليه بحيث أذعن له عقول العقلاء ، وخضعت له الأبواب الأولياء ، وتلاشت في جنب
ما جاء به بحيث لم يسمعها الا التسليم له والانقياد والانعان ، طائفة مختارة وهي
ترى عقولها أشد فقرا وحاجة الى ما جاء به ، ولاكمال لها الا بما جاء به ، فهذا
الذي كمل عقولها كما يكمل الطافل برضاع الثدي ، ولهذا فان أتباعه أعقل الخلق
على الاطلاق ، وهذه مؤلفاتهم وكتبهم في الفنون اذا وازنت بينها وبين مؤلفات
مخالفيه ظهر لك التفاوت بينها ، ويكفي في عقولهم أنهم عمروا الدنيا بالعلم
والعدل ، والقلوب بالايمان والتقوى فكيف يكون متبوعهم مجنونا وهذا حال
كتابه وهدى به وسيرته وحال أتباعه ؟ وهذا انما حصل له ولأتباعه بنعمة الله عليه
وطيبهم فنفي عنه الجنون بنعمته عليه . (١)

وقوله تعالى : (وان لك لأجرا غير ممنون) ، المن : القطع ، أى ان أجره
صلى الله عليه وسلم عند الله غير منقطع على ما جاء به من الحق وقام به من البلاغ
عن الله والصبر عليه . وقد بين تعالى دوام أجره دون انقطاع في قوله : (ان
الله وملائكته يصلون على النبي ، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) (٢)

(١) التبيان لابن القيم ص ١٣٣ - ١٣٤

(٢) الأحزاب ٥٦

وصلوات الله تعالى عليه وصلوات الملائكة والمؤمنين لا تنقطع ليلا ولا نهارا ه وهي
من الله تعالى رحمة ومن الملائكة والمؤمنين دعاء ه وفي سورتي : الضحى وألم
نشرح ه بكاطبها (ماودعك ربك وما قللى ولاخرة خير لك من الأولى ه وتسوف يعطيك
ربك فترضى ه) وقوله (ورفعنا لك ذكرك) ه ومعلوم من السنة أن من دل على خير
فله مثل من عمل به ه فما من مسلم تكتب له حسنة في صحيفة الا وللرسول صلى الله
عليه وسلم مثلها ه وقد قال صلى الله عليه وسلم : (اذا مات ابن ادم انقطع عنه عمله
الا من ثلاث) ه (١) ومنها (أوعلم ينتفع به) وأى علم نفعنا ما جاء به صلى الله عليه
وسلم وتركه في الأمة حتى قال : (تركت فيكم ما ان تصكتم به لن تضلوا أبدا كتاب الله
وسنتي) (٢) . الى غير ذلك من النصوص الدالة على دوام أجره .

وقوله : (وانك لعلى خلق عظيم) هذا أيضا بحاشية الرد على ادعاء
المشركين عليه صلى الله عليه وسلم ورميه بالجنون ه لأن المجنون سفيه لا يعنى مايقول
ولا يحسن أى تصرف ه والخلق العظيم أرقى منازل الكمال في عظام الرجال ه

وقد أكد هذا السياق بمواضع المؤكدات باندراجة في جواب القسم
الأول في أول السورة ه وبأن ه واللام في (لعلى) جاء "بعلى" الدالة على
الاستعلاء ه وأنه صلى الله عليه وسلم فوق كل خلق عظيم متكن منه متمل عليه .

وقد أجمل الخلق العظيم هنا وهو من أهم ما امتدح الله به رسوله صلى الله

(١) صحيح مسلم كتاب الوصية باب ما يلحق الانسان من الثواب بعد وفاته حديث أبي
هريرة ١٢٥٥/٣ وانظر سنن أبي داود كتاب الوصايا باب ما جاء في الصدقة عن
الميت ٣٠٠/٣ وصند أحمد ٣٧٢/٢ والنسائي كتاب الوصايا باب فضل الصدقة على
الميت ٢١٠/٦

(٢) أضواء البيان ٤٢٠/٨ - ٤٢١ والحديث في صحيح مسلم ه كتاب الحج ه باب
حجة النبي صلى الله عليه وسلم ٨٨٧/٢ ومؤطا الامام مالك ٢٠٨/٢ (مصطفى
الهايمي الحلبي ١٣٧٠ ه) وسنن أبي داود كتاب المناسك باب صفة حجة النبي
صلى الله عليه وسلم ه ٤٥٥/٢ ه

عليه وسلم في كتابه ، وقد أرشدت عائشة رضى الله عنها الى ما بين هذا الاجمال
حينما سئلت عن خلقه صلى الله عليه وسلم فأجابت بما شفى وكفى فقالت : كان خلقه
القرآن فهم سائلها أن يقوم لا يسألها شيئاً بمد ذلك . (١)

فهذه كانت أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم المقتبسة من مشكاة
القرآن ، فكان كلامه مطابقاً للقرآن تفصيلاً له وتبييناً ، وعلومه علوم القرآن ، وأرادت
وأعماله ما أوجبه وندب اليه القرآن ، وأعراضه وتركه لما منع عنه القرآن ورفضته فيما
رغب فيه ، وزهده فيما زهد فيه ، وكراهته لما كرهه ، وصحبته لما أحبه ، وسعيه فى
تنفيذ أوامره وتبليغه ، والجهاد فى إقامته ، وترجمت أم المؤمنين لكمال معرفتها
بالقرآن وبالرسول صلى الله عليه وسلم ، وحسن تعبيرها عن هذا كله بقولها :
كان خلقه القرآن . وفهم هذا السائل لها عن هذا المصنى فاكتمى به واشتفى . (٢)

(١) أضواء البيان ٨ / ٤٢١ - ٤٢٢ وتفسير الطبرى ٢٩ / ١٢ - ١٣ وابن كثير
٤ / ٤٠٢ - ٤٠٣ والحديث فى صحيح مسلم وكتاب صلاة المسافرين وقصرها
باب جامع صلاة الليل ، ومن نام عنه أو مرض ١٥ / ١٢٥ مسند أحمد ٦ / ٥٣
التبيان لابن القيم ص ١٣٦
(٢) ٩١ ٥ ١٦٣ ٥ ٢١٦ ٥

٧ - الحاقّة () :

قال الله عز وجل : (فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون ه ان لقول رسول
كريم ه وما هو بقول شاعر قليلا ماتؤمنون ه ولا بقول كاهن ه قليلا ماتذكرون ه تنزيل
من رب العالمين ه) (١)

هو اقسام من الله بالأشياء كلها على الشمول والاحاطة لانها لا تخرج من
قسمين : مصر وغير مصر على أن هذا القرآن الصخر عن الجزاء (لقول رسول
كريم) أى يقوله ويتكلم به على وجه الرسالة والتبليغ من عند الله ه وقوله :
(قليلا ماتؤمنون) و (قليلا ماتذكرون) للتعجب أى كونه قول رسول كريم ظاهر
بين ه يؤمن به من كان له أدنى بصيرة وفكرى نفسه وليس بقول شاعر ه ولكن ما
أقلكم ايما ان تجعلونه قول شاعر ه وما أقلكم تذكرا ان تجعلونه قول كاهن ه والقلسة
فى معنى العدم ه أى لا تؤمنون ولا تذكرون البتة ه (٢)

قال الفخر الرازى : ذكر سبحانه فى نفي الشاعرية (قليلا ماتؤمنون) ونفى
نفي الكاهنية (قليلا ماتذكرون) . والسبب فيه كأنه تعالى قال : ليس هذا القرآن
قولا من رجل شاعر ه لأن هذا الصنف جاين لصنوف الشعر كلها الا أنكم لا تؤمنون
ه أى لا تقصدون الايمان فلذلك تمرضون عن التدبر ه ولو قصدتم الايمان لعلتم
كذب قولكم بأنه شاعر ه ولا أيضا بقول كاهن لأنه وارد بسبب الشياطين وشتهم فلا
يمكن أن يكون ذلك بالهام للشياطين الا أنكم لا تتذكرون كيفية نظم القرآن واشتماله
على شتم الشياطين ه فلهذا السبب تقولون انه من باب الكهانة . (٣)

(١) الحاقّة ٣٨ - ٤٣

(٢) أساليب القرآن للفرا هو ص ٣٨ والكشاف للزمخشري ١٥٤/٤

(٣) تفسير الفخر الرازى ١١٧/٣٠ - ١١٨

وهذا أهم قسم وقع في القرآن فإنه يعم جميع ما يتملق بالديننا والآخرة ه
وهو سبحانه يصرف الأقسام كما يصرف الآيات ففي ضمن هذا القسم أن كل ما يسرى
وما لا يرى آية ودليل على صدق رسوله وأن ما جاء به هو من عند الله وهو كلامه ه
لا كلام شاعر ولا مجنون ولا كاهن ه

ومن تأمل المخلوقات ه ما يراه منها وما لا يراه ه واعتبر ما جاء به الرسول
ه ونقل فكرته في مجارى الخلق والأمر ظهر له أن هذا القرآن وما نزل به من أخبار
التوحيد والمعاد والجزاء حق وصدق وأنه تنزيل من رب العالمين ه لأن ربهية
الله الكاطبة لخلقه تأبى أن يخلقهم عبثا ه فلا يأمرهم ولا ينهاهم ولا يرشدهم السي
ما ينفعهم ه ويحذرهم ما يضرهم ه أو يتركهم سدى فلا يحاسبهم على أعمالهم ه
فلا بد من الاجل لاتمام الغاية ولا بد من الجزاء لأجل الرحمة على المؤمنين والنقمة
من الكافرين ه وهو ما نزل به القرآن ه

٨ - (سورة المارج)

قال الله عز وجل (فلا أقسم برب المشارق والمغرب ه إنا لقادرون على أن
نبدل خيرا منهم وما نحن بصبيوقين ه فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم
الذى يوعدون ه) (١)

ومعنى الآية - والله أظم - أن ليس الأمر كما يزعمون ه أن لا حساب
ولا حساب ولا بعث ولا نشور ه بل كل ذلك واقع وكائن لا محالة ه ولهذا أتسى
ه (لا) في ابتداء القسم ليدل على أن المقسم عليه نفي ه وهو الرد على زعمهم
الفاسد في نفي يوم القيامة وقد شاهدوا من عظيم قدرة الله تعالى ما هو أبلغ من
اقامة القيامة ه قال سبحانه : (لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس

(١) المارج ٤٠ - ٤٢

ولكن أكثر الناس لا يمطون ه (١) وقال : (أولم يروا أن الله أنشأ السموات والأرض ولم يمهى بخلقهن بقادر على أن يحيى الموتى ه بل إنه على كل شئ قدير ه) (٢)

فأقسم سبحانه في هذه السورة على عموم قدرته وكما لها وصحة تعلقها باعادتهم بعد العدم ه فذكر المشارق والمغارب لفظ الجمع ه إذ هو أدل على المقسم عليه ه سواء أريد مشارق النجوم ومغاربها ه أو مشارق الشمس ومغاربها ه أو كل جزء من جهتي المشرق والمغرب ه فكل ذلك آية ودلالة على قدرته تعالى أن يبدل أمثال هؤلاء المكذبين ه وينشئهم فيما لا يعلمون ه فيأتس بهم في نشأة أخرى ه كما يأتي بالشمس كل يوم من مطلع ويذهب بها في مغرب ه (٣)

وقوله سبحانه : (انا لقادرون على تبدل خيرا منهم وما نحن بمسبوقين) مثل قوله : نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين على أن نبدل أمثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون ه ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون ه (٤) فهي استدلال بالنشأة الأولى على قدرة الله سبحانه على النشأة الأخرى التي كذبوا بها ه وقال ابن جرير وابن القيم عن معنى الآية : انا لقادرون على أن نذهب بهم وتأتي بأطوع لنا منهم وخيرا منهم - كما قال تعالى : (ان يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين ه وكان الله على ذلك قديرا ه) (٥) وقوله : (وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم ه) (٦) ه والمعنى الأول أظهر لدلالة الآيات الأخرى عليه ه ولأن سياق الآيات في إثبات المعاد والجزاء ه والله أعلم ه

-
- (١) غافر ٥٢ (٢) الأحقاف ٣٣
(٢) التبيان لابن القيم ص ١٢١ - ١٢٢ (٤) الواقعة ٦٠ - ٦٢
(٥) النساء : ١٣٣ (٦) محمد ٣٨ وانظر تفسير الطبري
٥٥/٢٩ والتبيان لابن القيم
ص ١٢٢

٩ - (سورة العنكبوت) :

قال الله عز وجل : (كلا والقمر ه والليل ان أدبر ه والصبح اذا أسفر ه
انها لا حدى الكبر ه نذير للبشر ه لمن شاء منكم ان يتقدم أو يتأخر ه) (١)

أقسم سبحانه بالقمر الذى هو آية الليل ه وفيه من الآيات الباهرة
الذاتة على ربهية خالقه وهائه وحكمته وطه ه وعنايته بخلقه ه ما هو معلوم بالمشاهدة
ه وهو سبحانه أقسم بالسموات فيها ه ما لانراه من الملائكة ه وما فيها ما نراه
من الشمس والقمر والنجوم وما يحدث بسبب حركات الشمس ه والقمر من الليل والنهار
ه وكل ذلك آية من آياته ه ودلالة من دلائل ربهيته ه

فاننا تأمل البصير القمر مثلا وسيره الدائب وهبوطه وارتفاعه ه وأنواره
وظهوره ه وذهاب نوره شيئا فشيئا ثم عودته اليه كذلك ه وسبب ضوءه جملته
واحدة حتى يعمود قطعة مظلمة بالكسوف ه علم قطعا أنه مخلوق مروب مسخر
تحت أمر خالق قاهر مسخر له كما يشاء . وعلم أن الرب سبحانه لم يخلق
هذا باطلا ه وأن هذه الحركة فيه لا بد أن تنتهى الى الانقطاع والسكون ه وأن
هذا الضوء والنور لا بد أن ينتهى الى ضده ه لأن كل مخلوق يتطرق اليه
التفجير ه كما قال الشاعر :

ألا كل شىء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل ه

وأما أقسام سبحانه بالليل ان أدبر والصبح اذا أسفر ه فلما فى ادبار
الليل واقبال النهار من أبين الدلالات الظاهرة على الجدا والمعاد ه فانه بدأ
ومعاد يومى مشهود بالعيان ه بينما الحيوان فى سكون الليل قد هدأت

حركاتهم وسكنت أصواتهم ونامت عيونهم ه وصاروا اخوان الأموات ه ان أقبل مسن
النهار داعيه ه وأسمع الخلائق مناديه ه فانتشرت منهم الحركات وارتفعت منهم
الأصوات ه حتى كأنهم قاموا أحياء من القبور ه يقول قائلهم : (الحمد لله
الذي أحيانا بعد ما أماتنا واليه النشور ه) (١) فهو معاد جديد بدأه وأعاد ه
الذي يبدأ ويميد ه فمن ذهب بالليل وجاء بالنهار سوى الواحد القهار ه

وخلاصة القول أنه سبحانه أقسم بهذه الأشياء الثلاثة وهي القمر والليل
ان أدبر ه والصبح اذا أسفر طى المعاد لما في القسم من الدلالة على ثبوت القسم
عليه ه فانه يتضمن كمال قدرته وحكمته وعنايته بخلقه ه وابدأ الخلق واعادته كما
هو مشهود في ابداء النهار والليل واعادتها ه وفي ابداء النور واعادته في القمر
ه وفي ابداء الزمان واعادته الذي هو حاصل بسير الشمس والقمر وابداء الحيوان
والنبات واعادتها وابداء فصول السنة واعادتها ه وابداء ما يحدث في تلك
الفصول واعادته ه فكل ذلك دليل ظاهري على المعاد الذي سيقب
هذه الأقسام للاستدلال عليه ه (٢)

١٠ - (سورة القيامة) :

قال الله عز وجل : (لا أقسم بيوم القيامة ه ولا أقسم بالنفس اللوامة ه
أحسب الانسان أن لن نجعل عظامه ه بلى قادرين على أن نسوي بنانه ه) (٣)

في قوله سبحانه (لا أقسم) ه (لا) منفصلة ه أي باطل ما يحسب
الانسان أنه خلق عبثا أو يترك سدى بدون حساب ولا جزاء ه والقول بزيادة

(١) صحيح البخاري كتاب الدعوات باب : ما يقول اذا نام ٨٥/٨٥ وصحيح مسلم
ه كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ه باب ما يقول عند النوم حديثه ه

(٢٠٨٣/٤)

(٢) خلاصة ما كتبه ابن القيم في التبيان ه أنظر ١٠٢ - ١٠٩

(٣) القيامة : ١ - ٤

(لا) فيه نظر ه وبأنها متصلة سقيم لضعف المعنى ولتصريح القرآن بخلافه ه
حيث جاء* (فلا أقسم بمواقع النجوم ه وانه لقسم لو تعلمون عظيم)^(١) فلو كان
النفى على المقسم لما قال (وانه لقسم . . .) ه وهذا الأسلوب شائع فـ
كلامهم اذا أرادوا شدة الإنكار لظن سابق ه لأن في تقديم (لا) دلالة على
أن الكلام جواب وردّ لما قيل من قبل ه وطى أن الإنكار به لا يحتل مكا ه فان
القسم عاداته الابتداء* ه وانما قدمت عليه كلمة الإنكار لشدة الاعتناء به ه^(٢)

بيان المقسم عليه ووجه القسم بالقيامة :

القسم بالقيامة من التأنيب الشديد كأنه قال : سوف تعلمون ذلك اليوم ه
فأخرج الكلام مخرج التهويل ه ومثل ذلك في قوله تعالى : (واليوم الموعد)^(٣)
وبذلك على سخطة قوله تعالى بعمده (قتل أصحاب الأخدود)^(٤) وهذا
الأسلوب أبلغ في خطاب المستعجلين كما قال : (اذا وقعت الواقعة ليس
لوقعتها كاذبة ه)^(٥)

فهذه الأقسام من اشهاد الشئ بنفسه على نفسه لشدة الظهور ثم هذا
الأسلوب أنفع لسهم لكي تعلموا الصبر ويفتنوا المهلة ه ولذلك كثر في القرآن
الأمر بالصبر والاعراض عنهم ه فان أمراض النفس كأداء* الجسم تعالج بأضدادها ه
كما ترى في قوله تعالى : (سأل سائل بمداب واقع للكافرين ليس له دافع ه
من الله ذي المعارج ه تخرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين ألف
سنة ه فاصبر صبرا جميلا انهم يرونه بعيدا ونراه قريباً ه)^(٦)

-
- (١) الواقعة : ٧٥ - ٧٦
(٢) نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان ه (سورة القيامة)
(٣) البروج : ٢
(٤) البروج : ٤
(٥) الواقعة : ١ - ٢
(٦) المعارج : ١ - ٧

فلم يجيب السائل بل أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالصبر .

وربما يتبع التهويل بحجة كما ترى في قوله تعالى : (عم يتساءلون عن
النبا العظيم الذي هم فيه مختلفون . كلا سيعلمون ثم كلا سيعلمون -) فهذا
تهويل وزجر وتنبيه ثم أتبع ذلك بالحجة . فقال : (ألم نجعل الأرض مهادا -
الى قوله - ألقافا) (١) احتجاجا بآياته الدالة على القيامة . فكذا في هذه
السورة بمد القسم بالقيامة على سبيل التهويل أشهد بدليل هو من أقرب الأدلة
وهو القسم بالنفس اللوامة (٢)

واختلف في النفس المقسم بها هنا هل هي خاصة أو عامة ؟ على قولين .
فقال ابن عباس : كل نفس تلوم نفسها يوم القيامة . يلوم المحسن نفسه أن لا يكون
ازداد احسانا . ويلوم السيء نفسه أن لا يكون رجع عن اسائه . واختاره الفراء .
قال : ليس من نفس هرة ولا فاجرة الا وهى تلوم نفسها . ان كانت عطيت خيرا
قالت : هلا ازددت خيرا ؟ وان كانت عطيت سوءا . قالت : يا ليتنى لم أفعل (٣)

والقول الثانى : أنها خاصة . قال الحسن : هى النفس المؤمنة . وأن
المؤمن لا تراه الا يلوم نفسه على كل حالة لأنه يستقصرها في كل ما تفعل . وقال -
قتادة : انها النفس الكافرة تلوم نفسها في الاخرة على ما فرطت في أمر الله (٤)

والأظهر - والله أعلم - أن المراد نفس الانسان مطلقا . فان نفس كـ
انسان لوامة . كما أقسم بجنس النفس في قوله : (ونفس وما سواها فآلهمها فجورها

(١) سورة النبا ١ - ١٦

(٢) أنظر نظام القرآن للفراهي سورة القيامة (مخطوط)

(٣) تفسير الطبرى ١٠٩/٢٩ - ١١٠ - ومعاني القرآن للفراء ٢٠٨/٣

(٤) تفسير الطبرى ١٠٩/٢٩ - ١١٠ - والدر المنثور ٢٨٧/٦

وتقواها ه (الآيات ^(١)) وهو اختيار شيخ الاسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم رحمهما الله تعالى ه

بيان وجه القسم بالنفس اللوامة : قال ابن القيم : وجمع سبحانه نفس القسم بين محل الجزاء وهو يوم القيامة ومحل الكسب ه وهو النفس اللوامة ه وفي صفة اللوم تنبيه على شدة حاجتها الى من يعرفها الخير والشر ه ويرشدها اليه لتخلص من اللوم ومن شر ما تلوم عليه كما ان فيه تنبيه على ضرورتها الى التصديق بالرسالة والقرآن ه وأنها لاغنى لها عن ذلك ولا صلاح ولا فلاح بدونها التوبة ه ولما كان يوم معادها هو محل ظهور هذا اللوم وترتب أثره عليه قرن بينهما في الذكر ه ^(٢)

وقد توسع الفراهي في بيان وجه القسم باللوامة حيث قال رحمه الله : اعلم ان القسم بالنفس اللوامة اشهاد النفس على النفس بالهداية فان النفس تعلم علم اليقين بأنها تحت ذمة وعليها حاكم يحاسبها والا لما اذا تلوم نفسها على بعض ما فعلت ه وفي ذلك دلالة ظاهرة على الحساب والجزاء وعلى أن فيها مسن فطرتها وازع ووادع لا يزال ينصحها وينهرها حتى تصير مطمئنة ومنقادة فتدخل في حزب الله راضية مرضية ه فمع هذا الحس البديهي الذي سماه الله تعالى بصيرة بقوله : (بل الانسان على نفسه بصيرة ه) كيف يشك في يوم الجزاء ه الا أنه ينكر بأن الله قادر على احيائه ه وهذا اثم كبير مع انه حمق شديد ه وذلك الظن السيء الباطل حطه على اثم أكبر منه وهو فجوره وسوء أدبه بين يدي خالقه فيسأل مستهزأ (أيا ن يوم القيامة) ويبيد ما استكن في نفسه من مرض الشك متباهيا به ه

(١) والآيات من سورة الشمس : ٧ - ١٠

(٢) التبيان لابن القيم ص ١٢ - ١٣

جمع القسمين ه وقع حسب ربط ما بعدهما : وكما جمع في الاشهاد بين

القيامة والنفس اللوامة ه فكذلك جمع فيما بعد بين صفة القيامة وصفة النفس اللوامة
أى البصيرة ه وأكد على ثبوت البصيرة بأن الانسان مع تشبته بالمعانيير وتسكينسه
اللوامة بها لا يستطيع أن يسكتها فانها لاتزال تلوه الا أن تصير عمياء صماء بما
ران على قلبه ه وحينئذ يصدق عليه (ختم الله على قلوبهم) (١) وعن هذه

الجماعة الصم الصمى أمر الله النبي صلى الله عليه وسلم بالصفح والاعراض ه كما قال :
(فأعرض عن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا ه ذلك ملغهم من العلم)
فهنأ أيضا أمره بالاعراض عنهم في قوله : (لاتحرك لسان لتعجل به ه) (٢)

وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم ربما يضيق صدره اذا فتر الوحي لهجوم
المخاصمة عليه ه وكان نزول القرآن له تسكينا وتثبيتا ه وزد على ذلك حرصه
الشديد على ايمان الناس وتكميل الشريعة ومطالبة الناس بانزال القرآن جطة
واحدة ه كما في قوله تعالى : (. . . لولا نزل عليه القرآن جطة واحدة ه) (٤)
فلهذه الوجوه التي أشرنا اليها كان عليه الصلاة والسلام يتشوق عندما يوحى
اليه حتى انه كان يقرؤه بلسانه لكي يحبه ولا ينسى فيلقى من وراء ذلك تعبسا
ومشقة كبيرة ه فأنزل الله هذه الآيات (لاتحرك به لسانك لتعجل به ه) الآيات (٥)
ويعين أن عدم انتفاعهم بهذا القرآن ليس من جهة مكته وتدرجه ه بل انه لهم
التدبير في أمر التربية ه وقد أظهر الله عليه صلح المهلة والتدريج في الأمر
الالهي في كثير من الآيات ه منها قوله : (ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى
اليك وحيه ه وقل رب زدنى علما ه ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسى ولم نجد

-
- (١) البقرة : ٧
(٢) النجم : ٢٩ - ٣٠
(٣) القيامة : ١٦
(٤) الفرقان : ٣٢
(٥) القيامة : ١٦ - ١٩

له عزما ه (١) فبين أن الانسان قليل المزم فلا يحتمل جملة الشريعة اذا
حطها دفعة واحدة ه فلا تمجل بأن يقضى اليك القرآن بتمامه ه بل خذ ما
أعطيت منها واعلم أن لها بقية من تخفيف أو تكميل ه واستزد علما من ربك فبين
مصلحة التدرج مجلا من جهة ضعف الانسان ه

وأما قوله : (لا تحرك به لسانك لتمجل به) الآيات فقد بين فيه مصلحة
التدرج من جهة استعداد الانسان للتربية ه فان الله تعالى أودعه بصيرة
وتمييزا وشوقا الى العلوفيسم واليه حا لا فحالا ه ولكن تنازه زخارف الدنيا
وشهواته الماجلة ه فان الانسان مفتور على حب العاجل وشوق المعالي
وكلاهما مودعان فيه ه وذلك اجتهاده ومنه التربيه لينمو بذر الفطرة بقوتسه
المودعة فيه من قبل ذاته ه ولذلك منع الاكراه في الدين ه فبعد ما بين الله
تعالى أن في الانسان لؤامة وطما للدين وبصيرة ه علم النبي عليه الصلاة
والسلام كيف يربهم فقال لا ينهى لك أن تمجل بالقرآن ه فان التدرج أمر
مقضى عندنا وعليه يجرى أمر التربية ه والمرى الحق هو الله تعالى كما قال
تعالى : (انك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء ه) (٢) ومثلها
آيات كثيرة ه فعليك أن تتلو عليهم ما يوحى اليك ه وسلم النبي صلى الله عليه وسلم
بأن طينا جمع القرآن بعد هذا النزول المتفرق ثم قرأه حسب نظامه ثم بيانسه
باضافة الآيات البينة ه

ثم بين أن اعراضهم وعدم انتفاعهم بهذا القرآن ليس من جهة مكثسه
بل انه لهو التدبير بقوله : (كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة) (٣)
ومثل ذلك جاء في سورة الدهر : (ان هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم

(١) طه : ١١٤ - ١١٥

(٢) القصص : ٥٦

(٣) القيامة : ٢٠ - ٢١

يوماً ثقيلاً هـ (١) وفي سورة الأعلى : (بل تؤثرن الحياة الدنيا والآخرة
غير وأبقى هـ) (٢) أي أن أصل دأئهم هو حبهم العاجلة والذهول عن
الآخرة هـ والنبي ليس في شيء من الذممة هـ فما عليه إلا البلاغ هـ والاستعانة بالله
بالصبر والصلاة هـ .

وجه الجمع بين القيامة واللوامة :

قال الفراهي : ان في الجمع بين القيامة والنفس اللوامة أيضا دلالة
على نسبة بينهما عند من يتدبر هـ فاعلم أن القيامة لوامة النفس الكلية هـ فان العالم
شخص واحد لمجاري أحواله على موافقة بعضها ببعض هـ وكما أن في كل انسان
لوامة على أفعاله السابقة فكذلك للعالم نفس لوامة على ما جرى فيه هـ ولولا ذلك
لفسد هـ ولذلك ترى الكون يمد الفساد والرجوع يمد الحياة عن السبيل هـ فكم
مرة كادت الأجرام تتصادم أ وتخرج عن النظام ثم كأن صارفاً أعادها على
الصراط هـ وهذا بحث طويل الذيل هـ وأهل العلم لا يرتابون في أن في العالم
مصلحا ومرما هـ وفي توالي الليل والنهار والحرب يمد القرب والمطر يمد القحط
آيات على ذلك هـ وهكذا في جهة الأخلاق بروفجور وقسط وجور وطم وجهالسة
وعماره وخراب (٣) وجمة القول ههنا أن القيامة لوامة النفس الكلية فتربها ما
فعلت هـ وقوله تعالى : (ينبؤ الانسان يوئذ بما قدم وأخر هـ) (٤) عبارة عنه
هـ كما أن اللوامة مثال قيامة فيك هـ فتركب حقيقة أعمالك هـ وقوله تعالى (بسلسل
الانسان على نفسه بصيرة) (٥) عبارة عنه هـ وهكذا كل نبي نفس لوامة لقومه هـ
وخاتم الأنبياء لسمة بعثته هو النفس اللوامة لجميع بني آدم وهو مثل القيامة

-
- (١) الدهر ٢٧
(٢) الأعلى ١٦ - ١٧
(٣) وقد بسط الفراهي القول في سورة الأعلى .
(٤) القيامة ١٣
(٥) القيامة ١٤

ودينونة العالم ه (١)

تصوير القيامة بصفة كونها مقسم به ببيان خسف القمر وجمع الشمس والقمر:

قال الله عز وجل : (فاذا بهق البصر وخسف القمر وجمع الشمس والقمر ه يقول

الانسان يوخذ أين القمر ه كلا لا وزر الى ربك يوخذ المستقر ه ينهوا الانسان
يوخذ بما قدم وأخر ه) (٢)

لقد صور الله سبحانه وتعالى بهذه الآيات هيئة القيامة حين تتجلى لهم
فيبرق بصرفهم ه وشدة الفزع هو قظهم عن رقدة الغفلات ه أما كيف يخسف القمر أم
كيف يجمع الشمس فاطم ان أمور القيامة ليست من الأحوال الجارية فتطابق عليها
الا على سبيل العبارة ه فان الخوض فيها لا يزيد شيئا في التخويف الذي هو
المطلوب الأقدم من ذكرها ه بل خفاء الكيفية أعظم تهويلا من بعض الوجوه لمن
أيقن بها ه وأما المنكرون الشاكون فيكفي لنا في جوابهم أن تقرب أحوالها التي
فهمهم بما علموا من مجاري الفطرة غير مقرين بأنها هي بل أنها غير مستعمدة
عما صح عندهم فيقال لهم : انكم لا تشكون في أن حرارة الاجسام تنقص آهافا نساء
اذا كان ما حولها أبرد منها ه وكذلك زعمتم أن الاجسام تدرجت من الحرارة
الشديدة والهوائية الى السيلان ثم البرودة والجمود ه وقد حققتم أن كثيرا من
الأجرام انجذب الى الشمس وألقى فيها فان صح عندكم هذه الأمور فيوشك أن
ينجذب القمر وكذلك أرضنا اليها والشمس يوخذ قليلة الحرارة فتدنوا والانسان
هو ويبرق البصر بنورها ويخسف القمر أولا بذهاب نوره لقرب الأرض من الشمس
ه كما روى عن قتادة وعن الحسن : وخسف القمر : ذهب نوره ثم يقع فيها ه وهو

(١) انظر تفسير نظام القرآن للفراهي تفسير سورة القيامة (مخطوط) وقد بسط
الكلام في كتابه (ملكوت الله) وتجد طرفا منه في تفسير سورة الصصف
ه من نظام القرآن ه

(٢) القيامة ٧ - ١٣

المعنى الأصلي للخسف كما جاء غير مرة في القرآن مثلا في قصة قارون (فخسفنا به وبداره الأرض) (١) وذلك لخروجه عن مداره ه وهذا يقع عند اقتراب الساعة ه فأما الآن فكما ترى صنع الله الذي أتقن كل شيء ه فتجري الأجرام في أملاكها حتى يتم أمرها وتكمل مصالحها ه كما قال تعالى : (وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون ه والشمس تجري لمستقر لها ه ذلك تقدير العزيز العليم والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم ه لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار ه وكل في فلك يسبحون ه) (٢)

أى لنا آية على انتهاء هذا النظام في ذهاب النهار وجريان الشمس حسب مستقرها من الله تعالى وتقديره ه وكذلك في قلب القمر الذي ينمو ثم يهزل ه وممع تقاربهما بعد التباعد ه لا تقدر الشمس أن تدرك القمر ولا الأرض أن تفر من الشمس فلا يدرك نهار الشمس ليل الأرض ه بل كل من الأجرام يسبحون في مدارهم ففي ذلك تذكرة لمن علم بتصرف الخالق في خلقه ودليل على فناء العالم وأن إلى الله الرجعى ه فإذا رمسى بالقمر في الشمس وخسف به وقدرأ وان دثوالشمس خافوا أن تلقى هذه الأرض فيهبسا وفزعوا ولا مفزع فقالوا : (أين المفر) (٣) كلا لا وزر) أى لا نجاة وليس لكم مكان تعتمون فيه ه (إلى ربك يومئذ المستقر ه) أى المرجع والمصير ه (٤) والله أعلم .

١١ - (سورة المرسلات) :

قال الله عز وجل : (والمرسلات عرفا ه فالعاصفات عصفا ه والناشرات نشرا ه والفارقات فرقا ه فالطقيات ذكرا ه عذرا أو ندرا ه انما توعدون لواقع ه فاذا النجوم طمست ه واذا السماء فرجت ه واذا الجبال نسفت ه واذا الرسل أقتتت ه لأى يوم

-
- (١) القصص ٨١
(٢) سورة يونس ٣٧ - ٤٠
(٣) تفسير نظام القرآن للفراهي سورة القيامة ه (مخطوط)
(٤) تفسير ابن كثير : ٤٤٨ / ٤

أجلت ه ليوم الفصل وما أدراك ما يوم الفصل ويل يوعظ للمكذبين ه (١)

قوله سبحانه : (والمرسلات عرفا) الاكثرون على أنها الرياح وأرسل الشسى ه
ضده أمسكه ه والرياح اذا سكنت فكأنها مصككة ه فاذا جرت فكأنها أرسلت ه قال تعالى :
(وأرسلنا الرياح لواقع) (٢) والمصرف : ناصية الفرس كما هو معروف ه قال امرؤ
القيس :

نَحَّشَ بِأَعْرَافِ الْجِيَادِ أَكْفَنًا اذا نحن قمنا عن شواء مضهَّب (٣)

فهنا شبه الرياح بالأفراس وشبه اسكانها واجرائها بأخذ ناصية الفرس وارسالها
هو دلّ بذلك على أنها تجرى بأمر ربها فهو مالكتها وحرفها ه قال تعالى : (وما من
دابة الا هو آخذ بناصيتها) الآية (٤) وارسال الريح يكون للنفع والضرر كليهما ه
وقد جاء في القرآن ه وليس في محض الارسال دلالة على الشدة فلذلك عطف عليها
الماصفات بالفاء .

(فالماصفات عضا) أى بعد الارسال تشتدّ وهذا يكون كثيرا للضرر ه قال تعالى
(حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم
الموج من كل مكان) الآية (٥)

(والناشرات نشرا) نشره : بسطه وشه وأثارة وأنته وأحياء ه (٦) وهذه
معان متقاربة ه قال تعالى : (واذا الصحف نشرت ه) (٧) وقال : (وهو الذى ينزل
الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته) الآية (٨) وقال : (وجعل النهمسار

-
- (١) المرسلات ١ - ١٥ (٢) الحجر : ٢٢
(٣) ديوان امرؤ القيس : ٧٤ ه (دار صادر) وانظر الصحاح للجوهري ١٤٠١ / ٤ ه
ومش يده يمشها أى مسحها بشىء لينظفها ه فى ديوانه (نش) وكذا فى
اللسان وفى الصحاح (تحش) ١٠١٩ / ٣
(٤) هود : ٥٦ (٥) يونس : ٢٢
(٦) الصحاح ٨٢٧ / ٢ - ٨٢٨
(٨) الشورى : ٢٨

نشورا هـ (١) فالناشرات ههنا الرياح لجمعها وجوها من النشر هـ (٢) فانها تنشر السحاب وتبسطه في السماء وتنشر رحمة الرب وتنبت النبات هـ ولا يخفى أن هذا وصف مستقل غير متعاقب للمصف فمطفه بالواو هـ (فالفارقات فرقا) : أي الرياح تفرق وتميز فتأتي بالمطر مرة وتذهب بالسحب أخرى هـ وتنفع قوما وتضر قوما هـ كما سبق بيان ذلك في تفسير سورة الذاريات تحت قوله تعالى : (فالقسيمات أمرا) (٣) وإذا يكون هذا الفرق بعد فعل النشر عطفه بالقاء هـ (فالطقيات ذكرا) قد ذكر القرآن كثيرا ان في تصريف الرياح آية وذكرها هـ فلأجل السببية نسب اليها الفعل هـ وهذا كثير هـ مثلا نسب ففصل الاضلال الى الأصنام في دعاء ابراهيم (واجنبنى ونى أن نعبد الأصنام هـ رب انهنن أضللن كثيرا من الناس هـ) (٤) فيعد ذكر تصريف الرياح نبه على كونها مما يذكسر قدرة الرب وحكمه بالحق هـ

(عذرا أو نذرا) (٥) أي هذا القاء الذكر من الله تعالى بسبب تصريفه الرياح وإنما هو ليكون عذرا وحجة على الفاطلين وانذار للمتذكرين هـ وكلمة (أو) للتوزيع ويشبه ذلك ما ذكر الله تعالى عن قول المصلحين من عباده : (وان قالت أمة منهم لم تعظون قوما الله مهلكم أو معذبهم عذابا شديدا هـ قالوا معذرة الى ربكم ولمعلمهم يتقون هـ) (٦) أي معذرة منا في حق من لا يتمظ ونافعة في حق من يتقى هـ

(انما توعدون لواقع) : يعم كلما وعدوا من مجيء القيامة والبحث والفصل

(١) الفرقان : ٤٧

(٢) كما في الأعراف : (وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته) الآية ٥٧ هـ قرأ عاصم هنا وفي الفرقان والنمل بالياء الموحدة المضمومة واسكان الشين. وقرأ ابن عامر بالنون مضمومة واسكان الشين. وحمزه والكسائي بالنون المفتوحة وسكون الشين هـ وناقع وابن كثير وابوعصرو بضم النون والشين جمع ناشر هـ (الاتحشاف ص ٢٢٦)

(٣) الذاريات ٤ (٤) سورة ابراهيم ٣٥ - ٣٦

(٥) قرأ روح بضم الذال في (عذرا) وافقه الحسن هـ وسكن الذال من (نذرا) أبو عمرو وحفص وحمزه والكسائي هـ (الاتحاف ٤٣٠)

(٦) الاعراف ١٦٤

والجزء كما صرح به في النظائر ه وكل ذلك أمر واحد فذكرها مجتمعا ه (١) وهو جواب القسم ه والذي ذكرت من كون هذه الصفات لشيء واحد هو قول الفراهي ه ثم لا حاجة الى جعل هذه الصفات لأشياء متعددة فانها كلها مناسبة بالموصوف الواحد ه كما رأيت من خلال استعراض المسلك الذي سلكه الفراهي في تفسير هذه الآيات ه

وجعل ابن القيم القسم في هذه الآيات واقما على نوعين : الرياح والملائكة ه وفصل أحد النوعين من الآخر بالواو وجعل ما هو تابع لكل نوع بعده بالفاء ه ولكن ما التزم بما قاله ه بل ذكر عدة احتمالات في قوله (فالفرقات فرقا فالطقيات ذكرا ه) (٢)

أما الفخر الرازي فقد لم في تفسيره كل ما قيل حول هذه الآيات أو يمكن احتمالها ولو بعيدا ه وحاول أن يفسر هذه الآيات حسب هذه الاحتمالات تفسيرا يلائمها ه فذكر أن هذه الكلمات الخمس إما أن يكون المراد منها جنسا واحدا أو أجناسا مختلفة ه أما الاحتمال الأول فذكر فيه وجوها : وهي أن يكون المراد منها بأسرها الملائكة أو الرياح أو آيات القرآن أو الأنبياء أو دواعي الاعراض عن هذه الدنيا والرغبة في خدمة المولى عز وجل في قلب المؤمن وأما الاحتمال الثاني : وهو أن يكون المراد من الكلمات الخمس شيئا واحدا فأيضاً ذكر فيه وجوها ه وهي أن الثلاثة الأولى هي الرياح والاثني عشر الباقيين هما الملائكة ه أو أن الاثنين الأولين هما الرياح والثلاثة الباقيين الملائكة ه أو أن المراد بالأولين الملائكة والثلاثة الباقيين آيات القرآن ه ثم فوض الملم الى الله دون أن يرجح أو يختار وقال : والله أعلم بمراده ه (٣)

بيان وجه الاستشهاد بالرياح على العماد :

قال ابن القيم : وجه المناسبة أن حياة الأرض والنبات وأبدان الحيوان

(١) أنظر نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان للفراهي تفسير سورة المرسلات (مخطوط -)

(٢) التبيان لابن القيم ٨٩ - ٩٢

(٣) تفسير الفخر الرازي ٣٠ / ٢٦٤ - ٢٦٧

بالرياح ه فانها من روح الله ه وقد جعلها الله تعالى نشورا ه وحياة القلوب والأرواح
بالهشكة ه فبهذين النوعين يحصل نوعا الحياة ه ووقع القسم في هذه السورة على الممار
والحياة الدائمة الباقية ه فحسن الاقسام بما يحصل به نوعا الحياة المشاهدة ه وهو الريح
والهشكة ه فكان في القسم بذلك أ بين دليل وأظهر آية على صحة ما أقسم عليه وتفصنته
السورة ه (١)

وقال الفراهي : قد بينا (٢) أن هذه الأقسام شهادات وآيات دالة على المقسم
عليه ه فأشهد الرياح المرسلات العاصفات والناشرات السحب والنباتات والدواب والفارقات
بين آثارها ه فأرض مطورة وأرض غير مطورة وقوم مصاب بالنفع وقوم بالضرر من المطر والاعصار
والصاعقة والبرد ه وذلك يدل على تصرف الرب تعالى اياها حسب مشيئته فانه مع ما جعلها
بشرى بين يدي رحمة ربما يهلك بها أمة ظالمة وربما ينجو بها أمة سالحة وربما يسكنها
وربما يرسلها ه وقد بينا ذلك في تفسير سورة الذاريات ه وصرح القرآن بهذه الأقسام
في غير موضع فلا حاجة ههنا الى ايراد الآيات الشاهدة ه فملى هذا الأصل استدلال على
يوم الدين بما يظهر من دينونة الرب تعالى في الدنيا من تصرف الرياح للرحمة والنقمة
والمدافع والمضار ه فدل على ربوبيته وقدرته وهكته وتدبيره ه فظهر انه ينعم على عباده
ويعذبهم وليمن بخافل عنهم فلا بد أن يد ينهم يوما حسب أعمالهم ه وهذا هو الأصل
الاستدلال على الدينونة ه

ثم لما كانوا من شدة غفلتهم ينكرون بيوم الدين من جهتين : من جهة كونهم
عجيبا ومن جهة تأخره فانه قد وعدوا به ولما يأتيهم ه فحسب ماتين الشبهتين أجمري
الكلام ههنا ه فأما الشبهة الأولى فأزاحها بأن ذكر من أهر يوم القيامة ما هو مشابه بفعل
الرياح ه فانها تطمس على الاعلام وآثار الديار وتفرج السحب وربما تشتد فتخرق البيوت

(١) التبيان لابن القيم ص ٤٢

(٢) في كتابه : إيمان في أقسام القرآن .

وتذهب بالسقوف وربما تهدم القصور المشيدة وتحطم وتنسف أجزاءها فمن يعتبر
بتصاريف الرياح لا يستبعد أن يأتي أمر الله فيطمس النجوم ويفرج السماء وينسف الجبال ،
فجعل الله أفعال الرياح آية على ذلك .

وأما الشبهة الثانية وهي معظم ما يتمسكون به وقد أجاب عنه كثيرا وبوجهه ه مثلا
قوله تعالى : (ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا مترك على ظهرها من دابة ولوكن
يؤخرهم الى أجل مسمى فاذا جاء أجلهم فان الله كان بعبادهم بصيرا ه)^(١) وأما ههنا
فذكر انه يوم الفصل ه فمن رحمته أن أمهلهم برهة وأكثر لهم من النصيحة والعبارة ليستم
الحجة على الغافل ولينجي من ينتفع بالنذر ه فانه اذا جاء يوم الفصل لا يقبل من المجرمين
الغافلين توبة ولا يسمع منهم عذر ولا تبقى لهم حيلة تنجيهم من الانتقام والبطش الشديد
والمدل التام ه كما صرح به فيما يأتي من بعد ه فمظم أولا أمر يوم الفصل والحساب
ه ثم نه على شناعة أمر من يكذب بمجيئة ان لا يخافون ماهوات وان آخر الى أجل صق ،
فموقع آية (ويل يومئذ للمكذبين) بعد ذكر يوم الفصل ويوم الجزاء موقع كلام جامع
يشمل كلما يقع عليهم في ذلك اليوم ه هذا ويعد ما استدلل عليهم بأمر الفطرة عند النبي
الاستدلال بالوقائع الماضية والآثار الدالة وسنن الله الجارية عليهم كما هو كثير في القرآن .^(٢)

١٢ - (سورة النازعات) :

قال الله عز وجل : (والنازعات فرقا ه والناشطات نشطا والسابحات سبحا ~~للنازعات~~
سبقا فالمدبرات أمرا ه يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة ه) الآيات .^(٣)

قد طال الخلاف حول النازعات ماهي ؟ وقد أفسح حذف الموصوف فيها واقامة

-
- (١) فاطر : ٤٥
(٢) نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان للفراهي ه (سورة المرسلات) .
(٣) النازعات ١ - ٧

الصفات مقامه مجالا واسما لتأويلات عديدة بلغت في بعض كتب التفسير نحو عشرة أقوال ، مع العلم أن الوجوه المنقولة عن المفسرين غير منقولة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم نضا حتى تكون جازمة في الأمر وانما ذكروها لكون اللفظ محتملا لها .

وكما اختلفوا في النازعات اختلفوا أيضا في الكلمات الواردة بمدى هل هي صفات لشيء واحد أم لأشياء مختلفة على أوجه ه وقد درست هذه الأقوال بامعان النظر فيهما حتى اخترت قولين منها وترددت في ترجيح أحدهما على الآخر لانه لا سبيل الى الجزم بدون دليل قطعي كما ذكرت آنفا .

(القول الأول) وعليه أكثر المفسرين أن المراد بها الملائكة ه فقله سبحانه (والنازعات غرقا) : النزع هو اجتذاب الشيء بقوة (١) ه والافراق في النزع هو أن يجتذبه الى آخره ه (والناشطات نشطا) : النشاط هو الجذب (٢) يقال نشطت الدلو أنشطتها نشطا : نزعتها برفق ه فأقسم سبحانه بطوائف الملائكة حين تنزع نفوس الكفار بشدة وعنق وتنشط أرواح المؤمنين بيسر وسهولة ولين ه ونظير ذلك قوله سبحانه : (وهو القاهر فوق عباده ه ويرسل عليكم حفظة ه حتى اذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون ه) (٣) وقوله : (ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم ه) الآية (٤)

وفي حديث البراء بن عازب : وان المصد الكافر اذا كان في انقطاع من الدنيا واقبال من الآخرة نزل اليه من السماء ملائكة سود الوجوه مصهم المسوح فيجلسون منه مد البصر ثم يجيى طك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول أيتها النفس المخبیثة أخرجي الى سخط من الله وغضب ه قال فتفرق في جسده فينتزعها كما ينتزع السفود من المصوف الملول فيأخذها الخ ه (٥)

-
- (١) الصحاح ١٢٨٩/٣ واللسان ٣٤٩/٨ (٢) الصحاح ١١٦٣/٣-١١٦٤ واللسان
(٣) الأنعام : ٦١
(٤) النساء : ٩٧
(٥) مسند أحمد ٢٨٨/٤ والسفود هو الحسك : نبات تملق ثمرته بصوف الغنم ه
الصحاح ١٥٧٩/٤

(والسباحات سبحا) : يعنى الملايكة ينزلون من السماء سرعين ه فجعل نزولهم

من السماء كالسباحة ه والمرب تقول للفرس الجواد اذا أسرع فى جريه انه المايح

(فالسباقات سبحا) أى الملايكة ه اذا جاءهم الأمر فانهم يتسارعون الى امثاله

ويتبادرون الى اظهار طاعته ه (لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعطون ه) (١) وقوله (فالمديرات

أمرأ) قال ابن عطية لا أحفظ خلافا أنها الملايكة ه وكذا قال القشيري ، (٢) يدبرون أمر

الله تعالى فى الأرض ه كما هو ثابت بالقرآن والسنة أنهم وكلوا بأمر عرفهم الله العمل
بها والوقوف عليها ه

وعطف الصفات بالفا دليل على ترتيب فى الصفات ه وذلك يدل على كونها صفات

شى * واحد ه بل ربما يعطف بالواو مع كون القسم بشى * واحد كما ترى فى أول المرسلات

ه فالقول بأن هذه الصفات لأشياء مختلفة يخالف النظائر وكلام العرب ه كما مر فى سورة

الذاريات ه وهو قول الكرخى والجرجاني ه (٣) ه (٤)

والقول الثانى أن المراد بالنازعات الرياح ه فقوله سبحانه : (والنازعات غرقا) :

نزعت الشى * من مكانه أنزعه نزعا : قلعته (٥) والفرق والافراق فى اللفظة بمعنى واحد ،

وأضيف الى النازعات لبيان معنى الشدة ه نظير ذلك قوله سبحانه : (انا أرسلنا

(١) الأنبياء ٢٧

(٢) البحر المحیط ٢٢٩/٨ والقرطبي ١٩٤/١٩ وفتح البيان لصديق حسن خان
٢١٨/١٠

(٣) القرطبي ١٩٤/١٩ وفتح البيان ٢١٩/١٠ والتبيان لابن القيم ص ٨٧ وانظر
تفاصيل هذا القول فى الطبرى ١٨/٣٠ - ٢٠ وابن كثير ٤٦٦/٤ والفخر
الرازى ٢٨/٣١ - ٢٩ وفرائب القرآن للنيسابورى بهامش الطبرى ١٦/٣٠ ومعانى
الفراء ٢٣٠/٣ والفتوحات الالهية ٤٧٨/٤ والكشاف ٢١٢/٤

(٤) والكرخى هو عبيد الله بن الحسين الكرخى ه أبو الحسن فقيه ه انتهت اليه رئاسة
السنفية بالمراق ه (٢٦٠ - ٣٤٠ هـ) (الأعلام ١٩٣/٤) والجرجاني هو عبد القاهر
بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني ه أبو بكر ه واضع أصول البلاغة كان من أئمة
اللفظة من كتبه أسرار البلاغة ه ودلائل الاعجاز ه توفى سنة أربع مائة وواحد
وسبعين من الهجرة ه (الأعلام ٤٨/٤)

(٥) الصحاح ١٢٨٩/٣

(١) عليهم ريحا ضررا في يوم نحس مستمر ه تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر ه (١)

(والناشطات نشطا) يقال نَشِطَتِ الناقة في سيرها اذا شدت والناشط: الثور
الوحش يخرج من أرض الى أرض (٢) والنشط فيه معنى الرفق واللين ه فكأن المعنى:
الرياح الجارية برفق ولين من أرض الى أرض ه كما قال في الذاريات: (فالجاريات
يسرا ه) (٣)

(والسابحات سبحا) وهي صفات للسحاب ه والمناسبة بين الرياح والسحاب
ظاهرة ه وقد ذكرا معا في مواضع من القرآن ه وليس الثاني الا نتيجة الأول ه

وقوله (فالمديرات أمرا) نظير قوله في الذاريات: (فالمقسمات أمرا) (٤) وقوله
في المرسلات: (فالفرقات فرقا ه فالطقيات ذكرا ه) (٥) والمعنى أن الرياح والسحاب
تدبر أمر الله عز وجل في الأرض بتصاريحها وتفريقها بين قوم وقوم فتكون رحمة لهذا ونقمة
لذلك .

وقد سبق مرارا أن هذه الأقسام شهادات وآيات دالة على المقسم عليه ه وان كان
المقسم عليه في السورة هدف لمعرفة السامعين المعنى وهو اثبات البعث والجزاء ه ووجه
الاستشهاد بالرياح على هذا المطلوب ظاهر كما مر تفصيل ذلك في سورتي الذاريات
والمرسلات ه فلا يستبعد أن يكون المراد بالنازعات الرياح قياسا على نظائرها حيث
أن العمود الذي تدور حوله السور الثلاث هو تقرير البعث والجزاء ه

وخلاصة القول أن في تصريف الرياح والسحاب لنعصمها العام وضررها المخصوص

(٢) الصحاح ٣/١١٩٣

(٤) الذاريات ٤

(١) سورة القمر ١٩ - ٢٠

(٣) الذاريات ٣

(٥) المرسلات ٤ - ٥

حسب مشيئة الله عز وجل دلالة على أن أمور الخلق لا يجرى باطلاً وعبثاً ه وعلى احاطة أمره سبحانه، فإن كل شيء حتى هذه الرياح التي لا ترى أنها تمقل شيئاً تجرى بأمر الله تعالى حسب حكمته وعدله ه فملى هذا الأصل استدلال على يوم الدين بما يظهر مسن دينونة الرب تعالى في الدنيا من تصريف الرياح للرحمة والنقمة والمنافع والمضار فدلت على ربوبيته وقدرته وحكمته وتدبيره ه فظهر انه ينعم على عباده ويمد بهم وليمن بمخالف عنهم فلا بد أن يد ينهم يوماً حسب أعمالهم ه وهذا هو أصل الاستدلال على الدينونة وقد مرّ تفصيل ذلك في سورتي الذاريات والمرسلات .

أين جواب القسم ؟ فيه قولان : قيل انه مضمّر ه

واليه ذهب القراءه : قال هو ماترك جوابه لمعرفة السامعين الممضى ه وكأنه لو ظهر كان (لتبمثن ولتحاسبن) ويدل على ذلك قولهم (أئذا كنا عظاما نخرة)^(١) ألا ترى أنه كالجواب لقولهم : أئذا كنا عظاما نخرة نيمث ؟ فاكتفى ب (أئذا كنا عظاما نخرة)^(٢) ه

وقال الأخفش والزجاج : لننفخن في الصور نفختين ه ودل على هذا المحذوف ذكر الراجفة والرادفة وهما النفختان ه^(٣)

وقال الكسائي : الجواب المضمّر هو أن القيامة واقعة. وذلك لأن سبحانه وتعالى قال : (والذاريات ذروا) ثم قال : (انما توعدون لصادق) وقال : (والمرسلات عرفا) ثم قال : (انما توعدون لواقع) فكذاك ههنا فان القرآن كالسورة الواحدة ه^(٤)

-
- (١) النازعات ١١ ه وقرأ نافع وابن عامر والكسائي (اذا) بخير استفهام وقرأ أبو بكر وهمزة والكسائي (ناخرة) بالالف بعد النون ه (الاتحاف ص ٤٣٢)
(٢) معاني القرآن للفراء ٢٣١ / ٣
(٣) ه (٤) تفسير الفخر الرازي ٣١ / ٣٣ واعراب القرآن للنحاس ٢ / ٦١٧

وجعل ابن القيم جواب القسم محذوفا يدل عليه السياق ه وهو البعث المستلزم لصدق الرسول وثبوت القرآن ه أو أنه من القسم الذي أريد به التنبيه على الدلالة والمعبرة بالمقسم به دون أن يراد به مقسما عليه بيمينه ه فان المقسم به اذا كان دالا على المقسم عليه مستلزما استغنى عن ذكره بذكره ه وهذا غير كونه محذوفا لدلالة ما بعده عليه ه فتأمل ه (١)

(والقول الثاني) أن الجواب محذوف ه قال محمد بن علي الحكيم الترمذي : الجواب (ان في ذلك لمبرة لمن يخشى) (٢) قال ابن النباري : وهذا قبيح لأن الكلام قد طال . وقيل : اللام التي تلتق بها القسم محذوفه من قوله (يوم ترجف الراجفة) (٣) وقيل : الجواب (هل أتاك حديث موسى) لأنه في تقدير (قد أتاك) وليمن بشئ ه وهذا كله اعراب من لم يحكم العربية. وحذف الجواب هو الوجه (٤) والله أعلم ه

-
- (١) التبيان ص ٨٧
(٢) البيان لابن النباري ٢/٤٩٢ - ٤٩٣ والآية ٢٦ .
(٣) الآية ٦
(٤) البحر المحيط ٨/٤٢٠

١٣ - (سورة التكوير)

قال الله عز وجل : (فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس ه والليل اذا عسس ه
والصبح اذا تنفس ه انه لقول رسول كريم ه ذى قوة عند ذى العرش مكين ه مطاع ثم أمين
ه وما صاحكم بمجنون ولقد رآه بالأفق المبين ه) الآيات (١)

الكلام فى قوله (فلا أقسم) تقدم فى سورتي الواقعة والقيامة . والخنس جمع خانس .
ه والخنس : الانقباض والاختفاء ه والمراد هنا الكواكب لأنها تخنس فى المصيب أولاً لأنها
تخفى بالنهار ه (٢)

والجوارى جمع جارية ه والكنس جمع كانس ه قال أبو عبيدة وهى الكواكب سميت
الكانس لأنها تكنس فى المصيب أن تستتر ه (٣) قال الفراء : تستر كما تكنس الظباء فى
الصغار وهى الكناس ه (٤)

فأقسم سبحانه بالنجوم فى أحوالها الثلاثة من طلوعها وجريانها وغروبها . وهذا
قول عامة المفسرين ه ونبه بخنوسها على حال ظهورها ه لأن الخنوس هو الاختفاء بمد
الظهور ه ولا يقال لما لا يزال مختلفياً أنه قد خنس ه (٥) ولذا قال بعض الأئمة : إنما
قيل للنجوم الخنس أى فى حال طلوعها ه ثم هى جوارى فى فلكها ه وفى حال غيوبتها
يقال لها (كنس) من قول العرب : أوى الظبي الى كناسه : اذا تفيب فيه ه (٦)

والذين قالوا : ان المراد بقوله : الخنس الجوار الكنس بقر الوحش ه ضئيف بدليل
ذكر الليل والصبح بعدها ه وهذا بالنجوم أليق منه بقر الوحش ه (٧) ولأن الارتباط الذى
بين النجوم التى هى هداية للسالكين ورجوم للشياطين وبين المقسم عليه وهى القرآن الذى

-
- (١) التكوير ١٥ - ٢٧ (٢) الصحاح للجوهري ٣ / ٩٢٥
(٣) الصحاح ٣ / ٩٧٢ ومجاز القرآن لابی عبيدة ٢ / ٢٨٧
(٤) معانى الفراء ٣ / ٢٤٢ (٥) التبيان لابن القيم ٧٣
(٦) تفسير ابن كثير ٤ / ٤٧٩ وتفسير الطبرى ٣٠ / ٤٧ - ٤٩
(٧) تفسير الفخر الرازى ٣١ / ٧٢ - ٧٣

هو هدى للمالين وزينة للقلوب ه ودا حى لشبهات الشيطان أعظم من الارتباط الذى
بين البقر والطباة والقرآن . (١)

وقوله : (والليل اذا عسمس والصبح اذا تنفس ه) (٢) اختلفوا فى عسسية
الليل هل هى اقباله أم ادباره ؟ فالأكثر على أن عسمس بمعنى طوى وذهب وأدبره
واحتجوا بقوله سبحانه : (كلا والقمر والليل ان أدبر والصبح اذا أسفر ه) (٣) فأقسم
بادبار الليل وأسفار الصبح ه وذلك نظير عسسية الليل وتنفس الصبح ه واستشهدوا بقول
الشاعر أيضا :

حتى اذا الصبح له تنفسا وانجاب عنها ليلها وعسسا ه

أى أدبر وقالوا : الأحسن أن يكون القسم بانصرام الليل واقبال النهار ه فانه
عقبيه من غير فصل ه فهذا أعظم فى الدلالة والعبارة ه بخلاف اقبال الليل واقبال النهار
ه فانه لم يصرف القسم فى القرآن بهما معا ه ولأن بينهما زمنا طويلا ه فالآية فى انصرام
هذا ومجى الأخر عقبيه بغير فصل أبلغ ه فذكر سبحانه حالة ضعف هذا وادباره وهالكة
قوة هذا وتنفسه وهذا هو القول ه والله أعلم ه

ومن رجع الاقبال قال لأن الاقبال ههنا أنسب ه كأنه أقسم بالليل وظلامه اذا أقبل
وبالفجر وضائه اذا أشرق كما قال تعالى : (والليل اذا يفتشى والنهار اذا تجلجى) (٤)
وقال : (والضحى والليل اذا سجدى) (٥) قالوا فغشيان الليل نظير عسسته ه وتجلجى
النهار نظير تنفس الصبح ه ان هو هده وه وأوله ه (٦)

وقال كثير من علماء الأصول ان لفظة (عسمس) من الأضداد تستعمل فى الاقبال
والادبار على وجه الاشتراك فعلى هذا يصح أن يراد كل منهما ه والله أعلم ه (٧)

- | | | | |
|-----|---|-----|--|
| (١) | التبيان ص ٢٤ | (٢) | التكوير ١٢ - ١٨ |
| (٣) | المدثر ٣٢ - ٣٤ | (٤) | الليل ١ - ٢ |
| (٥) | الضحى ١ - ٢ | (٦) | التبيان لابن القيم ٢٤ - ٢٥ وتفسير |
| (٧) | مقدمة فى أصول التفسير لابن تيمية
٥٠٠ - ٤٩٥ / ٣٠ - ٤٩٥ / ٥٠٠ وتفسير ابن كثير
٤٧٩ / ٤ | | الطبرى ٥٠٠ - ٤٩٥ / ٣٠ - ٤٩٥ / ٥٠٠
٤٧٩ / ٤ |
- وابن كثير ٤٧٩ / ٤ ومعجم قريب
القرآن مستخرجا من صحيح البخارى
ص ١٣٦ .

(1) أى تيلج (أى اذا طلغ وأضأ وانفلق وامتد ضوءه (2)

وإذا أقبل الصبح أقبل باقباله روح ونسيم فجعل ذلك نفسا له على المجاز (3)

وجواب القسم (انه لقول رسول كريم) . يعنى ان هذا القران لتبليغ رسول كريم

أى طك شريف حسن الخلق بهى النظر وهو جبريل عليه السلام (4) ثم وصفه بخمسة

صفات تتضمن تزكية سند القرآن ه وأنه سماع محمد من جبريل وسماع جبريل من رب -

العالمين وفناهيك بهذا السند طوا وجلالة (5)

وقد مرت مثل هذه الآيات فى سورة النجم أيضا ه الا انه أقسم هناك على صدق

هذا القران بهوى النجم وهنا يجريان النجوم وخنوسها وكنوسها .

أما المناسبة بين القسم به والقسم عليه فهنا فكأنه يقول ه ان القرآن المقسم

عليه حاله فى الثبوت والظهور وحال الناس معه كحال هذه الكواكب الثوابت لديمك فى

ظهورها تارة واختفائها أخرى ه وكحال الليل والصبح ه فهو عند أناس موضع ثقة

وهداية كالصبح فى اسفاره ه قلوبهم متفتحة اليه وعقولهم مهتدية به ه فهولهم روح ونور

ه وعند أناس مظلمة امامه قلوبهم ه عى عنه بصائرهم ه وفى آفانهم وقر ه وهولهم عى

ه وأناس تارة وتارة كالنجوم أحيانا وأحيانا ه فتارة ينقدح نوره فى قلوبهم فتظهر معالمه

فيسرون معه ه وتارة يغيب عنهم نوره فتخنس عنه عقولهم وتكنس دونه قلوبهم ه كما قال

تعالى عنهم : (كلما أضأ لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا ه) (6)

وليس بميدا أن يقال : إنه من وجه آخر تمتبر النجوم كالكتب السابقة ه مضى

عليها الظهور فى حينها والخفاء بمدى ه

- | | | | |
|-------|-------------------|-------|------------------------------------|
| (1) | الصحاح ٣ / ٩٨٤ | (2) | ابن كثير ٤ / ٤٧٩ والقرطبي ١٩ / ٢٣٨ |
| (3) | الكشاف ٤ / ٢٢٤ | (4) | ابن كثير ٤ / ٤٧٩ |
| (5) | التبيان ص ٧٥ - ٧٦ | (6) | البقرة ٢٠ |

وفي زهاب الظلام وأسفار الصبح لآية على نور البعثة بعد الفترة (والليل اذا
عسس) : هو ظلام الجاهلية .

(والصبح اذا تنفس) يقابله ظهور الاسلام ه وأنه سينشر انتشار ضوء النهار
ه ولا تقوى قوة قط على حجه ه وسيمم الآفاق كلها مهما وقفوا دونه ه (يريدون ليطفئوا
نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون ه)^(١) والله أعلم ه

١٤ - (سورة الانشاق) :

قال الله عز وجل : (فلا أقسم بالشفق والليل وما وسق ه والقمر اذا اتسق ه
لتركبن طبقا عن طبق ه)^(٢)

(الشفق) في اللغة بقية ضوء الشمس وحمرتها في أول الليل الى قريب من
العتمة ه وقال الخليل : الشفق : الحمرة من غروب الشمس الى وقت المشاء الأخيرة
ه وكذلك هو في الشرع ه^(٤)

(والليل وما وسق) : أي وما ضم وحوى وجمع وحمل ه^(٥) (والقمر اذا اتسق) :

أي اذا اجتمع واستوى وتكامل وتم واستدار .

ثم أقسم على تنقل الانسان حالا بعد حال ه من حين كونه نطفة الى مستقره من
الجنة أو النار فكم بين هذين من الأطباق والأحوال للانسان بعضها أشد من بعض

(١) سورة الصف ٨ وانظر أضواء البيان ٩ / ٧١ - ٧٢ ومذكرات القرآن للفراهي (مخطوط) :
سورة التكوير ه

(٢) الانشاق ١٦ - ١٩

(٣) الصحاح للجوهري ٤ / ١٥٠١

(٤) التبيان : ٦٨

(٥) الكشاف ٤ / ٢٣٥ والفخر الرازي ٣١ / ١١٠ والتبيان ٦٩ والصحاح للجوهري ٤ / ١٥٦٦

فقال : (لتركبن طبقا عن طبق) (١) أى حالا بعمد حال كل واحدة مطابقة لأختها
فى الشدة والهول ه ويجوز أن يكون جمع طبقة وهى المرتبة ه والمعنى لتركبن أحوالا بعمد
أحوال هى طبقات فى الشدة بعضها أرفع من بعض وهى الموت وما بعمده من أحوال القيامة (٢)
وهذا اشهاد من الله سبحانه بأمر الفطرة على البحث والقيام ه وذلك لأنه
سبحانه أقسم بتغييرات واقعة فى هذا الكون ه فان الشفق حالة مخالفة لما قبلها وهو ضوء
النهار ه ولما بعمدها وهو ظلمة الليل ه وكذلك قوله (وألليل وما وسق) فانه يدل على
حدوث ظلمة بعمد نور ه وعلى تغيير أحوال الحيوانات من اليقظة الى النوم ه وكذا قوله
(والقمر اذا اتسق) فانه يدل على حصول كمال القمر بعمد أن كان ناقصا ه انه تعالى
أقسم بهذه الأحوال المتغيرة على تغيير أحوال الخلق ه وهذا يدل قطعا على صحة
القول بالبحث ه لأن القادر على تغيير هذه الأجرام من حال الى حال وصفة الى صفة
بحسب المصالح ه لا بد وأن يكون فى نفسه قادرا على جميع الممكنات عالما بجميع المعلومات
ه ومن كان كذلك كان لا محالة قادرا على البحث والقيام (٣) ولذا قال : (فآلمهم
لا يؤمنون) أى بالبحث والقيام وقد شهدت بصحتها الدلائل الكونية التى يشاهدونها
فى صورة مبدأ ومعاد يوهى ه

وقال ابن القيم : وأنت اذا تأملت هذا المقسم به والمقسم عليه وجدت من أعظم
الآيات الدالة على الربوبية ه وتفسير الله سبحانه للعالم وتصريفه له كيف أراد ه ونقله
إياه من حال الى حال ه وهذا محال أن يكون بنفسه من غير فاعل مدبر له ه ومحال أن
يكون فاعله غير قادر ولا حى ولا مرید ولا حكيم ولا عليم وكلاهما فى الامتناع سوا ه

-
- (١) قرأ ابن كثير وحمره والكسائى (لتركبن) بفتح الباء على خطاب الواحد ه والهاقون
بضمها على خطاب الجمع أنظر الأتحاف ص ٤٣٦
- (٢) الكشاف ٢٣٦/٤ والفخر الرازى ١١٠/٣١
- (٣) تفسير الفخر الرازى ١١٢/٣١

فالمقسم به وعليه من أعظم الأدلة على ربوبيته وتوحيده وصفات كماله وصدقته وصدق
رسله وعلى المعاد . ولهذا عقب ذلك بقوله (فما لهم لا يؤمنون) إنكارا على من لم
يؤمن بعد ظهور هذه الآيات المستلزمة لدلولها أتم استلزام (١)

١٥ - (سورة البروج) :

قال الله عز وجل : (والسما ذات البروج واليوم الموعود) شاهد ومشهود
قتل أصحاب الأخدود (٢)

(البروج) : فسرت بالنجوم وفسرت بمنازل الكواكب والقصور المعظم والحصون
النيمة وسميت بروجاً لظهورها (٣)
(واليوم الموعود) هو يوم القيامة باجماع المفسرين (٤)

(شاهد مشهود) لم يصرح هنا من الشاهد وما المشهود . فان كان بمعنى
الحضور . فالشاهد الانسان والمشهود يوم القيامة . كقوله تعالى : (ذلك يوم مجموع
له الناس وذلك يوم مشهود) (٥) وان كان من الشهادة وهو الأنسب لما ذكر من اليوم
الموعود . فالشاهد كل من يشهد في ذلك اليوم والمشهود كل من يشهد عليه . ومن
هنا اختلفت أقوال المفسرين الى ما يقرب من عشرين قولاً . والذي يظهر والله أعلم أنه
من باب الشهادة . لأنه لما ذكر اليوم الموعود فانه يحتاج الى من يشهد فيه وتقاسم
الشهادة على ما سيرض فيه لاقامة الحججة على الخلق لا لاثبات الحق .

وقد جاء في القرآن تمداد الشهود في ذلك اليوم . مما يتناسب مع المصـ
والحساب . ومجمل ذلك أنها تكون خاصة وعامة وأعم من العامة . فمن الخاصة شهادة

(١) التبيان ص ٧١ (٢) البروج : ١ - ٤ (٣) الكشاف ٢٣٧/٤ وتفسير ابن كثير
٤٩١/٤ والفخر الرازي ١١٤/٣١ وفتح القدير ٤١١/٥ . وانظر أيضاً تفسير قوله
سبحانه (تبارك الذي جعل في السما بروجا) (الفرقان : ٦١) في ابن كثير
٢٢٣/٣ وفتح القدير ٨٤/٤
(٤) تفسير ابن كثير ٤٩١/٤ وفتح القدير ٤١١/٥
(٥) سورة هود : ١٠٣

الجوارح على الانسان ه كما في قوله تعالى : (حتى اذا ماجأوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعطون ه)^(١) وقوله : (اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون ه)^(٢) وهذه شهادة فعل ومقال لا شهادة حال ه كما بينها سبحانه في قوله عنهم : (وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا ه قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شئ ه وهو خلقكم أول مرة واليه ترجعون ه وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ه) الآيات^(٣) فالشاهد هنا جوارح الانسان والمشهود هو نفسه بحذف الصلة كما في قوله تعالى (ان العهد كان مسئولا)^(٤)

ومن العامة شهادة الملائكة كما في قوله سبحانه : (وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد ه)^(٥) ثم شهادة الرسل كل رسول على أمته ه كما في قوله عن عيسى عليه السلام : (وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم ه)^(٦) فهذا وان كان في الحيااة فسيؤدبها يوم القيامة ه وكقوله في عموم الأمم (ويوم نهضت في كل أمة شهيدا عليهم من أنفسهم ه) الآية^(٧) ومنها : شهادة الرسول صلى الله عليه وسلم على جميع الرسل كما في قوله تعالى : (فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا ه)^(٨) فشهيد الأولى : أي شهيد على الأمة التي بصت فيها وشهيد الثانية : أي شاهد على الرسل في أنفسهم ه ومنها : شهادة هذه الأمة على سائر الأمم ه كما في قوله تعالى : (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ه)^(٩) ومنها : شهادة الرسول على هذه الأمة لقوله تعالى : (ويكون الرسول عليكم شهيدا ه)^(١٠)

- | | |
|---|-------------------|
| (١) فصلت : ٢٠ | (٢) يونس : ٦٥ |
| (٣) فصلت : ٢١ - ٢٢ | (٤) الاسراء : ٣٤ |
| (٥) سورة ق : ٢١ | (٦) المائدة : ١١٧ |
| (٧) النحل : ٨٩ | (٨) النساء : ٤١ |
| (٩) ه البقرة ١٤٣ وفي الحج : ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس ه الآية ٧٨ | (١٠) ه |

ومن أعم العامة : شهادة الله على الجميع ه كما في قوله تعالى : (قل أى شىء أكبر شهادة ه قل الله ه) الآية (١) وقوله (قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم) (٢) وقوله : (أولم يكف بربك انه على كل شىء شهيد ه) (٣) وسياقى في نفس السياق قوله (والله على كل شىء شهيد) (٤)

وهذا ما يتناسب مع ذكر اليوم الموعود ه وما يكون فيه من الجزاء والحساب على الأعمال ه ومجازاة الخلائق عليها ه وهو كما ترى لا يتقيد بشاهد واحد ه وأيضا لا يمارض ه بعضها يمضا ه فاختلف الشهود وتمدد هم باختلاف المشهود عليه وتمدد ه من فرد الى أمة الى رسل الى غير ذلك ه وكلها داخله في المعنى وواقعة بالفعل ه والله أعلم (٥)

وقد ذكر اختلاف الحلما في جواب القسم ههنا أهو مذكور أم محذوف في الباب الأول في محث المقسم عليه أفنى عن اعادته ه والراجع عندى أن الجواب محذوف وجطة (قتل أصحاب الأخدود) دعائية وليست خبرية ه ومقصها الزجر والتشنيع ه والمقصود هو اثبات البحث والجزاء ه

أما وجه الارتباط بين هذه الأمور الثلاثة المقسم بها وبين المقسم عليه ففي غاية الظهور وهو أن هذه الهروج المظام من أعظم آيات قدرته سبحانه وشواهد وحدانيته ه فانه يستحيل أن توجد بخير فاعل ه كما يستحيل أن يكون فاعلها غير قادر ولا عال لم ولا مرید فلا بد أن يكون لهذا العال لها قادرا فاعلا بالاختيارها لما بتفاصيله حكيمًا مدبرًا له ه

ثم لما كانت حكمته سبحانه تأبى أن يترك عباده سدى أو يخلقهم عبثا أقسم بأعظم الأيام وأجلها قدرا الذى هو مظهر طمكه وأمره ونهيه وشوابه وعقابه ه ومجمع أوليائه وأعدائه

-
- (١) الانعام ١٩ (٢) الرعد ٤٣
(٣) فصلت ٥٣ (٤) الهروج ٩
(٥) انظر تفسير الطبرى ٨٣/٣٠ - ٨٤ والفخر الرازى ١١٦/٣١ والبحر المحييط ٤٤٩/٨ - ٤٥٠ والكشاف ٢٣٧/٤ وفتح القدير ٤١١/٥ - ٤١٢ وأضواء البيان ١٣١/٩ - ١٣٥

والحكم بينهم بعلمه وعدله .

ثم أقسم بما هو أعم من ذلك كله ه وهو الشاهد والمشهود ه فمن نوع الخليفة الى شاهد ومشهود وجعل من الخلق ما يكون شاهدا رقيباً حفيظاً على غيره ه أليس من المستحيل أن لا يكون هو بنفسه شاهداً على صاهه مطلقاً عليهم رقيباً ؟ (١)

وكما استدل بهذه الأشياء على البصك والجزاء استدل عليه أيضاً بما ذكر بعدها من صفاته ه من أنه عزيز حميد ه ذو بطش شديد ه يبدى ويمسك ه ذو العرش المجيد ه فعال لما يريد ه جعل يوماً موعوداً لثوابه وعقابه ه وشهد بنفسه على كل شىء وهو محيط من وراء صاهه ه فهو غفور ودود للمؤمنين وذو بطش شديد للفاوتين الناقمين (٢) ه فأهلك فرعون وشمود الذين فتنوا المؤمنين ووعده المؤمنين بالجنة والفوز الكبير ه فهذه الصفات تخبر عن شهود الرب واحاطت به وخطه وانتقاه ووعده ووعده ومجازاته ومع ذلك عن امهاله ه والله أعلم ه

١٦ - (سورة الطارق) :-

قال الله عز وجل : (والسماء والطارق ه وما أدراك ما الطارق ه النجم الثاقب ان كل نفس لما عليها حافظ) (٣) وقال سبحانه : (والسماء ذات الرجوع والأرض ذات الصدع ه انه لقول فصل وما هو بالهزل ه) (٤)

-
- (١) التبيان لابن القيم ص ٥٦ - ٥٧ (بتصرف)
(٢) ذكروا في قصة أصحاب الأخدود حكايات متقاربة ه ولكن احراق المؤمنين فسي أهل الكتاب أمر تشهد له وقائع كثيرة ه أنظر التفاصيل في تفسير الطبرسي ٣٠/
٨٥-٨٧ وتفسير ابن كثير ٤/٤٩٣ - ٤٩٦ والفخر الرازي ٣١/١١٨ - ١١٩
(٣) الطارق ١ - ٤
(٤) الطارق ١١ - ١٤

أقسم سبحانه بالسما والطارق ه وقد فسره بأنه النجم الثاقب ه أى المضى المتوهج
كأنه يشق الظلام فينفذ فيه ه وسى النجم طارقاً لأنه يظهر بالليل بعد اختفائه بضوء
الشمس ه قال الفراء : الطارق النجم لأنه يطلع بالليل ه وما أتاك ليلاً فهو طارق ه وكذا
قال الزجاج والمبرد ه والمراد به الجنس لا نجم معين ه ومن عينه بأنه الشريا أو زحل ه فان
أراد التمثيل فصحيح ه وان أراد التخصيص فلا دليل عليه ه والله أعلم .

قال سفيان : كل ما فى القرآن (وما أدراك) فقد أخبره به ه وكل شى قال فيه :
(وما يدريك) لم يخبره به ه وهو على الغالب ه (١)

فأقسم سبحانه فى هذه الآيات بالسما والطارق لمظم أمرها وكبر خلقها وكسل
منها آية من آياته الدالة على علمه وقدرته وسعة ملكه وتصرفه فى مخلوقاته ه ثم قال (ان كل
نفس لما عليها حافظ) وهو جواب القسم ه أقسم على حال النفس الانسانية والاعتناء بها ه
واقامة الحفظة عليها من الملائكة ه وأنها لم تترك سدى ه بل قد أرصد عليها من يحفظ
عليها أعمالها ويحصى ما تكتسب من خير أو شر ه

ثم نه سبحانه الانسان على دليل المصاد بما يشاهده من حال مهده على طريقة
القرآن فى الاستدلال على المصاد بالبدا فقال : (فلينظر الانسان مع خلق) (٢) . أى
فلينظر الفكر والاستدلال ليعلم أن الذى ابتدأ خلقه من نطفة قادر على اعادته ه

ثم ذكر الأمر المستدل عليه وهو المصاد بقوله (انه على رجعه لقادر) (٣) . أى
على رجعه اليه يوم القيامة ه كما هو قادر على خلقه من ما هذا شأنه ه (٤) والارتباط بين
البدا والمصاد ظاهر ه ويلزم من امكان أحدهما امكان الآخر ومن وقوعه صحة وقوع الآخر ه

(١) الكشاف ٤/٢٤٠ - ٢٤١ والفخر الرازى ٣١/١٢٧ ومعانى القرآن للفراء ٣/٢٥٤

وتفسير ابن كثير ٤/٤٩٧ والقرطبي ٢٠/١ - ٢ وفتح القدير ٥/٤١٨ وأضواء

البيان ٩/١٥٥ - ١٥٦ والتبيان ص ٦٣

(٢) الطارق : ه (٣) الطارق : ٨

(٤) التبيان ص ٦٣ - ٦٥ (بتصرف)

والآيات في ذلك كثيرة ه

ثم قال عز وجل : (والسما ذات الرجع والأرض ذات الصدع ه) ^(١) قال الزجاج : الرجع المطر ه وقال الفخر الرازي : الرجع ليس اسما موضوعا للمطر بسبل سمى رجعا على سبيل المجاز ه لكونه يمود مرة بعد أخرى ه أو من باب التفاضل ليرجع طيبهم ه

وقيل : الرجع النفع ه ورجع السما هو اعطاء الخير الذي يكون من جهتها هالا بعد حال على مرور الأزمان ه والخير كله يجى من قبل السما ه

وقيل الرجع : الشمس والقمر والنجوم يرجعن في السما تطلع من ناحية وتغيب في أخرى ه وقيل : الليل والنهار ه أقسم بالسما بليتها ونهارها ه كما في قوله سبحانه : (تولى الليل في النهار وتولى النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي) ^(٢) (الحق)

وقوله (والأرض ذات الصدع) : الصدع هو الشق أى ما تتصدع منه الأرض من النبات والثمار والشجر ه قال أبو عبيدة والفراء : تتصدع بالنبات ^(٣) وفي ذلك آية على انصداعها عن الأموات عند البحث ه كما أن في السما وما ترجع به مرة بعد أخرى سواء هو المطر والخيرات ه أو الشمس والقمر أو الليل والنهار لآية ودليل على المبدأ والمعاد ه فالذى بيدي ويميد هذه الأشياء التي هي أكبر من خلق الناس أيعجز عن إعادة خلق هذا الانسان ؟

ثم قال (انه لقول فصل) أى خير القيامة والقرآن ه وهما شى واحد ه (فصل) :

- (١) الطارق: ١١-١٢ . وانظر تفسير الفخر الرازي ١٣٣/٣١ والكشاف ٢٤٢/٤ وفتح القدير ٤٢٠/٥ والتبيان ص ٦٧ ومذكرات القرآن للفراهي سورة الطارق ه وأضواء البيان ١٦٢/٩ - ١٦٤ والصحاح للجوهري ١٢١٧/٣ .
- (٢) آل عمران ٢٧ (٣) مجاز القرآن لابي عبيدة ٢٩٤/٢ ومعاني الفراء ٢٥٥/٣ والصحاح ١٢٤١/٣

أى ظاهر واضح صين قاطع للمراء والنزاع ه وهو أيضا جد ذو خطر عظيم ه (وما هو بالمهزل)
أى بالباطل واللعب والذى لا حقيقة له ه وأما تأخيره فهو مهلة حكيم قادر ه ولذا قال (فمهل
الكافرين أهلهم رويدا) ه اذا لا خلاف فى الحقيقة بين ما قاله القفال ان الممنى : أن ما
أخبرتكم به من قدرتى على احيائكم فى اليوم الذى تبلى فيه سرائركم قول فصل وحق : ^(١) ^ه ^ه
ما قاله غيره من أن الضمير عائد الى القرآن ^(١) وهما شىء واحد ه فان القرآن نزل مخبئرا
عن البعث منذرا لهم من الحساب والجزاء ولأن السورة كلها فى معرض اثبات القدرة على
البعث واعادة الانسان بعد الفناء بما تضمنت من دلائل واضحة على ذلك ه وأكد هذا
ما جاء بعده من الوعيد بالإمهال رويدا ه وقد سمي يوم القيامة بيوم الفصل كما فى قوله :
(لأى يوم اجلت ه ليوم الفصل ه وما أدراك ما يوم الفصل ه وهل يوئذ للمكذبين ه)
^(٢)

قال الفراهى : ان فى رجوع السماء بليلىها ونهارها وصدع الأرض عن نباتها
وأنهارها آية على رجوع الانسان وملا سرائره يوم القيامة وفى النجوم الطوارق الثواقب
كالعيون الرواق لآية على ان الله على النفوس حافظة رقباء . وفى خلقه الانسان من ماء
خارج من بين الصلب والترائب لآية على أن القادر على خلقه قادر على اعادته ه وكما لم يكن
له شىء من القدرة والنصرة الا من عند الله ه فكذا لا يكون له يوم النشأة الأخرى من قوة
ولا ناصر .
^(٣)

١٧ - (سورة الفجر) :

قال الله عز وجل : (والفجر وليال عشر والشفع والوتر ه والليل اذا يسره هل فى
ذلك قسم لذي حجر ه)
^(٤)

- (١) تفسير الطبرى ٩٥/٣٠ الفخر الرازى ١٣٣/٣١ - ١٣٤ والقرطبي ١١/٢٠ والبحر
المحيط ٤٥٦/٨ وأضواء البيان ١٦٣/٩
(٢) المرسلات ١٢ - ١٥ (٣) مذكرات القرآن للفراهى: سورة الطارق
(٤) الفجر ١ - ٥

(والفجر) هو الوقت المعروف وقت انبثاق نور الصباح أول ظهوره في سواد الليل . أقسم بالفجر كما أقسم بالصبح في قوله : (والصبح اذا أسفر) . (١) (والصبح اذا تنفس) . (٢)

(وليال عشر) : اختلف المفسرون في هذه الليالي . وذهبوا في تأويلها مذاهب شتى . فهي العشر الأولى من ذى الحجة عند بعضهم . وهي العشر الأولى من المحرم عند قوم . وهي العشر الأواخر من رمضان عند الآخرين . وليس في القرآن ولا في الحديث نص بـ (ليال عشر) ما ذكره بعينه . إنما هي مجرد آراء . فالأولى ترك هذه الآية على إطلاقها . وإطلاقها هكذا أوقع وأندى . وقال البعض : المراد بها الليالي المقمرة (٣) لكونها معطوفة على الفجر ولا يخفى ما بينهما من شبه في انتشار النور وانكماش الظلام . إلا أن تنكير ليال عشر إطلاق قد يراد به كل ليال عشر من أول كل شهر ووسطه وأواخره . وإنما نكرها لاختلاف كل ليلة عن الأخرى حسب ظهور القمر وتكاثره ونقصه . بخلاف الفجر فان طلوعه كل يوم على طراز واحد . ولذا قال بعدها والشفع والوتر . لأن العشر الأواخر من كل شهر قد يكون شفعا وقد يكون وترا .

قوله (والشفع والوتر) (٤) ذهب المفسرون في تفسيرها لكل مذاهب . قال الزمخشري : قد أكثروا في الشفع والوتر حتى كادوا يستوعبون أجناس ما يقمان فيه . وذلك قليل الطائل جدير بالتهلى عنه . (٥) وقد بلغ ما أورده الفخر الرازي مسن

(١) المدثر : ٣٤

(٢) التكويم : ١٨

(٣) مذكرات القرآن للفراهي : (سورة الفجر)

(٤) الفجر : ٣ قوله (الوتر) قرأ الجمهور بفتح الواو وهمزة والكسائي بكسرهما

الاتحاف ٤٣٨

(٥) الكشاف ٤/٢٤٩

أقوالهم عشرين وجهاً (١)

وما أدري أن الآية تحتمل كل هذه الأقوال المضطربة والتأويلات المسرفة فـسنى
التكلف ه والذي ينبض التمويل عليه ما يدل عليه معنى الشفع والوتر في كلام العرب ه -
فمضى الشفع لغة ضمّ الشيء الى مثله ونقضه الوتر ه أى التحدّد المفرد لم يشفع
بمعدّ آخر ه فالمراد بالآية اما نفس الممدد أو ما يصدق عليه من المعدودات بأنه شفع أو وتر
وإذا قام دليل على تعيين شىء من المعدودات في تفسير هذه الآية فإن كان الدليل يدل
على أنه المراد نفسه دون غيره فذاك ه وان كان الدليل يدل على أنه مما تناولته هذه الآية
لم يكن ذلك مانعاً من تناولها لغيره ه ولا مانع أن يراد بالآية شفع هذه الليالى ووترها
لكونها معطوفة على (ليال عشر) كما مرّ ه والله أعلم ه

وقد رجح ابن القيم جانب التعظيم في هذه الأقسام فأدار تفسيرها على الخاصك
والصلوات والا ماكن المعظمة وغيرها من الشعائر (٢)

وقوله سبحانه: (والليل اذا يسر) (٣) اذا يمضى ه كقوله: (والليل اذا أدبر)
وقوله: (والليل اذا سمس ه) (٥) وسراها مضياً وانقضاؤها ه

وهناك ملحوظ ه هو أن القسم بالليل لم يأت قط في القرآن على اطلاقه ه بل قيد
هنا ب (اذا يسر) كما قيد في غير سورة الفجر ب (اذا سجد) و (اذا يهشى) و (اذا
سمس) و (اذا أدبر) وكذلك الصبح والنهار ه فلا بد من انتباه لهذا الملحوظ أثناء
التفسير أو وقت بيان المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه ه

(١) الفخر الرازى ١٦٣/٣١ - ١٦٥ تفسير الطبرى ١٠٨/٣٠ - ١١٠ فتح القدير

٤٣٣/٥ والقرطبي ٣٩/٢٠ - ٤١

(٢) التنبيان ١٨ - ٢١

(٣) الفجر ٤ وقوله (يسر) قرأ الجمهور بحذف الياء وصلًا ووقفًا ه وقرأ نافع وأبو عمرو
بحذفها في الوقف وإثباتها في ال وصل ه وقرأ ابن كثير بإثباتها في ال وصل
والوقف (الاتحاف ٤٣٨)

(٤) المدثر ٣٣ (٥) التكوير ١٧

فأقسم بالفجر وهو يتبع الشمس وأقسم بالليالي العشر وهي تابعة للقمر ه كما
أن شفع هذه الليالي ووترها ليس الا نتيجة لظهور القمر واخْتفائه وأقسم بالليل التي
هي موضع ظهور آياتها وهي القمر واخْتفائه آية النهار وهي الشمس ه ويجمع هذه
الآيات تابعة لأمر الله ومشيئته وتقديره ه كما قال سبحانه : (وآية لهم الليل نسلخ
منه النهار فإذا هم مظلمون ه والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم ه
والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم ه لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر
ه ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون ه) (١) فالمعبود هو خالق هذه الأشياء
وبارئها لا هي بذاتها ه كما قال سبحانه : (ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر
لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واستجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون ه) (٢) ثم
في تماقب الشمس والقمر والليل والنهار دليل على المماد لذى عقل وهجر ه

قال الفراهي : اعلم أن السورة استدلال بالربوبية أعني التدبير والحفظ ه
ومن تدبيره سبحانه انه ركب الأضداد وجعل الخير في ذلك ه وعلى هذا الأصل جعل
الانسان على طبقات : أقويا* وضعفا* وأغنيا* وساكين ه وذلك لكي يتماوتوا ويفعلوا
الخيرات وتنشأ فيهم الخصال الحسنة ه فلوجرى الانسان في معاشه على هذا
الأصل لصلحت أحوالهم ولكن الأقويا* المترفين بدّلوا الأمر وقلبوا المصالح ولم يتذكروا
أن هذا الأصل دليل على المماد ه فان الطفغيان والفساد لا يتركهما الرب تما لى ه
بل يعقبهما ما يضادهما كما يعقب الليل الفجر ه

وقال أيضا : في سورة الفجر ذكر علة هلاك الأمم لفسادهم في تمدنهم وذلك
عدم المواساة لاسيما باليتيم والمسكين ه فأتبعها السورة البلد ه وفي هذا الضم دلالة
على أن الله تعالى يحاسب طفاة بلده الأمين أشد حساب ه كما فعل بشمود ه

(١) يسن : ٣٧ - ٤٠

(٢) فصلت ٣٧

وذكر الله تعالى في هذه السورة أمما طفوا في البلاد وملاؤها بالفساد ثم
خصص اضافة الضعفاء وعدم المواساة بهم ثم ذكر نزول المدل فملما أن الله تعالى جعل
يوم الدين لجزاء الطافين المفسدين ونصرة الضعفاء المؤمنين (١) .

وما ذكره الفراهي يشير الى ما أقسم عليه سبحانه في هذه السورة وهو اثبات
البعث والجزاء .

وقالت بنت الشاطي : ان مثل هذا القسم في القرآن الكريم ظاهرة أسلوبية
عدل فيها البيان القرآني بالقسم عن أصل استعماله الأول للتمظيم لمحض بلاغ هو اللفت
الى واقع حسي مدرك لا مجال للمعارة فيه ، توطئة للاقناع بما هو موضع جدل أو ارتياب من
المعنويات والفيبيات غير المدركة ، فنرى آيات القسم في ستهل سورة الفجر لافتة لفتا
قويا الى صور مدركة من التقابل في الأضواء ، ما بين نور الفجر وسرى الليل ، وفي
المدد ، أيا كان المعدود من شفع ووتر .

توطئة بيانية لما يتلو من آيات محكمات فيها تقابل بين الابتلاء بالقوة وبالغنى
والنعمة أو بالفقر والحرمان ، وما يظن معها من اكرام أو اهانة ثم التقابل في الصير
ما بين عذاب الطافين المفرورين ونعيم النفس المطمئنة ، دون أن نتجشم عناء التأويل
بما يفهم كل مقسم به ويمعظه ، أو نخلط بين التفخيم والتمظيم والتشريف ، والحكمة
الالهيية في كل ما خلق الخالق لا فيما أقسم به فحسب .

ومثل هذا الأسلوب يبلغ البيان القرآني غايته من الاقناع وتقدير الحجج وعطى
نحو ما يجلو معاني من الهدى والضلال ، والايمان والكفر ، والحق والباطل ، بحسنيات
مدركة من النور والظلمة ، يجلو في سورة الفجر ، بالضوء والظلمة في درجات متفاوتة .

(١) مذكرات القرآن لفراهي ، سورة الفجر (مخطوط)

معاني من الحق والباطل : فالفجر ان ينشق نوره فينسخ ظلمة الليل ، والمهلال
ان يينزغ وليدا اثر المحاق ويمضي رويدا في دحر الظلام والليل ^{يسرى} ما بين بدء الظلمة
ومطلع الفجر ، كل هذا بيان لافق الى صراع الحق والباطل . والى انبثاق نور الهدى
بعد ان غشيت ظلمة ليل طال ، ضلت فيه أم وطفى طفأة وأفسدوا في الأرض ، مظلمة
تشهد في الواقع المحسوس مسرى الليل ما بين اربار النهار ومطلع الفجر .

والقسم بالشفع والوتر في هذه الصورة البيانية لافق الى ان التقابل في آيات الفجر
وليل عشر والليل اذا يسر ، هو موضع التنبيه والالتفات ، ومن ثم لا تحمل هذه الآيات
(ما لم تدل عليه بخبر ولا عقل) كما قاله الامام الطبري ، ولا تخبط في متاهات التأويل
التي (اضطر فيها المفسرون) كما قال الفخر الرازي ، وأكثروا حتى كادوا يستوعبون
أجناس ما يقع في الشفع والوتر وليال عشر (وذلك قليل الطائل جدير بالتمسك عنه) بنص
عبارة الزمخشري (١)

قوله سبحانه : (هل في ذلك قسم لذي حجر) ، الحجر : العقل ، وأصل
الحجر المنع سمي به العقل لأنه يمنع عن الوقوع فيما لا ينبغي ، كما سمي عقلا ونهيسة
لأنه يحقل وينهى ، وقال الفراء : يقال انه لذو حجر : اذا كان قاهرا لنفسه ضابطا
لها (٢)

وقوله (هل في ذلك قسم) استفهام والمراد منه التأكيد ، كمن ذكر حجة
باهرة ، ثم قال هل فيما ذكرته حجة ؟ والحنى أن من كان له ادراك وفكر علم أن ما أقسم
الله به من هذه الأشياء ، فيه دلائل بيينة على الصماد والجزاء ، فان حكمته وتدبيره يقتضى

(١) التفسير البياني للقرآن الكريم للدكتورة عائشة عبد الرحمن بنت الشاطي ٣٥ / ٢ -
١٣٦
(٢) الكشاف ٢٤٩ / ٤ والفخر الرازي ١٦٥ / ٣١ وفتح القدير ٤٣٤ / ٥ ومعاني القرآن
للغراء ٢٦٠ / ٣

ذلك .

ثم اختلف في جواب القسم حيث لم يصرح تعالى به كما صرح به في نظيره وهو قوله :
(فلا أقسم بمواقع النجوم ه وانه ل قسم لو تملحون عظيم) ثم صرح بالمقسم عليه (انسه
لقرآن كريم) (١) وهنا لم يصرح به مع عظم القسم فوقع الخلاف في تعيينه .

فقيل مذكور وهو قوله : (ان ربك لبالمرصاد .) وما بينه وبين القسم معترض (٢)
ونذهب الزمخشري الى أنه محذوف تقديره : (ليمنهين) بدلالة قوله تعالى بمصد
آيات القسم ألم تركيب فعل ربك بماد الى قوله : ان ربك لبالمرصاد) (٣)

قال الفخر الرازي : وهذا أولى من الوجه الأول ه لأنه لما لم يتعين المقسم
عليه ذهب الوهم كل مذهب ه فكان أدخل في التخويق فلما جاء بعده بيان عذاب
الكافرين ه دل على أن المقسم عليه أولاً هو ذلك . (٤)

وأبدت بنت الشاطي^٥ اطمئنانها الى أن آيات القسم في سورة الفجر قد تم
بها المقصود من اللفت الى المقسم به بما يفنى عن تأويل جواب محذوف أو غير محذوف
وقد تمت آيات القسم بهذا السؤال الصاعد : (هل في ذلك قسم لذي حجر) ؟ فلم
يعد السياق في حاجة الى تكلمة أو جواب ه (٥)

وليس كما زعمت ه فان المقصود هنا ليس لفت النظر الى المقسم به أو قصر
النظر عليه فقط ه بل المقصود انه يفضى التأمل فيه الى تقرير نتيجة هي أوسع منه
بكثير وهو اثبات البعث والجزاء قياساً على واقع حسي مدرك في صورة المقسم به والذي
لا مجال للممارسة فيه ه يفسره ما بعده من هلاك الأمم من أجل تدبير مصالح العالم

(١) الواقعة ٧٥ - ٧٧ (٢) القرطبي ٤٣/٢٠
(٣) الكشاف ٢٥٠/٤ (٤) تفسير الفخر الرازي ١٦٦/٣١
(٥) التفسير البياني للقرآن الكريم للدكتورة عائشة عبد الرحمن بنت الشاطي ١٣٧/٢٤

لفسادهم في تمدنهم . ومن شاهد القيامة من أول النفخ في الصور ودك الأرض الى نهاية الحساب وتذكر كل انسان ماله وما عليه ه ثم مجازاة كل فريق حسب أعماله ه والله أعلم

١٨ - (سورة البلد) :

قال الله عز وجل : (لا أقسم بهذا البلد ه وأنت حل بهذا البلد ه
ووالد وما ولد ه لقد خلقنا الانسان في كبد ه) (١)

والبلد هو مكة ه جعلها الله حرما آمنا وفيه بيت الله الحرام ه أول بيت وضع
للناس في الأرض ليكون بشابة لهم وأما ه يضمنون عنده سلاحهم وخصوصاتهم وهذا واتهم ه
ويلتقون فيه سالمين حراما بعضهم على بعض ه كما أن البيت وشجره وطيره وكل حي فيه
حرام ه ثم هو بيت ابراهيم والد اسماعيل أبي العرب والمسلمين أجمعين ه جعل الله
ذلك البيت قبلة لأهل المشرق والمغرب فقال (وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره ه) . (٢)
وشرفه بمقام ابراهيم بقوله (واتخذوا من مقام ابراهيم صلى) . وأمر الناس بحج ذلك
البيت فقال : (ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ه) (٤)

(وأنت حل بهذا البلد) : في معنى (حل) خلاف بين المفسرين ه فأكثرهم
انه من الاحلال ضد الاحرام ه واختلقوا في المراد بالاحلال هذا فقيل هو استحلال
حرمة الرسول صلى الله عليه وسلم في البلد الحرام الذي يأمن فيه الطير والوحوش
والجاني ه (٥)

وقيل هو احلال الله لرسوله أن يفعل بحكمة وأهلها ماشاء من القتل والأسير

-
- | | | |
|-----|---|-----------------|
| (١) | البلد ١ - ٤ | (٢) البقرة ١٤٤ |
| (٢) | البقرة ١٢٥ | (٤) آل عمران ٩٧ |
| (٥) | الكشاف ٢٥٥/٤ والقرطبي ٦٠/٢٠ - ٦١ والفخر الرازي ١٨١/٣١ | |

ه وذلك عند فتح مكة ه

وذكر الراغب وأبو حيان : انه من الحلول بمعنى الإقامة والبقاء ضد الظمن (١)
وهو المعنى المتبادر من اللفظ ه كما سيأتى بيانه ه والمجمله حالية عند أبي حيان
وجملها الزمخشري اعتراضا بين العاطف والمعطوف ه (٢)

(ووالد وما ولد) : وهو آدم وذريته في قوله كثير من المفسرين ه وهلى هذا
فقد تضمن القسم أصل المكان وأصل السكان ه فرجع البلاد الى مكة ورجع المعبود
الى آدم ه (٣)

(والقول الثانى) : أن الوالد ابراهيم أو اسماعيل عليهما السلام ه (وما ولد)
محمد صلى الله عليه وسلم ه

وفي القسم بحرمه هذا البلد وهانيه استنكار لأوضاع أهلها الذين يدعون أنهم
سدنة بيت الله الحرام وأبناء اسماعيل وهلى طة ابراهيم ثم يأتون بأعمال لا تليق بجلال
حرمتها من ايذاء للنهى والمؤمنين وعدم المواساة بالفقراء ه

(لقد خلقنا الانسان في كيد) : الكيد : الشدة والحشقة ه والمكابدة :
المقاساة والمماناة ه قال الحسن : لم يخلق الله خلقا يكابد ما يكابد ابن آدم ه يكابد
مصائب الدنيا وشدائد الآخرة (٤) وقد توسع ابن القيم في بيان هذا فقال : الانسان
مخلوق في شدة بكونه في الرحم ه ثم في القمط والرباط ه ثم هو على خطر عظيم عند بلوغه
حال التكليف ومكابدة المصيبة والأمر والنهى ه ثم مكابدة الموت وما يمدد في البرزخ وموقف

-
- (١) البحر ٤٧٤/٨ ومفردات الراغب ص ١٢٧ والتبيان ص ٢٤ وفتح القدير ٤٤٣/٥
(٢) البحر ٤٧٤/٨ - ٤٧٥ والكشاف ٢٥٥/٤
(٣) تفسير ابن كثير ٥١١/٤ والتبيان ٢٣
(٤) تفسير ابن كثير ٥١٢/٤ والتبيان ص ٢٢ وفتح القدير ٤٤٣/٥

القيامة ه ثم مكابدة المذابق في النار ه ولا راحة له الا في الجنة ه (١)

وقالت بنت الشاطي ه : وانما الكبد فيما نرجح - هو ما هي له الانسان
بفطرته من احتمال المسئولية ومشقة الاختيار بين الخير والشر ه ووجه ارتباطه بالقسم
قبله ه بحال أهل مكة وما اختاروا لأنفسهم من استحلال أذى الرسول وهو مقيم بالمسجد
الحرام واضح ظاهر ه وهو أوضح ارتباطا بالآيات بعده من خلال الضرور بهذا الانسان
الذي وهبه الله وسائل الادراك والتمييز ه وبين له معالم الطريقين : الخير والشر ه (٢)

(أ يحسب أن لن يقدر عليه أحد) : ان هذا الانسان المخلوق في كبد ه
الذي لا يخلص من عناء الكدح والكد ه لينسى حقيقة حاله وينخدع بما يعطيه خالقه من
أطراف القوة والقدرة والوجدان والمتاع ه فيتصرف تصرف الذي لا يحسب أنه مأخوذ بمطبه
ولا يتوقع أن يقدر عليه قادر فيحاسبه ه فيطفي ويبطش ويسلب وينهب ويجمع ويكثر ويفسق
ويفجر ه دون أن يخشى ودون أن يتحرج ه وهذه هي صفة الانسان الذي يعسرى
قلبه من الايمان (٣) ثم أنكسر سبحانه على الانسان قوله : (أهلك ما لا لبدا) وهو
الكثير الذي يلبد بعضه فوق بعض ه فافتخر هذا الانسان باهلاكه وانفاقه في غير وجهه
ه ان لو أنفق في وجوهه التي أمر بانفاقه فيها لم يكن ذلك اهلاكا له بل تقربا به الى
الله وتوصلا به الى رضاه وثوابه ه (٤) كما أن التمييز بالا هلاك أولى بالفرور والطفيمان
ه وأنسب لجو الماهاة والفخر المسيطر على المقام ه (٥)

ثم ويخ سبحانه هذا المحقر بماله وقوته فقال (أ يحسب أن لم يره أحسد ه) (٦)
بكل ما في هذا الاستفهام من ردع وانكار ه وأما م هذا المفرور الذي يخيل للانسان أنه

- | | | | |
|-----|---------------------------------|-----|-----------------------|
| (١) | التبيان ص ٢٣ | (٢) | التفسير البياني ١٨٥/١ |
| (٣) | في ظلال القرآن للسيد قطب ٣٩١٠/٦ | (٥) | التفسير البياني ١٨٢/١ |
| (٤) | التبيان ص ٢٤ | | |
| (٦) | البلد : ٢ | | |

نومنة وقوة ه وأمام ضنه بالعال وانهاائه أنه بذل الكثير يجا بهه القرآن بفيض الآلا طيه
فى خاصة نفسه ه وفى صميم تكوينه ه وفى خصائص طبيعته واستعداداته ه تلك الآلا التى
لم يشكرها ولم يحم بحقها عنده : (ألم نجعل له عينين ؟ ولسانا وشفقتين ؟ وهديناه
النجدين ؟) (١)

كما أن فيه ردا على ظنه السابق ه فان الله سبحانه أحق بالرؤية وأولى مسن
هذا العبد الذى له عيان ببعصرها ه فكيف يعطيه البصر من لم يره ؟ وكيف يعطيه
آلة البيان من الشفتين واللسان ه فينطق ه ويبين عما فى نفسه ه ويأمر وينهى ه مسن
لا يتكلم ولا يكلم ولا يخاطب ولا يأمر ولا ينهى ؟ وهل كمال المخلوق مستفاد الا من كمال
خالقه ؟ ومن جعل غيره عالما بنجدي الخير والشر ه وهما طريقاهما ه أليس هو أحق
بالعلم منه ه ومن هداه الى هذين الطريقين ه كيف يليق أن يتركة سدى ؟ (٢) بسدون
حساب ولا ثواب ولا عقاب ه

قال الفراهى : ان الله تعالى خلق الانسان فى فقر وضعف ثم هيا له
الأسباب برحمته لله وألهمه سبيل الخير ليفكر فيؤمن بربه المنعم عليه ويشكره ويرحم
على الضعفاء والفقراء ويسعى للإصلاح فيسعد بذلك ه وقد بنى هذا البيت على هذا
الذكر والمواساة ه لكن المتصرفين هم الذين قلبوا أمر الفطرة وزادوا الضعفاء
بؤسا وفقرا كما مر فى السورة السابقة ه وهذه السورة تذكر خلاعة الانسان ونبذها بالعبودية
ه وتذكر فيها عظم أمر المواساة بالضعفاء وأطعامهم والمتواصى بالصبر والرحمة
فعلمنا أن الواجب على أهل التمدن هو المواساة ه وعلما أن الكمية مركزا للتوجيه
والاطعام ه وليكن كل بلد على أسوة منها ه (٣) وفى ضوء كلام الفراهى ظهر لى أن الخطاب

(١) فى ظلال القرآن ٦ / ٣٩١٠

(٢) التبيان ص ٢٥

(٣) مذكرات القرآن للفراهى: صورة البلد ه

في السورة الى الانسان ه فقوله تعالى (وأنت حل بهذا البلد) مقترن بين المعطوف والمعطوف عليه ه معناه : وأنتم مقيمون في هذا البلد ه أفلا تتفكرون في أمره ويد عمارته ه ونظير هذا المعنى سورة (لا يلاف قريش) حيث أمرهم الله تعالى فيها بعبادته وتوحيده لأجل إيلافهم ه على معنى أن نعم الله تعالى عليهم لا تحصى ه فان لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لشأن هذه الواحدة التي هي نعمة ظاهرة ه وذلك بدعوة ابراهيم عليه السلام حين دعا لمكة بالأمن والبركة ولكنه خص بدعائه المؤمنين فعمه الله للكافرين أيضا في الدنيا ه حيث قال : (وإن قال ابراهيم رب اجعل هذا بلدا آنا وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر ه قال ومن كفر فأمتعه قليلا ثم أضطره الى عذاب النار ويئس الصير ه)^(١) فلرعاية حرمة البيت لم يرض الله أن يعذب ذريته فيه بعد كفرهم ه ولذلك امتن عليهم بقوله : (أولم نتكن لهم حرما آنا يجيب الىه ثمرات كل شئ ه رزقا من لدنا)^(٢) وكانت المرب يغير بعضها على بعض ويسوي بعضها من بعض فأمنت قريش من ذلك لمكان الحرم ه فذكر ذلك في قوله : (أولم يروا أنا جعلنا حرما آنا ويتخطف الناس من حولهم ه أفبالباطل يؤمنون ونعمة الله يكفرون ه)^(٣)

فأقسم سبحانه بهذا البلد وبانيه تذكيرا لهم بمقصد هذا البيت وفرائضه وهو توحيد الله والمواساة بالفقراء^(٤) والساكين

وعبر عن هذا المقصد العظيم في هذه السورة بالسقبة ه وهرضهم طسسي التوحيد والمواساة بذكر النعمة التي أنعم بها عليهم ه وأنذرهم بسوء العذاب وسلبهم ولاية بيته بما ذكر في السورة التالية من مآل الطاغين ه ولولا بركة النبي صلى الله عليه وسلم وإيمان طائفة منهم ه ولولا بركة بيت الله الحرام واجابة دعا ابراهيم في هذا

(٢) القصص : ٥٧

(١) البقرة : ١٢٦

(٣) الصنكبيوت : ٦٧

(٤) انظر الآيات من ٢٦ - ٣٦ في سورة الحج

البلد الأمين لقد حقت كلمة المذاب على الكافرين ه

قال الفراهي : ثم أتبع هذه السورة (أي البلد) (بالشمس) وذكر مسائل
الطاغين ه (وبالليل والضحى) وذكر فيهما حسن عاقبة المومنين ه ثم وصل الصلاة
بالاعطاء ه وهما جماع الخير ه ومكة مركزهما ه فذكر (والتين) وأضح عن هذا
المركز ه (١)

١٩ - (سورة الشمس) :

قال الله عز وجل : (والشمس وضحاها ه والقمر اذا تلاها ه والنهار اذا
جلاها ه والليل اذا يغشاها ه والسما وما بناها ه والأرض وما طحاها ونفس
وما سواها ه فأنهها فجورها وتقواها ه قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها) (٢)

قال الفراهي : ان تأطت نظم هذه الآيات المنذرة رأيت أن السورة خمس
عشرة آية كلها شواهد على الجزاء ه فالمشر الأولى شهادات عامة من دلائل الفطرة
والخمس الباقية شهادة تاريخية مسلحة ه وهذا أسلوب عام في القرآن يجمع الله تعالى
آيات الفطرة مع آيات الوقائع في الأمم الخالية ه سواء كان على أسلوب القسم أو غير القسم.
فان القسم ليس الا ذكر الآية ه

ومن نظائر شهادة آيات الفطرة على نهج القسم ثم شهادة التاريخ ما جاء
في أول سورة (الفجر) فأشهد الله تعالى بالفجر وليال عشر والشفع والوتر ه والليل
اذا يسر ثم أشهد بما وقع على الذين طفوا في البلاد من عاد وثمود وفرعون ه

(١) مذكرات الفراهي (سورة الفجر)

(٢) سورة الشمس ١ - ١٠

وهكذا ما جاء في سورة (الذاريات) من شهادة آيات الفطرة ثم ذكر
شهادات التاريخ مما وقع على قوم لوط وفرعون وهاد وشمود وقوم نوح وهذا النظم على
نهج الآية بخير أسلوب القسم ترى في قوله تعالى : (أطم يهد لهم كم أهلكنا من
قبلهم من القرون يمضون في مساكنهم) ان في ذلك لآيات هـ (أى على الجزاء والمدل
وقدرته تعالى هـ) أفلا يسمعون (أى هذه الانباء) أطم يرد (أى أن لم يسمعو
ذلك فهل انهم لم يروا) انا نسوق الماء الى الأرض الجزز فنخرج به زرعاً تأكل منه
أنعامهم وأنفسهم هـ أفلا يبصرون ويقولون متى هذا الفتح (أى الفرق والفصل بين الحق
والباطل) ان كنتم صادقين هـ (١) فذكر ههنا الجزاء أولاً من الوقائع التاريخية
هـ ثم ذكر الآية على البحث والربحية من وقائع الفطرة هـ وهكذا في سورة القمر ذكر
آية اهلاكه الأمم بحد آية الفطرة على لزوم الجزاء فقال : (اقتربت الساعة وانشق القمر
هـ وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر هـ وكذبوا واتبعوا أهواءهم وكل أمر مستقر
هـ ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر هـ حكمة بالغة فما تفن النذر هـ) (٢)

ونعود الى هذه السورة هـ فقوله : (والشمس وضحاها) أى هو شمها
واشراقها (والقمر اذا تلاها) أى تبصها هـ وذلك بأن طلع بعد غروبها هـ (والنهار اذا
جلاها) أى أضأ البسيطة والافاق هـ (والليل اذا يغشاها) أى الأرض والآفاق وان لم
يجر لها ذكر لأن ذلك معروف هـ وقيل الضمير راجع الى الشمس هـ أى يفضى الشمس
فيذهب بضوئها فتغيب وتظلم الآفاق هـ (والسما وما بناها) يجوز أن تكون (سما
مصدرية أى والسما وبنائها هـ ويجوز أن تكون موصولة : أى والذي بناها هـ وايشار
(ما) على (من) لارادة الوصفية بقصد التفعيم كأنه قيل : والسما والقادر العظيم

(١) سورة السجدة ٢٦ - ٢٨

(٢) القمر : ١ - ٥

الذي بناها هـ ورجح الأول الفراء والزجاج هـ ولا وجه لقول الزمخشري : ان جعلها صدرية مغل بالنظم هـ ورجح الثاني ابن جرير هـ (والارض وماطحاها) أى بسطها من كل جانب هـ كذا قال الجوهرى وعنه المفسرين هـ (ونفس. وماسواها) أى خلقها سوية مستقيمة على الفطرة القديمة هـ (فألهمها فجورها وتقواها) عرفها طريق الفجور والتقوى والطاعة والمعصية هـ قال الفراء : عرفها طريق الخير والشركا قال (وهدى بناه النجدين) (١) وقوله (قد أفلح من زكاها) المعنى : قد أفلح من زكى نفسه هـ وهو نظير قوله : (تجد أفلح من تزكى) (٢) والتزكية : الانسما والاعلاء بالتقوى وحط النفس على طاعة الله هـ (وقد خاب من دساها) : أى خسر من أضلها وأغواها وحطها على معصية الله هـ واختلف فى مرجع الضمير فى (زكاها ودساها) هل يرجع الى الله أم الى العبد هـ ويمكن أن يستدل بكل قول ببعض النصوص هـ ويمكن أن نجعل بين الأمرين اذا قلنا أن ما يتزكى به العبد من ايمان وحط فى طاعة وترك لمعصية فانه بفضل من الله ورحمة هـ فهو كما تفضل عليه بالهدى والتوفيق للايمان فهو الذى يتفضل عليه بالتوفيق الى العمل الصالح وترك المعاصى هـ كما قال سبحانه : (ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبدا هـ) (٣) وكما قال : (بل الله يزكى من يشاء) (أى بفضله) ولا يظلمون فتىلا هـ (٤) أى يمدله هـ والله أعلم هـ (٥)

(١) البلد : ١٠

(٢) الاطى : ١٤

(٣) النور : ٢١

(٤) النساء : ٤٩

(٥) أنظر تفسير الطهرى ١٣٣/٣ - ١٣٦ والكشاف ٢٥٨/٤ - ٢٥٩ والقرطبي

٢٠/٢٢ - ٢٧ والبحر المحيط ٤٧٨/٨ - ٤٨١ وفتح القدير ٤٤٨/٥ - ٤٤٩

والفخر الرازى ١٨٩/٣١ - ١٩٥ وتفسير ابن كثير ٥١٥/٤ - ٥١٦ ومعانى

الفراء ٢٦٦/٣ - ٢٦٧ وأضواء البيان ٢٣٧/٩ - ٢٤٨ والتبيان ص ١٣ - ١٥

والصالح للجوهرى (طحو) ٢٤١١/٦ قال أهل اللفه (دساها) أصله

دسسها من التدسيس وهو اخفاء الشى فى الشى هـ الصحاح ٩٢٨/٣

ومجموعة تفسير شيخ الاسلام ابن تيمية ص ١٥٠ - ١٥٤

واختلف في جواب القسم ه فقيل هو قوله : (قد أفلح من زكاهما) حذف اللام
لطول الكلام ه وقال الزمخشري : هو محذوف تقديره : ليدد من الله عليهم لتكذيبهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم كما دمد على ثمود لأنهم كذبوا صالحا ه وأما قد أفلح
من زكاهما فكلام تابع لقوله (فآلمهما فجورها وتقواها) على سبيل الاستطراد وليس منسب
جواب القسم في شيء ه (١) ه والصحيح أن الجواب أعم مما قاله الزمخشري وهو اثبات
الجزاء بدلائل فطرية وشهادة تاريخية مسلمة كما سبق ه

• في عموم أسلوب الاشهاد بالشمس والقمر والليل والنهار والسماء والأرض :

قال الفراهي : اعلم انه ليس من شيء الا فيه آيات على طرف من صفاته تعالى
كما قال : (وان من شيء الا يسبح بحمده ه) (٢) أي يدل على صفاته العليا ولكن
تعالى يذكر آياته العظيمة العامة فان القلوب والحقول لا يمكنها الغفلة عنها الا اذا
عميت وصمت فيذكر كبار خلقه من الشمس والقمر والليل والنهار والسماء والأرض ه ثم ربما
يذكر ما دونها أيضا لنعلم أن آياتها غير محصورة ه قال تعالى : (ان في خلق
السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب ه الذين يذكرون اللسه
قيامًا وقعودًا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ه ربنا ما خلقت هذا
باطلا ه) أي يستدلون بما يرون من آثار الحكمة فيها على كونها غير باطل ناهيب
الى ظهر أجل وعدل وحكمة فيؤمنون بحكمته فيسبحونه ه وبالجزاء فيستغفرونه كما دل عليه
قولهم (سبحانك فقنا عذاب النار ه) (٣) فهذا استدلال على الحكمة والجزاء ه

ثم ربما يستدل بما أودع العالم من آية الرحمة العامة على كونه ربا واحدا . كما
قال : (وآلهكم آله واحد لا آله الا هو الرحمن الرحيم ه) أي آلهكم واحد ورحمن ثم

(١) الكشاف ٢٥٩/٤ وفتح القدير ٤٤٨/٥ والبحر ٨/٤٨١

(٢) الإسراء : ٤٤

(٣) آل عمران : ١٩٠ - ١٩١

قال مستدلاً (ان في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار ، والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس ، وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض آيات لقوم يعقلون) (فحمد هذا الاستدلال بانه على شناعة من يشرك بالله مع ظهور آيات كثيرة فقال) ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله ، والذين آمنوا أشد حبا لله (١) والقرآن مفعم من أمثال هذا النمط العالى والنظر فيهم لا يترك ريبا في أنها حجج على التوحيد وغيره من صفات الكمال ومنها يثبت القيامة ، ثم صرح القرآن بكونها حجة بالغة وآيات دالة كما قال تعالى بعد الاستدلال على التوحيد من النجوم والقمر والشمس : (وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه) (٢) أو كما ذكر محاجة ابراهيم وتبكيته الملك الكافر مستدلا بتسخير الله تعالى الشمس ، وجعل ذلك من أجل البديهيات حتى قال بعد ذكر خلقة الأرض والسماء مستدلا على التوحيد والجزء (فان عرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود) (٣) أى هذا أبلغ الحجج فان لم يؤمنوا بها فلا يبقى الا أن ينتظر لهم عذاب كعذاب عاد وثمود ، وأمثال ذلك كثيرة ، فتبين لنا من القرآن أن لنا في الشمس والقمر والليل والنهار والأرض والسماء آيات على التوحيد والرحمة والعدل والجزاء والبهمة .

في شهادات فطرية ظاهرة وباطنة على المعاد :

قال الفراهي : لا حاجة الى ذكر دلالة الشمس والقمر وغيرها على أمور قصد ذكرناها فيما مر ، ولكن نوجهك الى جهة خاصة وهى ما نجد من استعمال أسلوب المقابلة ههنا ، فان الله تعالى في هذه الشهادات ذكر المتقابلين والزوجين وفي ذلك لنا آية

(١) البقرة : ١٦٣ - ١٦٥

(٢) الأنعام : ٨٣

(٣) فصلت : ١٣

عظيمة كما صرح به القرآن فقال : (ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون ه) (اى
انه الخالق الحكيم المصلح الأزواج بعضها لبعض والقاهر على كلها ه) ففروا الى الله
انى لكم منه نذير مبين (فانه ربكم وآلهم فاليه مصيركم) ولا تجعلوا مع الله آلهة آخرا
انى لكم منه نذير مبين (^(١) اى هو ربكم وحده " وقال تعالى : (والليل اذا يغشى
والنهار اذا تجلدى ه وما خلق الذكر والانثى ان سميكم لشتى) ^(٢) ثم ذكر جزاء سعيهم
المختلف ه فساق هذا الكلام بحيث ينبهنا على ما أودع فى خلقه من التقابل الذى
جعله سببا للسمى والجهد وتربية النفس التى تكسب الشرف بالمجاهدة بين المتضادين
وسط الكلام فى تفسير (والتين) وههنا انما نذكر ما يتعلق بهذه السورة خاصة
فاعلم ان الله تعالى خلق كل شيء كاملا مستقلا من جهة وناقصا محتاجا
من جهة أخرى وجعل الحسن والحكمة فى جمعها ه ثم انه تعالى جعل أمورا متقابلة
تحت قوى متنازعة ه فوكل قوى الحياة والموت والكون والفساد وأعمالها بحيث أنهم
توهم ان فى المالم تخاصم أرباب ه وبهذا ضلت الصبوس ه والوثنيون أضل منهم ه ولكن
التفكر فى مصالح أخرجها الله تعالى من بين تنازع الأزواج وتجانسها يهدينا الى أن
على المالم ربا واحدا قاهرا ه ولولا ه لفسدت السموات والأرض بين تصادم المتضادين
كما قال : (لو كان فيها آلهة الا الله (اى الله الواحد) لفسدتا ه) ^(٣) وقال :
(ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من آله اذا لذهب كل آله بما خلق ولعل بعضهم
على بعض ه) ^(٤) فأخرج الله تعالى المصالح من زوجين وضرب بعضها ببعض ه حتى
يتما أمرا فوقهما ه فان الشر المحض فى خلقه محال كما أن الكمال المطلق لله تعالى
وهو الخير المحض ه فالمتضادان هما المتعاونان ه فان الله تعالى ركب خلقه فجعله
شخصا واحدا ذا يمين ويسار وطيل ونهار وأرض وسما وظل وحرور وحزن وسرور وهـ

(٢) الليل : ١ - ٤

(١) الذاريات : ٤٩ - ٥١

(٤) المؤمنون : ٩١

(٣) الأنبياء : ٢٢

وفجور ه وصحابة أخرى انه تعالى زوج بعض خلقه ببعض فزوج العليل بالمعلولات ه و الطبايع بالارادات ه فقدّر وهدي ه والقوى بالآلات والأجساد بالنفوس والأعمال بالجزاء والدنيا بالآخرة ه كما قال سبحانه : (سبحانه الذى خلق الأزواج كلها ما تنهت الأرض ومن أنفسهم وما لا يعلمون ه) (١) فدل على سعة نفاذ هذه السنة وانها على عظمة الرب ورحمته فتحملنا على تسبيحه ه فمن قصر النظر على أحد الزوجين جهل بحسن خلق الله ه ومن رأى الدنيا وغفل عن المعاد رآها عقيما شوها ه وارتاب فى صفة خالقها الحكيم فأنكر بالرب الرحيم ولم تطمئن نفسه بما يرى فى العالم من الظلم والفجور ه

والآن انظر فى قوله تعالى : (والشمس ... الى قوله : دساها ه تبين تأويلها ه وهو انه تعالى كما جعل العالم الجسماني ذا طرفين : ضيا وظلمة وظلمة وسفل ه وجعل فى كل طرف مصلحة ه وفى جمع الطرفين مصالح أخرى من تربية الانسان ه فانه طحا الأرض وزللها فأنبت منها ماها ولفحة ه وغشى الليل فجعلها سباتا وسكنا ه فكذلك فى عالم النفس جعل الليل والنهار والأرض والسما ه وجعل فلاحها فى هذا التدبير ه ثم منه تعرف حكمة القاهر وحكمته البالغة ورحمته السابغة ه كما قال تعالى : (تبارك الذى جعل فى السما بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا ه وهو الذى جعل الليل والنهار خلفقة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا ه) (٢) أى أراد أن يذكر أن للعالم خالقا وربا مدبرا وأراد أن يشكره على ما أجرى الأمر على نهج الرحمة ه وهكذا قوله تعالى : (الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على عرش المرش ... الى قوله : لفى خلق جديد) (٣) وعلما بسياق هذه الآيات وأمثالها أن كل ذلك لتربية النفوس وتزكيتها فهى اللب فى تلك القصور والجواهر فى هسسذ

(١) يس : ٣٦

(٢) الفرقان : ٦١ - ٦٢

(٣) الرعد : ٢ - ٥

الصخور ه

وبما ذكر حالة العالم ثم حالة النفس بازائها دلنا على أن الله تعالى خلصنا
الظاهر
العالم مضميا ومظلما وهاليا وسافلا ه فجعله مرآة للنفس ليتأكد لها ما ألهمت فتكون لها
آيتان ظاهرة وباطنة ه فانظر كيف ذكر الله تعالى آياته في الآفاق ثم ذكر آيته في الأنفس
مطابقة لما في الخارج على انه هو الخالق الحكيم الطدير ه فهدانا الى التوحيد والعماد ه
كما قال : (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ه) .^(١) ثم
دل على العماد أولا بما ذكر من حالة النفس والهيامها ه فأى معنى للفجور والتقوى ان لم
يكن جزاء ه فان الفجور هو القبيح المخالف لفطرتها لباريها ه والتقوى هي طهارة النفس
وخصيتها لربها ه وهذا الالهام هو الخبودية والذمة التي تدل على العماد ه كما نجد
بيانها في تفسير سورة القيامة ه فشهد هذا بنفسه أيضا على الرب المجازي حسب أعمالنا
ه فهذه شهادات بأمر الفطرة ه وكانت شهادة النفس بديهيية ولكن ربما يذهل عنده
الفاقلون المنهكون في عالم الحس ه فبده بشهادة الآفاق فأشهد بالشمس والقمر والنهار
والليل والسما ه والأرض ثم تخلص تدريجا الى عالم العقل ه ويمد هاتين جاء بشهادة
تاريخية سلمة عند مخاطبين فهي القسم الآخر من شهادات جامعة لإيائه في الآفاق
والأنفس ه ثم تكلم المؤلف رحمه الله عن شهادة تاريخية ويين ان شهادات الوقائع أوقع
في بعض القلوب لما يرون عيانا آثارها ويسممون بالتواتر كيف دمر الله المفسدين الفاوسين
ه وتخضع لذلك قلوبهم فانهم مطبوعون على أن يسخطوا بالأشرار ه وانما يخفى على النفس
سو ه عملها لشهوتها وحبالها ه ولذلك يتعظون بأحوال غيرهم ه وانما سمينا هسند
الشهادات جامعة لها انها تذكر ما عاقل به النفوس ربها حسب أعمالها كأنه تعالى زجرها
وكلمها جهرا ه وكان إلهامها إيها وحيا خفيا ه ثم أبقى آثار زجره للخلف يمرون على

بيوتهم الخاوية فيتبين لهم كيف فعل بهم ه فهذه آيات في الآفاق والأنفس مما ه (١)

٢٠ - (سورة الليل) :

قال الله عز وجل : (والليل اذا يغشى ه والنهار اذا تجلى ه وما خلق الذكر والأنثى ه ان سميكم لشتى ه فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى ه وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للمسرى ه) (٢)

قوله : (والليل اذا يغشى) أى يغطى بظلمته ما كان مضيئاً ه قال الزجاج يغشى الليل الأفق وجميع ما بين السماء والأرض فيذهب ضوء النهار ه وقيل : يغشى النهار ه كما في قوله تعالى : (يغشى الليل والنهار) (٣) وقيل يغشى الأرض ه (والنهار اذا تجلى) : أى ظهر وانكشف ووضح لزوال الظلمة التى كانت في الليل ه وذلك بطلوع الشمس ه (٤) ولما أقسم بالليل أتى بصيغة المضارع لأنه يغشى شيئاً فشيئاً ه وأما النهار فانه اذا طلعت الشمس ظهر وتجلى وهلة واحدة ولذا عبر بالماضى ه وكذا في سورة الشمس (والنهار اذا جلاها والليل اذا يفسها) .

ونرى أن القرآن الكريم في اسماكه عن ذكر متعلق (ليغشى أو تجلى) بصرفنا عن تأويل محذوف أو مقدر ه لتلقت الى أن الغشية والتجلى من الليل والنهار ه هما المقصودان بالتنبيه والالتفات ه بما أغنى عن ذكر مفعول أو متعلق ه (٥)

(وما خلق الذكر والأنثى ه) : اختلف في (ما) فقيل انها مصدرية ه أى

-
- (١) تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان للفراهي ه سورة الشمس (مخطوط)
(٢) الليل ١ - ١٠
(٣) الأعراف : ٥٤ ه الرعد : ٣
(٤) فتح القدير ٤٥٢/٥
(٥) التفسير البيانى ١٠٠/٢

وخلق الذكر والأنثى ه فيكون القسم بصفة من صفات الله وهى الخلق ه وقيل : بمصطفى
(من) فيكون القسم بمن خلق الذكر والأنثى ه ^(١) والأول أولى حيث المقصود هو
الاستشهاد بخلق الزوجين : الذكر والأنثى كما سيأتى ه

(ان سميكم لشتى) هو جواب القسم ه والسمى : العمل ه والخطاب
بالإنسان عموماً ه والسمى يكون بالاختيار والارادة ثم يأتى التيسير من الله ه فمنهم
من يسمى للجنة ومنهم من يمس لل نار ه

وقد سبق القول ان الرأى السائد عند الأقدمين أن هذه الأقسام تحمل معنى
التمظيم للمقسم به ه وسادت هذه الفكرة فألجأتهم الى اعتساف فى بيان وجه التمظيم فى
كل ما أقسم به القرآن ه ويلاحظ كذلك أنهم فى أكثر آيات القسم خلطوا بين الاعظام وبين
الحكمة فى خلق المقسم به ه وما من شىء من مخلوقات الله لم يخلق لحكمة ظاهرة أو خفية
ه أما الاعظام فلا يهون القول به لمجرد بيان وجه لظاهر الحكمة فى المقسم به ه

قالت بنت الشاطىء : القسم فى سورة الليل وفى نظائرها عند المفسرين
للاعظام على أصل استعماله فى اللغة ه والذى اطمنن اليه هو أن البيان قد يعدل
عن هذا الأصل لطحظ البلاغى فى التعبير ه كمثل عدوله فى الاستفهام والأمر والنهى
عن استعمالها الأول الى تقرير أو انكار أو زجر ووعيد ه أو سخرية أو تهريج أو تعجيز
وافحام ه طى ما هو مألوف ومقرر فى علم البيان ه

ولكن المفسرين لم يلتفتوا الى هذا الطحظ البلاغى ومن ثم شغلوا بتأويل وجه
العظمة فى الليل والنهار ه وما نقلوا فى ذلك من المصالح هو من قبيل الحكمة التسيى
تتحقق فى كل ما خلقه الله ه وما من شىء خلق عبثاً ه كما لم يلتفتوا الى أن هذا
التأويل حين يصدق على الليل مطلق الليل ه والنهار مطلق النهار ه فان الليل

(١) الكشاف ٤/ ٢٦٠ والفخر الرازى ٣١/ ١٩٨ - ١٩٩ والقرطبى ٢٠/ ٨٠ - ٨١
وأضواء البيان ٩/ ٢٥٣ - ٢٥٤ والبحر ٨/ ٤٨٣

والنهار في سورة الليل مقيدان بالفشية والتجلى ه وفي آيات أخر بأوصاف أخرى ه مثل
إذا سجد ه وإذا عسى ه وإذا يسر ه وإذا أدهر الخ ه ولا بد أن يكون لكل قيد منها
ملحظ في الدلالة يختص به ه

وإن لم يتعلق البيان في آيتي (الليل) بغير غشية الليل وتجلي النهار ه
نركز اهتمامنا على تدبير ما يسيطر على السورة كلها من ملحظ التقابل والتفاوت ه يبدأ
باللفت الى ما هو عسى مدرك في تفاوت ما بين غشية الليل وتجلي النهار ه وخلقسنة
والذكر والأنثى ه توطئة ايضاحية لبيان تفاوت مماثل في سمي الناس : بين من أعطى
وأثق وصدق بالحسن ه ومن بخل واستغنى وكذب بالحسن ه ثم تفاوت الثواب والعقاب
في الأخرى : بين الأشقى يصلو ناراً تلتظى ه والأثق الذي يجنبها بما ابتغى وجسه
ربه الأعلى ه ولسوف يرضى ه

فعلى نحو ما يتفاوت الليل إذا يمشى بظلماته ه والنهار إذا تجلى بضائسه
يتفاوت سمي الناس في الدنيا بين ضلال وهدى : (ان سمعكم لشتى) والسمي في
اللغة الحد والحشي ه لاحظ فيه أن الساعي يبتنى عملاً أو يتجه الى مقصد يدأب له
ه فكان السمي بمعنى العطل مع القصد والدأب .

وأصل الشت في اللغة التفرق والاختلاف والتهابن ه

ولا نحتاج الى تأويل مقصد القرآن الكريم بتباين سمعكم ه فقد تولت الآيات
بعده بيانه : (فأما من أعطى الى قوله للحسرى ه) وهذا هو تفاوت السمي
يأتي بمد أن مهد له اللفت الى التفاوت المدرك بالحس ه بين غشية الليل وتجلي
النهار ه بين خلقة الذكر وخلقة الأنثى ه (١)

(١) التفسير البياني ٢/ ١٠٠ - ١٠٥ (بتصرف)

وقد ربط ابن القيم بين هذه المتقابلات على وجه آخر ه هو أنه سبحانه أقسم
بزمان السمي وهو الليل والنهار ه وبالساعي وهو الذكر والأنثى ه على اختلاف السمي
ه كما اختلف الليل والنهار ه والذكر والأنثى ه وسميه وزمانه مختلف ه وذلك دليل
على اختلاف جزائه وثوابه ه وأنه سبحانه لا يسوي بين من اختلف سمييه في الجزاء ه كما
لم يسو بين الليل والنهار والذكر والأنثى ه

ثم أخبر عن تفرقه بين عاقبة سمي المحسن وعاقبة سمي السمي ه فقال ه
(فأما من أعطى الى قوله للمعسر ه) فتضمنت الآيتان ذكر شرعه وذكر
الأعمال وجزائها ه وهكمة القدر في تيسير هذا لليسر ه وهذا للمعسر ه وأن العهد
ميسر بأعمالها ياتها ه ولا يظلم بك أحدا ه (١)

وقال الفراهي ه : ان في الليل الذي يفسى النهار ه الذي يتجلى ه وخلق
الذكر والأنثى لآية على اختلاف أحوال النفوس من سعيها المختلف وعمود السورة الالهة
والتزكية به وهد التيسير والرضاه ه واعلم ان غشيان الليل مثال لغشاوة المسال
وتجلى النهار مثال لنور الانفاق ه فالرب تعالى جعل المال سبب الابتلاء فجمع فيه
جانبيين لينظر كيف يمطون ه فأخرج من تركيب المتقابلين نتيجة كما أخرج من الذكر
والأنثى والليل والنهار والموت والحياة مصالح ه

واعلم أن في السورة دلالة على العدل ه وعلى أن الأمر كله بيد الرب تعالى
ه فمن قبل الانذار وسمى للنجاة هداه الرب آخر كما هداه أولا ه ومن نهذه واستغنى
لم يجهره على الهدى ويسر له ما اختار لنفسه كما صرح بذلك في مواضع كثيرة ه واعلم
أن تيسير الرب تعالى بمد سمي العبد ه وهذا خلاف أهل الجهر ه (٢)

(١) التبيان لابن القيم ص ٣٦

(٢) مذكرات القرآن للفراهي سورة الليل

وتبين لى جانباً آخر من المناسبة وهو أن الكلام لما كان على اختلاف الجزاء^١ حسب اختلاف السعى أقسم سبحانه بالليل والنهار على أسلوب التقابل حيث أن الليل مثال لهذه الدنيا التي هي محل السعى والنهار مثال ليوم القيامة الذي هو محسب ظهور الأعمال والجزاء^٢ كما أن الليل آية على الموت والنهار على البعث بعد الموت .

ثم تفكر في خلق الزوجين من كل شى^٣ فان رأيت كل واحد منهما كاملاً مستقلاً من جهة وجدته ناقصاً محتاجاً من جهة أخرى^٤ ولا تتم المصالح الا بضرب بعضهم ببعض^٥ وقس على ذلك هذا العالم^٦ فانه مع كماله توجد فيه أمور غير تامة تقتضى لمسايتها^٧ فلا بد له من زوج به يكون تامة^٨ وبه تتم مصلحته وصلاح كليهما^٩ وهي الدار الآخرة^{١٠} فمن رأى الدنيا وغفل عن الآخرة فقد فرق بين الأعمال والجزاء^{١١} فالقسم بالذكر والأنثى يثبت لهذه الدنيا التي هي محل السعى زوجها وهو الدار الآخرة التي هي محل الجزاء^{١٢} ولا تمام للأولى الا بالآخرة^{١٣} والله أعلم بأسرار كتابه .

٢١ - (سورة الضحى) :

قال الله عز وجل : (والضحى^١ والليل اذا سجى^٢ ما ودّك ربك وما قلى^٣ ولا آخرة خير لك من الأولى^٤ ولسوف يعطيك ربك فترضى^٥) (١)

قوله : (والضحى) : هو وقت انبساط الشمس أو هو صدر النهار حين ترتفع الشمس وتلقى شعاعها .

(١) سورة الضحى ١ - ٥ وانظر (الضحى) في الكشاف ٢٦٣/٤ ومفردات الراضب (٣٠١) والفخر الرازى (٢٠٨/٣١) و (سجدى) في الصحاح ٢٣٧٢/٦ والبحر ٤٨٥/٨ والقرطبي ٩١/٢٥ - ٩٢ والفخر الرازى (٢٠٨/٣١) والكشاف ٢٦٣/٣ ومعانى الفراء ٢٧٣/٣ ومجاز القرآن لأبى صبيدة ٣٠٢/٢

(والليل اذا سجي) : أى دام وسكن وركد ظللمه ه يقال ليلة ساجية :
ساكنة الريح ه وسجي البحر : اذا سكنت أمواجه ه ومنه قول الأعشى : (١)
فما ذنبنا اني^١ با ش بحر ابن عمك ويحرك ساج ما يوارى الدعا صا
وقال الفراء : سجي : أى أظلم وركد فى طوله ه (ما ودّك ريك وما قللى) :
التوديع بالغة فى الودع ه لأن من ودّك مفارقا فقد بالغ فى تركه ه والودع : الترك (٢)
والقللى : البعض (٣) وأكثر ما تستعمل فى البفض والكراهة غاية الكراهة كما فى القاموس (٤)
وقد انتهى ابن سيدة بالبفض الشديد الى الترك والهجر ه فقال فى المحكم : قلبتسه
قللى : أبفضته وكرهته غاية الكره فتركته (٥) ودلالة قوله سبحانه على لسان لوط عليه
السلام : (قال انى لصطكم من القالين ه) (٦) على البفض والكراهية الشديدة والترك ه
واضحة ه

(ولآخرة خير لك من الأولى) : الآخرة تأتى غالبا مقابل الدنيا فاذا اقتربت
بالدار أو باليوم ه قلب أنها اليوم الآخر ه أما اذا أطلقت فهى ذات دلالة أعم ه يدخل

(١) فى ديوان الأعشى : أتودنى ان جاش ص ١٠٠ والمفسرون مجمعون
على أن سبب نزول هذه الآيات هو ابطاء الوحي مرة على الرسول صلى الله
عليه وسلم وهو بحكة حتى شق ذلك عليه ه وقيل فيما قيل ودّع محمدا ربه وقلاه
ه وقد سبق أن ذكرناه فى الباب الأول ه على كل فالصبرة بموم اللفسظ
لا بخصوص السبب ه فأسباب النزول لا تعدو وأن تكون قرائن ما حول النص
والله أعلم ه

(٢) الكشاف ٢٦٣/٤ والقراءة بالبدال الشددة هى قراءة الجمهور ه وقوى شاذنا
بالتخفيف ه وفى أضواء البيان وقراءة الجمهور أرجح وأولى ه لأن (ودع) بمعنى
ترك فيها شدة وشبه جفوة وقطيعة ه وهذا لا يليق بحقاص المصطفى صلى الله عليه
وسلم عند ربه ه أما الموادة والوداع فقد يكون مع المودة والصلة ه كما يكون بين
المحبين عند الافتراق ه فهو وان وادهه بجسمه فانه لم يوادهه بحبه وعطفه

والسؤال عنه ه وهو ما يتناسب مع قوله : (وما قللى) (أضواء البيان ٢٢٥/٩)
(٣) الصحاح ٢٤٦٧/٦ (٤) القاموس المحيى للغيروتى أبادى ٣٨٢/٤

(٥) المحكم لابن سيدة ٦/٣١٠ (قللى) (٦) الشعراء ١٦٨

فيها النهاية والتصير والعقبى سواء في هذه الحياة أو فيما بعدها (١) (ولسوف يعطيك ربك فترضى) : موعد شاطى لما أعطاه الله في الدنيا من القرآن والهدى والنصر وكثرة الاتباع ورفع ذكره وإعلاء كلمته وما يعطيه بعد مماته من المطايا الجزيل الذي لا يعلم كنهه إلا الله (٢)

أما المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه فقالت بين الشاطى : ان القرآن الكريم في أقسامه يجلو معانى من الهدى والحق أو الضلال والباطل بإشارات من النور والظلمة وهذا البيان للممنون بالصحة هو الذى يمكن أن نعرضه على أقسام القرآن دون تكلف أو قسر فى التأويل والمقسم به فى آيتى الضحى صورة مادية وواقعية حسية يشهد به الناس تألق الضوء فى ضحوة النهار ثم يشهدون من بعده فتسور الليل اذا سجا وسكن يشهدون الحالين : معا فى اليوم الواحد دون أن يختل نظام الكون أو يكون فى توارد الحالين عليه ما يثبت على انكاره بل دون أن يخطر على بال أحد أن السماء قد تخلت عن الأرض وأسلمتها الى الظلمة والوحشة بعد أن تألق الضوء فى ضحى النهار فأى عجب فى أن يجىء بعد أنس الوحي وتجلى نسوره على المصطفى صلى الله عليه وسلم فترة سكون يفتر فيها الوحي على نحو ما نشهد من الليل الساجى يوافق بعد الضحى المتألق (٣)

وقد استشرف الى مثل هذا التأويل فى بيان الارتباط الفخر الرازى ولكن وسط حشد من تأويلات شتى لا تخلو من تكلف وغراب قال رحمه الله : كأنه تعالى يقول : الزمان ساعة فساعة ساعة ليل وساعة نهار ثم يزداد ساعة تزداد ساعات الليل وتنقص ساعات النهار ومرة بالمكس فلا تكون الزيادة لهوى ولا النقصان لقلبي

(١) التفسير البيانى ٣٧/١ (٢) التبيان ٤٦ والكشاف ٤/٢٦٤

(٣) التفسير البيانى ٢٦/١ (بتصرف)

بل للحكمة ه كذا الرسالة وانزال الوحي بحسب المصالح فمرة انزال ومرة هبسن ه
فلا كان الانزال عن دوى ولا كان الجيس عن قلى ه (١)

وكان ابن القيم أقرب الى ادراك المناسبة وبيان حسن ارتباط المقسم به بالمقسم عليه ه ونص عبارته : فتأمل مطابقة هذا القسم ه وهو نور الضحى الذى يوافق بعد ظلام الليل ه للمقسم عليه ه وهو نور الوحي الذى وافاه بعد احتباسه عنه ه حتى قال أهداهم ودع محمدا ربه ه فأقسم بضو النهار بعد ظلمة الليل على ضوء الوحي ونوره ه بعد ظلمة احتباسه واحتجابه ه وأيضا فان فلق ظلمة الليل عن ضوء النهار هو الذى فلق ظلمة الجهل والشرك بنور الوحي والنبوة ه فهذان للحس ه وهذا للمقل ه وأيضا فان الذى اقتضت رحمته أن لا يترك عباده فى ظلمة الليل سرمدا ه بل هداهم بضو النهار الى مصالحهم ومعايشهم ه لا يليق به أن يتركهم فى ظلمة الجهل والفتى ه بل يهديهم بنور الوحي والنبوة الى مصالح دنياهم وآخرتهم ه (٢)

وتبين لى من خلال وقفاتهم وجه آخر وهو أن النبى صلى الله عليه وسلم فسى أول أمره كان ضاعقا بالضلالة صدره ه وكان غير راضى بها لنور الفطرة الذى كان فى قلبه ه وكان يلتمس طريق الهداية حتى وافاه الطك بالرسالة ه كما فى قوله سبحانه : (ووجدك ضالا فهدى) وكانت هذه الأمانة حملا باهظا عليه ه فنزلت هذه السورة تثبيتا لخاطره ه وما أقسم به سبحانه يدل على أن السنة جارية على أن الظلام مهما طال فلا بد أن يعقبه نور وضيا ه وكذلك يسطع أمر النبوة ولو بعد حين ويتبعمه النصر والغلبة ه والله أعلم ه

(١) تفسير الفخر الرازى ٢٠٩/٣١

(٢) التبيان ص ٤٦

٢٢ - (سورة التين) :

قال الله عز وجل : (والتين والزيتون ه وطور سينين ه وهذا البلد الأمين ه
لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم ه ثم رددناه أسفل سافلين ه الا الذين آمنوا
وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون ه فما يكذبك بعد بالدين ه أليس الله بأحكم
الحاكمين ه) (١)

قال جماعة من المفسرين : أقسم الله سبحانه بهذين النوعين من الثمار لمكان
العزة فيهما ه وذكروا ما فيهما من المنافع والخواص ه

وقال غيرهم : ليس المراد هاتين الثمرتين بل منتهما ه ثم ذكروا وجوهها ه
(أحدها) قال ابن عباس : هما جبلان من الأرض المقدسة ه يقال لهما بالسريانية
طور تينا وطور زيتا ه لأنهما منبتا التين والزيتون ه فكأنه تعالى أقسم بمنابت الأنبياء ه
(ثانيهما) أن المراد من التين والزيتون مسجدان ه ثم اختلف فقيل : التين مسجد
دمشق والزيتون مسجد بيت المقدس ه وقال آخرون : التين مسجد أصحاب الكهف
والزيتون مسجد ايليا ه وعن ابن عباس : التين مسجد نوح الصني على الجودي والزيتون
مسجد بيت المقدس ه فلما كانت هذه المساجد في هذه المواضع التي يكثر فيها التين
والزيتون ه لاجرم اكتفى بذكر التين والزيتون ه

(والثالث) المراد من التين والزيتون بلدان ه فقيل التين دمشق ه والزيتون بيت
المقدس ه وقيل : التين الكوفة والزيتون الشام ه وقيل : هما جبلان بين همدان
وحلوان ه (٢)

(١) سورة التين

(٢) تفسير الفخر الرازي ١٠ / ٢٢ - ٨ - ١٠

وهذا القول الثاني هو اختيار ابن قتيبة وابن كثير وابن القيم والفراهي ومحمد عبده وغيرهم من العلماء الأفاضل (١)

قال ابن القيم : أقسم الله سبحانه بهذه الأمكة الثلاثة العظيمة التي هي مظهر نبياته ورسوله ، أصحاب الشرائع العظام والأمم الكثيرة ، فالتين والزيتون المراد به نفس الشجرتين المعروفتين ونبتهما ، وهو أرض بيته المقدس ، فانها أكثر ا ليقساع زيتونا وتينا ، وهو مظهر عبد الله ورسوله وكلمته وروحه عيسى بن مريم ، كما أن طور سينين مظهر عبده ورسوله وكليمه موسى ، فانه الجبل الذي كلمه عليه وتاجاه وأرسله الى فرعون وقومه ، ثم أقسم بالبلد الأمين ، وهو مكة مظهر خاتم أنبيائه ورسوله ، سيد ولد آدم ، وترقى في هذا القسم من الفاضل الى الأفضل ، فبدأ بموضع مظهر المسيح ثم ثنى بموضع مظهر الكليم ، ثم ختمه مظهر عبده ورسوله ، وأكرم الخلق عليه .

ونظير هذا بعينه في التوراة التي أنزلها الله على كليمه موسى : (جاء الله من طور سيناء ، وأشرق من ساعير ، واستعلن من فاران) (٢) فمجئته من طور سيناء بحثته لموسى بن عمران ، وبدأ به على حكم الترتيب الواقع ، ثم ثنى بنبوة المسيح ، ثم ختمه بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، وجعل نبوة موسى عليه السلام بمنزلة مجئ الصبح ، ونبوة المسيح عليه السلام بعده بمنزلة طلوع الشمس واشراقها ، ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم بمنزلة استعلائها وظهورها للمالم ، ولما كان الغالب على بني اسرائيل حكم الحصن ذكر ذلك مطابقا للواقع ، ولما كان الغالب على الأمة الكاملة حكم العقل ذكرها على

(١) معاني الفراء ٢٧٦/٣ وتفسير ابن كثير ٥٢٦/٤ - ٥٢٧ والتبيان ص ٢٨-٢٩
وتفسير هروب القرآن لابن قتيبه ص ٥٣٢ وتفسير نظام القرآن للفراهي سورة التين (مخطوط) وتفسير جزء عم للشيخ محمد عبده ١١٨ - ١١٩

(٢) أنظر التثنية : ٣٣ : ٢ ، وفيها : جاء الرب من سيناء وأشرق لهم من سمير وتلايا من جبل فاران ، وأتى من ربوات القدس .

(١) الترتيب العقلي هـ

وأحسن ما وقفت عليه في تفسير هذه السورة هو ما كتبه الامام الفراهي في تفسيره القيم نظام القرآن وتأويل الفرقان^{بالفرقان} قال رحمه الله : يرى في بادي النظر أن عمود^(٢) السورة هو اثبات الدين أي الدينونة والقضاء على الانسان حسب أعمالهم هـ فبدء السورة بالقسم على سبيل الاستشهاد هـ وقد بينا ان هذه الأقسام نوع خاص من القسم ويروا به الاستشهاد على ما أقسم عليه هـ وليست في شيء من التعميم للمقسم به هـ فانما هي من شهادات لا غير هـ فعلى هذا الأصل استشهد بأربع شهادات مشيرة الى وقائع الدينونة في الدنيا ليتذكروا أن الله تعالى ليس بما فل عما يعمل عباده فانه لم يزل يد ينهمس

(١) التبيان ص ٢٨ - ٢٩ هـ وهكذا الشيخ محمد عبده رجح في تفسيره لجزء قسم. أن المراد بالتين والزيتون مواطن النبوات وأماكن ظهورها هـ ليتناسب جمعها مع طور سينين وهذا البلد الأمين هـ فالتين اشارة الى عهد الانسان الأول هـ فانه كان يستظل في تلك الجنة التي كان فيها بهورق التين هـ وعند ما بدت له ولزوجته سواتهما طفقا يخصفان عليهما من ورق التين هـ والمزيتون اشارة الى عهد نوح عليه السلام فانه بعد حادث الطوفان أرسل بعض الطيوسور لعله يأتي اليه بخبر انكشاف الماء عن بعض الأرض فرجع اليه يحض ورقة من شجر الزيتون فاستبشر وسر وعرف أن غضب الله قد سكن وقد أذن للأرض أن تصمر الخ فصبر عن ذلك الزمن بزمن الزيتون هـ للتذكير بتلك الحادثة وهي أكبر ما يذكر به الحوادث. وطور سينين اشارة الى عهد الشريعة الموسوية وظهور نور التوحيد في العالم بعد ما تدنست جوانب الأرض بالوثنية هـ وقد استمر الأنبياء بعد موسى عليه السلام يدعون قومهم الى التصك بتلك الشريعة الى أن كان آخرهم عيسى عليه السلام هـ ثم طال الأمد على قومه فأصابهم ما أصاب قبلهم من الاختلاف في الدين هـ فمن الله على البشر ببداية تاريخ ينسخ جميع تلك التواريخ ويفصل بين ما سبق من أطوار الانسانية وبين ما يلحق وهو عهد ظهور النور المحمدي من مكة المكرمة هـ واليه اشار بذكر البلد الامين وعلى هذا القول الذي فصلنا بيانه يتناسب القسم والمقسم عليه كما ترى هـ تفسير جزء عم للشيخ محمد عبده ١١٨ - ١١٩ (بتصرف) .

(٢) العمود : المشي* الجامع الذي به رباط السورة واليه مجرى الكلام هـ انظر التفصيل في دلائل النظام للفرا هي هـ ٦٢ هـ ٧٣ هـ ٧٦ هـ ٧٩ هـ ٩٣ هـ ٩٨ هـ وفاتحة نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان هـ للمؤلف نفسه هـ المقدمة السادسة السادسة في المناسبة والترتيب ١٨ - ٢٠

بالقسط ويحكم عليهم بالحق ، وأبطل بذلك الشبهة في وقوع الدينونة يوم القيامة ، وهذا النوع من الاستدلال كثير في القرآن ، مثل قوله سبحانه : (يا أيها الانسان ما غررك بربك الكريم ، الذي خلقك فسواك فعدلك في أى صورة ماشاء ربك ، كلا بل تكذبون بالدين) (١) ، فاستشهد بأعماله على كونه ربانا ، فهكذا ههنا استدلال بوقائع صحيح الدينونة على وقوع الدين ، ثم ختم الكلام بالدليل اللص (٢) ، وهو الاستدلال بوصف الرب تعالى ، وهذا أقوى الدلائل مع غفلة الناس عنه فاختر فيه أسلوب الاستفهام ليهدل على كون الإنكار به في غاية الاستهزاء ، كما ترى ذلك في قوله تعالى : (أفنجعل المسلمين كالمجرمين ، ملكم كيف تحكمون) (٣) وقوله : (كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم) الآية (٤) ، وقوله : (أفى الله شك فاطر السموات والارض) (٥) ، وهذا كثير في القرآن ، فكذلك ههنا أورد البرهان اللص على أسلوب الاستفهام ، ومما ذكر من الشهادات دل أيضا على طرف خاص من الدينونة وهو اثبات هذه البعثة ، وقد كثر في القرآن الاستدلال على النبوة بكونها من أكبر مظاهر الدينونة ورحمة الرب وحكمته بالمدل ، فإنه لم يقضى على العباد الا بعد ارسال الرسل ، وكذلك في القيامة يقضى عليهم بشهادة رسلهم فبعثه الرسل دينونة في الدنيا وقيامه صغرى ، فإنه عند ذلك فريق ينجو وفريق يهلك وينقطع عذره عند الدينونة الكبرى ، كما قال تعالى : (رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) (٦) ، فعلى هذا الأصل استدلال بالوقائع الماضية على كلا الأمرين أعنى أن الدين لا بد واقع وأن هذه البعثة جاءت حسب سنة الله تعالى وجريانها بالمدل وحسب قضاائه فيما تقدم من حكمة الحكيم العادل ، وذلك اجمال القول في العمود الذى أقسم عليه (٧) .

(١) الانفطار : ٦ - ٩

(٢) اذا كان الاستدلال من العلة على المعلول يصرّف باسم التعليل وهو الانتقال من المؤثر الى الأثر ويسمى ذلك الدليل دليلا ليميا ، أنظر كشاف اصطلاحات

الغنون تأليف محمد على الفاروقى التهانوى ٢ / ٣٠٠ - ٣٠١

(٣) القلم : ٣٥ - ٣٦ (٤) البقرة : ٢٨

(٥) ابراهيم : ١٠ (٦) النساء : ١٦٥

(٧) وانظر أيضا القائد الى عيون المعقائد للفراهى ١٢٢ - ١٢٣

تصميم المراد بما أقسم به من المواضع :-

لا يخفى عليك أن المقسم به إنما ينظر إليه من جهة كونه دليلاً وشاهداً وآية على ما أقسم عليه وقد مر أن المقسم عليه هو أمر الدينونة فلا بد من اشتراك هذه الأسماء في هذه الجهة وسيتضح لك فيما يتلو ما وقع من الدينونة على هذه المواضع وذلك يدل على أن المراد بالتين والزيتون موضحان ليس إلا ، وأيضاً قرين التين والزيتون بطور سينين والبلد الأمين ، فدل بالنظام على كونها اسمين لموضعين وأيضاً لا يخفى عليك أنه كان من عادة العرب التذكر برؤية الديار وأثارها ، وكثير ذلك في كلامهم جداً ، فذكر المواضع للتبنيهِ على ما وقع فيها هو أقرب إلى أن هانهم وأوقع في نفوسهم ، وعلى هذا أكثر في القرآن التذكير بذكر البلاد ، كما قال تعالى : (وتلك السقرى نقص عليك من أنبائها) (١) ، وأيضاً في التوراة ما يطابق بهذا التأويل ، وسيأتي بيانه ، وعلى هذا لا نغفّر معنى التين والزيتون وإنما نأخذ ببعض وجوه معنى واحد حسب سنة الكلام كما سنعرف ، وبذلك يرفع الاختلاف من بين قولين لمكرمة حيث قال مرة هو تينكم وزيتونكم ، ومرة انهما جهلان ، هذا ، والآن نذكر ما هو المراد بهذه الأسماء ، فأما التين فالمراد به موضع خاص عرفته الصرب بهذا الاسم لكونه منبت التين ، والصرب يسمون الموضع باسم ما ينبت فيه كالفضى (٢) والشجرة (٣) والنخلة (٤) وليس ذلك خروجاً عن أصل معنى الكلمة ، وإنما هو استعمالها في بعض وجوهها بطريق نسبية الطرف بالظروف ، قال النابغة الزبياني من بني عطفان : (٥)

وهبت الريح من تلقاء ذي أرل ترجى مع الليل في صرادها صرماً

صهب الظلال أتين التين عن عرض يزجين غيماً قليلاً ماؤه شهباً (٦)

أراد بالتين جهلاً في الشمال ، قال الأطلون هو بين حلسان

(١) الاعراف ١٠١

(٢) في كتاب الفتوح : غضى : جهال البصرة ، انظر معجم البلدان ٢٠٧/٤

(٣) الشجرة : التي ولدت عندها أسماء بنت محمد بن أبي بكر رضي الله عنهما وهي

على ستة أميال من المدينة ، وأيضاً اسم قرية في فلسطين ، المرجع السابق

٣٢٥/٣

(٤) نخلة القصوى ، نخلة الشامية ، نخلة محمود ، نخلة اليمانية ، هذه كلها أسماء

لمواضع ، معجم البلدان ٢٧٧/٥ - ٢٧٨

(٥) ديوانه : ١٠٧ ، والصهب والصهبة : الشقة والحمرة ، والشهب البارد

وهمدان (١) وأما خلافهم من أبي حنيفة الدينوري (٢) مستدلاً بأن ذلك الموضع بعيد من بلاد فطغان فلا يلتفت إليه ، فإن الشعراء ربما يذكرون ما بعد عن بلادهم جسداً ، وهذا النابغة نفسه ذكر كابل وسد ياجوج وتدمر (٣) فهل هذه في بلاد عطفان ، وجبل التين على قول الأولين ليس بهذا البعد ، فانما هو على جانب من العراق ، وهم يذكرون الفرات ودجلة وخابور والخورنق والسدير (٤) ولعل لها حنيفة أخطأ معنى قوله (أتين التين) وظن أن النابغة أراد به الاتيان الى بلاده ، وانما هو أراد المرور فانه يصف الريح الباردة الشمالية التي تزجى السحب الصهب القليلة الماء التي مرت بجانب جبل التين فزادت به برودة والمرب تذكر كثيراً هب الريح الباردة من جانب الشمال ، وهكذا يذكرون الجودي بالبرودة ، قال أبو صمتر البولاني وهو جاهلي :

فما نطفة من جب مزن تقاذفت به جنبتا الجودي والليل دامن
فلما أقرت اللصاب تنفست شمال لأعلى مائة فهو قارس (٥)

فلا شك أن النابغة أراد بالتين جبلاً في الشمال ولعله هو الجودي أو قريب منه وكما أخطأ الدينوري في بيت النابغة فكذلك أخطأ صاحب معجم البلدان في بيته أبي صمتر فقال انه أراد بالجودي موضعاً في اليمن (٦) فظن أن الشاعر لا يذكر الا بلاده ، وقد مر آنفاً أن ذلك ظن باطل ، ولم يثبت أحد أن الجودي جبل في اليمن ، وانما الجودي هو الذي ذكرنا ، ويؤيد ذلك ما روى عن ابن عباس في تأويل هذه الآية ، فقال المراد به مسجد نوح الذي بنى على الجودي ، وعن هكرمة التين والزيتون جبلان (٧)

-
- (١) حلوان العراق : هي في آخر حدود السواد مما يلي الجبال من بغداد ، (معجم البلدان ٢/٢٩٠) وهمدان : مدينة مشهورة من مدن الجبال في الأقليم الرابع (معجم البلدان ٥/٤١٠)
(٢) هو أحمد بن داود بن ونشد الدينوري المتوفى ٢٨٢ هـ مؤلف كتاب (الأخبار الطوال) ،
(٣) انظر ديوانه ١٤ : ١٥٣١ : ٢٣ (٤) انظر ديوان النابغة ١ : ٤٤ : وششرح القصائد السبع للأنباري ١٧١ هـ والأصمعيات ٦٧ : ٢٥ : ومعجم البلدان ٢/٣٣٤ هـ ٢/٤٠١ والأصمعيات ١٤ : ٢١ (٥) ديوان الحماسة (شرح المرزوق) رقم ٣٥٩ هـ ٤٨٢ واللساب جمع تصيب وهو شقوق في الجبل ، والقارس : البارء
(٦) معجم البلدان ٧/١٨٠ (٧) تفسير الطبري ٣٠/١٥٤ والدر المنثور

وطى هذا يتبين أن التين اما هو الجوى أو قريب منه ه وفي التوراة ان بنى آدم تفرقوا بحد نوح عليهم السلام ه (١) والقرآن يدل على كونه قريبا من الجوى (٢) ه فيستدل بذلك على أن التين كان سكن آدم وذريته ه ويؤيده أيضا ما جاء في التوراة من أن آدم عليه السلام كان يخصف عليه من ورق التين (٣) ه (٤) هذا ه

وأما الزيتون فأيضاً أطلق اسمه على منبته حسب سنة العربية كما مر آنفوسا ه ولا يخفى أن المراد جبل الزيتون الذى كثر تضرعات المسيح عليه السلام ه كما فى لوقا : وكان فى النهار يلم فى الهيكل وفى الليل يخرج ويبيت فى الجبل الذى يدعى جبل الزيتون ه (٥) ويوافق ذلك أقوال السلف منا فقد روى عن ابن عباس وعن كعب : أن الزيتون بيت المقدس (وعن قتادة : (انه الجبل الذى عليه بيت المقدس ه) (٦)

وأما طور سينين فمعروف ه ولكن صورة الكلمة تستدعى بيانا ه فاعلم أن القسمران ذكره فى موضع آخر باسم (طور سيناء) (٧) فمرة أتى بها على التانيث ومرة على جمع السلامة ه فدل على أن التانيث اما هو لكونه وصفا للجمع كما تقول جمعا ه وأجمعون ه وفى التوراة جاء سيناء وسيمنيم ه وفى العبرانية (يم) علامة الجمع ه وقال بعض علما أهل الكتاب أن (سيمنيم) اسم أرض الصين بدليل أنه اسم أرض بعيدة عن فلسطين ه وهذا الدليل كما ترى ه ه

وأما البلد الأمين ه فلا حاجة الى بيانه ه وانما لم يقل مكة ليكون أوضح فسى الدلالة على وجه الاستشهاد كما سيأتى ه

-
- (١) التكوين ١٨/٩ - ١٩ و ١٠ : ٥ (٢) سورة هود ٤٤
(٣) التكوين ٣ : ٧ (٤) انظر مفردات القرآن للفراهى ص
(٥) لوقا : ٢١ : ٣٧
(٦) تفسير الطبرى ١٥٣/٣٠ والدر المنثور ٦/٣٦٥ - ٣٦٦
(٧) المؤمنون ٢٠

الأصل الكلى فى وجوه الاستشهاد بهذه البقاع الأربع :

قد مرّ أن المقسم به فى الاستشهاد لا ينظر اليه الا من جهة ما يكون آية وشهادة على المقسم عليه ه وقد بينت مجعلا أن المقسم عليه فى هذه السورة هو أمر الدينونة فالآن ننظر الى هذه البقاع من هذه الجهة لا غير ه واعلم ان الشىء الواحد ربما يستشهد به من وجوه كثيرة فلا حاجة الى حصر الوجوه ه وقد جاء فى القرآن الاستشهاد بشىء واحد من جهات شتى ه مثلا استشهد بالمطر من جهة على الربوبية ومن جهة أخرى على البعث بعد الموت ه وربما يصرح بكثرة الوجوه ه كما قال تعالى : (هو الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مصرا ه ان فى ذلك لآيات ه) (١) فجعل فيها آيات لا آية واحدة ه وكذلك قال تعالى : (ان فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الأبصار) (٢) وقال تعالى : (وفى الأرض آيات للموقنين ه وفى أنفسكم أسفا تبصرون ه) (٣) وهذا كثير وظاهر ه ومع ذلك اذا أقسم بشىء على أمر فعمد ذلك لا يؤخذ من جهات المقسم به الا ما كان شاهدا على المقسم عليه ه ويعد ما تبين هذا الأصل ه فاعلم ان هذه البقاع الأربع مواضع لظهور الدينونة الدالة على أن الرب تعالى يدين الانسان بالرحمة والعدل حسب أعماله ه فهذا هو الأصل الكلى فى النظر فى وجوه الاستشهاد بهذه البقاع ه وأما تفصيل ذلك فنذكره فيما يأتى ه

وجه الاستشهاد على الدينونة بالتين :-

اعلم أن التين هو أول موضع لظهور الدينونة على الانسان ه وذلك بأن آدم لما نسى عهد الرب وسمع لقول جاسده وقمت عليه وعلى زوجته الدينونة ه فأهبطا بعد الرقمة وسلبا لباس الجنة كما قال تعالى : (وطبقنا يحصقان عليهما من ورق الجنة ه) (٤)

(٢) آل عمران : ١٩٠

(١) يونس : ٦٢

(٣) الذاريات : ٢٠ - ٢١

(٤) الأعراف : ٢٢ ه وطه : ١٢١

وجعل الله ذلك الأمر تذكارا وموعظة لنسله فقال تعالى : (يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينتزع عنهما لباسهما) (١) وقد صرح في التوراة بأن الشجرة التي خصفا عليهما من ورقها كانت شجرة التين (٢) ثم عند ذلك تابعا الى الرب وتاب الرب عليهما (٣) ووعد بانزال هديته وأجر من تبعه من ذريته فأعطاه عهدا ثانيا (٤) فواقمة التين جمعت السلب والعطاء (٥) الأول لنسيانته العهد الأول (٦) والثاني لثابته الى الرب (٧) وكذلك وقمت الدينونة على نسله في عهد نوح عليه السلام عنسد جبل التين فأهلك الظالمون وبورك الباقون (٨) كما قال تعالى : (وقيل يا أرض ابلعي ماك وبيا سماء اقلعي وغيضي الماء وقضى الأمر واستوت على الجودي) وقيل بعدا للقوم الظالمين (٩) ثم بعد ذكر دعاء نوح قال تعالى : (قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك وأمم سنمصهم ثم يمسهم من عذاب أليم) (١٠) أي جعلنا السلام والبركات لك وللمؤمنين معك (١١) وأما الآخرون فلهم أيضا قطاع من الدنيا قليل ثم عذاب أليم (١٢) فصار التين آية وتذكرة لما وقع على الانسان من الدينونة وقضاء الرب تعالى (١٣) وذكرها باسم التين بدل السمير أحسن لما هو أوضح دلالة على واقعة هي أقدم من واقعة الطوفان ثم في هذا الاسم دلالة أخرى (١٤) وسيأتى ذكرها .

وجه الاستشهاد على الدينونة بالزيتون :

اعلم أن الزيتون قد وقمت عليه الدينونة المعظمى من سلب الأمانة والناموس من اليهود واعطاها لدوحة أخرى من شجرة ابراهيم عليه السلام ان وقع ما وقع في آخر عهد المسيح عليه السلام في ليلة سهرها على جبل الزيتون وقد ناجى الرب السى السحر (١٥) ويثمن من قوته (١٦) فحزن غاية الحزن (١٧) لما علم أن اليهود يهيمون بقتله (١٨) وبذلك

(١) الأعراف : ٢٧

(٢) التكوين ٣ : ٧

(٣) هود : ٤٤

(٤) هود : ٤٨

يلعنون ويسلبون الأمانة فتمطى لأمة جديدة بها كما صرح به المسيح عليه السلام حيث قال
(أما قرأتكم في الكتاب الحجر الذي رفضه البنائون هو قد صار رأس الزاوية ه من قبيل
الرب كان هذا ه وهو عجيب في أهيئتنا (١) ثم فسر المسيح ذلك فقال : (لذلك
أقول لكم ان طكوت الله ينزع ويمطى لأمة تعمل اثماره ه ومن سقط على هذا الحجر
يخرش ومن سقط هو عليه يسحقه ه (٢) فهذا نزع طكوت الله وقع على جبل الزيتون (٣)
ويتبين للمتأمل في الأناجيل ما وقع من الدينونة العظمى على بقعة الزيتون ه طود قوم
ودعى قوم ه ثم يدعى التائبون من الأول (٤) فكان اختلاط الرحمة والنعمة والنور والظلمة
ه وعند ذلك تسكب الصبرات وتصعد الزفرات ه وتوى المسيح هناك كالشمع في أغسبر
زوبانه وشدة وهجانه ه أفرغ جهده لقومه ثم غم اليأس ثم سكنه الرجاء ه فاضطرب تحت
عواصف الهوم كالبحر المتلاطم ه ثم في الزيتون الماع الى دينونة أخرى مع نوح عليه
السلام وسيأتى ذكرها ه

وجه الاستشهاد على الدينونة بطور سنين :-

- وأما طور سنين فلا يخفى أن الله تعالى أعطى عليه الأمانة أمة ضعيفة قد
صبرت على ظلم أعداء الله ه فأنجاها من أيديهم بيد قوية ورفع أمرها ودان عدوها ه ثم
-
- (١) متى ٢١ : ٤٢ ومزمور ١١٨ : ٢٢ - ٢٣
(٢) متى ٢١ : ٤٣ - ٤٤
(٣) وانظر تفاصيل ذلك في الانجيل المنحول الى لوقا ٢٢ : ٣٩ - ٥٢ ومرقس ٤ :
٣٣ - ٤٢ ومتى ٢٦ : ٣٦ - ٤٥ ويوحنا ١٢ : ٢٣ - ٣٦ ه ١٦ : ٥ - ١٣ ه
١٦ : ٢٠ - ٢١ و ١٦ : ٣٢ وانجيل برنابا ١٨٩ : ٦ - ١٩ و ١٩٠ : ١ - ١٠ و ١٩١ :
١ - ١٠ و ١٩٢ : ١ - ٦ و ١٩٤ : ٨ - ١٠ و ١٩٨ : ١٢ - ١٦ و ٢٠٢ : ٢٠ - ٢٢
و ٢٠٤ : ٥ - ١٠ و ٢٠٥ : ١ - ١٨ و ٢٠٦ : ١ - ١٨ و ٢٠٨ : ١ - ١٧ والفصل ٢١١ و ٢١٢
و ٢١٣ الى آخر الكتاب ه
(٤) اقرأ الأيتين ١٥٦ - ١٥٧ من سورة الأعراف ترى فيهما قضاة الله على قوم اليهود
وهو طرف الرحمة من الدينونة وأدغرها الرب لمن يؤمنون في الآخر بالنبي المسيح
الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل حين تلتين قلوبهم ه

أعطاهامنا موسا ذابأس شديد على الظالمين الكافرين . فكان هذا العطاء العظيم رحمة على الضعفاء وانتقاما من الأقوياء وكان أيضا أجرا للمابدين وجزاء للكافرين ه وهسذا يتبين لك مما جاء في القرآن والصحف الأولى ه ففي القرآن في ذكر فرعون وقومه : (فاستخف قومه فأطاعوه انهم كانوا قوما فاسقين ه فلما أسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعيين ه فجعلناهم سلفا مثلا للآخرين ه) (١) وأيضا : (وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى اسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وكانوا يمرشون ه) (٢) وأيضا : (ان فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيما يستعطفونهم فإذ يذبح أبناءهم ويستحي نساءهم انه كان من المفسدين ه وتريد أن نمن على الذين استضعفوا فسى الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الأرض ونرى فرعون وهامسان وجنودهم ما كانوا يحذرون ه) (٣)

وأما الصحف فقد صرحت بأن الله تعالى رحم على بنى اسرائيل ليدين به الكفار وليتم به ما وعد آباءهم الصالحين من البركة والنعمة ه ففي سفر التثنية : ليس من كونكم أكثر من سائر الشعوب التصق الرب بكم واختاركم لأنكم أقل من سائر الشعوب ه بل من محبة الرب إياكم وحفظه القسم الذي أقسم لأبائكم أخرجكم الرب بيد شديدة وفدكم من بيت العبودية من يد فرعون ملك مصر ه فاعلم أن الرب الهك هو الله الإله الأمين الحافظ الصمد والاحسان ه للذين يحبونه ويحفظون وصاياه الى الألف جعل ه والمجازى الذين يفضونه بوجوههم ليهلكهم ه لا يهمل من يفضه بوجهه يجازيه ه فاحفظ الوصايا ه والفرائض والأحكام التي أنا أوصيك اليوم لتعملها ه (٤) وأيضا (ليس لأجل برك وعدة قلبك تدخل لتمتلك أرضهم بل لأجل اسم أولئك الشعوب يطردهم الرب الهك من أمامك ولكي يفي بالكلام الذي أقسم الرب عليه لأبائك إبراهيم واسحق

(١) الزخرف : ٥٤ - ٥٦ (٢) الأعراف : ١٣٧

(٣) القصص : ٤ - ٦ (٤) سفر التثنية ٧ : ٧ - ١١

ويعقوب ه فاعلم أنه ليس لأجل برك يمطيك الربك الهك هذه الأرض الجيدة لتمتلكها
ه لأنك شعب صلب الرقبة ه أذكر لا تنسى كيف أسخطت الرب الهك في البرية ه من اليوم
الذي خرجتم فيه من أرض مصر أتيتم الى هذا المكان كتمت تقاومون الرب (١)

ثم ذكر اتخاذهم العجل حين ذهب عنهم موسى وصعد الى طور سيناء ه لأخذ
لسوحى العهد ه فمما ذكرنا يتبين أن الله تعالى دعا موسى عليه السلام الى الطهور
لأجل اتمام النعمة على ذرية الصالحين ليتمكن لهم في الأرض ليكونوا شهداء لله بالدين
الحق وليهلك بهم المفسدين الكافرين ه فكان ذلك د ينوثة رحمة ونقمة وشواب وعذاب ليعلموا
انه هو العزيز الرحيم الذي ان الحكيم ه

وجه الاستشهاد على الدينونة بهذا البلد الأمين :

ان الدينونة التي وقعت في مكة كانت أوسع رحمة للناس وباقية الى يوم القيامة و
بيان ذلك أن الله تعالى لما ابتلى ابراهيم عليه السلام بكلماته فأتمهن وعهد ه فوفى،
حتى قرب في آخر عمره بكوه الوحيد البار السعيد اسماعيل عليه السلام فحينئذ باركسه
الرب وبشره باسحاق وأعطاه عهدين في ذريته منهما ه فأما عهد ه في اسحاق عليه السلام
فأتمه حين دعا موسى عليه السلام الى الطهور وأعطاه الكتاب الصبين ثم استمر على عسلات
اليهود حتى امتلأت كأسهم حين هموا بقتل آخر أنبيائهم فنزعه عنهم كما مر وكان فيه د ينونة
مختصة بطائفة من بنى آدم والى زمان ه

وأما عهد ه في اسماعيل عليه السلام فادخره ليتم به النعمة للصالحين والنقمة
للجاحدين من الناس أجمعين ه فجعله تمام الدينونة التشريحية حتى تأتي الدينونة
الآخرة ولكنه موعود ومنتظر من أول الأمره والى هذا يشير كثير مما جاء في الصحف الأولى

(١) سفر التثنية ٩ : ٥ - ٧

والقرآن مثلا (الحجر الذي رفضه البناءون صار رأس الزاوية من قبل الرب كان هذا ه وهو حبيب في أعيننا ومن سقط على هذا الحجر يترسخ ومن سقط هو عليه يسحقه) (١) وقصد ضرب المسيح عليه السلام أمثالا كثيرة لهذه الدينونة المنتظرة ه وسماها طكوت الله ه وصرح بأن أهلها هم الآخرون الأولون ه فقال في مثل الاكارين كما جاء في متى : (هكذا يكون الآخرون أولين وأولون آخريين) (٢) وكذلك صرح بأن اتمام الحق والنور يكون عند ذاك كما مر انفا ه

وانا كان الامر كذلك جعل مركز هذا العهد بلدا آمينا محفوظا عن الأعداء ه واختار له خيرا أمة ليكونوا شهداء الله على جميع أهل الأرض وبعث فيه نبيا الى كافة الناس ه وأتم به الشرائع والحكمة لكيلا يبقى للناس حجة بعد ذلك عند دينونة في القيامة ه وبين القرآن هذه الأمور في مواضع ه فمنها قوله تعالى : (وان ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن قال انى جاءك للناس امانا ه قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدى الظالمين ه وان جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا ه واتخذوا من مقام ابراهيم صلى ه وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل أن طهرا بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود ه وان قال ابراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا ه وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخره قال ومن كفر فأمتعه قليلا ثم أضطره الى عذاب النار ه وبئس المصير ه وان يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك أنت ا لسميع العليم ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا انك أنت التواب الرحيم ه ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم ه انك أنت العزيز الحكيم ه) (٣) فأتى الله عهد ه بابراهيم وجعله امانا للناس بعهد اليه والى اسماعيل سنيده انه بيته وجعله مثابة للناس وأمنا ه واستجاب دعاه فبعث فيه رسولا ه وكل ذلك

(١) انجيل متى ٢١ : ٤٢ - ٤٤

(٢) انجيل متى ٢٠ : ١٦ و ١٩ : ٣٠

(٣) سورة البقرة ١٢٤ - ١٢٩

لما وجدته كاملاً في الصهيونية ، وفي التوراة ان الله وعده بأن يبارك به الأمم فوق جميع هذه الأمم ويبقى هذا البلد مأموماً من عهد ابراهيم عليه السلام ، والمخاطبون قد جئنا ذلك ، وقد شهد وكيف أهلك الله أصحاب الغيل حين راموا كيدا خلاف هذا البلد ، هذا ، وأما مركز عهده في ذرية اسحاق فدارت عليه وعلى أهله الدوائر ، وصرح بذلك في الصحف كثيراً (١) ولا يخفى ذلك على من نظر في الصحف الأولى ، ومما ذكرنا تبين ما للدينونة التي وقعت في هذا البلد من السعة والحسن ، والحمد لله فسبح الآخرة والأولى " جطة ما أوردنا في هذه الفصول ان الله تعالى ذكر هذه المواضع لكونها مشاهد لدينونة الانسان في الدنيا وجزائه ايها حسب أعمالهم فيبين لهم أن ربهم لم يخلقهم سدى ولم يغفل عن أحوالهم فأنزل اليهم الكتاب والذكرى وأكثر لهم من النذر والبشرى فهبأ لهم ما يهتدون به حسب ما أودع فطرتهم من الاستعداد للرقى الى مدارج الكمال وجعل ذلك دليلاً على وقوع الدين في الآخر .

نظير ذلك في التوراة وتحقيق مقام سمير :

قد جاء في التوراة ما هو في غاية المشابهة بأوائل هذه السورة ، ونذكره لما فيه تصريح ببعض ما ذكرنا ، ففي سفر التثنية : (وهذه هي البركة التي بارك بها موسى رجل الله بنى اسرائيل قبل موته ، فقال : جاء الرب من سيناء وأشرق لهم من سمير وتلاً من جبل فاران وأتى من ربوات القدس ، وعن يمينه نار شريمة لهم ، فأحيب الشعب) (بعد ذكر ذلك التفت مخاطب الرب قائلاً) جميع قد يسبه في يدك وهم جالسون عند قدمك يتقبلون من أقوالك ، هنا موسى وأصناما موسى ميراثاً لجماعة يعقوب) (٢) وهذا لما لقوه بالبركة ، وكان ذلك آخر كلامه عليه السلام ، ولا يخفى على المتدبر ان في تقديم هذه الجمل قبل البركة اشعاراً بأن الله تعالى لم يزل يمطر البركة للذين أطاعوه وتمتجلى

(١) وذكر ذلك الفراهي مفصلاً في تفسير سورة الغيل من تفسيره نظام القرآن

(٢) سفر التثنية ٣٣ : ١ - ٤

لهم بحراحمه ه فكذلك يبارك هذا الشعب اذا أطاعوه ويتقبلوا ما أنزل اليهم من
أحكام الرب ووصاياهم ه

وانا تبين لك هذا استبان لك مافى هذا الكلام من المشابهة بما ذكرنا
من التأويل ه ومن ان المراد بهذه الاسماء هى مشاهدة ظهور الرب بأفعاله سواء
كانت هذه المواضع الأربع مطابقة بالأربع التى فى هذه السورة كل المطابقة أو بعضها ،
والتأمل يهذى الى المطابقة التامة ه فان المطابقة بين الثلاثة من هذه الأربع ظاهرة
جدا ه فانه لا يخفى ان سينا ه اسم آخر لطور سينين ه وفاران اسم لجبال مكة باتفاق
أهل العلم منا ه وفى التوراة شواهد على ذلك ه (١) ورويات القدس عبارة عن جبال
القدم التى كثر ذكرها فى الأناجيل بجبل الزيتون ه فلم يبق الا بيان المطابقة بين
التين وصحير ه ونذكر لك ما يؤيد ذلك ه والله أعلم ه قد مر فيما مضى ان التين هو
أول مسكن بنى آدم وهو الجوى أو قريب منه ه فالآن نقول ان صحير حسبا جاء فى
صحف اليهود اسم لجبال أدوم التى نهى بنو اسرائيل عن تملكها ه وهى بلاد فسيحة
الأرجاء كثيرة الطوك والقبائل ويزعمون بأن أدوم سمي به عيص بن اسحاق ه وان معناه
الحمرة ه وانه كان أحمر قويا شديد البطش ه وأدوم وخنو أدوم هم أولاده سكان صحير ه
وأما موضعه فالتبع عليهم مثل كثير من مواضع البلاد كما اعترف به علماءهم ه وذلك
بأنهم جمعوا الروايات المتناقضة فمع ظهور أنهم يجعلونه فى جنوب الشام تراهم يذكرون
أيضا ما يدل على كونه فى الشمال والمشرق من بلادهم ه ففى سفر العدد : (ههـ)
يكون لكم تخم الشمال من البحر الكبير (أى بحر الروم) ترسمون لكم جبل هور ه (٢)
وجبل هور فى طرف أدوم كما جاء فى سفر العدد : (ونزلوا فى جبل هور فى طرف

(١) قد بسط الفراهى القول فى سورة الصافات .

(٢) سفر العدد ٣٤ : ٧

أرض آدم هـ (١) ويتبين من هذا أن الخط الذي يمر من البحر الكبير الى الشرق يبلغ أرض آدم هـ على جانب الشمال والشرق من أرض بني اسرائيل هـ وذلك يطابق بما ذكرنا من موضع التين هـ ويؤيد ذلك أمور : (الأول) : أنهم يذكرون ان آدم مأخذه الأدمة هـ وذلك هو المأخذ لاسم آدم عليه السلام هـ فالأقرب أن آدم سمي بهذا الاسم لما كان مسكن بني آدم هـ (والثاني) : أنهم يذكرون أن آدم هو اسم آخر لسعير هـ في العبرانية هو الطوفان هـ فالأقرب ان الجودي سمي بسعير وكان عند مسكن بني آدم الى أن تفرقوا بعد ما كثر أولاد نوح عليه السلام هـ (والثالث) : انا لانجد في صحفهم أمرا عظيما وقع على موضع يزعمون انه المراد باسم سعير هـ فالأقرب ما ذكرنا من مطابقة التين بسعير وأدم هـ والله تعالى أعلم هـ (٢)

(١) سفر العدد ٣٢ : ٣٧

(٢) ولم يكتف الفراهي بهذا ههنا بل قد ألقى نظرة في النظيرين من جهة النظم والبيان أذكرها للفائدة هـ قال رحمه الله : بعد ظهور المطابقة بين النظيرين لملك تسأل عن وجه الاختلاف بينهما في ترتيب هذه الاسماء هـ فاعلم انه كثر في القرآن والتوراه ذكر الأمور أنفسها على أنحاء من الترتيب هـ ولكل وجه صحيح هـ والأقرب ان ذلك على وجه الترتيب ههنا حسبا يظهر هـ والله تعالى أعلم هـ أما القرآن فوهي فيه ترتيب الزمان والكان وجمع المثل بالمثل هـ وذلك بأن قدم الدينونة الآدمية لتقدمها زمانا هـ ثم أردفها بنينيتها الدينونة المسيحية لما بين آدم والمسيح عليها السلام من المماثلة هـ كما قال تعالى : (ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم) آل عمران ٥٩ هـ وأيضا شجرة التين جعلت تذكرة للسلب والمطأ هـ فانها تتعمق زمانا ثم تلبس وتثمر فصارت آية لما وقع على آدم وذريته كما مر هـ وكذلك المسيح عليه السلام ضرب شجرة التين في غير أوام ثمرها مثلا لذهابه وشقوة أمة به هـ وهذا يظهر للمتدبر مما جاء في متى (٢١ : ١٨ - ١٩) ومرقس (١١ : ١١ - ١٩) ولوقا (١١ : ١١ - ١٩) ثم جعلها مثلا وهي مورقة لمجيئه وسعادة قومه كما هو صرح به في متى (٢٤ : ٣٢ - ٣٣) ومرقس (١٣ : ٢٨ - ٢٩) ولوقا (٢١ : ٢٥ - ٣١) ثم ذكر الدينونة الموسوية وأردفها الدينونة المحمدية لما بين موسى ومحمد عليهم السلام الصلوات من المماثلة كما هو ظاهرا وكما قال تعالى : (انا ارسلنا اليكم رسولا كما ارسلنا الى فرعون رسولا هـ) (المزمل ١٥) هـ وكما جاء في البشارة المشهورة لنبييننا

صلى الله عليه وسلم في سفر التثنية (١٨ : ١٨-١٩) " أقيم لهم نبيا وسط اخوتهم مثلك
وأجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيته به ويكون ان الانسان الذي لا يسمح لكلامي
الذي يتكلم به باسمي أنا أطالبه " فانظر كيف راعى الترتيب الزمني بين آدم وموسى ه
وأردفهما بثلثيهما ه فجعل النظام كالجمان المفصل ثم انظر كيف جعل هذه البقاع مع
رعاية المناسبة المعنوية مرتبة حسب المكان ه فان التين أقصاها في الشمال والشرق
ثم جبل الزيتون في الشام ثم الطور في المغرب والجنوب ثم مكة في أقصى الجنوب ه
وهكذا كان سير ابراهيم عليه السلام في هجرته من أور الكلدانيين الى كنعان وصر
حتى انتهى الى مكة ه وقد مر فيها مضي أن موضع التين هو الذي وقعت عنده الدينونة
في عهد نوح عليه السلام ه وكذلك مكة موضع عهد الرب بابراهيم عليه السلام السدي
دعا أن يجعلها الرب بلدا آمنا ه وذكرها ههنا بهذا الاسم (والبلد الأمين) يلعب
الى ذلك ه فصارت الآية جامعة لما أظهر الرب من الدينونة في عهد آدم ونوح وموسى
وهيسى وابراهيم ومحمد عليهم الصلاة ه وتظير ذلك قوله تعالى : (ان الله اصطفى آدم
ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين) آل عمران ٣٣ فخص هؤلاء بالذكر ه
ولا يخفى ما في جمع التين بالزيتون وطور سينين بالبلد الأمين أيضا من المناسبة
الظاهرة جمعا وقرنا وأيضا في قران التين بالزيتون مناسبة أخرى لطيفة ه وذلك بأن
في الزيتون أيضا الماعا من بركات نوح عليه السلام ه وبيان ذلك أن نوح عليه السلام
بشرب نشف المياه بالزيتون كما جاء في سفر التكوين (٨ : ١٠-١١) فبليت أيضا سبعة أيام
أهر وعاد فأرسل الحمامة من الفلك ه فأثت اليه الحمامة عند المساء وازا ورقة زيتونة
خضراء في فمها ه فعلم نوح أن المياه قد قبلت عن الأرض وما ذكر تبين ما في هذا
الترتيب من المناسبة من وجوه كثيرة ه وأما التوراة فالمخاطبون بها البسطاء فبالغ في
التصريح فقال : جاء الرب ه وفي التصوير فقال : أشرق وتلاأ ه فعلى هذا الأصل
ذكر الأقرب فالأقرب ه فقد م طور سيناء ثم تقدم خطوة فذكر سمير موضع دينونة أمة نوح
ثم رجع فذكر من كان مثل موسى وكان ظهوره من فاران وقد بشرهم به وعرفه لهم كسسل
التصريف ه ثم مثل الأول تقدم خطوة فذكر من كان قبله آتيا من ربوات القدس ه واز
كانوا صلب الرقاب راعى جانب التخويف فذكر التين باسم سمير دلالة على موضع الطوفان ه
وكذلك ختم ال ذكر بقوله (ومن يمينه ستة نارلهم) فراعى في هذا الكلام أيضا وجهه
البلافة حسب مقتضى الحال ه ولكل حال مقال وتختلف الصور مع اتحاد المعنى ه والله
تعالى أعلم وطمه أحكم ه (نظام القران وتأويل الثورات بالقران للإمام عبد الحميد
الفراهي سورة التين (مخطوط) .

في تأويل المقسم عليه وهو قوله تعالى (لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم) :

قوم الشئ * : جعله مستقيما * قومت الرمح فاستقام * ومن ههنا يراد به جعل الشئ * مناسبا لغاية * فهذا تقويم معنوي * فهو مثل التسوية * وكل خلق تسوية * قال تعالى (الذي خلق فسوى) (١) فلم يخلق الله تعالى خلقا الا لغاية * فجعل خلقه مناسبا لتلك الغاية فعلى هذا ان خص الانسان بأحسن تقويم كان المراد من خلقه مناسبا لأحسن غاية * وذلك بأن سواه على تركيب صالح لأن ينفخ فيه روحه *

قوله (ثم رددناه) : الرد يأتي على وجوه (٢) ومنها الاعادة الى الحالة الأولى كما قال تعالى : (لو يردونكم بعد ايمانكم كفارا) (٣) أي يصيرونكم بحسب ايمانكم كفارا مرة أخرى * وهذا قريب من أصل المعنى * وهو كما قال تعالى (. . . يردونكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين *) (٤)

قوله : (أسفل سافلين) أسفل اما هو حال عن ضمير المفعول في (رددناه) أو ظرف * وعلى هذا يكون المعنى اناصبرناه مرة أخرى في مقام أسفل كما ترى في قوله تعالى : (ان أنتم بالمدوة الدنيا وهم بالمدوة القصوى * والركب أسفل منكم) (٥) أي بمقام أسفل * ولا فرق بين التأويلين من جهة المعنى * وأما التاليف فزعموا انه على الاضافة (٦) ولكنه يخالف العربية فان اضافة (أفعل) اذا كانت الى نكرة فلا بد أن يكون المضاف اليه مفردا (٧) . كما قال تعالى : (ولا تكونوا أول كافرين) (٨) فالظاهر أن (سافلين) حال مستقل سواء كان (أسفل) ظرفا أو حالا * ولذلك جاء نكرة مع كونه جمعا * وهذا أقرب أيضا من جهة التأويل * فان موقع هذا الحال يدل على أن الانسان نفسه اختار

-
- (١) الا على ٢
(٢) انظر هذه الوجوه في مفردات الراجز (١٩٨١) ٤٢
(٣) البقرة ١٠٩
(٤) آل عمران ١٤٩
(٥) الأنفال ٤٢
(٦) أنظر ممانى القرآن للفرأ ٢٧٧/٣
(٧) ظاهرة الآية انه لا مانع من اضافة أسفل الى سافلين مع احتمال الوجه الاخر التي ذكره الفراهي * وأما قوله ان الاضافة تخالف العربية واشترطه لاضافة (أفعل) الى نكرة أن يكون المضاف اليه مفردا دائما * ففيه نظر *
(٨) البقرة : ٤١

السفل ه فكأنه قيل ثم ردنا الانسان الى مقام أسفل والحال أنهم كانوا ذاهبين بأنفسهم الى السفل ه وأما مجيء الجمع بعد افراد الضمير في قوله تعالى (ردناه) فلأن المراد بالانسان نوعه فجاء بالجمع رعاية للمعنى ه وهذا كثير ه ومنه قوله تعالى : (متاعا لكم ولأنعامكم) بعد قوله تعالى (فدينظر الانسان الى طعامه) الآيات (١) وقوله تعالى : (أفلا يعلم اننا بعثنا ما في القبور وحصل ما في الصدور ه ان ربهم بهم يومئذ لخبير) (٢) وسيأتي بيان تأويل (أسفل سافلين) .

قوله : (الآ) : أولوها الى وجهين (٣) الاستثناء المتصل أو الاستدراك و الثاني هو الظاهر لما أورد فيها بالجزاء ه كما في قوله تعالى : (فذكر انما أنت مذكر ه لست عليهم بصيطر ه الا من تولى وكفر فيعذبه الله العذاب الأكبر) (٤) وكما في قوله تعالى : (وحفظناها من كل شيطان رجيم ه الا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين ه) (٥) وسيأتي بيان الفرق بين التأويلين . قوله (مذنون) من من اذا قطع ه قال لبيد : (٦)

لَمَعْفَرٍ قَهْدٍ تَنَازَعِ شِلْوَهُ فَمَنْ كَوَّاسِبٍ لَا يَمِّنُ طَعْمًا مَهْمَا

غير مذنون أى دائم ه كما قال تعالى : (لا مقطوعة ولا ممنوعة) (٧) وقوله : عطاء غير مجد ون ه (٨) وليس من المنة فان لا نظير لذلك المعنى في القرآن ه وكيف تنفى المنة فان كل أجر من الله فضل ومنه منه ه

قال الفراهي : قد سبق فيما مر أن المقسم عليه هو أمر الدينونة ه وقد أقسم

- | | | | |
|-----|---|-----|--|
| (١) | عيس ٢٤ - ٣٢ | (٢) | الماديات ٩ - ١١ |
| (٣) | انظر الكشاف ٢٦٩/٤ والبحر المحيط ٤٩٠/٨ والقرطبي ١١٥/٢٠ | (٥) | الحجر ١٧ - ١٨ |
| (٤) | الغاشية ٢١ - ٢٤ | (٦) | انظر ديوان ١٧١ وشرح القصائد السبع للأنباري ٣٨:٧ والصاحح للجوهري ٢٢٠٧/٦ |
| (٧) | الواقعة ٣٣ | (٨) | هود ١٠٨ |

طبيها في سور أخر وجعلها أكبر مطالبها فلا نذكر ههنا الا ما نحتاج الي ذكره في هذه السورة ه فاعلم أن الله تعالى جعل الرحمة أصل كل ما يفعل بمباده فأعطى الانسان أولا أحسن تقويم ه وهذه المطية تلزمها الدينونة كما وقمت ه ولكنه تعالى مهد له منها سبيلا الى رحمة هي أكبر وأتم ه فالرحمة كما هي أصل الدينونة ويذرها فكذلك هي فرعها وثمرها ه وعلى هذا الأصل ذكر في المقسم ثلاث مراتب الانسان ه أولها ووسطها وآخرها وأخبر عن عموم حاله من حيث نوعه وجعل واقمة آدم عليه السلام مرآة لذلك ه

وبيان هذا الأجمال ان الله تعالى خلق الانسان في غاية الحسن من الخلقة على طريق مستقيم من الفطرة حرا كاملا طهما بالخير والشر مختارا في الارادة والفعال كما قال تعالى : (ونفس وماسواها فآلهمها فجورها وتقواها) (١) لكي يكبح جانب الفجور من نفسه ويختار جانب التقوى فيطيع ربه بعد الحرية ه وذلك أرفع منزلة من طاعة من فطر عليها وسخر لها ه فذلك قوله تعالى : (لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم) فكون الانسان في أحسن تقويم هو وضعه بين المتقابلين المتضادين من الميل الى الخير والشر مع العلم بهما والاختيار بينهما ه وجعل حب الخير أصل فطرته وذلك بأن تربية القوى وابرازها واكمالها منوط بالجهد والكسح ولا بد للاختيار من ههنا المشقة ليخلص النضار من الخبث ه وهو المراد من التزكية والابتلاء ه ولولا هذا الجهد والكسح لما ترقى الانسان الى ذروة الكمال الذي أودع الله فطرته وجعله بذلك أحسن خلقه علما وعظما وحكمة وزكاة ه وان من عليه ربه بالاختيار عاطه معاطة الأحرار ه فأخذ منه عهدا للطاعة ه وبذلك صار موقفا للدينونة ه فلما نسي العهد لقله عزه كما قال تعالى : (ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما ه) (٢) تصدى للدينونة فذلك قوله تعالى : (ثم رددناه أسفل سافلين ه) ولكنه تعالى ان فتح له

(١) سورة الشمس ٧ - ٨

(٢) طه : ١١٥

غرفة الهام الفجور والتقوى تداركه يوحى التوبة ه كما قال تعالى : (فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه) (١) . فنهض الانسان بعمد هبوطه أحسن مما كان فاجتباه ربه ه
كما قال تعالى : (وعصى آدم ربه فغوى ه ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى ه) (٢) وهذه
دينونة ثانية ه وكما أن الأولى لم تكن مختصة بآدم عليه السلام بل عمت ذريته ه فكذلك
جعل هذه الثانية عامة ه فان كل من تاب بعمد الزلّة تاب الله عليه ويهديه كما قال تعالى
: (قلنا اهبطوا منها جميعا ه فاما يأتيناكم منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم
ولا هم يحزنون ه) (٣) . فكما عرض وحى التوبة على آدم عليه السلام فكذلك يعرضه على
ذريته بواسطة الأنبياء ه فمن تلقاه كان على سنة آدم ه وأولى ما سلب بل هو غير وأبقى
ه فكذلك قوله تعالى : (الا الذين امنوا وعطوا الصالحات فلم أجر غير ممنون) (٤) فهذه
ثلاث مراتب فى أحوال الانسان ويشبه هذه الآيات قوله تعالى : (انا عرضنا الأمانة
على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحطبنا الانسان ه انه
كان ظلوما جهولا) (٥) ظلوما من جهة العطل فاجتره على أمر عظيم فظلم نفسه
وأورد لها مهالك ه وجهولا من جهة العلم فتجاسر على أمر لو تبينه وعلم كنهه لأشفق منه
ه ولكن لولا هما لما ترقى ه فان كل فوز فى المخاطرة كما ذكر نتيجة ذلك فقال تعالى :
(ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ه ويتوب الله على المؤمنين
والمؤمنات وكان الله غفورا رحيما ه) (٦) فكان احتمال الانسان الأمانة لكامل استعداد
وكان ظلمه وجهله لما انطوى هذا الاستعداد على الزلّة والمقدمات والنهوض فيثوب
الله على من انتمش بعمد المشرة مثل آدم فيفوز بالاجتباء ه

ومما ذكر تبين أن هذه الآيات الثلاثة جامعة لتتام قصة الانسان ودينونته من

(٢) طه : ١٢١ - ١٢٢

(٤) التين : ٦

(٦) الاحزاب : ٧٣

(١) البقرة : ٣٧

(٣) البقرة : ٣٨

(٥) الأحزاب : ٧٢

من أول خلقه الى نهاية مهلقه وناظرة الى حالة آدم وهبوطه مع ذريته ه وعلى هذا يفهم من (أسفل سافلين) حالتهم حين أرجعوا الى هذه الدار الدنيا وحينئذ حرف (الا) للاستدراك ه أى ولكن المؤمنين يترقون بعد الهبوط فيفوزون بأجر داءم .

وأما من فهم من (أسفل سافلين) حالة الكفار فقط جعل الاستثناء متصلًا ه أى بعد خلق الانسان فو أحسن تقويم رددناهم أسفل سافلين ه غير الذين آمنوا وعلوا الصالحات فهولا ه لم يردوا من الحالة الأولى ه ولا يخفى أن هذا التأويل الأخير ضيق ومحدد لكونه غير مطابق بمصوم خلق الانسان ولا ناظر الى قصة آدم ه وهبوطه مع ذريته ه فان الرد حينئذ يكون مخصوصا بالكفار ه وأما التأويل الأول فهو أوسع وأتم ويؤيده ما ذكرناه من نظيره فان قوله تعالى : (انه كان ظلوما جهولا) غير مختص بالكفار ه ثم فرق بين الكافرين والمؤمنين ه

واعلم أن كلا هذين التأويلين محتمل على فرض التأليف الاضافى فو (أسفل سافلين) ولكن ان جعلت (سافلين) حالا وهو أحسن كان (أسفل) عاما مشبها الى قصة آدم عليه السلام وهبوطه مع ذريته سوا ه جعلته ظرفا أو حالا وعلى هذا الاستثناء منه ه

وأما (سافلين) ففيه وجهان ه

الأول : أن تجمله أيضا عاما فان الله تعالى لم يردهم الى أسفل الأبن اختصار الانسان سفلا لنفسه ه وعلى هذا تكون حرف (الا) للاستدراك ه أى لكسب المؤمنين بعد أن كانوا سافلين حين أهبطوا نهضوا وتابوا فلهم أجر داءم ه وهذا تأويل حسن راجح كما هو ظاهر ه

والوجه الثانى : أن تخرج المؤمنين من (سافلين) ه وعلى هذا يكون الاستثناء متصلًا أى المؤمنون مع الهبوط لم يكونوا سافلين ه ولكنهم عرجوا من السفلى الى

الملو هـ وأما الكافرون فبقوا فيما ردوا إليه بل ازدادوا سفلا هـ وقوله سبحانه :
 (فما يكذبك بحد بالدين) كذب بالشئ * ضد صدق به هـ ^(١) وقد جاء في
 القرآن كثيرا هـ مثلا (رأيت الذي يكذب بالدين) ^(٢) و (كلا بل تكذبون بالدين) ^(٣)
 و (كذبوا بلفظ الآخرة) ^(٤) . وأما كذبه به فجاء أيضا قال تعالى : (فقد كذبوكم
 بما تقولون) ^(٥) . أي فيما تقولون هـ وفي كل ذلك نسب التكذيب إلى الرجال هـ وأما
 ههنا فنسب إلى غير ذوى المقول :

أ (فاما أن يكون من قهمل نسبة الشهادة والنطق إلى الأشياء كما قال تعالى :
 (هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق) ^(٦) وعلى هذا كان المعنى : (فأى شئ *
 بحد هذه الشهادات يشهد بأنك كاذب في قولك بوقوع الدين هـ)
 ب (واما أن يكون التكذيب بمعنى الحمل على التكذيب هـ كما ذهب إليه الزمخشري ^(٧)
 ولم أجد لهذا المعنى شاهدا في القرآن ولا في كلام العرب هـ وطويت لكان
 تأويلا واضحا هـ

ج (واما أن يكون بمعنى القاء الأمانى والظنون كما قال أفنون وهو جاهلى ^(٨)
 ولا خير فيما كذب المرء نفسه وتقواله للشئ * ياليت ذالها ^(٩))

-
- (١) انظر مفردات القرآن للفراهي ص ٣٠
 (٢) الماعون ١
 (٣) الانقطار ٩
 (٤) المؤمنون ٣٣
 (٥) الفرقان ١٩
 (٦) الجاثية ٢٩
 (٧) الكشاف ٤/٢٦٩
 (٨) هو صريم بن معشر بن ذهل بن تميم الطقب بأفنون هـ التغلب هـ من شعراء بني
 تغلب المشهورين هـ انظر ترجمته في الشعر والشعراء ص ٣٣١ والاعلام
 ٣٤٢/١
 (٩) الفضليات : ٦٥ ص ٢٦١

أى لا خير فيما يحدث المرء نفسه من الأمانى والا مال الكاذبة .

وقال عبید بن الأبرص : (١)

والمرء ما عاش فى تكذيب (٢) طول الحياة له تمذيب

أى ما عاش فى محض الأمانى غير فائز بما يتمناه فطول الحياة عذاب عليه ه فهذه

ثلاثة معان للتكذيب اذا كان مقمديا ه

قوله (الدين) : الدين هو الجزاء والد ينونة من قولهم (دناهم كما دانوا) (٣)

وقولهم (كما تددين تدان ه) (٤) وقد جاء فى القرآن كثيرا ه

وأما بيان ما يكون التأويل لهذه الآية فقد ذهبوا فى تأويلها الى قولين :

(الأول) : فأى شىء يكذبك أيها الانسان بالدين ه واختاره مجاهد ه فانه لما قيل

له عنى به النبى صلى الله عليه وسلم قال معاذ الله ه انما عنى به الانسان ه (٥) واختاره

الزمخشري (٦) ثم زعم ان (يكذبك) ممناه يحطك على التكذيب ه وهذا تأويل حسن

لوثبت ه ولعله أخذه عن انكار مجاهد ه فان التكذيب بهذا المعنى محال أن ينسب

الى النبى صلى الله عليه وسلم ه ولكنه لم يأت بشاهد على هذا المعنى .

(والثانى) : فما يكذبك أيها النبى بمد ذلك بالدين وذهب اليه الفراء (٧) وهو مصيب

فى انه لم يصرف الكلمة عن المعنى التداول ولكنه يبعد عن سياق الكلام وموقع الاستفهام

(١) هو عبید بن الأبرص بن عوف بن جهم السعدي الأسدي ه من مضر ه شاعر من دهاة الجاهلية وهكمائها ه أحد أصحاب المجهرات عاصر أمراً القيس ه (الأعلام ٣٣٩/٤ - ٣٤٠)

(٢) ديوانه : ٢٦ (دار صادر ه بيروت)

(٣) البيت بتمامه فى الحماسة شرح المزوقى (رقم ٢ : ٤) ٣٥/١

ولم يبق سوى المدوان دناهم كما دانوا

وهولشهل بن شيبان الفندى الزمانى ه شاعر جاهلى ه أحد فرسان ربيعة ه

شهد حرب بكر وتغلب وقد قارب المائة ه وهذا البيت من قصيدة قالها فى حرب

البسوس التى كانت بينهما ه الأغانى ٢٤ : ٩٣

(٤) انظر الصحاح ٢١١٨/٥ ومعناه كما تجازى تجازى ه ومنه قوله تعالى (أمالدينون)

النصافات ٥٣ ه أى مجزيون محاسبون ه وانظر أيضا المستقصى فى أمثال العرب للزمخشري

ولسان العرب ١٦٩/١٣ (٧٨١ : ٢٣١/٢)

(٥) تفسير الطبرى ٢٤٩/١٢ والدر المنثور ٣٦٧/٦ تفسير الفخر الرازى ١٣/٣٢

(٦) الكشاف ٢٦٩/٤ (٧) معانى القرآن ٢٧٧/٣

لأنه ليس في الكلام ما يناسبه خطاب النبي بهذين الاستفهامين ، ولا التفريع بقوله تعالى : (فما يكذبك) ولا التأكيد بقوله تعالى : (بعد) ، فالظاهر الأقرب من السياق وحسن التنظيم ما ذهب إليه مجاهد مع ابقاء معنى التكذيب على ما يوجد في كلام العرب ، وعلى هذا يسوغ التأويلان :

(الأول) : فأى شهادة ودليل أيها الانسان بعد هذه الشهادات يخالف قولك بسموع الدين ويكذبك فيه ، وعلى هذا يكون الخطاب بالانسان عموماً ، فيكون تثبيتها لمن آمن بالدين وحاشا لمن تردد فيه ، وعلى هذا يتبين اختيار كلمة (ما) فسان الناس لم يزالوا يكذبون بالدين عنادا وتقليداً ، وأما الدلائل والشهادات فليس فيها ما يكذب به فخطاب نفوسهم لينظروا الى محض الدلائل فيعلموا انه ليست فيها ما يكذبهم به .

(والثاني) : فأى شيء من الأمانى والظنون يخالغ صدرك في أمر الدين بعد أن دلت الوقائع والشواهد وعلى هذا يكون وجه الخطاب الى المنكرين خاصة ، ولهذا - الخطاب نظائر ، ومنها قوله تعالى : (يا أيها الانسان ما فرغك بربك الكريم) (١) ويؤيده ما جاء من اظهارهم الظن في أمر الدينونة ، كما أخبر الله تعالى عن قولهم (ان نؤمن الا ظناً وما نحن بمستيقنين) (٢) وكلا التأويلين واضح حسن كما يظهر والله أعلم ، ومفاد الاستفهام الأول على كلا التأويلين أن يقر الانسان بالدينونة ، ويترك ما يلقي اليه من الشبهات سواء كان من الناس أو من قبل نفسه بعد أن كسرت شواهدا ، وظهرت براهينها ، ومفاد الاستفهام الثاني أن يدعوا بالدينونة لكونها من صفات الرب تعالى ، فكأنه قيل لهم أليس الله بأحكم الحاكمين ، فكيف يمكن أن يترك الانسان سدى غير مجزى خيارهم كأشرارهم ، كما قال تعالى : (أفجعل المسلمين كالمجرمين مالكم كيف تحكمون) (٣)

(١) الانفطار : ٦

(٢) الجاثية : ٣٢

(٣) القلم : ٣٥ - ٣٦

وجملة القول أن الله سبحانه ذكر في سورة التين انه كيف يدن الانسسان
بالحكمة ويقيم من بينهم أمة بعد أمة ه ويعطيهم الامانة ويرفع قوما ويضع قوما ليد ينهم
حسبما أوفوا بعهده وأمانته ه كما قال تعالى : (وهو الذي جعلكم خلائف الأرض ورفع
بعضكم فوق بعض درجات ليلوكم فيما آتاكم ان ريك سريع العقاب وانه لغفور رحيم ه)
فذكر في هذه السورة شواهد على ظهور بركات هذا البلد ه وأن هذا مبنى على سنة
الله بالانسان من أول أمره ه وما ذكرنا تبين أن غاية هذه السورة اثبات هذه البعثة
اثباتاً لمياً لكون الرب تعالى دياناً وأحكام الحاكمين ه واثباتاً تاريخياً كأن سلسلة وجدت
كلها الا الحلقة الممتة ه أو كأن قصراً أتم بنيانه الا اللبنة الأخيرة كما بشر بها المسيح
عليه السلام ه وجاء في الحديث الصحيح ه (٢) وذكر مكة باسم البلد الأمين يشير الى
دعاء ابراهيم عليه السلام حين دعا لهذه البعثة ولأمة صلحة تقوم بفرائضها ه فلمسا
بمقت الله هذا النبي أمره بأمر واحد وهو رد الحنيفية البيضاء الى كمالها وهو الاسلام
واقامة السلم في الناس وجعل طريقها تلاوة آيات الله وتعليم الشرائع والحكمة والتزكية كما
أخبر الله تعالى عن دعاء ابراهيم حين دعا لهذا البلد ومبنى هذا البيت المحرم ه
(ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة صلحة لك وأرنا منا سكتنا وتب علينا ه انك
أنت التواب الرحيم ه ربنا وابصت فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب
والحكمة ويزكيهم انك أنت العزيز الحكيم ه) (٣)

(١) الأنعام : ١٦٥

(٢) نص الحديث : عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال ان مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله الا موضع
لبنة من زاوية ه فجعل الناس يطوفون به ويمجبون له ويقولون هلا وضعت هذه
اللينة ه قال فأنا اللينة وأنا خاتم النبيين ه أنظر صحيح البخارى كتاب المناقب
باب خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم ٤ / ٢٢٦ ه ورواه مسلم أيضا في صحيحه
كتاب الفضائل باب ذكر كونه صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين ه حديث ٢٠ (٤) /

(١٧٩٠)

(٣) البقرة ١٢٨ - ١٢٩ انظر هذه التفاصيل في نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان

للإمام عبد الحميد الفراهي : سورة التين ه

٢٣ - (سورة العاديات)

قال الله عز وجل : (والعاديات ضبحا فالموريات قدحا ه فالمفريات صبحا ه فآثرن به نقما ه فوسطن به جمعا ه ان الانسان لربه لكنود ه وانه على ذلك لشهيد ه وانه لحب الخير لشديد ه أفلا يعلم اذا بعثنا في القبور وحصل ما في الصدور ه ان ربهم بهم يومئذ لخبير ه)^(١)

(والعاديات ضبحا) : العدو هو الجري الشديد ه والعاديات جمع عادية وهي خيل الغزاة تمدد وتجرى نحو العدو ه (والضبح) هو صوت أنفاسها حين تعدوا سريعا ه واختلفوا في التوجيه الاعرابي لنصب (ضبحا) فهو مصدر على تقدير (والخيل تصبح ضبحا) أو هو حال على تقدير (والعاديات ضابحة) ه

(فالموريات قدحا) : الايراء : اخراج النار ه والقدح : الصك ه وعطف الموريات قدحا بالفاء ه وفيها ملحظ السببية ه لأن الايراء أثر للمد والشديد ينقدح به الشرر من حوافر الخيل ه (فالمفريات صبحا) أي التي تغير على العدو وقت الصباح ه وفي تخصيص الاغارة بوقت الصبح دلالة على المفاجأة ه وملحظ الصاغته فسي الصبح أوضح من أن يحتاج الى بيان ه اللهم الا أن نذكر هنا أن اللفظة استعملت يوم الصبح بمعنى يوم الغارة ه وأن القرآن الكريم استعمل الصباح والاصباح والصبح في موقف الصاغته والانداز في مثل آيات : (أفمذابنا يستعجلون ه فاذا نزل بساحتهم فساء صباح المنذرين)^(٢) (وقضينا اليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين)^(٣) (وكانوا ينحتون من الجمال بيوتا اضين ه فأخذتهم الصيحة مصبحين ه فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون)^(٤) (ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر)^(٥) (ان موعدهم الصبح اليس الصبح بقريب ه)^(٦) وغير ذلك من الآيات ه

(٢) الصافات : ١٧٦ - ١٧٧

(٤) الحجر : ٨٢ - ٨٤

(٦) هود : ٨١

(١) العاديات ١ - ١١

(٣) الحجر : ٦٦

(٥) القمر : ٣٨

(فأثرن به نقما) : ثار الفغار : سطح وأثار منه تمتدى أى هيجه وأظهره

والنقع : الفغار ه وأما الضمير فى (به) ففيه ثلاثة أقوال ه

(الأول) : معناه أن الخيل أثن الفغار لشدة المدوفى الموضع الذى أغرن فيه ه أى

أن الضمير فى (به) عائد على الموضع الذى تقع فيه الاغارة ه وهو قول الفراء .

(والثانى) : أن الضمير عائد الى ذلك الزمان الذى وقعت فيه الاغارة ه ومعنى الآية :

(فهيجن فى الصبح غبارا) ه

(والثالث) : انه عائد على العدو ه أى فأثرن بالمدو ونقما ه وهو قول الكسائى ه

قال الزمخشري : فان قيل : علام عطف (فأثرن) ولم يسبقه فعل ؟ قلت على

الفعل الذى وضع اسم الفاعل موضعه لأن المعنى : واللاتى مدون فأورين فأغرن

فأثرن ه

(فوسطن به جمعا) وسط القوم (من باب وعد) أى توسطهم ه والمعنى :

صرن به فى وسط جمع الاعداء ه أما الضمير فى (به) ففيه وجوه ه (أهدها) (بهه)

أى بالمدو والمعنى صرن بمد وهن وسط جمع المدو ه فالباء للتمدية ه (وثانيها)

أن الضمير عائد الى النقع ه أى وسطن بالنقع الجمع فالباء للتمدية أيضا ه (وثالثها)

المراد أن العاديات وسطن طبسا بالنقع جمعا من جمع الاعداء ه أى الباء الحالية .

ه (ورابعها) أن الضمير عائد الى الصبح كما تقدم فى الآية

السابقة فتكون الباء ظرفية ه و(جمعا) على هذه الأوجه مفضول به ه والفاءات المذكورة

للدلالة على ترتب ما بعد كل منها على ما قبله ه فان توسط الجمع مترتب على الاشارة

الترتبة على الاشارة المترتبة على العدو ه

بالفاء

قالت بنت الشاطى : والمطف هنا ه ملائم لجو الموقف الذى تسيطر عليه

الأخذة المباغتة ه والسرعة الخاطفة ه فمراحل الاغارة تتم جميعا فى تدافع سريع

لا تراخى فيه ولا هواده ه وتتعاقب واحدة بعد الأخرى فى حسم قاطع ه ان ليس بين

العدو الذي هو مرحلة الابتداء^١ وبين اقتحام الجمع الذي هو ذروة الاغارة الا ما بين هذه الآيات القصار الحاسمة المتتابعة في تلاحق وترابط^٢ وهي مع قصرها وسرعتها^٣ تكشف بجلاء عن عنف الاغارة ورهبة المفاجأة^٤ والبيان القرآني وحده هو الذي يستطيع أن يصور أعنف اغارة بكل مراحلها في كلمات معدودات^٥ اتصل بالفارة من بدئها التي تروتها الحاسمة^٦ ثم ترك للخيال أن يذهب كل مذهب^٧ فيما يحقب هذا الاقتحام المصحح المبالغ^٨ من تشتت حائر وارتباك صعشر واستسلام للمصير المحتوم^(١)

وتحضى الآيات في بيان المقسم عليه^٩ (ان الانسان لربه لكنود^{١٠}) وانه على ذلك لشهيد^{١١} وانه لحب الخير لشديد^(٥)

الكنود في اللغة الكفور للنعمة والبخيل والماص^{١٢} وربما كان أصل استعماله في الأرض لا تثبت شيئاً^{١٣} والمعاني متقاربة على كل حال^{١٤} وأقرب مما نبيها الى آية العاديات أنه الكفران بنعمة الله^{١٥} وهو ما ذكره الراضب في المفردات^(٢)

(وانه على ذلك لشهيد) أى يشهد على نفسه بكفران نعمة ربه^{١٦} وليس أقوى منها شهادة^{١٧} والقرآن كثير ما يلجأ الى هذه الشهادة الدافعة في مقام التخدير والزجر المقرون بالوعيد^(٣) وما شهادة الانسان على نفسه بالكنود^{١٨} واقاراره بكفران نعمة ربه الا من هذا الذي ألفناه في أسلوب القرآن^{١٩} من الزام بالحجة وتأكيده لفداحة الذنب واعتراف به في موقف الزجر والوعيد^{٢٠} حيث لا سبيل بحد مثل هذه الشهادة الدافعة الى تنصل من الذنب أو ادعاء البراءة منه^{٢١} فهو مثل قوله سبحانه : (بسئل الانسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره)^(٤)

لكن عدداً من المفسرين أضعوا هذا الطحظ بقولهم : ان الضمير في (انه

-
- (١) التفسير الباني ١٥٦/١ - ١٥٨ (يتصرف)
(٢) مفردات الراغب ص ٤٦٠ والصحاح ٥٣٢/٢ والكشاف ٢٧٨/٤
(٣) أنظر آيات : الأنعام ١٣٠ والأعراف ١٢٧ والهروج ١٧ والتوبة ١٧
(٤) القيامة : ١٤

يرجع الى الله تعالى ه مع أن المعنى انما يقوى بأن يكون الانسان شاهدا على نفسه ه
وهذا ما يؤيده النظم والسياق ه

ثم عادوا في آية (وانه لحب الخير لشديد) فجعلوا الضمير للانسان ه مؤقنين
بهذا الصنيع وحدة السياق في الآيات الثلاث ه

وقالوا في تفسير الخير هنا انه المال واستأنسوا بآية البقرة : (كتب عليكم
اذا حضر أحدكم الموت ان ترك خيرا الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف ه) الآية (١)
والخير يأتي لثمان عدة ه غير أن السياق هنا يرجح أن المراد به الخير المسمى
من مال أو شبيهه بالمال ه وقيدته الراضب بالمال الكثير ه قال : " لا يقال للمال خير حتى
يكون كثيرا ه وعلى ذلك قوله : (وانه لحب الخير لشديد) " (٢) وقالوا في تسمية
ذلك ان الناس يمدون المال فيما بينهم خيرا فسطاه خيرا ه وقد فسروا الآية بتأويلين ه
(أحدهما) : وانه لشديد المحبة للمال ه
(والثاني) : وانه لحريص بخيل من محبة المال ه وكلاهما صحيح (٣)

ثم قال تحذيرا لهم عن غفلتهم وتذكيرا لما يستقبلون من الأهوال يوم البعث
والجزاء ه (أفلا يعلم اذا بعث ما في القبور) والبعثرة : هوا لتشتت والتفرق والانتشار
وهي تتضمن معنى البحث والنشر ه فالبعث خروجهم أحياء والنشر : الانتشار ه كما
قال سبحانه (واذا القبور بعثت) (٤) أي قلب ترابها وأثير ما فيها ه وقوله : (يوم
يخرجون من الأجدات سراعا) (٥) وقوله : (كأنهم جراد منتشر) (٦) وقوله : (يوم

-
- (١) البقرة ١٨٠ (٢) العاديات ٨
(٣) تفسير ابن كثير ٤/٤٤٢ وفتح القدير ٥/٤٨٣ ه والفخر الرازي ٣٢/٦٧-٦٨ ه
والكشاف ٤/٢٧٨ ومما نى الفراء ٣/٢٨٦ ه وتفسير أبي السمود ١/١٩١ ه
والمكبري ٢/٢٩٢ ومفردات الراضب ١٦٣ ه واعراب القرآن للنحاس ٣/٧٥٦ ه
والتيبان لابن القيم ٤٨ - ٥٢ ه والتفسير البياني ١/١٥١ - ١٦٠
(٤) الانفطار ٤ (٥) المعارج : ٤٣
(٦) البقرة : ٧

(١) يكون الناس كالفراس المبعوث (٥)

قوله (وحصل ما في الصدور) ايذان بكشف المستور واظهار المطوى المضمرة
أي ميز ما فيها من خير وشر وأظهر ما كانوا ليسرون في أنفسهم (كما قال تعالى : (يوم
تتلى السرائر) (٢) فيوم القيامة تتكشف الأسرار ويظهر ما تخفى الضمائر (ان ربه بهم
يوطن للخبير) (٣) أي وقد آل الأمر كله الى العليم الخبير (وهو خير بهم في ذلك
اليوم وفي غيره (ولكن لهذه الخبرة يوطن آثاره التي تشير انتباههم لها في هذا
المقام انها خبرة وراءها عاقبة وخبرة وراءها حساب وجزاء ولا يظلم ربك أحدا (٤) وتفسير
الخبير بالملم غير دقيق (ان جاء الخبر مقتربا بالعلم في آية التحريم : (قال نأنس
العلم الخبير (٤) وفي لقمان (٥) والحجرات (٦) (ان الله عليم خبير) وفي
النساء : (ان الله كان عليما خبيرا) (٧) فدل ذلك على أن الخبرة درجة فوق العلم
ثم تفرد الله وحده لوصف (الخبير) وليس الأمر كذلك في (العلم) حيث جاء
وصفا لغير الخالق (٨) هذا التفرد يدل على أن الخبرة أخص من العلم (٩) والله أعلم

المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه :

إذا تأملت في السورة وجدت هناك تمثيل بليغ بين أحوال هذا الانسان الكفور
بنصم ربه وبين أحوال هذه الخيول التي تصبح في طاعة مولاهما على عكس الانسان الذي هو
غافل عن طاعة ربه وكان المقسم به والمقسم عليه في هذه السورة من باب التمثيل المركب

-
- (١) القارة ٤ وانظر أضواء البيان ٩/٤٥٠ - ٤٥١ ومجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/٣٠٨
والقرطبي ٢٠/١٦٢ ومفردات الراغب ٥١
- (٢) الطارق ٩ (٣) العاديات ١١
- (٤) التحريم ٣ (٥) لقمان ٣٤
- (٦) الحجرات ١٣ (٧) النساء ٣٥
- (٨) انظر يوسف ٥٥ هـ ٧٦ هـ والحجر ٥٣ هـ والشعراء ٣٤ هـ ٣٧ هـ
- (٩) وهو ما يظهر بوضوح في آية فاطر ١٤ وآيتي الفرقان ٥٨ هـ ٥٩ هـ وانظر التفسير
البياني ١/١٦٦

وهو ما كان وجه الشبه فيه منتزعا من عدة أمور يجمع بعضها الى بعض ثم يستخرج من مجموعها الشبه ه وانما قلت هذا من باب التشليل والا ليس هناك شبه بين القسم به والمقسم عليه بل انهما على طرفي النقيض ه وبيان ذلك أن الله سبحانه أقسم بالخير عامة التي تتصف بهذه الصفات والتي تعمل تلك الأعمال حيث تعدد فيسمع لنفسها زفير وتقدح الحصى بحوافرها وهي عادة فيطائر منها الشرر ثم تغير على العد و وقت الصباح فتشير ان ذاك الغبار بشدة عدوها وحينئذ تفجأ جمع العد وتقتحمه متفرقة وتوقع بينهم الفوضى والاضطراب و اذا الناس بين قتل وأسارى وكل هذا الكروالفر والجهد والكفاح و اراقة الدماء في طاعة مولاها ازا ما يصرف طيها من قوت بسيط وشي من الرزق يسير ه ومقابل هذا الشكر والوفاء والمرقان بالجميل ترى هذا الانسان الذي أنعم الله عليه بكل النعم المادية والمعنوية فينساها بأسرها ولم يؤد حقها ه ولم يشكر لمنعمه وكأنه طبع على نكران الحق و جهوده ه وعدم الاقرار بما لزمه من شكر خالقه والخضوع لأوامره ازا هذه النعم ه فهذا الانسان بكنوده صار أدنى من الأنعام حيث أن الثانية تصرف مولاها وتصبح وتسى في طاعته حتى لم تكف عن اهراق مهجتها دون مصالحه ه عكس هذا الانسان الذي يجهد نعمة ربه وينكر جزيل فضله فلا هو شكور للنعم ولا محسن الى خلقه ه

ثم تأتي بعد هذا صورة أخرى لغييب غير مشهود ه ولكنه واقع حتما ه ويستطيعون أن يدركوا صورة منه في ذلك الذي ألفوه وعاینوه في مثل هذه الفارات المصححة المباشرة ه وما تحدث من بعثرة وحيرة وارتباك ذلك هو البعث يفجأ على غير موعد ه فإذ هم في حيرة وبعثرة وارتباك قد لفظتهم القبور لليوم الاخر كالقراش المشوث ه اذا هم أمام حساب دقيق هسير ه

قالت بنت الشاطي ه : وهذه الوقفة الحاسمة ه يبلغ بها القران ذروة المشهد العنيف

لبعثرة مافي القبور وتحصيل مافي الصدور ه تتسق مع مشهد الاغارة العنيفة في مفتتح السورة ه على وجه باهر من البيان الممجز ه ولا أعرف أن أحدا من المفسرين حاول أن يربط بين المشهدين أو لمح ما بينهما من صلة هي معقود القسم ومجلسي

دقسته البيانية ه

فالسورة تبدأ بعرض مشهد مشير ه لاغارة عنيفة مفاجئة ه تيفت القوم صباحا فلا ينتهون الا وقد توسطت جمعهم ومزقت شملهم وبمشرتهم وسط النقع المثار ه

ثم يأتي بعدها مشهد آخر ه لفييب لم يقع ه وانه ل واقع حتما ه ويستطيعون أن يدركوا صورة منه في ذلك الذي ألفوه وهابنوه .

ذلك هو مشهد البحث ه بياغت القوم - وقد طال ما جهدوا ونعمة الله وفرتهم الأمانى - فإذاهم قد بمشروا من القبور هيماى مزقين وصدروا أشتاتا مفرقين ه ثم اذا بالأحداث تتلاحق سراعا ه مترابطة متدافمة ه فليس بين بمشرة ما فى القبور ه وهسول الموقف بين يدي الخبير ه الا أن يحصل ما فى الصدور لا تغلست منه خافية ضمورة ه ولا غائبة مطوية مستورة فى الأعماق ه كما ليس بين العاديا ضبعا هين توسط الجمع وتدبير الأمر الا أن تنطلق فى اغارتها صباحا ه موريات قد حيا مشيرات نقما

وبين هذا المشهد المألوف الواقع ه وذاك المغييب الذى سوف يقع ه يأتي المقسم عليه : (ان الانسان لربه لكنمود ه وانه على ذلك لشهيد ه وانه لخب الخير لشديد ه (١)

٢٤ - (سورة العصر) :

قال الله عز وجل : (والصمران الانسان لفى خسره الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ه)

اختلف أهل التأويل فى العصر ه قيل هو اول الوقت الذى يلى الحسب من النهار ه وقيل هو آخر ساعة من ساعاته ه وقيل المراد صلاة العصر وقيل : زمن

(١) التفسير البيانى ١٦٧/١

الرسول عليه الصلاة والسلام ، وأكثر المفسرين على أنه الدهر وهو الراجح ، وتسمية الدهر عصرا أمر معروف في لغتهم ، (١)

قال الفراهي : ان كلمة العصر اسم للزمان من جهة ذهابه ومروره كما أن الدهر اسمه من حيث مجموعه ، ولذلك يستعمل العصر كثيرا للأيام الخالية ، كما قال امرؤ القيس : (٢)

الأعم صباحا أيها الظل البالي وهل يَحْمِنَ من كان في العَصْرِ الخالي
وكما قال عبيد بن الأبرص : (٣)

فذاك عصر وقد أرا نى يحطنى بازال شهب
أى حين كنت أرا نى كما يظهر مما سبقه ، وقال المتلمس : (٤)

عرفت لأصحاب النجائب جدة اذا عرفوا لى فى المصور الأوائل (٥)

ومن ههنا الأعصار للريح السريعة من جهة المرور والذهاب ، وعصر الطاع امراره والمصور لآخر النهار من جهة ذهابه النهار وانحصاره ، ومنه عصر الشئ ، فكلمة العصر تذكرهم الأيام الخالية وتوجههم من صفة الزمان الى زواله وسرعة ذهابه والأولى حيرة لهم بما جلب على الانسان من حكم الله فيهم حسب أعمالهم ، والثانية تحريضهم على العسر لكسب ما ينفعهم من زمان أجلى صفته سرعة الزوال ، وكان للعرب المام بطرف من

(١) انظر التبيان ٥٣ وتفسير الطبرى ١٨٢/٣٠ وابن كثير ٤٤٧/٤ وفتح القدير ٤٩١/٥ وأضواء البيان ٩/٤٩١-٤٩٣ وتفسير الفخر الرازى ٨٤/٣٢ والتفسير البيانى ٧٧/٢

(٢) ديوان امرؤ القيس : ص ١٣٩ (دار صادر) والصحاح ٧٤٨/٢ وفيه : العصر : الدهر وفيه لغتان أخريان عَصْرٌ وَعَصْرٌ

(٣) ديوان عبيد بن الأبرص ص ٢٨ ، وفيه تحطنى نهدة سرحوب . النهدة : الفرس الكريمة ، والسرحوب : الطويلة

(٤) المتلمس : هو جرير بن عبد المعزى من بنى ضبيعة ، من ربيعة شاعر جاهلى من أهل البحرين ، وهو خال طرفه بن العبد (ت نحو ٥٠ هـ) (الاعلام ١١٩/٢)

(٥) ديوان المتلمس : ص ٣٠٨

- (١) هذين الأمرين ونطقت بهما ذوو البصائر منهم وقال الثقب المبدى :
- (٢) ان الأمر إذا استقبلتها اشتبهت وفي تدبرها التبيان والمبرر
وقال قس بن ساعدة : (٣)
- (٤) في الذاهبين الألعين من القرون لنا بصائر
- وأما ذكرهم الزمان بالزوال وأنه لا موصول عليه فكثيره وأحسنهم قولاً هدى بن زيد (٥) حيث قال :

أعازل ما يدريك ان منيتكسى^١ الى ساعة في اليوم أوفى ضحى غد
أعازل ان الجهل من لذة الفتى وأن المنايا للرجال بمرصد

- (١) الثقب المبدى وهو العائد بن محسن بن ثعلبه ه من بنى عبد القيس ه من ربيعة : شاعر جاهلي ه من أهل البحرين ه (تنحو ٣٥ ق ه) الاعلام ٢٣٩/٣
ديوان الثقب المبدى ص ٢٧٣
- (٢) هو قس بن ساعدة بن عمرو بن هدى بن مالك ه من بنى ايباد ه أحد حكماء العرب
ومن كبار خطبائهم في الجاهلية (تنحو ٢٣ ق ه) الأغاني ٤١/١٤ وخزانة
الأدب ٢٦٣/١ الاعلام ١٩٦/٥
- (٣) الأغاني ٤٢/١٤ (بولا ق) وأراد بالبصائر العبر ه وان الله هو المولى الحق
فانه أنشد هذا الشعر بعد ما قال : تبأ لأرباب الغفلة من الأمم الخالية والقرون
الماضية ه يامعشراياد ه أين الاباء والأجداد وأين المريض والمواد ه وأين
الفراخنة والشداد ه أين من بنى وشيد وزخرف ونجد ه وفره المال والوطيد ه
أين من بخرى وطفى وجمع فأوفى وقال أنا ربكم الأعلى ه ألم يكونوا أكثر منكم
أموالا ه وأطول منكم أجالا ه طحنهم الثرى بكلل ه ومزقهم بتطاولة ه فتلك
عظا منهم بالية ه وبيوتهم خاوية ه عمرتها الذئاب الماوية ه كلا بل هـــــــــــــــــ
الصعبود ه وفي هذا الكلام مع حسنه نقض وهو انه ترك ذكر المجازاة ه والقرآن
كلما يذكر هذه الأمور ينه على طرف المدل كقوله تعالى (فتلك بيوتهم خاوية
بما ظلموا ه) النمل ٥٢ ه وكان قص قد كاد أن يبصر هذا حيث قال (بفسى
وطفى) ولكنه غفل من أمر الجزاء وقصر نظره على زوال النعم ه والقرآن كثيرا
لا يستدل على الجزاء بما وقع على الأمم الخالية وكذلك الصحف الأولى يذكر
قصص الأمم استسهادا على لزوم الجزاء ه (الفراهي)
- (٤) هو عدى بن زيد بن حماد بن زيد المبادي التميمي ه شاعر من دهاة الجاهليين
ه (تنحو ٣٥ ق ه) الأغاني (طبعة دار الكتب) ٩٧/٢ والشعر
والشعر لابن قتيبه ٢٢٥/١ والاعلام ٢٢٠/٤

كفى زَجراً للمرء أيام دهره تروح له بالواعظا ت وتفتدى (١)

بيان وجه القسم بالمعصر :

قال الفخر الرازي في جطة الوجوه التي ذكرها في بيان وجه القسم بالمعصر ان كان بمعنى الدهر : " ان الدهر والزمان من جطة أصول النعم ، فذلك أقسم به ونبه على أن الليل والنهار فرصة يضيعها التكلف ، واليه الاشارة بقوله : (وهو الذي جعل الليل والنهار خلفه لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا) (٢)

" انهم كانوا يضيفون الخسران الى نوائب الدهر ، فكأنه تعالى أقسم على أن الدهر والمعصر نعمة حاصلة لا عيب فيها ، انما الخاسر المصيب هو الانسان " .

انه تعالى ذكر المعصر الذي بضمه ينتقص عمره ، فاذا لم يكن في مقابلته كسب صار ذلك النقصان عين الخسران ، فكأن المعنى : والمعصر المعجيب أمره حيث يفرح الانسان بضمه لظنه أنه وجد الربح ، مع أنه هدم لعمره ، وانه لفي خسر " (٣)

وقال الشنقيطي : أقسم سبحانه بالمعصر ، ومعصر الانسان هو عمره ومدة حياته الذي هو محل الكسب والخسران ، وهو رأس مال الانسان ، ولا أهمية لهذا العمر جاء قسم الرسالة والندارة في قوله : (أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجياكم النذير) (٤)

(١) فقرب الشاعر من صريح الحكمة ومع ذلك لم يصرح الى أمر الجزاء وذكر السدار الاخرة .

(٢) سورة الفرقان ٦٢

(٣) تفسير الفخر الرازي ٢٢ / ٨٤ - ٨٥

(٤) فاطر ٣٧

ولا شك أن هذا الزمان هو حجة على الانسان مثل الرسالة والندارة ه لكون الانسان
مناظرا للتكليف مستوعبا أمام ربه عما فعل في مدة عمره ه وهو دليل واضح على لزوم الجزاء
يتبعه الخسارة العظمى ان أضع هذه الأيام التي لا عوض لها ه وهو معنى قوله سبحانه:
(ان الانسان لفق خسر ه) أراد به جنس الانسان (١) كما هو استفاد صراحة
من الاطلاق ثم استثناء (الذين آمنوا وعطوا الصالحات) ه فاستثنى من جنس الانسان
عن الخسران الذين آمنوا بقلوبهم وعطوا الصالحات بجوارهمهم و (تواصوا بالحق) وهو
أداء الطاعات وترك المحرمات (وتواصوا بالصبر) أى على الصائب والأقصد
وأذى من يؤذى ممن يأمره بالمعروف وينهونه عن المنكر ه فهؤلاء ليسوا في خسر
أبدا .

والخسر هو النقصان وذهاب رأس المال ولم يبين هنا نوع الخسران فى أى شىء
ه بل أطلق ليعم وقد يحتمل كذلك معنى التحويل وجاء بحرف (فى) ليفيد مع معنى
الطرفية الفم والاحاطة والافراق ه أى أن الانسان مغمور فى الخسران وأنه أحاط به
من كل جانب ه (٢)

قال ابن القيم : أقسم سبحانه بالعصر الذى هو زمان أفعال الانسان ومحلها
على عاقبة تلك الأفعال وجزائها ه ونبه بالمبدأ وهو خلق الزمان والفاعلين وأعمالهم
على المماد ه وأبى قدرته كما لم تقصر عن المبدأ ^{لم تقصر عن المماد} وأن حكمته التى اقتضت خلق الزمان
وخلق الفاعلين وأعمالهم ه وجعلها قسمين خيرا وشرأ تأبى أن يسوى بينهم وأن لا يجازى
المحسن بأحسنه والصىء بأسأته ه وأن يجعل النعمين رابحين أو خاسرين . بل
الانسان من حيث هو انسان خاسر ه الا من رحمه الله ه فهداه ووفقه للإيمان والعمل

(١) كما قال به الطبرى انظر تفسيره ١٨٧/٣٠ والزمخشرى فى الكشاف ٢٨٢/٤ وابن

كثير فى تفسيره ٥٤٧/٤

(٢) تفسير ابن كثير ٥٤٧/٤

(٣) تفسير الفخر الرازى ٨٧/٣٢ وأضواء البيان ٤٩٥/٩ والتفسير البيانى ٨٦/٢

الصالح في نفسه وأمر غيره به ه وهذا نظير رده الانسان الى أسفل سافلين واستثنى
الذين آمنوا وعطوا الصالحات من هؤلاء المردودين ه (١)

ولعل الفراهي كان أدق في تمبيره في بيان وجه القسم بالمصر حين قال :
" فأشهد الله المصرتذكارا لما علموا من جريان حكم الله على الأمم الخالصة
حسبما أصلحوا أو أفسدوا في الأرض ليعلموا أنهم لا بد مجزيون يوما ه وكذلك أشهد
الله على خسارة الانسان بهذا الزمان الذي هو رأس بضاعته وهو أسرع شيء زوالا مع أن
الانسان محتد عليه ه وغافل عن يوم انتها عمره ولقا الله وجزاء أعماله ه فانما مثله كمن
بضاعته الثلج وهو غافل عن الاقتناء به ثنا يبقى ه بل يتلذذ برونقه الزائل ويرده الفاني
حتى تنفذ هذه البضاعة ويهجمه الأجل الموعود فيعلم حينئذ خسارته ه وهذا تأويل
الخسران جاء به القرآن مرارا فمنه قوله تعالى : (قد خسروا الذين كذبوا بآيات الله حتى
إذا جاءتهم الساعة بختة قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا فيها وهم يحطون أوزارهم طس
ظهورهم الاساء مايزرون ه وما الحياة الدنيا الا لعب ولهو ه ولقد ارسلنا رسلنا بالبين
يتقون أفلا تعقلون ه) (٢) وهذا هو المراد من قول بعض العلماء كالقسطلاني وغيره في
تفسير (والمصر) : " أقسم بالدهر لا شتماله على الحجاب والعبر " ه ثم في مسر
الزمان بشاره وعون على الصبر ه فان بهذه المدة القليلة الفانية تستلجح أن تكسب
كثرا باقيا وطكلا لا يبلى ه فكما ان الزمان ليشقى به الضمك في لذات هذه الحياة
الدنيا فكذلك يربح به الماقل ويستمين به على الصبر والتقوى وكبح النفس في أيام قليلة
ه فهو يرى هذه الحياة كحلم نائم وبرق خاطف فهو متثبت على الحق الغائب الباقي ه
ومعرض عن الباطل المشهود الفاني ه فتبين لنا أن المصرا ليس محض الظل والآية ه بل
هو دليل حق وحجة قاطعة على الجزاء وعلى الخسران ه وفيه عون على الصبر والتقوى

(١) التبيان ص ٥٣

(٢) الأنعام ٣١ - ٣٢ وانظر أيضا قوله سبحانه في سورة الكهف: (قل هل نبتلكم
بالأخسرين أعمالا . . . الى قوله : هزوا) ١٠٣ - ١٠٦ وقوله في سورة
المؤمنون : (حتى اذا جاء أحدهم الموت قد رب ارجعون . . . الى قوله
فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون ه) ٩٩ - ١٠٣ تفسير نظام
القرآن للفراهي ه سورة المصرا ه (مخطوط)

(١)

ه فأحسن به مثلاً عالياً جامعاً لمعنى الخسران والفوز في غاية الصدق ونهاية الأيجاز

فان قيل انه تعالى قال في سورة التين (لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم
ه ثم رددناه أسفل سافلين ه) فهناك يدل على أن الابتداء من الكمال والانتهاج الى
النقصان ه بينهما يدل على أن الابتداء من النقصان والانتهاج الى الكمال ه فكيف
وجه الجمع ه وقد أراد ابن القيم أن يجمع بين هذين الوجهين بقوله : وتأمل
حكمة القرآن لما قال : (ان الانسان لفي خسر) فانه ضيق الاستثناء وخصمه ه فقال
(الا الذين آمنوا وعطوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبره) ولما قال :
(ثم رددناه أسفل سافلين ه) وسع الاستثناء وعمه ه فقال : (الا الذين آمنوا
وعطوا الصالحات ه) ولم يقل : (وتواصوا) فان التواصي هو أمر الغير بالامان
والعمل الصالح ه وهو قدر زائد على مجرد فعله ه فمن لم يكن كذلك فقد خسر هذا
الربح فصار في خسر ه ولا يلزم أن يكون في أسفل سافلين ه فان الانسان قد يقوم بما
يجب عليه ولا يأمر غيره ه فان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مرتبة زائدة ه وقد تكون
فرضا على الأعيان ه وقد تكون فرضاً على الكفاية ه وقد تكون مستحبة ه والتواصي بالحق
يدخل فيه الحق الذي يجب ه والحق الذي يستحب ه والصبر يدخل فيه الصبر الذي
يجب ه والصبر الذي يستحب ه فهؤلاء اذا تواصوا بالحق وتواصوا بالصبر حصل لهم
من الربح ما خسره أولئك الذين قاموا بما يجب عليهم في أنفسهم ولم يأمروا غيرهم به ه
وان كان أولئك لم يكونوا من الذين خسروا أنفسهم وأهليهم ه فطلق الخسار شمسياً
والغسار المطالق شمسياً وهو سبحانه انما قال : (ان الانسان لفي خسر ه) ومن
ربح في سلعة وخسر في غيرها قد يطلق عليه أنه في خسر وأنه ذو خسر .

ولما قال في سورة (التين) : (ثم رددناه أسفل سافلين) ه قال : (الا الذين

آمنوا وعطوا الصالحات ه) فقسم الناس الى هذين القسمين فقط ه ولما كان الانسان له

(١) تفسير نظام القرآن للفراهي : سورة العصر

قوتان قوة العلم وقوة العمل ، وله حالتان حالة ياتمر فيها بأمر غيره ، وحالة يأمر فيها غيره ، واستثنى سبحانه من كمل قوته العلمية بالايمان ، وقوته العطية بالعمل الصالح ، وانقاد لأمر غيره له بذلك ، وأمر غيره به من الانسان الذي هو في خسرة فان العبد له حالتان حالة كمال في نفسه ، وحالة تكميل لغيره ، وكماله وتكميله موقوف على أمرين : علم بالحق وصبر عليه ، فتضمنت الآية جميع مراتب الكمال الانساني من العلم النافع والعمل الصالح ، والاحسان الى نفسه بذلك ، والى أخيه به وانقياده ، وقبوله لمن يأمره بذلك .

وقوله تعالى : (وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) ارشاد الى منصب الامامة في قوة الدين ، كقوله تعالى : (وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا ، وكانوا بآياتنا يوقنون ،) (١) فبالصبر واليقين تنال الامامة في الدين . (٢)

وقد أتفق الفراهي مع ابن القيم فأثبت وجوب الخلافة من قوله تعالى : (وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) قال رحمه الله : فيمدا ما أعلن بخسران الانسان عموميا هدى الى طريق الرابحين الذين اشتروا بهذا الصر الزاهب نجاحا وفلاحا ، وهم أصحاب الايمان والعمل الصالح والتواصي فجمع بهذه الصفات الثلاث جميع الخيرات ولقد جلت عظمة هذا القول عند من تفكر في امجازه وسعة نطاقه ، فانه لم يترك من الخيرات شيئا ، فان الايمان جماع العقائد ، والعمل الصالح جماع الشرائع ، والتواصي كمال فضل الله تعالى به هذه الأمة ، لاسيما الأئمة لما أوجب عليهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتعاون بالبر ، وذلك جمع شملهم وجعلهم اخوانا وجنّهم عن التفرق والشقاق ولم يزل يسمو أمر هذه الأمة حتى قامت على هذه القاعدة ، كما تبرى في أوائل الخلافة حتى انشقت عصاهم وقد فصل الله تعالى هذه الفريضة في قوله : (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون ، واعتصموا بحبل

(١) السجدة : ٢٤

(٢) التبيان : ص ٥٥

الله جميعا ولا تفرقوا ه وانكروا نعمة الله عليكم ان كنتم اعداء فآلف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا ه وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ه كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ه ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ه ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وألئك لهم عذاب عظيم الى قوله تعالى : كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله (١) فكان هذا فرضا عظيما على هذه الأمة وفي ذلك آيات أخر ه ولا يخفى ان الله تعالى جعل نمة الأمر والنهي على أمراء الأمة وأعمتهم كما تفهم من قوله : (ولتكن منكم أمة) ه ولكنه تعالى جعل التواصي فرضا عاما لنا على أصل الأمر وهو أن المؤمنين غير موفين بذمتهم حتى أن يعطوا الصالحات ثم يساعد بعضهم بعضا في أداء الحقوق الواجبة عليهم ه والاستقامة عند ما يسـزل أقدامهم ولا يستتب أداء الحقوق الا بعد اقامة الخلافة والسياسة ولا يتم التثبيت عليه الا بعد الاذعان لها ه (٢) وليكفنا هذا القدر في تفسير هذه السورة ه هذا ولا يحيط بعلمه وكلماته الا هو سبحانه وتعالى ه

(١) سورة آل عمران ١٠٢ - ١٠٥ - ١١٠ ه

(٢) أنظر تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان : سورة العصر . وهنا أحيل القارىء الى ما كتبه الفراهي في تفسير هذه السورة وتأويلها العام ه وبين سمة معناها ببيان معاني الايمان والعمل الصالح والتواصي والحق والصبر ه والنسب التي بين هؤلاء بوجوه مفصلة مما تدل دلالة واضحة على كون هذه السورة من جوامع الكلم ه والتي بالتمام يفهم معنى قول الشافعي رحمه الله : " لو تدبر الناس هذه السورة لوسعتهم ه " انظر قول الشافعي في تفسير ابن كثير ٤٤٧/٤ ه

الفصل الثالث : (من الباب الثاني)

ذكر بعض ما في أقسام القرآن من أبواب البلاغة وطوائفها :

لم تتعرض كتب البلاغة لما في القسم من ممان بلاغية وطوائفها وقل أو نـسـدر التعقيب على القسم في المراجع البلاغية القديمة ه وقد أشار عز الدين بن عبد السلام في كتابه : (الاشارة الى الایجاز في بعض أنواع المجاز ه) الى حذف القسم وحذف أجوبة القسم في بعض الآيات القرآنية ه (١) وعقد الفراهي رحمه الله في كتابه : (امعان في أقسام القرآن) فصلا موجزا ذكر فيه بعض ما في القسم من أبواب البلاغة وطوائفها أذكرها لتتم الفائدة ه قال رحمه الله :

اعلم أن الاستدلال اذا كان على أمور لا تتعلق بها الرغبة والنفرة مثل ماترى في العلوم الطبيعية والرياضية ه أو في تاريخ الأولين على الأكثر كان ذكر الأدلة فيها أولى بالتصريح ه فأما اذا استدللنا على أمور نفسانية يتصادم فيها من القائل والسامع حسب استنكار وزجر واستكبار والحاح واصرار ه واحتجنا الى ايراد الأدلة على وجوه مختلفة من أساليب الكلام متفاوتة في الوضاحة واللطافة والقوة والحدة ه وربما تبدل أسلوب لبعض الاجتناب عن ملال السامع ه أو الرجاء أن ينجح في بعض الأساليب أكثر من بعض ه كما صح به القرآن : (أنظر كيف نصرف الآيات لعلهم يفقهون) (٢) وكما فعل ابراهيم عليه السلام مع الذي حاجه في ربه ه فترك الاصرار على الدليل الأول حين لم يفهمه الخصم وعطد الى دليل آخر أقرب الى فهمه (فبهت الذي كفر) ه فهذه من جملة الأسباب في عدم ذكر هذه الأقسام مع كونها دلائل لاغير على أسلوب الاحتجاج الصريح ه

(١) أنظر كتاب الاشارة الى الایجاز في بعض أنواع المجاز ه لعز الدين بن عبد السلام ص ٢٢ .

(٢) الأنعام : ٦٥

(٣) البقرة : ٢٥٨

ثم في أسلوب القسم ممان مفيدة للاستدلال مما يفتح عليه من البلاغة أبوابنا
ويلقى عليه من المحاسن جليابا ه ونذكر هنا بعض تلك المعاني وندلك على ما فيه من
البلاغة ه

(الأول) : هو اظهار التأكيد والجد في القول كما ترى في قول المرسلين من النصارى
حيث جاء في القران : (قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون وما علينا الا البلاغ
المبين ه) (١) أو كما ترى في قوله تعالى : (والسما ذات الرجع ه والارض
ذات الصدع ه انه لقول فصل ه وما هو بالهزل ه) (٢) وقد ~~علموا~~ أن الحر
المهذب اذا أقسم على أمر فقد بالغ في اظهار الجد منه ونفى على نفسه
الهزل ه ولذلك كثر القسم في أوائل النبوة ه حتى يتبين لهم جده ه وقد
صرح في المثالين المذكورين ه وذلك لخصوصية في أسلوب القسم لا لأن فيه
تمظيما ه كما ترى تأكيد الاثبات والانكار بأسلوب الاستفهام أو التعجب في
أكثر الأسننة أو تأكيد التعجب بالنداء كقولك : " بالما " ه (وبالقومى
للشباب المبكرة) ه

(والثاني) : كون القسم انشاء ه وذلك بينهم طريق الانكار على الخصم ه فانه ان
شاء أنكر جواب القسم لكونه خبرا ه ولكن لا يسبح له أن ينكر نفس القسم لكونه
انشاء ه كما انه لا يتوجه الى انكار الصفة مع انهما في الحقيقة من الأخبار ه
وربما تجمع أقسام هذين الخبرين كالقسم بالقرآن المجيد ه وباليوم الموعود ه
وبالقسمات أمرا ه وبالفارقات فرقا ه وبالصافات صفا ه فان شرحها رأيت فيها
جملتين خبريتين ه مثلا ان الملائكة صافون كالمبيد ه وان الرياح تفرق وتميز حسب
أمر الله ه وان لهم يوما موعودا ه وان هذا القرآن مجيد ه فهذه أخبار أممجت

(١) سورة يونس : ١٦ - ١٧ وانظر تفسير الفخر الرازي ٢٢ / ١٠١

(٢) سورة الطارق : ١١ - ١٤

في الصفات ه ثم زيد عليها ما أدرج من القسم ه وهى أن هذه الأشياء شواهد ودلائل ه فان كان ذلك مما ينتبه الخصم لانكاره فتارة يصرف الخطاب الى النبي صلى الله عليه وسلم كقوله تعالى : (يس والقران الحكيم ه انك لمن المرسلين ه) (١)

وتارة يحذف جواب القسم الذى يكون جطة خبرية فحينئذ يكفى بالمقسم به ه ويأدرهم بكلام آخر مؤيد لما حذف لكيلا يجد الخصم فرصة لتحويل الانشاء الى الخبر فينازع فيه ه ولكى يجد الكلام فرصة فيه فيستمع بعد القسم لما ينتظر جوابه فيهجم عليه مما يؤيد الاستدلال المقصود من الكلام السابق ه كقوله تعالى : (ص والقرآن ذى الذكر ه بل الذين كفروا فى عزة وشقاق ه) (٢) فاكفى بالجطة الانشائية واجتناب الخبرية ه وقد فرغ عنها بما ذكر فى القسم من صفة القرآن ه كأنه قيل : " قد شهد القرآن انه ذكر ونصح لهم " ثم ذكر من خصائصهم ما لا ينكرونها بل يباهون بها ه وأشار الى أن انكارهم ليس الا لحميتهم الجاهلية وجد الهيم بالباطل . ومثل ذلك قول الله تعالى : (ق والقرآن المجيد هل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شئ عجيب) (٣) أى قد شهد القرآن انه لنذير بين من الله تعالى بالبعث ه ولكنهم ينكرونه لما يحبون أن يأتى به منذر منهم ه

فأما اذا كان القسم مما لا ينكرونه لم يحذف الجواب ه كقوله تعالى : (حم والكتاب المبين ه ان جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون ه) (٤) فذكر فى القسم كونه كتابا مبينا ه وفى الجواب كونه قرآنا عربيا ه ولا ينكرون شيئا منهما ه وأما كونه منزلا من الله تعالى فلم يخبر به كدعوى على حدا ه بل جعله أصل الكلام بما خاطبهم بنفسه ه فلا يتجه الانكار اليه ه

(٢) سورة ق : ١ - ٢

(١) سورة يس : ١ - ٣

(٤) سورة الزخرف : ١ - ٣

(٣) سورة ص : ١ - ٢

(والثالث) : ايجاز هذا الاسلوب للاستدلال فان اللفظ ان قل يتراعى المعنى متجردا عن حجه فيزيده تنويرا وتأثيرا ه كأنه أرهف حده ه وقرب بعده ه وهذا مما يجعل الاستمارة أحيانا أبلغ من التشبيه ه ولا حاجة الى توضيح حسن الایجاز فانه مبسوط في كتب البلاغة. وقد بالغ في استحسانه بعض كتاب زماننا فقال: **إلى الایجاز لهو البلاغة** ه وتكلف في رد جميع المحاسن اليه ه وانما جملة أصل البلاغة لتشعب أفئانه وتقلب ألوانه ه فلم يدخل بها من أبواب البلاغة الا ورأى الایجاز هناك موجودا ه فقصر النظر عليه ه

ومن فوائد الایجاز أنه يمكنك أن تجمع دلائل عديدة في قرب بعضها من بعض ه فاذا دللن على أمر واحد من جهات مختلفة كن أشد أثرا وأهكم أمرا ه كما ترى في أقسام سور الطور والبلد والتين ه فلو فصل فيها الكلام وشرح الأبهة لتشتت النظم ووهنت قوته ه ويقرب منها أقسام سور الفجر والشمس والليل ه هذا - والعرب لذكائهم وكبرهم كانوا يحبون الایجاز أكثر من أقسام آخر ه ولذلك لا ترى شيئا من القرآن الا ومعناه أوفر من اللفظ، فان أطيب قولا من وجه أوجزه من وجوه آخر ه ولذلك لا تنقض عجائبه .

(والرابع) : اشراك السامع في استنباط الدليل وذلك مما يكسر سورة خصاه ه فانه اذا علم شيئا بعد التأمل فرح به واهتز له ه فان المتكلم اذا جعل السامع منفعا محضا أتمبه ه وصار كلامه عليه ثقلا ه وهذا اذا لم يخالف رأيه ه فأما اذا خالفه اشماز منه وسد منه أذنه ه ولذلك ربما يستعمل الاستفهام بسد الاخبار ه كقولك : (ألا ترى) و (هل سمعت هذا) أو كما استفهم النبي صلى الله عليه وسلم في خطبة الوداع حيث سألهم أي بلد هذا ه وأي شهر هذا وأي يوم هذا ؟ (١) فذلك يجلب الالتفات وينشط للسمع ه وقد جمع

(١) صحيح البخارى ه كتاب الحج باب الخطبة في أيام منى ٢٥ / ٢١٥ - ٢١٦

القرآن هذين الأمرين في أول سورة الفجر ه فأشهد بأمر تدعو الفكر السي
استنباط الدلائل على تدبير الله تعالى وتقديره وعدله ه ثم أتبع ذلك بقوله :
(هل في ذلك قسم لذي حجر) (١) - ومثل ذلك قوله تعالى : (والسماء
والطارق وما أدراك ما الطارق ه النجم الثاقب ه) (٢) وبمستدل حاذق -
فيسوق المخاطب الى الدعوى بسهولة من غير تسفيه رأيه ه حتى يظن أنه هو
الذي اهتدى اليها من قبل نفسه ه وهذا ما يصير الكفاية أحيانا أبلغ من
التصريح ه وترى ذلك بينا في أقسام القرآن فانها تعرض على السامع أمورا
يدعوه الى استئصال عقله وربما تسوقه الى سمت الدعوى بلطافة وتدرج كالقسم
بالذاريات حتى انتهى الى قوله : (فالمقسمات أمرا) (٣) ومثل ذلك قسمه
بالموسلات عرفا حتى انتهى الى قوله : (فالفارقا فرقا ه فالطقيات ذكرا
ه عذرا أو نذرا ه) (٤) . فلو ألقى عليه أولا أن الرياح تفرق بين قوم وقوم
أنكر ذلك .

(والخامس) : وضع الدليل في غير صورته لكيلا يبادر المتكر الى المخاصمة ه وذلك
غير معنى الانشاء الذي مرّ آنفا في الوجه الثاني ه فانه يستد باب الانكار ه وهذا
انما يذهل عن الخصام ه ولكونه غير الانشاء تجده باقيا في صورة الخبر
أيضا ه مثلا ان حولت قوله تعالى : (والحصر ه ان الانسان لفي خسر ه) (٥)
وجدت بعد هذا التحويل من الانشاء الى الخبر أيضا فرقا واضحا بينه وبين
صريح الاستدلال ه وهو أن تقول : " ان الانسان لفي خسر ه لأن مر الزمان
ينقص العمر ه فان هذا الاستدلال مع ضعفه وظهوره يدعو الخصم لحبه الجدل
الى الانكار به ه أو بالذي ينتج منه وهو الاعتماد على الايمان والعقل الصالح ه

-
- (١) سورة الفجر : ٥
(٢) سورة الطارق : ١ - ٣
(٣) سورة الذاريات : ١ - ٤
(٤) سورة المرسلات : ١ - ٦
(٥) سورة الحصر : ١ - ٢

فانه سيقول : كلا ، ان الانسان لعفى ربح عظيم ، فانه يشتري اللذائذ ،
ويقتنى العنى بهذا العسر الذى لا يد أن يفنى أو سيقول : كلا ، فانه ان لا يسد
من البلى ، فالتمتع بالشهوات أولى ، كما قال الطك الضليل بن حجر القتييل :
تمتع من الدنيا فانك فانسى من النشوات والنساء الحسان (١)
ولا شك أن تلك حجة راحضة ، ولكن اذا فتح باب الجدل كثر القيل والقال ،
وكما زدت ايضاها ازداد الخصم جماحا فيحسن أحيانا أن تذهله عن وجه النزاع ،
فان للانسان به ضراوة كضراوة السباع ، وكانت العرب أشد الأمم جدلا وأحدتهم
مقولا ، كما قال تمالى : (ماضيه لك الا جدلا ، بل هم قوم خصمون) (٢)
وكذلك سماهم (قوما لدا) (٣) ، واطمأن هذا الوجه والذى قبله منيانيان طوى
لطافة الأدلة فى الأقسام فانها كما تصرفهم عن الازكار والنزاع فكذلك تنشطهم
للفكر والاستنباط .

(والسادس) ما يعطى أوائل السور من نضرة بهجتها ورونق ديباجتها فتلتمع
الأقسام فى قسّمات السور على الأكثر كالغرة البارقة ، وأما الذى جاء فى
أثناء السورة ، فانما هو قليل ومثاله كجى الطلح فى أثناء القصيدة ، وليس
فى كل قسم تزيين ، ولكنه لما كان ما يستفتح به الكلام جملة سببها
لتزيين الفواتح بأن اصطفى له كلما ان صور على عنوان الكتاب أو تشمل
للمقل فى مطلع الخطاب ملائمين والفؤاد بحسنه وجلالته ، بل يجسّل
أكثرها عن التصوير لكمال عظمتها وضيق نطاق الخيال عن سميتها ، ولا
شىء من أساليب الكلام أصلح للتصوير من القسم ، فان الذى أقسمت به دعوته
كالشاهد فأوقفته بين يدي المخاطب متحلا ، فما أراد الله أن يوشى عنوان
السور بألوان الصور بدأها بأقسام خاصة . فتوى أحيانا صورة أمر واحد ،

(١) ديوان امرؤ القيس ص ١٧١ (دار صادر بيروت)

(٢) الزخرف : ٥٨ (٣) مريم : ٩٦

كالقلم الكاتب والنجم الثاقب ه والخيل المعاديات والرياح الذاريات والملائكة
الصفات ه وتنظر أخرى الى صور عديدة يضمنها أمر جامع بينها كالتين والزيتون
وطور سينين ه والبلد الأمين ه أو كالطور والكتاب السطور والبيت المعمور
والسقف المرفوع والبحر المسجور ه أو كالشمس والقمر والليل والنهار والأرض والسما
والنفس وغير ذلك ه ما يدل على أحوال أو أحداث يستدل بها على مسألة مهمة
ه ولا منزلة عند العقل لهذه التصاویر لولا أن فيها دلائل على أمور عظيمة ه
وهذا لرعاية جانب المستمع لكيلا يتنفر فيستأذنيه ه ومن كمال التبليغ واتمام
الحجة تليين القول وتأليف القلب ه وقد أمر الله الأنبياء بهذا ه كما قال تعالى
لموسى وهارون عليهما السلام حين أرسلهما الى فرعون : (فقولا له قولا لينا
لعنه يتذكر أو يخشى) (١)

(والسابع) : تقديم الدليل على ذكر الدعوى ه فيلقى أولا على الخصم أمرا
يووجهه الى سمت لا يبد أن يجلبه الى الدعوى ه ولكن المنكر اذا علم من
قبل ما تريد الاستدلال عليه أخذ سمتا آخر وتكذب على الوجه الصحيح ه
فان لم تذكر الدعوى يوشك أن يتوجه الى صراط مستقيم ه فان سار
على قصد السبيل قدته الى آخر النتيجة ه ومثال ذلك كل ما ذكرنا
في الوجه الرابع والخامس .

(والثامن) : كون القسم من جوامع الكلم ه فان الحقسام لا يذكر منه جهة
الاستدلال ه فلو ضم به جهة خاصة كان دليلا واحدا ه ولكن الشئ الواحد
يجمع معاني كثيرة ووجوها مختلفة وللمقوسم فيه دلائل شتى ه وهذا الأمر
مشترك في ما ذكر من الأمور الدالة على أسلوب الآية ه فجعل شيئا واحدا
موضعا لاستنباط دلائل كثيرة ه كما قال تعالى : (ألم تر أن الفلك تجري

في البحر بنعمة الله ليريك من آياته ه ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور ه (١) وكما
قال تعالى : (وفي الأرض آيات للموقنين ه وفي أنفسكم ه أفلا تبصرون ه) (٢) فمن
يحصي ما في الأرض والنفس من الآيات الدالة على القدرة والحكمة والرحمة والحكمة
ه ثم على التوحيد والرسالة والمعاد ه (٣) فاذا أشهد الله تعالى بعمق خلقه
ثم ذكر معه من المطالب الدينية التي يستدل عليها ه ترك المتأمل أن يستنبط
الدلائل من وجوه كثيرة ه وحمد الاتفاق في الصمد عليه وحمد رعاية نظام الكلام
لأبأس باختلاف الدلائل وطرقه فانها تتنوع وتتكرر حسب مدارج الأفهام والمقول
ه وجعل الله القرآن جم الفوائد لا تنقضي عجائبه كما لا تنقضي عجائب خلقه وحكمة
صنعه ه قال عز من قائل : (ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من
بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله ان الله عزيز حكيم ه) (٤) ولنكتف بهسنا
القدر من أبواب البلاغة التي تجد في أقسام القرآن ه وما أردت الاستقصاء ومن
يطيقه ؟ (٥)

(١) لقمان : ٣١

(٢) الذاريات : ٢٠ - ٢١

(٣) قد فصل الفراهي الكلام في كتابه (حجج القرآن) مخطوط

(٤) لقمان : ٢٧

(٥) انظر امعان في أقسام القرآن للفراهي ص ٤٨ - ٥٥

خاتمة: (أسأل الله حسنهما)

- لقد حاولت - قدر استطاعتي - أن أُمّ أطراف هذا الموضوع المتشعب ، ألا وهو
- (القسم في القرآن الكريم) وقد توصلت في النهاية الى النتائج التالية :
- (١) أن اسلوب القسم من أقدم الأساليب في تاريخ اللغات البشرية يدل على ذلك الحوار الذي دار بين الله سبحانه وبين إبليس عند أول خلقه آدم عليه السلام .
 - (٢) ان الاصل فيما يقسم به الناس هو الله سبحانه وتعالى وذلك جاءت الشرائع وأما تعدد الأقسام بخير الله سبحانه فكان نتيجة لدخول التحريف في الديانات وتبدل الشرائع والاشراك بالله ما لم ينزل به سلطانا .
 - (٣) كل قسم في القرآن الكريم له نظيره في لغة العرب ، غير أن كثيرا من الأقسام في لغة العرب ليس لها مثيل في القرآن الكريم .
 - (٤) القسم بايجازه وقصره يحمل في طيه ، لالة على معان كثيرة يلائم الطبع العربي الفصيح الذي تكهيه الاشارة وتقنمه اللمحة ، ولذلك وجد القسم بكثرة مع أول ظهور الدعوة في العصر المكي وأسلوب القسم في القرآن جاء على نسق الاسلوب العربي .
 - (٥) ان القسم ليس الا التأكيد والجنم المحض في معناه الحقيقي (أى تأكيد ما يقسم عليه) ولا يلزمه المقسم به حتى يقدر كلما لم يذكر فضلا عن تعظيمه كما ظن كثير من الناس ، وإنما اختلط به معنى التعظيم من جهة المقسم به ، أى اذا كان القسم باللغو بشعائره فهو من عوارض القسم وليس من لوازمه ، أما القسم بخيره سبحانه فقد يكون على وجه الاكرام للمقسم به أو المتكلم أو المخاطب ، أو على وجه الاستدلال بالمقسم به والاشهاد به على المقسم عليه ، ومعظم الأقسام بالمخلوقات في القرآن الكريم من هذا الهاب .
 - (٦) ان النهي عن القسم بخير الله تعالى على العموم كان سدا لأبواب الشرك ، وأما اقسام القرآن فلكون جعلها استدلالا تحيل على حقيقة معنى الشهادة ، ولا يخفى أن القسم اذا كان من الله بخلقه وكلماته فلا مظنة فيه للشرك ولا معنى له الا الشهادة الخالية عن معنى التعظيم .

(٧) ان اسلوب القسم استعمله القرآن مثل أسلوب الآية والمعبرة ، وكلها اشهاد لمن يتفكر فيها ، فكل ما أقسم به القرآن من المخلوقات كونها آيات داله أظهر وأقرب ولا سبيل الى ارادة تعظيمها ، فان القرآن وضع أكثر هذه الأقسام بحيث لا يخفى على العاقل جهة دلالتها على ما أقسم عليه .

(٨) نرى من خلال كتب اللغة أن القسم والحلف بمعنى واحد ، لكن التمتع للاستعمال القرآني يمنع هذا الترادف ، فلقد جاءت مادة (حلف) في القرآن كلها - بغير استثناء - في مقام الحنث باليمين ، وأكثرها مسند الى المنافقين ، أما (القسم) فيغلب مجيئه في الأيمان الصادق ، ولذا نرى أن القرآن لم يسند (الحلف) الى ذات الله تعالى ، وإنما أسند اليه فعل (القسم) وهذا الملحظ الخفي يوحى لنا أن الترادف بين القسم والحلف ليس تاماً

لأن مع القسم قوتاً واضح وثقة أكثر مما يجملنا نذكر أن بينهما عم وخصوص مطلق .
(٩) تبين لي باستقراء كل مواضع الاستعمال القرآني أن أسلوب (لا أقسم) لم يستعمل في القرآن الا حين يكون الفصل مسنداً الى الله تعالى ، كما أن فعل (القسم) لم يأت في القرآن كله مسنداً الى الله الا مع نفي القسم بـ (لا) ، كما تبين لي أن (لا) هذه منفصلة ، خلاف من يقول انها زائدة أو متصلة ، وهذا الأسلوب شائع في كلامهم اذا أرادوا شدة الإنكار لظن سابق ، لأن في تقديم (لا) دلالة على أن الكلام جواب ورد لما قيل من قبل . وعلى أن الإنكار به لا يحتمل مكثاً ، فان القسم عادته الابتداء ، وإنما قدمت عليه كلمة الإنكار لشدة الاعتناء به .

(١٠) قال كثير من النحويين أن الواو بدل من الباء ، وأن التاء بدل من الواو ، ولا يقوم دليل على صحة شيء من هذه المذاهب والذي يقتضيه النظر أنه ليس شيء من هذه الحروف أصلاً لا آخر ، والله اعلم .

(١١) تكررت الواو بعد واو القسم في القرآن الكريم ويقصد بها العطف على المقسم به وفادها تعدد الأقسام والصحيح أن المتكرره واو العطف وليمت واو القسم لأن القسم هو الطالب للجواب وهو شيء واحد لا المقسم به ، فيكفيه جواب واحد .

- (١٢) اختلفوا في الحروف المقطعة التي جاءت في أوائل السور ف قيل فيها إنها اقسام اقسام الله بها ، والذي توصلت اليه خلال البحث والتفكير فيها أن عدم ثبوت شيء قطعي في ذلك دليل على أنها من قبيل التشابهات التي لا يعلم تأويلها الا الله سبحانه .
- (١٣) يرى الكوفيون أن اللام متى وجدت في الجملة الاسمية فهي جواب قسم ، واللام لام القسم بخلاف البصريين حيث جعلوها لام الابتداء ، والصواب ما ذهب اليه البصريون ومع ذلك لا ينكر أن يكون مثل هذا قصما لأن هذه اللام مفتوحة كما أن لام القسم مفتوحة ولا أنها تدخل على الجمل كما تدخل لام القسم ، ولا أنها مؤيدة محققة كتحقيق لام القسم ، ولكنها وما كانت لام قسم وربما كانت لام ابتداء واللفظ بهما سواء ولكن المعنى يرجح وحين القصد .
- (١٤) القسم الصريح في القرآن الكريم ورد أغلبه على اثبات أصول الايمان الثلاثة التي يجب على الخلق معرفتها والإيمان بها وهي التوحيد والرسالة والمعاد ، وكل ما سوى ذلك فهو متعلق بها أو متفرع منها .
- (١٥) هناك ألفاظ جرت في القرآن الكريم مجرى القسم وأجريت بجوابه ، وهي المهد والميثاق واليمين ولعمرك وعزتك ولفظ تأذن وكتب وقضى ووعد وعظم وشهد وهداه وظن ولفظ الحق وتم وكلا ولا جرم .
- (١٦) جعل بعض العلماء قوله سبحانه : (وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا) من القسم الضمر الذي دل عليه المعنى احتجاجا بالحديث الشريف (لا يموت لمسلم ثلاثة من الولد فيلج النار الا تحلة القسم) وقد بينت أن احتمال القسم انما هو في صورة العطف على قوله (فوريك) وأما في صورة الاستثناء فلا يتمين نفس الآية قسم لعدم وجود أداة من أدوات القسم ، أو قرينة واضحة دالة على القسم فالتأكيد المستفاد من الآية ليس عن طريق القسم وانما هو من وجود ألفاظ التأكيد في الآية من (حتما) و (مقضيا) ثم احتمال الآية الكريمة على النفي والاستثناء ولا شك أنه يستفاد منهما التوكيد ، والله اعلم .
وأخيرا احمد الله الذي بنعمته تتم الصالحات سبحانه رب العزة
عاصفون ، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

فهرس تراجم الأعلام

(أ)

- ٦٩ : إبراهيم بن السرى بن سهل ، أبو اسحاق الزجاج *
٤ : إبراهيم بن عبد الله النجيري أبو اسحاق *
١٢٦ : إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشرناطي الشهير بالشاطبي *
١٩٠ : إبراهيم بن هريسة *
٣٠ : أحمد بن آدم بن عبد الرحمن أبو العباس شهاب الدين الصنهاجي القرافي *
٤٦٠ : أحمد بن داود بن وثند الدينوري *
أحمد بن هذ الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني *
١٣٠ : أبو العباس تقي الدين *
٧١ : أحمد بن عبد النور بن أحمد بن راشد أبو جعفر المالقي *
١٣٦ : أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد أبو الحسين القزويني *
٥٠ : أحمد بن محمد بن اسماعيل بن يونس المراري أبو جعفر النحاس *
أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال الشيباني المروزي أبو عبد الله : ٨٨ *
٢٣٩ : أحمد بن يحيى بن زيد المعروف بالثعلب أبو العباس *
١٨٥ : اسماعيل بن حماد الجوهري أبو نصر الغاريابي *
٨٦ : اسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء القرشي أبو الفداء *
١١ : أمروء القيس بن حجر بن الحارث الكندي *
٢٥ : أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم الخزرجي *
٣ : أوس بن حجر بن عتاب *
٧ : أوس بن حجر بن معبد بن حزن التميمي *
* * *

(ت)

- ٨٣ : تميم بن أوس بن حارثة أبو ربيعة الداري *

* * *

(ج)

- ١١ : جردل بن أوس الحظيعة أبو مليكة *
٤٨٨ : جرير بن عبد العزى المتلمس *
٢٢٢ : جلاس بن سويد بن الصامت الانصارى *
١٩ : جميل بن عبد الله بن مضر العذرى القضاعي أبو عمرو *

* * *

(ح)

- ٣٨٣ : حبيب بن أوس بن الحارث الطائي أبو تمام *
٢١٧ : الحسن بن أحمد بن عبد الففار أبو علي *
١٩٤ : الحسن بن قاسم بن عبد الله المرادى أبو محمد بدر الدين *
١٧٤ : الحسن بن يمار البصرى ، أبو سعيد *
٦٠ : الحسين بن أحمد بن خالوة بن حمدان أبو عبد الله *
١٨٥ : الحسين بن محمد بن المفضل الاصفهاني أبو القاسم *
٣٠٤ : الحسين بن حمام بن ويعة البرى الذبياني أبو يزيد *
حفص بن سليمان بن المخيمرة أبو عمرو ابن أبي داود *
٥٥ : الامدى الكوفى *
٣٨ : حمزة بن حبيب بن عمارة بن اسماعيل أبو عمارة *

* * *

(خ)

- ١٨ : الخرنق بنت بدر بن هفان بن مالك الهكريه *
الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم القراهيدى الازدى ، *
٥٩ : أبو عبد الرحمن *

* * *

(ز)

- ٥٥ : زان بن العلاء بن عمار بن العريان أبو عمرو التميمي *
المازني البصرى *
١٨٦ : الزبير بن العوام بن خويلد الأمدى القرشي أبو عبد الله *
٥ : زهير بن ويعة بن قيسرط *
٤ : زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني أبو أمامة *

* * *

(ص)

- * سعيد بن مسعدة المجاشعي البلخي أبو الحسن
المحروف بالأخفش الأوسط : ٢٦
* سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري أبو عبد الله : ١٣٩
* سليمان بن مهران الأعشى أبو محمد الأسدي الكاهلي الكوفي : ٥٣

* * *

(ش)

- * شمية بن عياض بن سالم أبو بكر الخياط الأسدي الكوفي : ٥٥
* الشماخ بن حزار بن حرملة بن سنان المازني الذبياني : ٢٠
* شهل بن شيان الفند الزماني : ٤٧٨

* * *

(ص)

- * صريم بن معشر بن ذهل بن تميم التخليبي الملقب بأفنون : ٤٧٧

* * *

(ض)

- * الضحاك بن مخلد بن الضحاك الشيباني أبو عاصم البصري : ١٣٩

* * *

(ط)

- * طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد البكري الوائلي أبو عمر : ١٧

* * *

(ع)

- * العائذ بن محصن بن ثعلبة المثقب العبدي : ٤٨٩
* عائشة بنت أبي بكر الصديق : ٢٤
* عاصم بن بهدلة أبي النجود الأسدي أبو بكر الكوفي : ٥٣
* عامر بن شراحيل بن عبد أبو عمر الشمسي الكوفي : ٥٢
* عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي ، أبو البركات : ١٦٦
* عبد الله بن جدهان التيمي : ١٠
* عبد الله بن الحسين بن عبد الله بن الحسين ، محب :
الدين أبو البقاء العكبري البغدادي : ٥٢
* عبد الله بن عامر بن يزيد بن تميم اليحصبي : ٥٥

- * عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف :
٥٣ : القرشي الهاشمي ، أبو العباس
٩ : عبد الله بن عثمان بن عامر القرشي التميمي أبو بكر الصديق
٣٧ : عبد الله بن علي بن اسحاق الصيمري ، أبو محمد
١٣٠ : عبد الله بن عمر بن محمد بن علي الشيرازي أبو سعيد البضاوي
٥٥ : عبد الله بن كثير بن المطلب القرشي أبو محمد المكي
١٢٥ : عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي أبو عبد الرحمن
١٢٢ : عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري أبو محمد
٢٣٣ : عبد الحق بن غالب بن عبد الرحيم بن عطية القرناطي
١٧ : عبد الحميد الفراهسي
* عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الخضيري
٣٤ : السيوطي ، جلال الدين
١٣٨ : عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن ادريس الرازي ، أبو محمد
١٤٤ : عبد الرحمن بن اسحاق النهاوندي الزجاجي أبو القاسم
٢٧١ : عبد الرحمن بن صخر الدوسي ، أبو هيرة
* عبد الرحمن بن عبد الله بن احمد السهيلي الخثمي الاندلسي : ٥٨
* عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله بن أبي سعيد أبو البركات
٥٤ : كمال الدين الأتباري
١٣٣ : عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم عز الدين
١٣٤ : عبد العظيم بن عبد الواحد بن ظافر بن أبي الأصبغ المصري
٣٠ : عبد القادر بن عمر البغدادي
* عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني ، أبو بكر
٤١٢ : عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة النيسابوري
٣٥ : القشيري أبو القاسم
* عبد الملك بن قريب بن عبد الملك الباهلي أبو سعيد الاصمعي : ١٥٣
٦٧ : عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم أبو طالب
٤١٢ : عبيد الله بن الحسين الكرخي ، أبو الحسن
٤٧٨ : عبيد ابن الأبرص بن عوف بن جشم السعدي الأمدى
٣٠١ : عبيد بن حصين بن معاوية التميمي الراعي أبو جندل الراعي
٢٩ : عثمان بن جنى الموصلي ، أبو الفتح

- * عثمان بن عفان بن أبي الماصرين أمية القرشي *
- ١٢٥ : أبو عبد الله ، وأبو عمر
- * عدي بن بسدا *
- ٨٣ :
- * عدي بن زيد بن حماد بن زيد العبدي التميمي *
- ٤٨٩ :
- * عدي بن ربيعة المهلم *
- ١١ :
- * عروة بن الزبير بن العوام الأسيدي القرشي ، أبو عبد الله *
- ١٨٦ :
- * عطاء بن أبي رباح بن صفوان ، أبو محمد *
- ٢٦٠ :
- * عقبة بن أبان بن ذكوان بن أمية بن عبد شمس *
- ١٤٢ :
- * عكرمة بن عبد الله البربري المدني أبو عبد الله *
- ١٣٠ :
- * علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف *
- ٢٥ :
- القرشي ، أبو الحسن
- * علي بن أبي طلحة سالم ، مولى بني العباس *
- ١٣٠ :
- * علي بن أحمد بن سيدة الأندلسي أبو الحسن الضريبي *
- ٣٣ :
- * علي بن أحمد بن محمد بن علي أبو الحسن الواحدي *
- ١٦ :
- * علي بن حمزة بن عبد الله بن بهمن بن فيروز الأسيدي *
- ٣٨ :
- مولاهم. أبو الحسن الكماشي
- * علي بن عيسى بن علي الرهاني ، أبو الحسن *
- ١٩٤ :
- * علي بن الحسين بن موسى ، أبو القاسم *
- ٢٧٢ :
- * علي بن محمد بن علي المعروف بالشريف الجرجاني *
- ٢٢ :
- * علي بن مؤمن بن محمد بن علي الحضرمي الأشبيلي *
- ٣٠ :
- أبو الحسن ، المعروف بابن عصفور
- * عمرو بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى القرشي المدوي *
- ٦٧ :
- أبو حفص
- ١٤ :
- * عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي سيويه *
- ٢٦ :
- * عمرو بن لأمي بن همام ابن زبابة التميمي *
- ١٤٢ :
- * عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي القرشي أبو جهل *
- ٣٥٧ :
- * عوف بن سمد بن مالك بن ضبيعة المعروف بالمرقش الأكبر *

(غ)

- ٢٦ : غنية بنت عفيف بن عمرو ام حاتم الطائي *
(ق)
٥ : القاسم بن سلام أبو عبيد *
١٤٣ : قتادة بن دعامة بن قنادة السدوسي أبو الخطاب *
٤٨٩ : قسي بن ساعدة بن عمرو بن عدي بن مالك *
١٩٠ : قيس بن الملوح بن مزاحم العامري المسمى بمجنون *

* * *

(ك)

- ١٠٣ : كعب بن مالك بن أبي كعب ، أبو عبد الله الانصاري *

* * *

(ل)

- ١٣ : لبيد بن ربيعة بن مالك العامري *

* * *

(م)

- ٨٧ : مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر أبو عبد الله الاصبحي المدني *
١٢ : مالك بن الحارث بن عبد يفيث النخعي المعروف بالاشتر *
١٤١ : مالك بن نهى *
٥٣ : مجاهد بن جهر أبو الحجاج المكي *
محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي أبو عبد الله *
٣٣ : شمس الدين *
٥٧ : محمد بن احمد بن ابراهيم بن كيسان أبو الحسن *
محمد بن احمد بن أبي بكر بن فنج الانصاري الاندلسي *
١٢٩ : أبو عبد الله *
محمد بن احمد بن الأزهري بن طلحة بن نوح الهروي أبو منصور *
١٨ : المعروف بالأزهري *
٩٠ : محمد بن احمد بن محمد بن رشد الاندلسي أبو الوليد *
محمد بن ادريس بن المياسين عثمان بن شافع القرشي *
٨٧ : أبو عبد الله *

- ١٧٧ * : محمد بن ادریس بن المنذر بن داود الحنظلي أبو حاتم
- ٨٢ * : محمد بن اسماعيل بن ابراهيم البخارى ، أبو عهد الله
- ٣٤ * : محمد بن بهادر بن عبد الله الزركسي ، أبو عهد الله بدر الدين
- ٩ * : محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الطبري أبو جعفر
- ٢٩ * : محمد بن الحسن الرضي الاستربابادي ، نجم الدين
- * : محمد بن عهد الله بن عهد الله بن مالك الطائي الجياني
- ٢٩ * : أبو عهد الله ، جمال الدين
- ٩١ * : محمد بن عهد الله بن محمد المعافري الاشبيلي أبو بكر بن المصري
- ١٨٠ * : محمد بن علي بن اسماعيل الشاشي القفال أبو بكر
- ١٨٧ * : محمد بن علي بن محمد بن عهد الله الشوكاني
- * : محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي ، أبو عهد الله
- ٨٩ * : فخر الدين الرازي
- ١٤٢ * : محمد بن محمد بن مصطفى الصمادي ، أبو السمود
- ٥٨ * : محمد بن المستنير بن احمد أبو علي الشهير بقطرب
- ١٨٦ * : محمد بن مسلم بن عبيد الله الزهري ، أبو بكر
- * : محمد بن يزيد بن عهد الأكبر الشمالي الأزدي أبو العباس
- ١٢٩ * : المعروف بالبهرد
- * : محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الشرناطسي
- ٤٩ * : الاندلسي ، أثير الدين ، أبو حيان
- ٢٧٢ * : محمد الأمين بن محمد المختار بن عهد القادر الشنقيطي
- ١٢٩ * : محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين القلموني
- ٤٧ * : محمود بن حمزة بن نصر ، أبو القاسم برهان الدين الكرمانلي
- ٢٦١ * : محمود بن عهد الله الحسيني الاكوسي ، أبو الثناء
- * : محمود بن عمر بن محمد بن احمد الخوارزمي الزمخشري
- ٤٩ * : جابر الله ، أبو القاسم
- ٢٤ * : مسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب بن عهد مناف
- * : معاذ بن جهل بن عمرو بن أسد بن عبد بن كعب بن
- ٤٦ * : عمرو بن آدي بن علي بن أسد أبو عهد الرحمن الانصاري الخزرجي
- ١٢ * : معدان بن جوامر بن فروة بن سلمة الكندي

فهرس المراجع

* القرآن الكريم *

(١)

- * اتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر : لأحمد بن محمد بن أحمد بن محمد
ابن عبد الخني الدمياطي بتصحيح وتعليق على محمد الضباع
ملتنم الطبع والنشر عد الحميد احمد حنفي بشارع المشهد
الحسيني رقم ١٨ الطبعة الاولى - ١٣٩٥ هـ .
- * الاتقان في علم القرآن : لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي
بتحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم مكتبة ومطبعة المشهد
الحسيني ، القاهرة ، ط الاولى ١٣٨٧ هـ ١٩٦٧ م .
- * الاحكام في أصول الاحكام : لسيف الدين أبي الحسن علي بن أبي علي
ابن محمد الآمدى ، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده
ط : الاولى ، ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٨ م .
- * أحكام القرآن : لأبي بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن الصوي
بتحقيق على محمد البجاوى ، مطبعة عيسى البابى الحلبي
وشركاء الطبعة الثانية : ١٣٨٧ هـ ١٩٦٧ م .
- * ارشاد السارى لشرح صحيح البخارى : لأبي العباس شهاب الدين احمد
ابن محمد القسطلاني، دار الفكر ، نسخة مصورة عن نسخة
بولاق ، الطبعة السادسة سنة ١٣٠٥ هـ .
- * ارشاد العقول السليم الى مزايا القرآن الكريم : المعروف بتفسير أبي السمود .
لقاضي القضاة أبي السمود محمد بن محمد الهادي، الناشر:
دار الصحف ، مكتبة ومطبعة عبد الرحمن محمد ، القاهرة .
- * أساس البلاغة : لجار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري ، بتحقيق
عبد الرحيم محمود ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت .
ط الاولى ١٣٩٩ هـ ١٩٧٩ م .
- * الاساليب الانشائية : لعبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي بمصر ،
ط الثانية ١٣٩٩ هـ ١٩٧٩ م .

- * أساليب القرآن : لعبد الحميد الفراهي ، الدائرة الحديدية
ومكتبتها سرائير ، الهند ، ط الاولى ١٣٨٩ هـ .
- * أساليب القسم في اللغة العربية : لكاظم فتحي الراوى ، مطبعة الجامعة
بفداد ، ط الاولى ١٣٩٧ هـ ١٩٧٧ م .
- * أساليب القسم والشرط في القرآن الكريم : د . احمد بن عبد العزيز اللهيبي ،
(رسالة دكتوراة) جامعة القاهرة كلية اللغة العربية .
- * أسباب النزول : لأبي الحسن علي بن احمد الواحدى النيسابورى ، مكتبة
ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، الطبعة
الثانية : ١٣٨٧ هـ ١٩٦٨ م .
- * الأسماء والصفات : لأبي بكر احمد بن الحسين بن علي البيهقي
بتحقيق محمد زاهد الكوثري ، مطبوع مع كتاب (فرقان
القرآن بين صفات الخالق وصفات الأركان) لسلامة القضاي
دار احياء التراث العربي بيروت ، مصورة عن نسخة مطبوعة
السعادة : ١٣٥٨ هـ .
- * الاشارة الى الايجاز في بعض أنواع المجاز : لمز الدين عبد العزيز بن
عبد السلام ، المكتبة الملمية للنمكاني ، المدينة المنورة .
- * الاصابة في تمييز الصحابة : لشهاب الدين أبي الفضل احمد بن علي
ابن محمد بن محمد بن علي الصقلاني ، المعروف بابن حجر
دار احياء التراث العربي ، بيروت ، نسخة مصورة من الطبعة
الاولى سنة ١٣٢٨ هـ .
- * اصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم للحسين بن محمد الدامقاني
بتحقيق عبد العزيز سيد الأهل ، دار العلم للملايين ،
بيروت ، الطبعة الاولى ١٩٧٠ م .
- * الأصمعيات : اختيار أبي سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك
الأصمعي ، بتحقيق احمد محمد شاكره ، وعبد السلام محمد
هارون ، دار المعارف بمصر ، ط : الثانية ١٩٦٤ م .

- * أعضاء البيان في ايضاح القرآن بالقرآن : لمحمد الأمين محمد المختار
الجنكي الشنقيطي ، دارالاصفهاني وشركاه بجدة ،
الطبعة الاولى ١٣٧٨ هـ - ١٩٥٩ م .
- * الاعجاز البياني للقرآن وسائل ابن الأرق للذكورة طائفة عبد الرحمن
بنت الشاطي ، دارالمعارف بمصر ط الاولى ١٣٩١ - ١٩٧١ م
- * اعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم : لأبي عبد الله الحسين بن احمد المعروف
بابن خالوة دائرة المعارف المثمانية ، الهند ١٣٦٠ هـ .
- * اعراب القرآن : لأبي جعفر احمد بن محمد بن اسماعيل النحاس ، تحقيق
الدكتور زهير غازي زاهد ، مطبعة الهاني ، بغداد :
١٣٩٧ هـ ١٩٧٧ م .
- * اعراب القرآن المنسوب الى الزجاج : تحقيق ابراهيم اليباري ، الهيئة
العامة لشئون المطابع الاميرية ، القاهرة ، الطبعة الاولى
١٣٨٢ هـ ١٩٦٣ م .
- * الاعلام : قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين
والمستشرقين ، لخير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين
بيروت ط : الخامسة ١٩٨٠ م .
- * اعلام الموقمين عن رب العالمين : لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر
المعروف بابن القيم الجوزي ، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة
ط : الاولى ١٣٨٨ - ١٩٦٨ م .
- * الأغانيسي : لأبي الفرج علي بن الحسين الأصبهاني :
(أ) نسخة بولاق ، (ب) نسخة دار الكتب منشورات وزارة
الثقافة والارشاد القومي المؤسسة المصرية العامة ، القاهرة
١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣ م .
- * الأمالس : لأبي علي اسماعيل بن القاسم القالي البغدادي ، دارالفكر
بيروت .
- * الأمالى الشجرية : املاء الشريف السيد الامام ضياء الدين أبي السامات هبة
الله بن علي بن حمزة الطلوي الحسني المعروف بابن الشجري ،
دار المعرفة للطباعة والنشر ببيروت (نسخة مصورة عن طبعة دائرة
المعارف الهند) .

- * أمالي المرتضى (غرد الفوائد ودرر القلائد) للشيخ الشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي الملوي بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ط الاولى ١٣٧٣-١٩٥٤
- * امتاع الاسماع بما للرسول من الانهاء والاموال والحفدة والمتاع : لتقسي الدين احمد بن علي المقرئ ، بتصحيح وشرح محمود محمد شاكر ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة .
- * ايمان في أقسام القرآن للامام عبد الحميد الفراهي ، المطبعة السلفية ومكبتها ، القاهرة ط الاولى : ١٣٤٩ هـ .
- * املاء ما من به الرحمن من وجوه الاعراب والقراءات في جميع القرآن : لأبي البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله المكبري تحقيق ابراهيم عطوه عوض ، مطبعة مصطفى الهادي الحلبي وأولاده ، بصر ، الطبعة الثانية : ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م .
- * انهاء الرواة على انهاء النحاه : لجمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف القفطي بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة دار الكتب المصرية ، ط الاولى ١٣٦٩ هـ - ١٩٥٠ م .
- * الانصاف في مسائل الخلاف بين النحويين : البصريين والكوفيين : لكامل الدين أبي البركات عبد الرحمن بن محمد الأنباري ، المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة ط : الرابعة ١٣٨٠ - ١٩٦١ م .
- * أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي * لأبي سعيد عبد الله ابن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي :
(أ) نسخة مصورة عن الطبعة الاولى سنة ١٣٠٥ هـ بالمطبعة العثمانية ، دار الفكر للطباعة والنشر ،
(ب) حاشية العلامة أبي الفضل القرشي الخطيب المشهور بالكازروني ، مؤسسة شعبان للنشر والتوزيع ، بيروت طبع بالتصوير عن طبعة دار الكتب العربية الكبرى بصر ١٣٣٠ هـ .
- * ايضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل لأبي بكر محمد بن القاسم بن بشار الأنباري النحوي تحقيق محي الدين عبد الرحمن رضان ، مطبوعات مجمع اللغة السورية بدمشق ، الطبعة الاولى ١٣٩٠ - ١٩٧١ م .

* أيمان العرب في الجاهلية ، لأبي اسحاق إبراهيم بن عبد الله النجيري
تحقيق محب الدين الخطيب ، المطبعة السلفية ط : ثانية
القاهرة ١٣٨٢ هـ .

(ب)

* البحر المحيط : لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي الفرناطسي
دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٣٩٨ -
١٩٧٨ م طبع بالتصور عن طبعة السلطان عبد الحفيظ
سلطان المغرب ١٣٢٨ هـ .

* بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع : لأبي بكر بن مسعود الكاساني الحنفي
دار الكتاب العربي ، بيروت ط الثانية ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م .

* بداية المجتهد ونهاية المقتصد : لأبي الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن
أحمد بن رشد القرطبي الشهير بابن رشد ، دار الفكر ، بيروت

* البداية والنهاية : للحافظ ابن كثير الدمشقي مكتبة المصنف ، بيروت ط :
الثانية ١٩٧٧ م .

* البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع لمحمد بن علي الشوكانسي ،
مطبعة السعادة ، القاهرة ط الاولى ١٣٤٨ هـ .

* بديع القرآن : لأبي محمد زكي الدين عبد العظيم بن عبد الواحد بن
ظافر بن عبد الله بن محمد المصري المعروف بابن أبي الاصبع .
تقديم وتحقيق حنفي محمد شرف ، مكتبة نهضة مصر بالقاهرة .
الطبعة الاولى ١٣٧٧ هـ ١٩٥٧ م .

* البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان ، لتاج القراء
محمود بن حمزة نصر الكرمانلي ، بتحقيق عبد القادر أحمد
عطا ، طبعه باسم (أسرار التكرار في القرآن) دار الاعتصام ،
ط الاولى ١٣٩٤ - ١٩٧٤ م .

* البرهان في علوم القرآن : لبدر الدين محمد بن عبد الله الزركسي بتحقيق
محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت
ط الثانية : ١٣٩١ - ١٩٧٢ م .

- * البرهان الكاشف عن اعجاز القرآن: لكان الدين عبد الواحد بن عبد الكريم
الزملكاني مطبعة العماني بمخداد ط الاولى ١٣٩٤-١٩٧٤م
- * بنية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي
بتحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، عمى الباهي الحلبي ،
القاهرة ١٣٨٤ هـ ١٩٦٤ م .
- * بيان اعجاز القرآن : لأبي سليمان احمد بن محمد بن ابراهيم الخطابي
مطبعة دارالتأليف ، القاهرة ط الاولى ١٣٧٢ هـ ١٩٥٣ م .
- * البيان في غريب اعراب القرآن: لأبي البركات بن الأنباري ، تحقيق دكتور
طه عبد الحميد ط٢ ، دارالكتاب المصري للطباعة والنشر
بالقاهرة - ١٣٨٩ هـ ١٩٦٩ م .
- * البيان والتبيين : لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ بتحقيق وشرح :
عبد السلام هارون مكتبة الخانجي بمصر ط الثانية
١٣٨٠ هـ - ١٩٦٠ م .
- * * *
- (ت)
- * تاج المروس من جواهر القاموس : لمحمد مرتضى النويدى المطبعة الخيرية
بمصر ط الاولى ١٣٠٦ هـ .
- * تاريخ بغداد ، لأبي بكر احمد بن علي الخطيب البغدادي دارالكتاب المصري
بيروت (بدون تاريخ) .
- * تاريخ الرسل والملوك ، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري بتحقيق محمد
أبو الفضل ابراهيم ، دارالمعارف بمصر ، (١٩٦١-١٩٦٨ م)
- * التاريخ الكبير : لأبي عبد الله اسماعيل بن ابراهيم الجعفي البخاري بتصحيح
عبد الرحمن بن يحيى اليماني ، دائرة المعارف المشانقة ،
الهند ، الطبعة الاولى ١٣٦٢ هـ .
- * تأويل مشكل القرآن : لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، شرح
وتحقيق الاستاذ السيد احمد صقر ، دار التراث ، القاهرة
الطبعة الثانية : ١٣٩٣ هـ ١٩٧٣ م .

- * التبصرة والتذكرة : لأبي محمد عبد الله بن علي بن اسحاق الصيمري
بتحقيق الدكتور فتحي احمد مصطفى علي الدين، مركز البحث
العلمي و احياء التراث الاسلامي جامعة أم القرى مكة المكرمة
ط الاولى ١٤٠٢ هـ ١٩٨٢ م .
- * التبيان في أقسام القرآن : لشمس الدين محمد بن أبي بكر المعروف بابن
قيم الجوزية بتصحيح وتحليق طه يوسف شاهين ، دار الطباعة
المحدية ، القاهرة (بدون تاريخ) .
- * تبين الحقائق شرح كثر الدقائق ، لفخر الدين عثمان بن علي الزيلعي الحنفي
دار المعرفة ، بيروت ، الطبعة الثانية مصورة عن طبعة بولاق ،
سنة ١٣١٣ هـ .
- * تذكرة الحفاظ : لأبي عبد الله شمس الدين الذهبي دائرة المعارف
العثمانية ، الهند ط الرابعة ١٣٩٠ - ١٩٧٠ م .
- * تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد ، لابن مالك وهو أبو عبد الله جمال الدين
محمد بن مالك بتحقيق محمد كامل بركات ، وزارة الثقافة
بمصر ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ط الاولى
١٣٨٧ - ١٩٦٧ م .
- * التعبير الفني في القرآن : د : بكرى شيخ أمين ، دار الشروق ، ط :
الثانية ١٣٩٦ هـ ١٩٧٦ م .
- * التفسيرات : لعلي بن محمد الشريف الجرجاني مكتبة لبنان ، بيروت
ط الاولى ١٩٦٩ م .
- * تعليق الفوائد على تسهيل الفوائد (مخطوط) لهدر الدين محمد بن أبي
بكر بن عمر المخزومي الدماميني ، مركز البحث العلمي و احياء
التراث الاسلامي رقم (٣٧) جامعة أم القرى ، مصور عن
المكتبة الازهرية رقم ١٠٥٧ .
- * التفسير البياني للقرآن الكريم : للدكتورة عائشة عبد الرحمن " بنت الشاطي "
دار المعارف بمصر ط الثالثة : ١٣٨٧ هـ ١٩٦٨ م .
- * تفسير التبيان : لأبي جعفر محمد بن الحسن بن علي بن الحسن الطوسي
مكتبة الأمين ، النجف الاشرف سنة ١٣٧٦ هـ .

- * تفسير الجلايين : للامام جلال الدين محمد بن احمد المحلى ، وجمال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي مكتبة الملاح دمشق ١٣٨٩ - - ١٩٦٩ م .
- * تفسير غريب القرآن : لأبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة ، بتحقيق الاستاذ السيد احمد صقر ، دار احياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاه ، الطبعة الاولى ١٣٧٨ هـ - ١٩٥٨ م .
- * تفسير القرآن العظيم : لعبد الدين أبي الفداء اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي طبع دار احياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاه .
- * تفسير القرآن الكريم (جزء عم) لعبد عده ، مطبعة مجلة المنار بالقاهرة ، ط الثانية : ١٣٢٩ هـ .
- * التفسير الكبير : للامام الفخر الرازي أبو عبد الله محمد بن عيسى بن حسين القرشي الطبرستاني ، دار الكتب العلمية ، طهران ، الطبعة الثانية ، طبع بالتصوير عن طبعة المطبعة البهية المصرية سنة ١٣٠٢ هـ
- * تفسير المنار (القرآن العظيم) للسيد محمد رشيد رضا ، مطبعة دار المنار الطبعة الثالثة ١٣٦٧ هـ القاهرة .
- * تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان (مخطوط غير كامل) للامام : عبد الحميد الفراهي : الدائرة الحميدية ومكتبتها ، سرائير الهند .
- * تقريب التهذيب : لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف ، دار المعرفة ، بيروت ط الثانية ١٣٩٥ هـ ١٩٧٥ م .
- * التكميل في أصول التأويل : لعبد الحميد الفراهي ، الدائرة الحميدية ومكتبتها سرائير ، الهند ط الاولى : ١٣٨٨ هـ .
- * تناسق الدرر في تناسب السور : للحافظ جلال الدين السيوطي ، دراسة وتحقيق عبد القادر احمد عطا ، دار الاعتصام القاهرة ، الطبعة الاولى ١٣٩٦ هـ ١٩٧٦ م .
- * تهذيب الالفاظ ، لأبي يوسف يعقوب بن اسحاق السكيت ، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين ، بيروت ، ط الاولى ١٨٩٥ م .

* تهذيب اللغة ، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهرى ، بتحقيق عبدالسلام
محمد هارون ، الدار المصرية للطباعة والنشر ، ط الأولى
١٣٨٤ هـ ١٩٦٤ م .

* التيسير في القراءات السبع لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني ، عن تصحيحه
أوتو رتزل استانبول ، مطبعة الدولة لجمعية المستشرقين
الألمانية الطبعة الأولى ١٩٣٠ م .

* * *

(ث)

* ثلاث رسائل في اعجاز القرآن : للرهاني والخطابي وعهد القاهر الجرجاني
بتحقيق محمد خلف الله ، ود / محمد زفلول سلام دار المعارف
ببصر ، الطبعة الثانية : ١٣٨٢ هـ ١٩٦٨ م .

* * *

(ج)

* جامع الأصول في أحاديث الرسول ، لأبي السعادات الهارك بن محمد بن
الاثير الجزري بتحقيق وتخرىج الاحاديث عهد القادر الأرنؤوط
مكتبة الحلواني ومطبعة الملاح ط الأولى ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م

* جامع البيان في تفسير القرآن : لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، دار المرفة
بيروت ، (أ) الطبعة الثانية ١٣٩٢ هـ ١٩٧٢) . نسخة
صورة عن طبعة بولاق الأولى ١٣٦٣ هـ .
(ب) بتحقيق محمود محمد شاكِر ، دار المعارف ببصر الطبعة
الثانية : ١٩٦٩ م .

* الجامع الصحيح (سنن الترمذى) لأبي عمى بن سورة ، الجزئين الأول والثاني :
بتحقيق وشرح : أحمد محمد شاكِر ،
الثالث : بتحقيق محمد فؤاد عهد الباقي .
الرابع والخامس : بتحقيق ابراهيم عطوه عوض ، مطبعة مصطفى البابي
الحلبي وأولاده ببصر ١٣٥٦ هـ - ١٣٩٥ هـ
١٩٣٧ م - ١٩٧٥ م

- * الجامع لاحكام القرآن : لابي عبد الله محمد بن احمد الانصارى القوطي
دار القلم ، الطبعة الثالثة عن طبعة دار الكتب المصرية ،
١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م .
- * الجرح وللتعديل : لابي محمد عبد الرحمن بن ابي حاتم محمد بن ادريس
ابن المنذر التميمي الحنظلي الرازي ، مطبعة دائرة المعارف
العثمانية ، الهند ، الطبعة الاولى ١٣٧١ هـ ١٩٥٢ م .
- * جبهة أشعار العرب : لابي زيد محمد بن ابي الخطاب القرشي ، دار
صادر ، دار بيروت ١٣٨٣ هـ ١٩٦٣ م .
- * جبهة اللغاة : لابن دريد هو أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد
الازدي البصري ، دائرة المعارف العثمانية ، الهند ،
ط الاولى ١٣٥١ هـ .
- * جبهة الامثال : لابي هلال العسكري ، بتحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم
المؤسسة العربية الحديثة ، القاهرة ط الاولى ١٣٨٤ هـ ١٩٦٤ م .
- * الجنى الداني في حروف المعاني ، صفة الحسن بن قاسم البرادى بتحقيق
د / فخر الدين قباده ومحمد نديم فاضل ، المكتبة المريسية
بحلب ط الاولى ١٣٩٣ هـ .
- * * *
- (ح)
- * الحجة في القراءات السبع ، لابي عبد الله الحسين بن احمد بن خالصة
ابن حمدان تحقيق وشرح الدكتور عبد المال سالم مكرم ، دار
الشروق بيروت والقاهرة ، الطبعة الثانية ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م .
- * حجة القراءات لابي زرقعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة ، بتحقيق سميد
الافغانى مؤسسة الرسالة بيروت ، الطبعة الثانية ١٣٩٩ - ١٩٧٩ م .
- * حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ، لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي
بتحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار احياء الكتب المريسية
ط الاولى ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م .

(خ)

- *
* خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، لعبد القادر بن عمرا الجفادي
دار صادر و دار الثقافة ، بيروت (بدون تاريخ) .
- *
* الخصائص ، لأبي الفتح عثمان بن جني ، بتحقيق محمد علي النجاشي
دار الهدى للطباعة والنشر ، بيروت ، ط الثانية
١٣٧٢ هـ - ١٩٥٢ م .
- *
* الخواطر السوانح في كشف أسرار الفواتح لابن أبي الاصمعيث المصيري
بتحقيق د / حفي محمد شرف مطبعة الرسالة ، ط الاولى
١٣٨٠ هـ - ١٩٦٠ م .
- * * *
- (د)
- *
* دراسات في الادوات النحوية ، للدكتور مصطفى النحاس ، شركة الريمان
للنشر والتوزيع ، الكويت ط الاولى ١٣٩٩ هـ .
- *
* دراسات لاسلوب القرآن الكريم (ثلاثة أجزاء) للشيخ محمد عبد الخالق
عضيمة مطبعة السمادة ، القاهرة الطبعة الاولى ١٣٩٢-١٩٧٢ م
- *
* الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر
السيوطي ، الناشر محمد أمين دمج ، بيروت الطبعة الاولى
١٣١٤ هـ .
- *
* الدعوة الاسلامية أصولها ووسائلها : (القسم وسيلة للدعوة) د / احمد احمد
غلو ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ط الاولى ١٣٩٩-١٩٧٨ م
- *
* دفع ايها المضطرب عن آيات الكتاب لحمد الامين الجكي الشنقيطي
مطبوع مع أضواء البيان الجزء التاسع الطبعة الثانية ١٤٠٠-١٩٨٠ م
- *
* دلائل النظام ، لعبد الحميد الفراهي ، الدائرة الحميدية ومكبتها ، سرائير
الهند ، ط الاولى ١٣٨٨ هـ .
- *
* ديوان أبي تمام : (بشرح الخطيب التبريزي) بتحقيق محمد عبد عزام ، دار
المعارف ، ط الاولى ١٩٦٤ م .
- *
* ديوان الأعمش ، دار صادر بيروت ، ١٩٦٦ م .

- * ديوان امرى القيس ، دار بيروت ، دار صادر ط الاولى ١٣٧٧ - ١٩٥٨ م
- * ديوان اوس بن حجر بتحقيق شرح د / محمد يوسف نجم ، دار صادر بيروت ، ط الثالثة ١٣٩٩ - ١٩٧٩ م .
- * ديوان جميل بئينة ، دار صادر بيروت ، ط الاولى ١٣٨٦ - ١٩٦٦ م .
- * ديوان الحطيئة ، دار صادر بيروت ، ط الاولى ١٣٨٧ - ١٩٦٧ م .
- * ديوان الحماسة (مع مختصر شرح التهريزي) لابي تمام حبيب بن اوس الطائي
مكتبة مطبعة محمد علي صبيح وأولاده بصرط الاولى
١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م .
- * ديوان زهير بن ابي سلمى :
- (أ) دار صادر ، دار بيروت ط الاولى ١٣٨٤ هـ ١٩٦٤ م
(ب) الدار القومية ، القاهرة ط الاولى ١٣٨٤ هـ .
- * ديوان الشماخ بن ضرار الذبياني بتحقيق صلاح الدين الهادي ، دار المعارف بصرط ، ط الاولى ١٣٨٨ هـ ١٩٦٨ م .
- * ديوان طرفة بن المهدي ، دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ١٣٩٩ هـ
١٩٧٩ م .
- * ديوان عميد بن الأبرص :
- (أ) دار بيروت ، دار صادر ١٣٧٧ هـ ١٩٥٨ م .
(ب) دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .
- * ديوان عنزة بن شداد ، بتحقيق شرح عبد المنعم عبد الرؤوف شلبي
المكتبة التجارية ، القاهرة .
- * ديوان لبيد بن ربيعة المامري ، دار صادر بيروت ١٣٨٦ هـ ١٩٦٦ م .
- * ديوان المتلمس الضحمي ، رواية الاثرم وأبي عميدة عن الأصمعي بتحقيق
حسن كامل الصيرفي ، معهد المخطوطات العربية ، جامعة
الدول العربية ، ط الاولى : ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م .
- * ديوان المثقب العبدى بتحقيق حسن كامل الصيرفي ، معهد المخطوطات
الصربية ، ط الاولى : ١٣٩١ هـ ١٩٨١ م .

* ديوان النابغة الذبياني : *

(أ) ضعة ابن السكيت (أبو يوسف يعقوب بن اسحاق)

بتحقيق شكرى فيصل ، دار الفكر ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م .

(ب) بتحقيق فوزى عطوى ، الشركة اللبنانية للكتاب . ط ،

الاولى ١٩٦٩ م .

(ج) جمع وشرح محمد الطاهر بن عاشور الشركة التونسية

للتوزيع ١٩٧٦ م .

* ديوان الهذليين ، بتصحيح أحمد الزين ، دار القومية للطباعة والنشر

القاهرة ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م .

(ذ)

* ذيل الامالي والنوادر ، لابني على اسماعيل بن القاسم القالي الهخداى

دار الفكر بيروت .

(ر)

* رصف المعاني في شرح حروف المعاني ، لآحمد بن عبد النور المالقسي

بتحقيق احمد محمد الخراط ، مطبوعات مجمع اللغة العربية

بدمشق ط الاولى ١٣٩٥ هـ ١٩٧٥ م .

* روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، لابني الفضل شهاب

الدين السيد محمود الاكوسي ، ادارة الطباعة المنيرية

دار احياء التراث العربي ، بيروت .

(س)

* السبعة في القراءات ، لابن مجاهد : هو أبو بكر احمد بن موسى بن

العباس بن مجاهد التميمي الهخداى ، تحقيق الدكتور

شقي ضيف ، دار المعارف بمصر ، الطبعة الثانية ١٤٠٠ هـ .

* سر صناعة الاعراب ، صنعه أبي الفتح عثمان بن جني النحوى ، ادارة

احياء التراث القديم ، مكتبة ومطبعة مصطفى الهلبى الحلبي

وأولاده ط الاولى ١٣٧٤ - ١٩٥٤ م .

- * سمط اللآلى ، لأبى عىد البكرى الأونسى ، بآآقق عىد العزىز
المىمنى ، مطبعة لآنة الآلىف والآرآمة والنشر ، ط الأولى
١٣٥٤هـ - ١٩٣٦م .
- * سنن ابن مآآة لأبى عىد الله مآمد بن ىزىد القزونى ابن مآآة
بآآقق وآرقىم ، مآمد فؤآد عىد الهآقى ءآرآحىآ
الآب المرىبة ، عىس البآبى الهآبى وشركآة ط الأولى
١٣٧٢هـ - ١٩٥٢م .
- * سنن أبى ءآو؁ ، لأبى ءآو؁ سلوىمن بن الأشمآ بن إسآآق الأز؁ى
السآسآنى ، مكآة ومطبعة مصطفى البآبى الهآبى وآولآه
ببصر ، ط الأولى : ١٣٧٢هـ ١٩٥٢م .
- * السنن الكبرى ، لأبى بكر آآء بن آلسىن بن على البهبهى ، ءآورة
المعارف النظمىة ، الهىن؁ ط الأولى ١٣٤٤هـ .
- * سنن النسآى المآآبى ، لأبى عىد الرآمن بن شعىب النسآى ، مكآة ومطبعة
مصطفى البآبى الهآبى وآولآه ببصر ، الطبعة الأولى
١٣٨٣هـ ١٩٦٤م .
- * السىرة النبوة ، لأبى مآمد عىد الملك بن هشآم ، بآآقق مآمد مآى الءىن
عىد آلوى؁ ءآرآلآكرط الأولى ، ١٣٥٦هـ - ١٩٣٧م .
- * * *
- (ش)
- * شآعرات العرب ، آمع وآآقق عىد البءىع صقر ، المكآب الإسلامى ، ط
الأولى ١٣٨٧ - ١٩٦٧م .
- * شرح أشآار الهذلىىن ، صنعآة أبى سعىء آلسن بن آلسىن السكرى
بآآقق عىد السآرآآء فرآآ ، مكآة ءآرآلآكرط ، القآهرة
ط الأولى ١٣٨٤هـ ١٩٦٥م .
- * شرح آمل الزآآبى (الشرح الكبرى) لابن عصفور الأشبىلى ، بآآقق
ء / صآآب أبوجنآآ ، آآىآآآلآرآ الإسلامى ، وزارة
الأوقآف والشئون الءىنىة ، آآمهورىة العرآقىة ط الأولى
١٤٠٠هـ ١٩٨٠م .

- * شرح ديوان الحماسة ، لأبي علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقسي
نشره أحمد أمين وعبد السلام هارون ، مطبعة لجنة التأليف
والترجمة والنشر ، القاهرة ط الثانية : ١٣٨٢ هـ ١٩٦٢ م .
- * شرح ديوان زهير بن أبي سلمى :
(أ) للأعلم الشنتمرى ، بتحقيق د / فخر الدين قباوة دارالقلم
العربي ، بحلب ط الثانية ١٣٩٣ هـ ١٩٧٣ م .
(ب) صنعة الامام أبي المباس أحمد بن يحيى بن زيـ
الشيواني ثعلب ، دار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة
(نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب ١٣٦٣ هـ - ١٩٤٤ م)
- * شرح ديوان طرفسة ، للأعلم الشنتمرى ، مطبوعات مجمع اللغة العربية
بدمشق ط الاولى ١٣٩٥ هـ ١٩٧٥ م .
- * شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري ، بتحقيق د / احسان عباس ، وزارة
الارشاد والانتهاء ، الكويت ط الاولى ١٩٦٢ م .
- * شرح شواهد المفنى ، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي
لجنة التراث العربي ، دار النهضة العربية ، دمشق ،
ط الاولى ١٣٨٦ هـ ١٩٦٦ م .
- * شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات لابي بكر محمد بن القاسم الانباري
بتحقيق عبد السلام هارون ، دار المعارف بمصر ط الثانية
١٩٦٩ م .
- * شرح الكافية ، لمحمد بن حسن الرضي الاسترآبادي ، دار الكتب العلمية
بيروت ، ط الثانية ١٣٩٩ هـ ١٩٧٩ م .
- * شرح الكافية الشافية ، لجمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك الطائسي
الجياني بتحقيق د / عبد المنعم احمد هريدي ، منشورات
مركز البحث العلمي وحياء التراث الاسلامي جامعة أم القرى
مكة المكرمة ، ط الاولى ١٤٠٢ هـ ١٩٨٢ م .
- * شرح المنصل ، لموفق الدين يعيش بن علي بن يعيش النحوى ، عالم
الكتب ، بيروت (بدون تاريخ الطبع) .

- * شرح النووى لصحيح مسلم ، لأبي زكريا محي الدين يحيى بن شرف النووى
دار احياء التراث العربى ، بيروت ط الاولى : ١٣٤٧ هـ ١٩٢٩ م
- * الشعر والشعراء : لابن قتيبة ، بتحقيق احمد محمد شاکر ، دار المعارف
بصر ، ط الثانية ١٩٦٦ م .

* * *

(ص)

- * الصحابي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها ، لأبي الحسين احمد بن
فارس ، بتحقيق مصطفى الشومى ، المكتبة اللغوية العربية ،
مؤسسة بدران للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٣٨٢ هـ — ١٩٦٣
- * صحب الأئشى في صناعة الانشاء ، لأبي العباس احمد بن على القلقشندى ،
المؤسسة المصرية للطباعة والنشر ١٣٨٣ هـ — ١٩٦٣ م .
- * الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، لاسماعيل بن حماد الجوهري ،
بتحقيق احمد عهد الشفور عطار (بدون ذكر المطبعة) ط
الثالثة : ١٤٠٢ هـ — ١٩٨٢ م .
- * صحيح البخارى : لأبي عهد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة
ابن بزدة مؤسسة البخارى الجعفي ، مطابع الشعب ، القاهرة ١٣٧٨
- * صحيح مسلم ، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابورى ،
بتحقيق وتصحيح محمد فواد عبد الباقي ، دار احياء الكتب
العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاه ، ط الاولى
١٣٧٤ هـ — ١٩٥٥ م .
- * الصحيح المسند من أسباب النزول لمقبل بن هادى الوادعي ، مكتبة
المعارف ، الرياض ، الطبعة الاولى ١٤٠٠ هـ — ١٩٧٩ م .

* * *

(ض)

- * ضميم الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير) بتحقيق محمد ناصر الدين
الألباني ، المكتب الاسلامي ، بيروت ط : الثانية ، ١٣٩٩ هـ
١٩٧٩ م .

* * *

(ط)

- * الطبقات الكبرى ، لمحمد بن سعد ، دار صادر ، دار بيروت ١٣٨٠-١٩٦٠
* طبقات المفسرين ، لمحمد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، بتحقيق علي
محمد عمر ، مكتبة وهبة ، القاهرة ١٣٩٦ هـ ١٩٧٦ م .

* * *

(ظ)

- * الظاهرة القرآنية ، لمالك بن نسي ، ترجمة عبد الصبور شاهين ، دار
الفكر دمشق ، ١٤٠٠ هـ ١٩٨٠ م .

* * *

(غ)

- * غاية النهاية في طبقات القراء ، لشمس الدين أبي الخير محمد بن محمد بن
الجزري ، عنى بنشره ج . برجستراسر ، مكتبة الخانجي مصر
الطبعة الاولى : ١٣٥١ هـ ١٩٣٢ م .

* * *

(ف)

- * الفائق في غريب الحديث ، لجار الله محمود بن عمر الزبخشري ، تحقيق
علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل ابراهيم ، عيسى البابي
الحلبي وشركاه ، الطبعة الثانية : ١٩٧١ م .
- * فاتحة تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان : لمحمد الحميد الفراهسي
مطبعة الاصلاح ، سرائير ، الهند ط الاولى ١٣٥٧ هـ .
- * الفاضل لأبي المباس محمد بن يزيد المبرد ، بتحقيق عبد العزيز اليميني ،
مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ط الاولى ١٣٧٥ هـ ١٩٥٦ م .
- * فتح الباري بشرح البخاري ، لشهاب الدين أبي الفضل الممقلاني المعروف
بابن حجر ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر
١٣٧٨ هـ - ١٩٥٩ م .
- * فتح البيان في مقاصد القرآن لصديق حسن خان ، مطبعة العاصمة ، القاهرة
الطبعة الاولى : ١٩٦٥ م .

- * فتح القدير الجامعين في الرواية والدراية في علم التفسير ، لمحمد بن
على بن محمد الشوكاني ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي
وأولاده بمصر ، الطبعة الثانية : ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٤ م .
- * الفتوحات الالهية بتوضيح تفسير الجلايين للدقائق الخفية ، لسليمان بن
عمر الصجيلي الشافعي الشهير بالجمل مطبعة عمى البابي
الحلبي وشركاه بمصر .
- * الفروق ، لشهاب الدين أبي العباس الصنهاجي المشهور بالقرافي
دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت (بدون تاريخ الطبع) .
- * فقه السنة ، للسيد سابق ، دار الكتاب العربي ، بيروت ط الاولى
١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م .
- * فوائد في مشكل القرآن ، لعزالدين عبد العزيز بن عبد السلام بتحقيق
الدكتور سيد رضوان على الندوى نشرته وزارة الاوقاف والشئون
الاسلامية بالكويت ، ط الاولى : ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٢ م .
- * في ظلال القرآن : للسيد قطب ، دار الشروق ، بيروت والقاهرة ، الطبعة
الثامنة ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .
- * * *
- (ق)
- * القائد الى عيون المقائد ، للامام عبد الحميد الفراهي ، الدائرة الحديدية
ومكتبتها ، سرائير ، الهند ط الاولى ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م
- * القاموس المحيط ، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ، مكتبة ومطبعة
مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، ط الاولى ١٣٢١ هـ
١٩٥٢ م .
- * القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية ، د / عبد المال سالم مكرم
الكويت ط الثانية : ١٩٧٨ م .
- * القطع والائتناف ، لأبي جعفر أحمد بن محمد بن اسماعيل النحاس ، وزارة
الاوقاف والشئون الدينية ، الجمهورية العراقية ، ط الاولى
١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م .

(ل)

- * اللاكلى الكمينه في شرح الدرّة الثمينه لمحمد الطيب بن اسحاق الانصارى
مطبعة المدني ، القاهرة ط الاولى ١٣٨١هـ - ١٩٦٢م .
- * اللامات لابن فارس ، نشر في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق المجلد
الثامن والاربعين ، الجزء الرابع ، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٣م
- * اللامات : لابي الحسن على بن محمد الهرورى النحوى ، تحقيق يحيى
علوان البلداوى ، مكتبة الفلاح ، الكويت الطبعة الاولى
١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م .
- * اللامات : لابي القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزجاجي بتحقيق الدكتور
مازن المبارك ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق
ط الاولى ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م .
- * لباب النقول في أسباب النزول لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر
السيوطي ، دار احياء الملم ، بيروت ، الطبعة الاولى
١٩٧٨م .
- * لسان العرب ، لابي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الافريقي
المصرى ، دار صادر ، دار بيروت ، ط الثانية ١٣٨٨ -
١٩٦٨م .
- * اللسخ في العربية ، لابي الفتح عثمان بن جني المصلي بتحقيق فائز
فارس ، دار الكتب الثقافية ، الكويت ط الاولى ١٣٩٢-١٩٧٢

* * *

(م)

- * مهاجث في علم القرآن : للدكتور صبحي صالح ، دار الملم للملايين ،
بيروت ، الطبعة الثامنة ١٩٧٤م .
- * مهاجث في علم القرآن : للشيخ مناع القطان ، مؤسسة الرسالة ، بيروت
الطبعة الرابعة ، ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م .
- * متخير الالفاظ لاحمد بن فارس ، بتحقيق هلال ناجي ، مطبعة المعارف ،
ط الاولى ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م .

- * متن الأُرسامين النووية في الاحاديث الصحيحة النبوية ، ليحيى بن شرف
الدين النووي ، المكتبة الاهلية ، الرياض ط الثانية ١٣٩٨ هـ
٠ م ١٩٧٨
- * مجاز القرآن : لأبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي ، تحقيق الدكتور محمد
فؤاد سرزكين ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، الطبعة الثانية
٠ م ١٩٧٠ هـ ١٣٩٠
- * مجمع البيان في تفسير القرآن ، لأبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي
دار مكتبة الحياة ، بيروت الطبعة الاولى ١٣٨٠ هـ - ١٩٦١ م
- * مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، لنور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي ، دار
الكتاب ، بيروت ، ط الثانية : ١٩٦٧ م
- * مجموعة تفسير شيخ الاسلام ابن تيمية ، ناشر عبد الصمد شرف الدين ، الهند
، بوهاي ط الاولى ١٣٨٤ هـ - ١٩٥٤ م
- * مجموعة الرسائل الكبرى (الرسائل والمسائل) : لأبي العباس احمد بن عبد الحليم
ابن عبد السلام ابن تيمية الحراني ، مكتبة ومطبعة محمد
علي صبيح وأولاده القاهرة ط الاولى ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م
- * مجموعة فتاوى شيخ الاسلام احمد بن تيمية ، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد
ابن قاسم وابنه محمد ، مطبعة الرياض ط الاولى ١٣٨١ - ١٣٨٧ هـ
- * محاسن التأويل الشهير بتفسير القاسمي : لمحمد جمال الدين القاسمي
بتصحیح محمد فؤاد عد الباقي ، دار احياء الكتب العربية
عمى اليابس الحلبي وشركاه ، القاهرة الطبعة الاولى
٠ م ١٩٥٧ هـ ١٣٧٦
- * المحتسب في تبیین وجوه شواذ القراءات والایضاح عنها : لأبي الفتح عثمان
ابن جني ، بتحقيق علي النجدي ناصف ، والدكتور عبد الحليم
نجار والدكتور محمد الفتاح اسماعيل شلبي ، المجلس
الاعلى للشئون الاسلامية ، لجنة احياء التراث الاسلامي
الطبعة الاولى : ١٣٨٦ هـ

- * المحكم والمحيط الاكبر في اللغة : لعلى بن اسماعيل بن سيدة بتحقيق مصطفى السقا ، والدكتور حسين نصار مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ط الاولى ١٣٧٧-١٩٥٨
- * مختصر سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، للشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب المطبعة السلفية ومكبتها ، القاهرة ، الطبعة الرابعة : ١٣٩٩ هـ .
- * مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع لابن عبد الله الحسين بن احمد ابن خالوه ، عنى بنشره ج . برجستراسر ، المطبعة الرحمانية بمصر ، لجمعية المستشرقين الالمانية ، الطبعة الاولى : ١٩٣٤ م .
- * المخصص : لأبي الحسن على بن اسماعيل الأندلسي المعروف بابن سيدة المكتب التجارى للطباعة والنشر ، بيروت (بدون تاريخ الطبع)
- * مدارك التنزيل وحقائق التأويل : الشهير بتفسير النسفي ، لأبي البركات عبد الله بن احمد بن محمود النسفي ، دار احياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاه .
- * المدخل لدراسة القرآن الكريم ، للدكتور محمد محمد أبوشهبة (بدون ذكر المطبعة) ط الثانية ١٩٧٣ م القاهرة .
- * المدهش ، لأبي الفرج جمال الدين بن على بن محمد بن جعفر الجوزى ، دار الجيل ، بيروت ١٩٧٣ م .
- * مذكرات القرآن (مخطوط) لمبد الحميد الفراهي ، الدائرة الحميدية ومكبتها سرائير ، الهند .
- * المزهرفي علم اللغة وأنواعها : لمبد الرحمن جلال الدين السيوطي بتصحيح وتعليق محمد احمد جاد المولى وعلى محمد البجاوى ومحمد أبو الفضل ابراهيم ، دار احياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه (بدون تاريخ الطبع) .

- * مسائل الرازي وأجوتها من غرائب آي التنزيل؛ لمحمد بن أبي بكر بن
عبد القادر الرازي ، بتحقيق إبراهيم عطوه عوض ، مكتبة
ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ط الأولى
١٣٨١ هـ - ١٩٦١ م .
- * المساعد على تسهيل الفوائد لبهاء الدين بن عقيل ، بتحقيق د / محمد
كامل بركات ، مركز البحث العلمي وأحياء التراث الاسلامي
جامعة أم القرى بمكة المكرمة ط الأولى (١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م)
(دار الفكر بدمشق) .
- * مسند الامام احمد بن حنبل : المكتب الاسلامي ، دار صادر بيروت .
- * مشكل اعراب القرآن : لمكي بن أبي طالب القيسي :
(أ) تحقيق ياسين محمد السواس ، مطبوعات مجمع اللغة
العربية بدمشق ، الطبعة الاولى ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م .
(ب) دراسة وتحقيق حاتم صالح الضامن منشورات وزارة الاعلام
في الجمهورية العراقية : ١٩٧٥ م .
- * معاني الحروف : لأبي الحسن علي بن عيسى الرهاني النحوي : بتحقيق
الدكتور عبد الفتاح اسماعيل شلبي دار الشروق جدة ،
ط الثانية : ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م .
- * المعاني في ضوء أساليب القرآن : د / عبد الفتاح لاشين دار المعارف
القاهرة ، ط الثانية : ١٩٧٧ م .
- * معاني القرآن : لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء ، عالم الكتب ، بيروت ،
الطبعة الثانية : ١٩٨٠ م .
- * معاني القرآن : للأخفش الأوسط وهو الامام أبو الحسن سعيد بن مسعدة
المجاشعي البلخي البصري ، تحقيق الدكتور فائز فارس ،
ص ب : ٢٠٠٢ الصفاة - الكويت ، الطبعة الثانية ١٤٠١ هـ
١٩٨١ م .
- * معجم الأدباء ، لياقوت الحموي ، مطبوعات دار المأمون ، القاهرة .

- * معجم البلدان : لشهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي
الرومي ، البغدادي ، دار صادر ، بيروت ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م
- * معجم الضمراء : لأبي عبيد الله محمد بن عمران المرزباني، وضعه المؤلف
والمختلف : لأبي القاسم الحسن بن بشر الأمدى بتصحيح
د / ف - كوزكو ، مكتبة القدسي ، ودار الكتب العلمية
بيروت ط / الثانية ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م .
- * معجم غريب القرآن مستخرجا من صحيح البخاري وضعه : محمد فؤاد
عبد الباقي ، دار احياء الكتب العربية ، عمى البابي
الخليبي وشركاه ، ط الاولى ١٩٥٠م .
- * معجم مفردات ألفاظ القرآن للراغب الاصفهاني هو أبو القاسم الحسين بن
محمد بن الفضل بتحقيق نديم مرعشلي ، دار الكتاب العربي
بيروت ، ط الاولى ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م .
- * معجم مقاييس اللغة : لأبي الحسين احمد بن فارس بن زكريا بتحقيق
عبد السلام محمد هارون ، مكتبة ومطبعة مصلى البابي الحلبي
وأولاده بمصر ط الثانية : ١٣٨٩ - ١٩٦٩م .
- * المعنى لأبي محمد عبد الله بن احمد بن محمد بن قدامة وليه
الشرح الكبير لأبي الفرج عبد الرحمن ابن محمد بن احمد بن
قدامة المقدسي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ١٣٩٢هـ -
١٩٧٢م .
- * معنى اللبيب عن كتب الأعراب لأبي محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف
ابن احمد بن عبد الله بن هشام :
(أ) بتحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، مطبعة المدني
القاهرة .
(ب) بتحقيق الدكتور مازن المبارك ، محمد علي حمد الله
دار الفكر ، ط الثانية : ١٩٦٩م .
- * مفردات القرآن : لميد الحميد الفراهي : مطبعة الاصلاح سرائيهر
الهند ، ط الاولى ١٣٥٨هـ .

- * المنصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، للدكتور جواد علي ، دار العلم
للملايين ، بيروت ، ط الثانية ١٩٧٦ م .
- * المنصل في علم العربية : لجار الله محمود بن عمر الزمخشري ، دار الجيل
بيروت ، ط الثانية ،
- * المفضليات : بتحقيق وشرح احمد محمد شاكر وهدد السلام محمد هارون
دار المعارف بمصر ، ط الرابعة : ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٤ م .
- * المقتضب ، لأبي العباس محمد بن يزيد الهمداني ، بتحقيق محمد
عبد الخالق عزيمة ، المجلس الاعلى للشئون الاسلامية لجنة
احياء التراث الاسلامي ، القاهرة ط الاولى ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٣
- * مقدمة في أصول التفسير : لتقى الدين احمد بن عبد الحلیم بن تيمية بتحقيق
الدكتور عدنان زوزور ، دار القرآن الكريم بيروت ط الثالثة :
١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .
- * المقرب ، لحلى بن مؤمن المعروف بابن عصفور بتحقيق احمد عبد الستار
الجواری وهدد الله الجورى ، مطبعة الماني بغداد ،
ط الاولى ١٣٩١ هـ ١٩٧١ م .
- * المقصد لتلخيص ما في المرشد في الوقف والابتداء في علم القراء ، لأبي
يحيى زكريا الانصاري بتصحيح محمد السالطوني ، المطبعة
الكاستلية بمصر الطبعة الاولى : ١٢٩١ هـ .
- * ملكوت الله : لمبد الحميد الفراهي ، الدائرة الحميدية ومكبتها ، سرائير
الهند ، ط الاولى ١٣٩٥ - ١٩٧٥ م .
- * منار الهدى في بيان الوقف والابتداء : لاحمد بن محمد بن عبد الكريم الأشموني
مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر الطبعة
الاولى : ١٣٥٣ هـ - ١٩٣٤ م .
- * من بلاغة القرآن : لاحمد احمد بدوى ، دار نهضة مصر ، القاهرة .
- * الموافقات في أصول الشريعة : لأبي اسحاق الشاطبي وهو ابراهيم بن موسى
اللخمي الفرناطي المالكي بتحقيق عبد الله دراز ، دار المعرفة للطباعة
والنشر ، بيروت .

- * موجز البيان في مباحث القرآن لكمال الدين الطائسي ، مطبعة سلمان الاعظمي ، بغداد ، ط الاولى : ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م .
- * موسوعة الشعر العربي (الشعر الجاهلي) : اختيار وشرح مطاوع صفدي وأيليا حاوي . شركة خياط للكتب والنشر بيروت ، ط الاولى ١٩٧٤ م .
- * النشر في القراءات المشرفة ، لأبي الخير محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري بتصحيح ومراجعة الشيخ علي محمد الضباع ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
- * نقض مطاعن في القرآن الكريم ، (تنفيذ ما ألقاه د / طه حسين على طلبته كلية الآداب في الجامعة المصرية) بقلم : محمد احمد عرفه ، مطبعة المنار بمصر ، ط الاولى ١٣٥١ هـ .
- * نوادر الأصول في معرفة أحاديث الرسول لأبي عبد الله محمد بن علي الحكيم الترمذي ، المكتبة العلمية ، المدينة المنورة (بدون تاريخ) .
- * النهاية في غريب الحديث والأثر : لمجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري وابن الاثير ، تحقيق ظاهر احمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي دار احياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه الطبعة الاولى ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣ م .
- * همع الهوامع شرح جمع الجوامع ، لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي بتحقيق الدكتور عبد المال سالم مكرم ، دار البحوث العلمية الكويت ، ط الاولى : ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .
- * وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان : لأبي العباس شمس الدين أحمد بن أبي بكر ابن خلكان ، بتحقيق د / احسان عباس ، دار صادر بيروت ، ١٣٩٨ - ١٩٧٨ م .

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
	* مقدمة
١٤ - ١	* تمهيد : تاريخ القسم وحاجة الناس اليه وطرقها لمختلفة
	الباب الاول
١٥	أركان القسم وأنواعه (وشتمل على ثلاثة فصول) :
١٥	* الفصل الاول : القسم في اللغة (وفيه ستة مباحث) :
٢٠ - ١٥	المبحث الاول : تعريف القسم لغة واصطلاحا
٢٨ - ٢٠	المبحث الثاني : الفاظ كثر استعمالها للقسم وهي اليمين * والنذر ، والألية والشهادة
٣٢ - ٢٩	المبحث الثالث : القسم بين الخير والانشاء
٣٥ - ٣٣	المبحث الرابع : الغرض من القسم
٣٦	المبحث الخامس : جملة القسم
٣٨ - ٣٧	المبحث السادس : حال القسم اذا نقله المتكلم عن غيره
٣٩	* الفصل الثاني : في أركان القسم
٣٩	المبحث الاول : في أدوات القسم (وهي الهاء والواو والتاء)
٣٩	(أ) الباء المفردة : وفيها ست مسائل :
٤١ - ٣٩	(١) الباء أصل حروف القسم
٤١	(٢) خصائص الباء
٤٣ - ٤٢	(٣) اضافة فعل القسم الى المقسم به بواسطة الباء .
٤٥ - ٤٤	(٤) تكملة للآيات التي ورد فيها لفظ الحلف والقسم
	(٥) حذف فعل القسم والاكتفاء بالباء :
٤٦	(أ) قسم متفق فيه على أنها باء القسم
٥٢ - ٤٧	(ب) وقسم مختلف في كون الباء فيه للقسم
٥٥ - ٥٢	(٦) حذف فعل القسم وأدواته
٥٦	(ب) الواو المفردة : وفيها ست مسائل :
٥٦	(١) كثرة استعمالها في القسم
٥٧	(٢) خصائص الواو والقسم
٥٧	(٣) اختلاف العلماء في الواو

الصفحة	الموضوع
٦١ - ٥٩	(٤) الواو بين المطف والقسم .
٦٣ - ٦١	(٥) واو القسم في الاستعمال القرآني .
٧٠ - ٦٤	(٦) آيات مختلف في كون الواو فيها للقسم .
	(ج) التاء المفردة :
٧٢	خصائص التاء .
٧٥ - ٧٣	التاء في الاستعمال القرآني .
٧٥	* ورود الكاف للقسم في قول بعض العلماء .
٧٦	ابطال هذا القول .
٧٧	* المبحث الثاني : المقسم في القرآن الكريم وهو على ستة أنحاء :
٧٧	الاول : أقسام صدرت من الله عز وجل ابتداءً وانشاءً .
	الثاني : أقسام علمها الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وسلم وأمره أن يقسم بها .
٧٩	الثالث : أقسام حكاهما القرآن عن الانبياء والمؤمنين .
٨٢ - ٩١	الرابع : أقسام تشريعية .
٩٣ - ٩٢	الخامس : أقسام حكاهما القرآن عن ابيليس .
١٠٥ - ٩٤	السادس : أقسام حكاهما القرآن عن المنافقين والكافرين .
١٠٧ - ١٠٦	* الترادف بين الحلف والقسم .
١٠٨	* المبحث الثالث : المقسم به في القرآن الكريم :
١١٥ - ١١٠	(١) القسم بذات الله سبحانه وتعالى .
١١٢	اختلاف العلماء حول (لا) التي تسبق القسم .
١١٦	(٢) القسم بالرسول صلى الله عليه وسلم .
١١٩ - ١١٧	(٣) القسم بالقرآن الكريم .
١٢٠	(٤) القسم بالملائكة .
١٢١	(٥) القسم بيوم القيامة .
١٢١	(٦) القسم بالآزمنة .
١٢٢	(٧) القسم بالامكنة .
١٢٥ - ١٢٢	(٨) القسم بآيات الله الدالة على عظيم خلقه وديع صنعه والناطقة بوجوده ووحدانيته .
١٤١ - ١٢٥	(٩) هل الحروف المقطعة أقسام ؟
١٤٣ - ١٤٢	(١٠) أم قسم وقع في القرآن الكريم .

المفحة	الموضوع
١٤٤	* المبحث الرابع : جملة القسم عليه في القرآن الكريم .
١٤٤ - ١٤٨	أنواع جملة جواب القسم : الجملة الفعلية .
١٤٨ - ١٥٠	الجملة الاسمية .
١٥١ - ١٥٣	الحروف التي تربط القسم بالجواب .
١٥٤	القسم عليه في القرآن الكريم .
١٥٤ - ١٥٦	(١) القسم على التوحيد .
١٥٦ - ١٥٨	(٢) القسم على صدق الرسالة واثباتها .
١٥٩ - ١٦٣	(٣) القسم على أن القرآن حق .
١٦٤ - ١٨٤	(٤) القسم على البحث والنشور والجزاء .
١٨٥ - ١٨٦	(٥) القسم على حال الانسان .
١٨٦ - ١٨٨	(٦) أقسام الله تعالى على عدم ايمان الخلق حتى يحكموا الرسول فيما شجر بينهم .
١٨٩	* الفصل الثالث : أنواع القسم
١٨٩	* المبحث الاول : القسم الصريح الظاهر .
١٩٠	القسم الصريح على ضربين : (الاول) قسم الاخبار .
١٩٠	(والثاني) : قسم السؤال أو الطلب .
١٩١	* المبحث الثاني : القسم المضمحل وهو نونان :
١٩١	(الاول) ما دل على اللام الموطئة للقسم (وهو على ثلاثة أضرب) .
١٩١ - ١٩٣	(أ) ما دل على اللام الموطئة للقسم وهي الداخلة على (إن) و (من) و (ما) الشرطية .
١٩٣ - ١٩٦	(ب) ما دل على اللام المقتربة ب (قد) .
١٩٦ - ١٩٧	(ج) ما دل على اللام المقتربة بالفعل المضارع المتصل بنون التوكيد .
١٩٧	* تتبع الآيات حسب هذه الأضرب الثلاثة .
١٩٧ - ١٩٨	* الضرب الاول : وهو ما اجتمع فيه الشرط والقسم : والجواب للقسم لتقدمه على الشرط .

الصفحة	الموضوع
١٩٩ - ٢٠١	(١) اجتماع الشرط والقسم المضمرة وجواب القسم مضارع مؤكّد باللّام والنون .
٢٠١ - ٢٠٢	(٢) اجتماع الشرط والقسم المضمرة وجواب القسم مضارع مثبت مرفوع .
٢٠٢	(٣) اجتماع الشرط والقسم المضمرة وجوابه ماضٍ مثبت مقرون باللّام .
٢٠٣	(٤) اجتماع الشرط والقسم المضمرة وجوابه مضارع منفي بـ (ما) و (ان) .
٢٠٤	(٥) اجتماع الشرط والقسم المضمرة وجوابه مضارع منفي بـ (لا) .
٢٠٥	(٦) اجتماع الشرط والقسم المضمرة وجوابه جملة اسمية مثبتة مصدرية باللّام .
٢٠٥ - ٢٠٧	(٧) اجتماع الشرط والقسم المضمرة وجوابه اجملة اسمية مثبتة مصدرية بـ (ان) .
٢٠٦ - ٢٠٧	* دخول اللّام الموطّئة للقسم على الشرط ليس واجباً
٢٠٨	(٨) اجتماع الشرط والقسم وجوابه جملة اسمية منفية بـ (ما) .
٢٠٨ - ٢١٠	(٩) اجتماع الشرط الامتناعي والقسم المضمرة والجواب للقسم المضمرة .
٢١٠ - ٢١٨	(١٠) دخول اللّام الموطّئة على (من) و (ما) والجواب للقسم المقدر .
٢١٨ - ٢١٩	* تصريح جملة القسم قبل الشرط وتتبع الآيات في ذلك .
٢١٩	* الضرب الثاني : (القسم المضمرة تدل عليه اللّام المقترنة بـ (قد) واختلاف العلماء في ذلك .
٢١٩ - ٢٢٢	* ترجيح النزخسرى أن هذه اللّام موطّئة للقسم حسبما ظهر لى من تتبع تفسيره بضمّان ذلك .
٢٢٣	* بيان الآيات التي وردت فيها (لقد) جواباً للقسم .
٢٢٣	(أولاً) الآيات التي صح فيها بالقسم مع (لقد) .
٢٢٣ - ٢٢٥	(ثانياً) الآيات التي جاءت فيها (لقد) دون تصريح بقسم مسبق فوّقت جواباً لقسم مضمرة .

الصفحة	الموضوع
٢٢٢ - ٢٢٢	* الضرب الثالث من القسم المضر : ما دل عليه اللام المقترنة بالفعل المضارع المتصل بنون التوكيد
٢٢٢ - ٢٢٢	تتبع الآيات في ذلك .
٢٤٨	* النوع الثاني من القسم المضر : الفاظ جرت في القرآن مجرى القسم . وهذه الألفاظ هي :
٢٤٨ - ٢٥٠	(١) المهد
٢٥٠	(٢) الميرون
٢٥١ - ٢٥٦	(٣) الميثاق
٢٥٦	(٤) الشهادة
٢٥٧ - ٢٥٨	(٥) ككب
٢٥٨	(٦) قضى
٢٥٩	(٧) وعد
٢٥٩ - ٢٦١	(٨) تآذن
٢٦١ - ٢٦٢	(٩) علم
٢٦٢ - ٢٦٣	(١٠) بدأ
٢٦٣	(١١) تم
٢٦٣ - ٢٦٤	(١٢) ظن
٢٦٤ - ٢٦٥	(١٣) الحق
٢٦٥	(١٤) لم يرك
٢٦٦	(١٥) بعزتك
٢٦٦ - ٢٦٨	(١٦) لا جرم
٢٦٨ - ٢٧٠	(١٧) كلا
٢٧٠ - ٢٧٦	* النوع الثالث من القسم المضر : الذي دل عليه المعنى الباب الثاني : أقسام القرآن : وشتمل على ثلاثة فصول :
٢٧٧ - ٢٧٨	الفصل الأول : ذكر الشبهات الواردة على أقسام القرآن
٢٧٨	* طرق العلماء في الجواب عن هذه الشبهات .
٢٧٨	طريق الامام الفخر الرازي .
٢٨٣ - ٢٨٧	تحجير الرازي بين عدة احتمالات في الاجابة على هذه الشبهات .
٢٨٨	* طريق العلامة ابن القيم الجوزي في تأويل اقسام القرآن لرفع الشبهات .

الصفحة	الموضوع
٢٨٩-٢٩٢	* هذه الاقسام عنده دلالات على صفات الله تعالى باستقراء ما كتبه في كتابه (التبيان) .
٢٩٢-٢٩٥	* منهج شيخه العلامة ابن تيمية في باب القسم
٢٩٥-٢٩٦	* ملاك الامر في جواب ابن القيم لدفع هذه الشبهات .
٢٩٧-٢٩٨	* الرأي السائد عند عامة العلماء والمفسرين في اقسام القرآن .
٢٩٨	* طريق الامام عبد الحميد الفراهي في تأويل اقسام القرآن .
٣٠٠-٣٠٥	* الايضاح أصلها الاشهاد بها في كلام العرب .
٣٠٥-٣٠٩	* الادلة المأخوذة من نفس القرآن على ما فيه من الاقسام الاستدلالية .
٣١٠-٣١٢	* بعض أسباب خفاء الوجه الصحيح في تأويل اقسام القرآن
٣١٣-٣١٥	* الفرق بين ما يحسن وما لا يحسن من القسم .
٣١٦	* طريقتي في تأويل اقسام القرآن .
٣١٧	* الفصل الثاني : تتبع القسم في القرآن الكريم وبيان وجه الاستدلال بالمقسم به على المقسم عليه :
٣١٧	وشتمل على مبحثين : (المبحث الاول) القسم بالقرآن الكريم
٣١٧-٣١٨	(١) سورة يس
٣١٩-٣٢٩	(٢) سورة ص
٣٢٩-٣٣٠	(٣) سورة الزخرف
٣٣٠-٣٣٣	(٤) سورة الدخان
٣٣٤-٣٣٩	(٥) سورة ق
	(٦)
٣٤٠-٣٤٣	* المبحث الثاني : القسم بالمخلوقات :
٣٤٣-٣٦٢	(١) سورة الصافات
٣٦٢-٣٦٦	(٢) سورة الذاريات
٣٦٦-٣٦٧	(٣) سورة الطور
٣٦٧-٣٧٩	(٤) سورة النجم
٣٨٠-٣٨٧	(٥) سورة الواقعة
٣٨٠-٣٨٣	من الظواهر الاسلمية في البيان القرآني مجيء فعل القسم بمد (لا) والرأي الراجح في ذلك .
٣٨٨-٣٩٢	(٦) سورة القلم
٣٩٣-٣٩٤	(٧) سورة الحاقة

الصفحة	الموضوع
٣٩٥-٣٩٤	(٨) سورة المعارج
٣٩٧-٣٩٦	(٩) سورة المدثر
٤٠٥-٣٩٧	(١٠) سورة القيامة
٤١٠-٤٠٥	(١١) سورة المرسلات
٤١٥-٤١٠	(١٢) سورة النازعات
٤١٩-٤١٣	(١٣) سورة التکوثر
٤٢١-٤١٣	(١٤) سورة الانشقاق
٤٢٤-٤٢١	(١٥) سورة البروج
٤٢٧-٤٢٤	(١٦) سورة الطارق
٤٣٤-٤٢٣	(١٧) سورة الفجر
٤٣٩-٤٣٤	(١٨) سورة البلد
٤٤٧-٤٣٣	(١٩) سورة الشمس
٤٥١-٤٤٧	(٢٠) سورة الليل
٤٥٤-٤٥١	(٢١) سورة الضحى
٤٨٠-٤٥٤	(٢٢) سورة التين
٤٨٧-٤٨١	(٢٣) سورة العاديات
٤٩٥-٤٨٧	(٢٤) سورة المص
٤٩٦-٥٠٣	* الفصل الثالث : ذكر بعض ما في أقسام القرآن من أبواب البلاغة ولطائفها .
٥٠٦-٥٠٤	* الخاتمة .
٥١٤-٥٠٧	* فهرس تراجم الاعلام .
٥٤٠-٥١٥	* فهرس المراجع والمصادر .
٥٤٧-٥٤١	* فهرس الموضوعات .